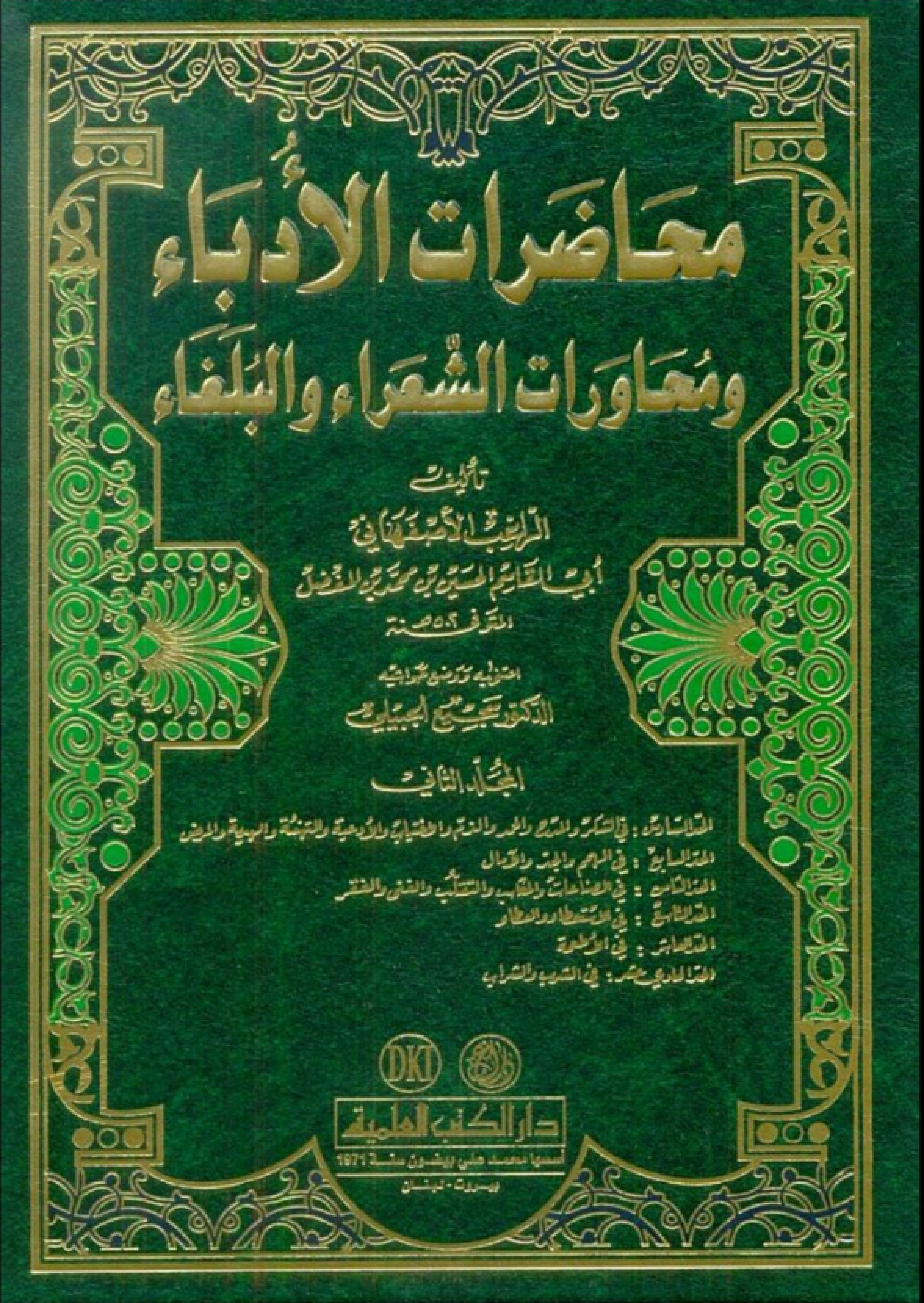


محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء
تأليف
الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل
المتوفى ٥٠٢
اعتنى به ووضع حواشيه
الدكتور محمد الجبلي
المجلد الثاني
الحد الثامن : في الصناعات والمكاسب والتكسب والغنى والفقر
الحد العاشر : في الأطعمة
DKI
دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

محاضرات الأدباء
ومحاورات الشعراء والبلغاء

تأليف

الراغب الأصفهاني
أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل
المتوفى سنة ٥٠٢هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
الدكتور سجيع الجبيلي

الجزء الثاني

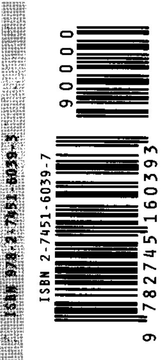

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	: **MUḤĀḌARĀT AL-ʾUDABĀʾ** WAMUḤĀWARĀT AL-ŠUʿARĀʾ WAL-BULAĠĀʾ	**الكتاب**	: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء
Classification:	Literature	**التصنيف**	: أدب
Author	: Al-Rāġib al-ʾAṣfahāni	**المؤلف**	: الراغب الأصفهاني
Editor	: Dr. Sajīʿ al-Jubayli	**المحقق**	: د.سجيع الجبيلي
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-ilmiayh	**الناشر**	: دار الكتب العلميـــة - بيروت
Pages	: 1760 (4 volumes)	**عدد الصفحات**	: 1760 (4 أجزاء)
Size	: 17*24	**قياس الصفحات**	: 17*24
Year	: 2009	**سنة الطباعة**	: 2009
Printed in	: Lebanon	**بلد الطباعة**	: لبنـــان
Edition	: 1st	**الطبعة**	: الأولى



ISBN 978-2-7451-6039-3



بسم الله الرحمن الرحيم

الحد السادس

في الشكر والمدح والحمد والذم والاغتياب والأدعية والتهنئة والهدية والمرض

فمما جاء في الشكر

حقيقة الشكر:

قيل: الشكر ثلاثة: شكر لمن فوقك بالطاعة؛ قال الله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سَبَإ: الآية ١٣]. ولمن فوقك بالأفضال، قال الله تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: الآية ١٧]. ولنظيرك بالمكافأة؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النِّساء: الآية ٨٦]. وقيل: الشكر ثلاث منازل: ضمير القلب، وثناء اللسان، والمكافأة بالفعل. وقال عمر بن عبد العزيز: ذكر النعم؟ شكر.

إيجاب الشكر:

قال النبي ﷺ: من كان عليه يد فليكافىء عليها، فإن لم يفعل فليثنين عليه، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة. وقيل: إذا قصرت يدك بالمكافأة، فليطلْ لسانك بالشكر.

شاعر:

أَعَلَيَّ لومٌ إن مَدَحْتُ مَعاشراً ... خطبوا إليَّ المَدْحَ بالأَمْوالِ؟

يَتَزَحْزحونَ إذا رأوني مُقْبِلًا ... عَنْ كُلِّ مُتَّكَأ مِنَ الإجلال

ذم الكفران:

خطب نصر بن سيار فقال: قال النبي ﷺ: «مَنْ أنعمَ على قوم فلم يشكروه فدعا الله عليهم استجيبَ له فيهم، اللهمَّ أني قد أحسنت إلى آل سام فلم يشكروه، اللهم فأذِقهم حَرَّ الحديد!»، فما دار عليهم الحول حتى قتلوا جميعاً. وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧]. إذا قلَّ الشكر حسن المنّ. روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله قاطعي سبل المعروف!

فقيل: من هم؟ قال: من أزهد في المعروف لكفران النعمة».

الحث على استزادة النعمة وارتباطها بالشكر:

قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٧]. وقال عمر رضي الله عنه: أهل الشكر في مزيد من الله تعالى لهذه الآية، قيل: لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت. الشكر نسيم النعم. النعمة وحشية فاشكلوها بالشكر. وقال النبي ﷺ: «أوطد الناس نعمة أشدهم شكراً». وقال النبي ﷺ: «أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، وإذا كانت النعمة وسيمة، فاجعلِ الشكر لها تميمة». وقال ابن المقفع: استوثقوا عز النعم بالشكر. وقيل: النعم إذا شكرت قرت، وإذا كفرت فرّت. قال ابن سقلاب: رأيت البحتري فقلت: ما خَبَرك؟ فأنشد بديهة:

يزيدُ تَفَضُّلاً وأزيدُ شكراً ... وذلك دأبُه أبداً ودأبي[1]!

الحث على الإسداء إلى من لا يشكر:

عمرو بن مسعدة قيل: لا تصحبْ من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفوائد عمله. وقيل: اصنع المعروف إلى من يشكره ويذكره، واطلبه ممن ينساه.

من تكفل لمسترفده بشكره:

دعبل:

لأشكرنَّ لنوحٍ فَضلَ نعمتهِ ... شُكْراً تصادَرَ عنهُ ألسنُ العَرَبِ[2]

البحتري:

فإنْ أَنَا لم أَشْكُرْكَ نُعْمَاكَ جاهِداً ... فلا نِلْت نُعْمَى بَعْدَها تُوجِبُ الشُّكرا[3]

عمارة بن عقيل:

فلأشْكُرَنَّكَ بالذي أولَيْتَنِي ... ما بَلَّ ريقي للكلامِ لساني[4]

أبو تمام:

لئنْ جَحَدْتُك ما أوليت مِن حَسَنٍ ... إني لفي اللؤمِ أحظى منك في الكرمِ[5]

---

(١) ليس في ديوانه، وهو بلا نسبة في المستطرف ١/ ١٢٥.

(٢) ديوانه ص ١١٤.

(٣) ديوانه ص ٩٢٧.

(٤) ديوانه ص ٨٤.

(٥) ديوانه ٢/ ١٠٨.

ولبعض المتأخرين:

لأَملأَن لسان الشكرِ فيك فقد   أطلقتهُ بفعالٍ ملؤهُ كرمُ

من لم يرد عنه خوفه عن شكر المحسن إليه:

بعث المنصور إلى شيخ من بطانة هشام، فاستحضره وسأله عن تدبير هشام وأحواله، فأقبل الشيخ يقول: فَعَلَ رحمه الله، وقالَ يوم كذا رحمه الله! فقال المنصور: قُمْ لَعَنَكَ الله، أَتَطأ بساطي وتترحم على عدوي؟ فقال الشيخ: إن نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلاَّ غاسلي! فقال المنصور: ارجع إلى حديثك، فإني أشهد أنك غرس شريف وابن حرة!.

ولما قتلَ مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب، أمرَ بأن يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك، فلم يألوا أن ذكروه بأقبح ما قدروا عليه، ما خلا رجلاً من بني دارم، فإنه قال: لا أذمّ رجلاً لا أملك ربعاً ولا مالاً ولا أثاثاً إلاَّ منه، ولو قُطِّعتُ إرَباً إرْباً، ولقد رثيته بأحسن ما يرثى به رجل، فأنشد أبياتاً رائعة. فجزاه سليمان خيراً، وقال: لا أصطنع فليصطنع مثل هذا.

المُظهر عجزه عن شكر المنعم عليه:

أبو الوفاء:

أيادي لا أستطيعُ كُنْهَ صِفاتها   ولو أَنَّ أَعضائي جميعاً تكَلَّمُ

وقال بعضهم: شكري لا يقع من نِعَمه المتظاهرة موقع النقطة من الدائرة.

شاعر:

ولو أنَّ لي في كلِّ منْبتٍ شَعْرَةً   لساناً يبثُّ الشُّكْرَ فيك، لَقَصَّرا

آخر:

وأسْكَنْتني نعمى كأنِّيَ مفْحم   ولم أَر مثلي مُفْحَماً وهو مقول

آخر:

أَيادي منهم ليس يبلغها الشُّكْرُ

الغساني:

أثقلتَ بالشُّكْرِ كلَّ عاف   فراقبِ الله في الرقابِ

آخر:

ما زلتَ تُحسِنُ ثم تحسنُ عائداً   وأعودُ شاكرَ نعمةٍ فتعودُ

فتزيدُني نِعَماً وأشكرُ جاهداً   فكذاك نحنُ! تزيدُني وأزيدُ!

آخر:

فإنْ يكُ أَربى عَفْوُ شكرِك عن يدي   أناسٌ فقد أَربى نَداه على شكري

المستنكف آلاء معطيه عجزاً عن شكره:

المتنبي:

ولـم نـمـلـلْ تـفـقـدكَ الـمـوالـي   ولـم نَـذْمـمْ أيـاديـك الـجـسـامـا

ولـكـنَّ الـغُـيـوثَ إذا تـوالـت   بـأرضِ مُـسـافـرٍ كَـرِهَ الـغـمـامـا[(١)]

محمد بن أبي عمران:

رُويـدَك لا تـعـنَـفْ عـلـي وأعـفِـنـي   على حَسَبِ أقضي ما أطيقُ مِن الشُكرِ

وقد أجاد أبو نواس في هذا المعنى:

أنـتَ امـرؤ جَـلَّـلْـتـنـي نِـعـمـاً   أَوهتْ قِوى شُكْرِي فَقَد ضعُفا

لا تـسـديـنَّ إلـيَّ عـارفـةً   حتى أقومَ بشُكْرِ ما سَلفا[(٢)]

وقد أبدع البحتري في هذا المعنى حيث يقول:

أخْـجَـلْـتـنـي بـنـدىَ يـديَّ وسـوَّدَتْ   مـا بـيـنـنـا تـلـكَ الـيـدُ الـبـيـضـاءُ

وقَـطَـعـتـنـي بـالـجـودِ حـتـى أنَّـنـي   مُـتَـخَـوِّفٌ أن لا يـكـونَ لـقـاءُ[(٣)]!

وله أيضاً:

إيهاً أَبا الفضل شكري منك في نَصَبِ   أقصِرْ فما ليَ في جَدْواك مِنْ أربِ

لا أقـبـلُ الـدهـرَ نـيـلًا لا يـقـومُ لـه   شكري، ولو كان مُسْديه إلى أبي[(٤)]!

وقال العثماني في الصاحب:

وفَـدْنـا لـنـشـكـرَ كـافـي الـكـفـاة   ونَـسْـألـهُ الـكـفّ عـن بِـرِّنـا

فقال العلوي: قد كُفيتَ، فإنّ الصاحب صار لا يعطي شيئاً!

من لا يخفي أياديه:

أَياد تَتَضوَّع، ونِعَم تسطع، وآلاء تَتَطَلَّع.

الشمردلي:

أيـاديـكَ لا تـخـفـي مَـواقِـعَ صَـوْبـهـا   فَـتَـعْـفـو إذا مـا ضيـع الـحـمـدُ والـشـكـرُ

---

(١) ديوانه ٤/ ٣٦٢ (وفيه «المقاما» مكان «الغماما»).

(٢) ديوانه ص ٣٧٤.   (٣) ديوانه ص ٢١ ـ ٢٢.

(٤) ديوانه ص ١٢٠.

وهل يَسْتطيعُ الأرضُ من بعدما انطوَتْ   علـى ريّـهـا إنكـارَ ما فَعَـلَ الـقَـطْـرُ

نُصيب:

فـعـاجـوا فـأثـنـوا بـالـذي أنـتَ أهـلُـه   ولو سكتوا أَثنتْ عليكَ الحقائِبُ[١]

آخر:

هَبِ الروضَ لا يُثْني على الغيثِ نَشْره   أَمَـنْـظـرَه تُـخـفِـي مـآثـرُه الـحَـسْـنـا؟

أبو الحسين الحسني:

وكـيـفَ بـكُـفْـرانـي صَـنـائـعَـهُ الـتـي   إذا جُـحِـدَتْ يـومـاً أقـرَّ بـهـا جـلـدي

ذكر الحال بأنها منبئة عن المقال:

في المثل: لسان الحال أفصح من لسان الشكر[٢]. وقال الجاحظ: نحن نزخرف باللسان، والناس يقضون بالعيان، وفي أمرنا أثر ينطق عنا ويتكلم إذا سكتنا.

الموسوي:

وإذا سكَتُّ فإنَّ أنطقَ مِنْ فمي   عَنّي يَدُ الـمـعـروفِ والإحـسـانِ

المسلف شكره قبل النعم:

محمد بن عمران:

شـكَـرْتُـكَ قـبـلَ الـخـيـر إنْ كـنـتَ واثـقـاً   بـأنـي بَـعْـدَ الـخـيـر لا شـكَّ شـاكِـرُ[٣]

عتبك مَن شكرته ولما يستوجب:

مسلم:

فـمـا مـنْ يـدٍ قَـدَّمْـتَـهـا كُـنْـتُ مَـثْـنـيـاً   عـلـيـكَ ولـكـنِّـي هـزَزْتُـك لـلـمـجـدِ!

وإنْ شـئـتَ أَلـقـيـتَ الـتـفـاضُـلَ بـيـنـنـا   وقُلْنا جميلًا، واقتصَرْنا على الحمدِ[٤]

آخر:

وشكرُ الفتى من غيرِ عُرْفٍ ولا يدٍ   ولا مِـنَّـةٍ تـولـيـه هـزةُ عـاتـبِ

الصاحب:

---

(١) ديوانه ص ٥٩.

(٢) مجمع الأمثال ١/ ٣١٤. والمعنى: إنَّ المشاهدة أفضل في إظهار حقيقة الأمر، من الوصْف والقول.

(٣) البيت بلا نسبة في المستطرف ١/ ١١٦.

(٤) ديوانه ص ٢٥٧.

وإذا الصَّدِيقُ أدام شكري للتي لم آتها إلاَّ على التَّقْدير
أيقنْتُ أنَّ العَتْبَ باطِنُ أمرِه فَسَكَتُّ مُحْتَشِماً على التَّقْصير[1]

آخر:

إذا ما المدحُ صارَ بلا ثَوابٍ مِن الممدوحِ كان هوَ الهجاءُ

دعبل:

لا يقبلون الشُّكْرَ ما لم يَنْعموا نِعَماً يكونُ لها الثناءُ تبيعا[2]

وقيل: من رضي بالثناء قبل الاستحقاق، تبيَّنَ ضعف عقله.

الحث على الشكر بقدر الاستحقاق:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الثناء في غير الاستحقاق مَلَق، والتقصير عن الاستحقاق عِيّ وحسد. وقال رجل لابن الأعرابي: إن نصيباً يقول: إنما تُمدح الرجال على قدر ثوابها. فقال: إن العرب تقول: على قدر ريحكم تمطرون.

شكر من همَّ بإحسان وإن لم يفعله:

مَن لم يشكر على حسن النية لم يشكر على إسداء العطية. وكتب الصاحب: إنْ شكرتَ، فاشكر النية لا العطية؛ قال الشاعر:

لأشكرنّك مَعْروفاً هَمَمت به إنّ اهتمامكَ بالمعروفِ معروفُ
ولا أذمُّك إنْ لم يمضِه قَدرٌ فالشيءُ بالقدرِ المحتومِ مصروفُ[3]

ثقل الحمد وتفضيله على الرفد:

محمود:

فما بلغت أيدي المنيلين بَسْطة من الطول إلاَّ بسطةُ الشكر أطولُ
ولا رجحَتْ في الوزنِ يوماً صنيعةٌ على المرءِ إلاَّ منةُ الشكرِ أثقلُ[4]

آخر:

تبهج لي بعرفٍ تشتريه بشكرِك إنه بالشكرِ غالِ

أبو تمام:

---

(١) لم أقع عليهما في ديوانه.
(٢) ديوانه ص ٢٢٩.
(٣) البيتان لعمرو بن المبارك في التذكرة السعدية، ص ٢٣٧.
(٤) ديوانه ص ٢٦٢.

والحمدُ شَهْدٌ لا تَرى مُشْتارَه   يَجْنيه إلاّ مِن نَقيع الحَنْظَلِ
غِلٌّ لحامِلهِ ويَحسَبُه الذي   لم يُوهِ عاتِقَهُ خَفيفَ المَحْمَلِ[١]

ومن باب ثقل الشكر ما روي عن بعض الصالحين وقد قيل له: ما لَكَ لا تطلب الدنيا؟ فقال: من خاف السؤال عن الشكر، طابت نفسه عن المال.

المستغني عن رفد من استغنى عن الشكر:

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

لئنْ طِبْتَ نَفْساً عَنْ ثنائي إنّني   لأطيبُ نَفْساً عن نداك على عسري

أبو العتاهية:

ما فاتني خَيرُ امرئٍ وضَعتْ   عَني يداه مؤونَةَ الشُّكْرِ[٢]

ذم من كفر نعمة:

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عَبَسَ: الآية ١٧]! وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية ١٣]. وقيل: من لم يشكر الناس لم يشكر الله؛ وأخذه البحتري فقال:

فَمَن لا يُؤدِّي شُكْرَ نعمةِ خِلِّه   فأنّى يُؤَدِّي شكرَ نِعمةِ ربِّه[٣]؟

وقال النبي ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، قال لعبد: هل شكرت فلاناً؟ فيقول: يا رب، علمت أنك المنعم فشكرتك، فيقول الله تعالى: لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت ذلك على يده. وقيل: إذا وقع الكفر وجب المنّ.

الخبزأرزي:

مَنْ لم يلاقِ كراماتِ الرجالِ له   بالشُّكْر أصْبَحَ في طرق الهوانِ لقي

أبو تمام:

شَرُّ الأوائِلِ والأواخِرِ ذِمّةٌ   لم تُصطَنَع، وصَنيعةٌ لم تشْكَرِ[٤]

وقيل: هو أكْفَر من ناشرة[٥]. وكان قد أخذه همام بن مرة من أُمه، وأرادت أن تئده، فلما بلغ سعى في قتل همام. وقيل: من لم يحمد صاحبه على حسن

(١) ديوانه ٢/ ٢١.
(٢) ديوانه ص ١٧١.
(٣) ديوانه ص ١٦٣.
(٤) ديوانه ٢/ ٣٨٦.
(٥) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ١/ ٢٩٦؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٧٠. وفي المطبوع «أكثر»، وهذا تحريف.

العطية كيف يحمد على حسن النية؟.

* * *

ومما جاء في المدح ومستحقيه
والهجو وذويه

وصف الثناء بالبقاء والترغيب فيه:

فسر قول الله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٤] بأنه الثناء الحسن. وقال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٧٨﴾ [الصَّافات: الآية ٧٨] ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝١٠٩﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٩]. أي: يقال له هذا. أطول الناس عمراً أعمهم بالخير ذِكراً في الثناء الباقي على الدهر خلف من نفاد العمر.

الأسدي:

وإني أُحِبّ الخلدَ لو أستطيعُه   وكالخلد عندي إنْ أبيت ولم أَلُمْ

آخر:

وبقاءُ الذكرِ في الأحياءِ للأمواتِ عمْرُ

وقالت الروم: ما فني من بقي ذكره. وقيل لبزرجمهر حين كان يقتل: تكلم بكلام نذكره. فقال: الكلام كثير، ولكن إن أمكنك أن تكون حديثاً حسناً فافعلْ.

شاعر في معناه:

وكُنْ أحدوثةً حَسُنت فإني   رأيت الناسَ كلَّهمُ حديثا

آخر:

أرى الناسَ أُحدوثةً   فكوني حديثاً حسَنْ

ولما جعل ابن الزيات في التنور، قال له خادمه: يا سيدي، قد صرت إلى ما صرت، وليس لك حامد! قال: وما نفع البرامكة صنيعهم؟ قال: ذِكْرك لهم الساعة. فقال: صدقت! وقال:

[يَهوى الثَّناءَ مُبَرِّزٌ ومُقَصِّرٌ]   حُبُّ الثَّناء طبيعةُ الإنسانِ[1]

التحذير من ألسنة الشعراء وذمهم:

قيل: اتقوا ألسنة الشعراء، فإنَّها سمة لائحة. وأنشد:

---

(١) البيت لعبد العزيز بن عمر بن نباتة في نهاية الأرب ٣/ ١٠٩.

وللشُّعراء أَلسنةٌ حِدادٌ   على العوراتِ مُوفيةٌ دليله
إذا وُضِعَتْ مكاويهم عليها   وإنْ كذَبوا فليس لهنّ حيلَه
ومِنْ عَقْل الفتى أن يَتَّقيهم   ويَدْفَعهم مدافعةً جميله

فضل الشكر على الوفر والحمد على الرفد:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هرم: ما وهب أبوك لزهير؟ فقالت: أموالاً فنيت وأثواباً بليت وأشياء انتسيت. فقال عمر رضي الله عنه: لكن ما أعطاكموه زهير لا يفنى ولا ينسى! وكتب أرسطوطاليس إلى الإسكندر: إن كل عقيلة يأتي عليه الدهر فيخلق أثره ويميت ذكره إلاَّ ما رسخ في القلوب من الذكر الحسن يتوارثه الأعقاب.

التخويف من فعل يورث قبح الذكر:

قال بعضهم: فلان حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد.

عوف بن محلم:

فتًى يَتَّقي أن يخدشَ الذمُّ عرضه   ولا يتقي حدّ السيوف البواترِ[١]

أبو لحاد:

حَذارِ الأحاديثَ التي يوم غيِّها   عَقَدْنَ بأعناقِ الرجالِ المخازِيا

حث محب الحمد على إسداء النعم:

قال حكيم: من أحبَّ الثناءَ فليصبرْ على بذل العطاء، وليوطِّنْ نفسه على الحقوق المرة، وعلى احتمال المؤنة. قال شاعر:

ما أَعلَمُ الناسَ أنَّ الجودَ مَكْسَبَةٌ   للحمدِ لكنَّه يأتي على النشبِ

وقال: أي أحدوثة تحبّ، فكنْها.

فضل استقبال الإنسان بممادحه:

خياركم من ملئت مسامعه من حسن الثناء وهو يسمع، وشراركم من ملئت مسامعه من قبح الثناء وهو يحذر. وقال خالد بن سالم: دخلت على أسامة بن زيد، فأثنى عليَّ ثناءٌ حسناً، ثم قال لي: إنما حَمَلني على أن أمدحك وجهك لأني سمعت النبي ﷺ يقول: إذا مدح الإنسان في وجهه ربا الإيمان في قلبه. وقال رجل لرسول الله ﷺ: إني أحب أن أمدح! فقال: وما عليك أن تعيش حميداً

(١) ديوانه ص ٣٤.

وتموت فقيداً. وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما أحد أحب إليه المدح من الله عزَّ وجلَّ فقد مدح نفسه وأمر العباد بمدحه».

كراهية ذلك:

سمع النبي ﷺ رجلاً يُثني على آخر فقال: قطعت مطاه لو سمع ما أفلح. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدح ذَبْح. وقيل: إنّ الإطراء يدعو إلى الغفلة. ولما جرح عمر رضي الله تعالى عنه، أثنى عليه الناس فقال: المغرور من غررتموه، لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع. وقيل: استحياء الكريم من المدح أكثر من استحياء اللئيم من الذم. وأثنى رجل على هشام بن عبد الملك فقال: أنا أكره المدح. فقال: لست أمدحك ولكني أحمد الله فيك!.

استحسان المدح بين الإخوان واستقباحه:

قيل: إذا قدم الإخاء سمج الثناء.

كشاجم:

ومُسْتَهْجِنٍ مَدْحي له إن تأكدَتْ   لنا عقد الإخلاص والحق يمدحُ
وما بي الذي في القلبِ إلاَّ تبيُّناً   وكُلُّ إناءٍ بالذي فيه يرشحُ[(١)]

التحذير ممن يمدحك في وجهك تصنعاً:

قيل: أعوذ بالله من صديق يُطري وجليس يُغري. وكان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وعلم من قلبه خلاف قوله، فقال له: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك! الجاحظ: شَرُّ الشكر ثناء المواجه لك المسرف في مدحك، وخيره ثناء الغائب عنك المقتصد في وصفك. ووصف العتابي رجلاً بالمداهنة فقال: ذلك إن وجد مادحاً مَدَح، وإن وجد قادحاً قَدَح، وإن استودع سرّاً افتضح.

أبو فراس:

ولا تَقْبَلَنَّ القولَ مِنْ كلِّ قائلٍ   سَأُرضيكَ مَرْأى لستَ أرضيك مَسمعا[(٢)]

التحذير ممن يتجاوز الحد في مدحك:

قيل: كُن ممن أفرط في تزكيتك أحذر ممن أفرط في الزِّراية بك. وقيل: من

---

(١) ديوانه ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٢) ديوانه ص ١٨٣.

مدح الرجل بما ليس فيه فقد بالغ في ذمه. وفي المثل: من حَفَّنا أو رفنا فليقتصد[١]. وقيل: من أحب أن يمدح بما ليس فيه استهدف للسخرية.

من وضع نفسه وكره الثناء:

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه خطب فقال: إني وليتكم ولست بخيركم؛ فلما بلغ الحسن قوله قال: بلى، ولكن المؤمن يهضم نفسه. وقال الفضيل: لو شممتم رائحة الذنوب مني، ما قربتموني. وأثنى على زاهد فقال: لو عرفت مني ما عرفت من نفسي، لأبغضتني.

المتنبي:

يُحَدِّثُ عَنْ فَضلِه مُكْرهاً كأنَّ له مِنْه قَلْباً حسودا[٢]

ما يقول الفاضل عند مدح الناس له:

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يقول إذا مدح: اللهمَّ أنت أعلم مني بنفسي منهم، اللهمَّ اجعلني خيراً مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون.

وقيل لأعرابي: ما أحسن الثناء عليك؟ فقال: بلاء الله عندي أحسن من وصف المادحين وإن أحسنوا، وذنوبي إلى الله أكثر من عيب الذامين وإن أكثروا.

النهي عن المدح قبل الاختبار:

قيل: لا تهرفْ قبل أن تعرف[٣]. وقيل: لا تحمدنَّ أَمَةً عام شرائها ولا حُرَّة قبل بنائها[٤]. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: إنّ فلاناً رجل صدق. فقال: هل سافرت معه أو ائتمنته؟ قال: لا. فقال: إذاً لا تمدحه لا علم لك به، لعلك رأيته يرفع رأسه ويخفضه في المسجد.

عتب من يمدح نفسه:

قيل: خطب معاوية خطبة حسنة فقال: هل منْ خَلَل؟ فقال رجل من عرض الناس: خلل كخلل المنخل! فاستدعاه وقال: ما ذاك الخلل؟ فقال: إعجابك به ومدحك له! وقيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ قال: مدح الرجل نفسه.

---

(١) جمهرة الأمثال ٢/ ٢٢٩؛ والمستقصى ٢/ ٣٥٤؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣١٠.
(٢) ديوانه ٢/ ٨٧.
(٣) المستقصى ٢/ ٢٦١؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢١٩. والهَرْف: الإطناب في المدح.
(٤) المستقصى ٢/ ٢٥٤؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢١٣.

وقال معاوية لرجل: من سيد قومك؟ فقال: أنا. فقال له: لو كنت كذلك لم تقله. وسئل الشاعر الأهوازي: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت والله أظرف الناس، وأشعر الناس، وآدب الناس! فقال السائل: اسكتْ حتى يقول الناس ذلك! فقال: أنا منذ ثلاثين سنة أنتظر الناس وليسوا يقولون.

ومدح أعرابي نفسه فعوتب في ذلك، فقال: أكله إليكم إذاً لا تقولون أبداً.

الرخصة في ذلك:

قال النبي ﷺ: «أنا سيد العرب ولا فخر». وحكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٥]. ولم يستقبح ذلك من الشعراء إذ قالوه نظماً.

عذر من يحوج إلى مدح نفسه ومن عرض بذلك:

قد أحسن ابن الرومي في ذلك حيث يقول:

وعزيزٌ عليَّ مَدْحي لنَفْسي غيرَ أني جَشمتُه للدلالهْ

وهو عيبٌ يكاد يسقط فيه كُلُّ حرٍّ يريد يُظهرُ حالهْ[1]

ووصف للمنصور مشير بن ذكوان، فأمر بإشخاصه إليه، فلما دخل قال له: أعالم أنت؟ فقال: أكره أن أقول نعم وفيه ما فيه، أو أقول لا فأكون جاهلاً. فأعجب المنصور بجوابه وألزمه المهدي. وسأل المأمون عبد الله بن طاهر عن ابنه فقال: ابني إن مدحته ذممته، وإن ذممته ظلمته إلاً أنه نِعْم الخلف لسيده من عبده إذا اخترمته منيته.

مَن عجز الشعراء عن استيعاب مدحه:

الماكي:

جهدتُ ولم أبلغْ مَداكَ بمدْحَةٍ وليسَ معَ التقصير عندي سِوى العُذْرِ

وفي شعر آخر:

وليسَ على مَنْ كان مجتهداً عَتْبُ

آخر:

يزيدُ على شَأْوي زيادٌ وجَرْولٌ وقد غُودرَ ابن العبد في نَظْمه عبدي

أشجع:

---

(١) ديوانه ٥/ ١٩٠.

مـدحـنـاهـمْ فـلـمْ نُـدرِكْ بـمـدْحٍ   مـآثـرَهـم ولـم نَـتْـرُكْ مـقـالا[١]

المتنبي:

وقـد وَجَـدْتُ مـكـانَ الـقـولِ ذا سَـعَـةٍ   فـإنْ وَجَـدْتَ لِـسـانـاً قـائـلاً فَـقُـلِ[٢]

ابن الحجاج:

هـو الـبَـحْـرُ إنْ حَـدَّثْـتُ عـنْ مُـعْـجزاتِـه   ضَعُفَتْ عنْ استِغْراقِ تلك العجائبِ

وإنْ رامَ شِـعْـري أن يُـحـيـطَ بـوَصْـفِـه   أحاط بِشِعْري العجزُ من كل جانبِ

من كثرت ممادحه سهل الشعر على مادحه:

قيل للفرزدق: أحْسَنَ الكميت في الهاشميات! فقال: وجود آجرّاً وجصّاً فبنى. كتب بعضهم: فتحت شيمه على المداح مستغلقات الكلام. وقال آخر: جود آل المهلب تركهم أهدافاً للمديح.

أحمد بن أبي طاهر:

إذا نحنُ حُكْنا الشِّعْرَ فيك تَسَهَّلَتْ   عـلـيـنـا مـعـانـيـهِ وذلّـتْ صـعـابُـهـا

فـمـا انـتَـظَـمَـتْ إلاَّ عـلـيـكَ عـقـودُهـا   ومـا انـتَـشَـرتْ إلاَّ عـلـيـك ثـيـابُـهـا

ابن الرومي:

كـرمـتـم فـجـاشَ الـمـفـحـمـونَ لـمدْحِـكـم   إذا رَجَـزوا فـيـكـم أبـيـتُـم فَـقَـصَّـدوا

كـمـا أزهـرتْ جـنَّـاتُ عَـدْنٍ وأثـمـرَتْ   فـأَضْـحَـتْ وعـجـمُ الـطـير فـيـهـا تُـغَـرِّدُ[٣]

وله:

عَـجِـبْـتُ لـمنْ يـهـديـه لـلـشِّـعْـرِ مَـدحُـكـم   وتَـنْـطِـقـه أيـامُـكـم وهـو مُـفْـحَـمُ[٤]

قال نصيب الأصغر:

ما لقينا من جودِ فَضْل بن يحيى   تَـرَكَ الـنـاسَ كـلَّـهـم شُـعـراءَ

فأجمعوا على جودته، وأنه لا عيب فيه إلاَّ أنه منفرد.

عابدة المهلبية:

فـيـا يـومـاً أُديـلَ الـمـوتُ فـيـهِ   وقال السيفُ للشعراءِ: قولوا!

من أحيا بإفضاله طريقة الشعر:

أبو تمام:

---

(١) ديوانه ص ٢٤٨.

(٢) ديوانه ٣/ ٢٠٥.

(٣) ديوانه ٢/ ١٢٧.

(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

مِلِكٌ إذا ما الشِّعْرُ حارَ ببلدةٍ كان الطريقَ لطرفهِ المتحَيِّرِ[١]

وله:

وحَياةُ القَريضِ إحْياؤُك الجو دَ فإنْ ماتَ الجود ماتَ القريضُ[٢]

المتنبي:

يا أيها المحسِنُ المشكورُ من جهتي والشُّكْر مِن قبلِ الإحسان لا قِبَلي[٣]

عابدة المهلبية:

إلـيَّ إلـيَّ أيتـها القـوافـي سَيُغْلي مهرَكَ الملكُ الجليلُ

ويروى للخوارزمي:

خُذي ثَأْرَ الكسادِ من الليالي لِكُلِّ صِناعةٍ يوماً مُديلُ

وقيل لذي الرمة: لِمَ خَصَصْتَ بلالاً بمدحك؟ قال: لأنه وطَّأَ مَضْجعي، وأكرمَ مجلسي، فاستولى بذلك على شكري ومدحي.

المستفاد منه ما يمدح به:

أحمد بن إسماعيل:

وإنِّي وإن أحسَنْتُ في القول مرة فمنك ومِنْ إحسانِك امتارها جسْمي

آخر:

تَعَلَّمْتُ مما قلتَه وفَعَلْتَه فأهديت حلواً من جناي لغارسِ

ابن طباطبا:

لا تُنْكرنَّ إهداءنا لك منطقاً منكَ استفدنا حسنَهُ ونظامَهُ

والله عزَّ وجلَّ يَشْكرُ فعل مَن يتلو عليه وحيَه وكلامَهُ

آخر:

إنْ جَدَّ معنى فمِنْ جَدْواه مُعْتَصِرُ أو جَلَّ لفظاً فمِنْ عَلْياهُ مُهْتَصِرُ

المعني بكل مدح حسن:

شاعر:

متى ما أَقلْ في آخرِ الدهر مدْحةً فما هي إلا في ليالي المكرمِ

---

(١) ديوانه ٢/ ٣٨٨.

(٢) ديوانه ١/ ٣٨٣.

(٣) ديوانه ٣/ ٢٠٩.

المتنبي:

فَظَنُّوني مَدَحْتُهم كثيراً وأَنْتَ بما مَدَحْتُهمُ مرادي[١]

من يليق به مدحه:

المتنبي:

وأَصْبَحَ شِعْري منهما في مَكانِه وفي عُنُقِ الحَسْناء يُستحسنُ العِقدُ[٢]

ابن الرومي:

خُذْها هَدِيّاً ولَمْ أُنْكِحْكَها عَزَباً يا ابنَ الوزيرِ وكم أُنكَحْتُ مِنْ عَزَبِ[٣]!

علي بن عبد العزيز:

وأرى المديح إذا عداك نقيصةً فأعافُه ولو أنه في حاتمِ

فإذا امتدحتُ سواك قال الشعر لي: لم ترع حقي إذ أبحتَ محارمي

من يستطاب مدحه:

أبو تمام:

عذبَتْ مماَدُحه بأفواهِ الورى فَثَناؤه يَنْتابُ كُلَّ مكانِ[٤]

المتنبي:

أَلذُّ من الصَّهباء بالماءِ ذِكْرُه وأَحسَنُ مِنْ يُسْرٍ تَلَقّاهُ مُعْدِمُ[٥]

المجمع على مدحه:

ذكر أعرابي رجلاً فقال: كأن الألسن والقلوب ريضت له، فما تعقد إلاَّ على ودّه، ولا تنطق إلاَّ بحمده. وقيل: غاية المدح أن يمدحك من لا معرفة له بك ضرورة إلى مدحك، وأن يسلفك حسن الثناء من عسى أن لا يصل منك إلى نفع.

البحتري:

وأرى الخلق مجمعين على فضْلِك من بين سيِّدٍ ومسودِ

عرفَ الجاهلونَ فضلك بالعلمِ وقال الجهَّالُ بالتقليدِ[٦]

ابن أبي طاهر:

وما أنا في شُكْري عَلِيّاً بواحِدٍ ولكنَّه في الفَضْلِ والجودِ واحِدُ

(١) ديوانه ٢/ ٨٤.

(٢) ديوانه ٢/ ١١١.

(٣) ديوانه ١/ ١٩٩.

(٤) لم أقع عليه في ديوانه. والورى: الناس.

(٥) ديوانه ٤/ ٢٠٨.

(٦) ديوانه ص ٦٣٨.

من لا يجد أحد عن مدحه محيصاً:

قال أبو عمرو: غاية المدح أن يمدحك من لا يريد مدحك، وغاية الذم أن يذمَّك من لا يريد ذمك. وكتب بعضهم: الجاحِد فضلك كمَنْ سَمّى النهار ليلاً والشمس ظلّاً.

ابن الرومي:

يا مَن إذا قلت فيه صالحة   عِنْدَ عدوٍّ أَقَرَّ واعْتَرَفا[١]

آخر:

ليس يستطيعُ أن يقولَ المعادي   فيك إلاَّ الذي يقول الموالي

السلامي:

فما عثرَتْ لكم تهم الأعادي   على خَلْقٍ ولا خُلُقٍ قبيحِ!

من مدحه صدق غير منحول:

الأحوص:

وما أُثْنِ مِنْ خَيْرٍ عَلَيْكَ فإنّه   هو الحقُّ مَعْروفاً كما عُرِفَ الفَجْرُ[٢]

ابن الرومي:

إذا امتَدَحوا لم يُنْحَلوا مجدَ غيرِهم   وهل يُنْحَلُ الأطواقَ وُرْقُ الحمائم[٣]؟

وكتب بعضهم: مما يبسط لسان مادحك أمنه من تحمل الإثم فيه وتكذيب السامعين.

من يتزين بممادحه المدح والمداح:

ابن الرومي:

أنتَ زنتَ القلائدَ الزهرَ قدماً   ضُعْفَ ما زانت القلائدُ جيدَك[٤]

الرفاء:

إذا القوافي بذِكْرِه اشتَمَلَت   عَطَّرها ذكرُهُ وحلَّاها[٥]

آخر:

وتزيّنَتْ بصفاتِهِ المدحُ

آخر:

(١) ديوانه ٤/ ٢٢١.
(٢) ديوانه ص ١١٥.
(٣) ديوانه ٦/ ٣٣.
(٤) ديوانه ٢/ ٢٨٣.
(٥) ديوانه ص ٢٧٦.

عَلّي تَطيبُ بريّاها مدائِحُنا كالمسكِ تأخذُ منه الريحُ أعرافا

المستغني عن المدح لكثرة فضله:

كتب بعضهم: إذا أنا تعاطيت مدحك فكالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، وهل يخفى ذلك على الناظر؟

البحتري:

جَلَّ عَنْ مَذْهبِ المديحِ فقَدْ كادَ يكونُ المديحُ فيه هجاءُ(١)

المتنبي:

تجاوَزَ قدرَ المَدْحِ حتى كأنّه بأكْثرِ ما يُثْنى عليه يُعابُ(٢)

من ذكر أن أحداً لا يستغني عن الشكر:

شاعر:

فلو كان يَسْتَغني عن الشكر ماجدٌ لِعِزَّةِ مُلْكٍ وارتفاعِ مكانِ
لما أَمرَ الله العبادَ بشُكْرِه فقال: اشكروا لي أيها الثَّقْلانِ(٣)

مدحك محسناً لم ينلك إحسانه:

أبو تمام:

وحَسْبي أُطري الحُسامُ إذا مضى وإنْ كان يَومَ الرَّوْعِ غيري حامِلُه(٤)

عمارة بن عقيل:

أرى الناسُ طرّاً حامدين لخالدٍ وما كُلُّهُمْ أَفْضَتْ إليه صنائِعُهْ
ولنْ يترك الأقوام أن يحمدوا الفتى إذا كَرُمَتْ أعراقُه وطبائعُه(٥)

المعتذر إلى رئيس لمدحه غيره:

كان ابن الزيات عاتب أبا تمام في مدحه سواه، فاعتذر إليه بقوله:

أمَّا القوافي فَقَدْ حَصَّنْتَ عُذْرَتَها فما يُصابُ دمٌ منها ولا سَلَبُ
ولو مَنَعْتَ مِن الأكفاء أيّمها ولم يكُنْ لك في إظهارها أَرَبُ
كانت بَناتِ نصيبٍ حينَ ضنَّ بها عن العوالي ولم تحفِلْ بها العَرَبُ(٦)

قال بعض الأكابر لأبي هفان: ما لك لا تمدحني؟ فقال:

---

(١) ديوانه ص ١٥.
(٢) ديوانه ١/ ٣١٩.
(٣) الثقلان: الإنس والجنس.
(٤) ديوانه ٢/ ٢٢٩.
(٥) ديوانه ص ٦٥.
(٦) ديوانه ١/ ١٣٨.

لسانُ الشُّكْرِ تُنطقُه العطايا ويَخْرُسُ عند منقطعِ النَّوالِ

تبكيت مَن يذم من لا يستحق الذم:

قام رجل في أيام صفين إلى معاوية فقال: اصطنعني فقد قصدتك من عند أجبن الناس وأبخلهم وألكنهم! فقال: من الذي تعنيه؟ قال: علي بن أبي طالب! فقال: كذبت يا فاجر! أما الجبن فلم يك قط فيه، وأما البخل فلو كان له بيتان: بيت من تبر وبيت من تبن لأنفق تبره قبل تبنه، وأما اللكن فما رأيت أحداً يخطب ليس محمداً ﷺ أحسن من علي إذا خطب، قمْ قَبَّحَكَ الله! ومحا اسمه من الديوان.

وقف رجل على شيرويه فقال: الحمد لله الذي قتل أبرويز على يديك ومَلَّكَكَ ما كنت أحق به منه، وأراحنا من عُتُوّه ونكده، فقال للحاجب: احملْه إليّ. فقال له: كم كان رزقك؟ قال: ألفان، قال: والآن؟ قال: ما زيد شيء. قال: فما دعاك إلى الوقوع فيه وإنما ابتداء نعمتك منه ولم نزد لك. وأمر أن ينزع لسانه من قفاه.

بخيل راغب في مدح بلا صلة:

الغفالي:

عُثْمانُ يَعْلَم أنَّ المدحَ ذو ثَمَنٍ لكنه يبتغي حمداً بمجانِ
والناسُ أكيسُ مِن أن يمدحوا رجلاً حتى يروا عندهُ آثارَ إحسان[١]

علي بن الجهم:

أردت شُكْراً بلا بِرٍّ ومُرْزِية لَقَدْ سَلَكْتَ طريقاً غيرَ مَسْلوك!

البحتري:

خَطَبَ المديحَ فَقُلْت: خَلِّ طريقَه ليجوزَ عنكَ فلَسْتَ مِنْ أكفائِه[٢]

أخذه أبو تمام حيث يقول:

تَزَحْزَحي عن طريق المجدِ يا مُضَرُ

عذر من يغتاب مسيئاً:

قال المتوكل لأبي العيناء: إلى كم تمدح الناس وتذمّهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساؤوا، وذلك دأب الله عز وجل، رضي عن عبد فمدحه وقال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ

(١) ديوانه ص ١٦١.
(٢) ديوانه ص ٢٩.

أَوَّابٌ﴾ [ص: الآية ٣٠]، وغضب على آخر فزناه فقال: ويلك وكيف زناه؟ قال: إنه قال في الوليد: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القَلَم: الآية ١٣]؛ والزنيم هو الداخل في القوم وليس منهم؛ ثم أنشد:

إذا أنا بالمعروف لم أُثْنِ صادِقاً ... ولم أذْمُمِ الحيسَ اللئيمَ المُذَمَّما

ففيمَ عَرَفْتُ الخيرَ والشرَّ باسمِه ... وشَقّ ليَ الله المسامِعَ والفَما؟

ابن أبي عيينة:

أنا ما عِشْتُ عليه ... أسوأ الناسِ ثناءَ

إنَّ مَنْ كان مُسيئاً ... لحقيقٌ أنْ يُساءَ

تذمم من مدح لئيماً فحرمه:

قال أعرابي وقد مدح رجلاً فخيبه: إن فلاناً تعدى بلؤمه من تسمى باسمه، ولئن خيبني فلرب قافية قد ضاعت في طلب كريم. ومدح بشار المهدي بشعر فخيبه، فقيل له: لعلك لم تستجد المدح؟ فقال: لو مدحت بشعري ذلك الدهر، لم أخش صرفه على حر، ولكن أكذب في العمل وأخيب في الأمل؛ وأنشد:

إنِّي مدَحْتُك كاذِباً فأثبتَني ... لما مَدَحْتُكَ ما يثابُ الكاذبُ

ابن الرومي وقد هجا كبيراً أمل منه كثيراً، فأجازه حقيراً:

أَتيتُكَ مادِحاً فهجوتَ شعري ... وكانَتْ هفوةٌ مني وغلْطَه

لذلك قيل في مَثَلٍ سخيفٍ: ... جزاءُ مُقَبِّل الوَجْعاء ضرطه[1]!

ولابن ربذة:

مدحت الغالبي بمدحِ صِدْقٍ ... فقابل مدحتي بجريبِ حِنْطه

فإنْ لاقيتَه يا صاحِ يوماً ... فَحَيّ سِباله عَنِّي بضَرْطهْ

أبو هشام الباهلي:

لكل أخي مدح ثوابٌ يعُدّه ... وليس لمدح الباهليّ ثوابُ

مدحت ابنَ سلم والمديح مهزةٌ ... فكان كَصَفْوانٍ عليه ترابُ

ومدح أعرابي رجلاً فلم يعطه فقال المادح: إنه أباحني عرضه فتنزهت له.

أبو الهول:

هززْتُك للعُلى فكَبَوْتَ عنها ... كبوّ البَغْلِ طالَ به التعني

---

(١) ديوانه ٤/ ٦٥.

آخر:

ولم أُلبِسْكَ ثوبَ الفَخْرِ إلاّ وجدتُكَ قَدْ خريت على الطرازِ

آخر:

ألا في سبيلِ الله سَعْيٌ سعيْته فمرَّ ضَياعاً لا ثوابٌ ولا يدُ
فخيبة آمالي وعِصيانُ خالقي وكفّارة الزورِ الذي كنت أنشدُ
متى يَسْتَحِقّ الأجرَ مَن ظلّ عاكفاً على صَنَمٍ يعنو له ثم يَسْجُدُ؟

ومدح مخنث رجلاً فذمه الرجل، فالتفت إلى القوم وقال: أكذب عليه، ويكذب عليّ، ليعلم أينا أكذب!.

من رد إليه مدحه:

مدح ابن الرومي بعض الكتاب بشعر وتردد إليه طالباً جائزته، فدفع شعره إلى غلامه وقال: امدح به غيري فلست أرغب فيه، فقال:

رددْتَ عليّ شِعري بعد مَطْلٍ وقد دنَّسْتَ ملبَسَهُ الجديدا
وقلتَ: امدحْ به مَن شِئتَ غيري ومَن ذا يقبل المدحَ الرديدا؟
وما للحيِّ في أكفانِ ميتٍ لبؤسٌ بعدما امتلأتْ صديدا[1]

من استرده لما حرم الجدوى:

ابن الرومي:

رُدّوا عليّ صحائفاً سَوَّدْتُها فيكم بلا حَقٍّ ولا استِحْقاقِ[2]

وله:

إن كنتَ مِن جَهْلِ حقي غير معتذرٍ وكنتَ من ردّ مَدْحِي غيرَ متئبِ[3]
فأَعْطِني ثمنَ الطِّرسِ الذي كتبتْ فيه القصيدة أو كَفّارةَ الكَذِبِ

من لا يليق به المدح:

البحتري:

خطبَ المديحَ فقلت: خَلِّ طريقه ليجوزَ عنك فلستَ من أكفائِه[4]

منصور بن باذان:

نبَتِ المدائحُ عَنْ طبائِعِه ولقَدْ يليقُ بوجْهِهِ القَذَفُ

---

(١) ديوانه ٢/ ١٧٢.
(٢) ديوانه ٤/ ٢٦٨.
(٣) ديوانه ١/ ٢٦٣. مُتَّئِب: خجول.
(٤) ديوانه ص ٢٩.

سلم الخاسر:

فإنْ تُعْطني جرمٌ لأني امتدحتها   فما عَلِمَتْ جرمٌ لها مادحاً قبلي[(١)]

مدح أبو خليفة رجلاً لم يكن منه ما يحب فقال: لله در الكميت حيث يقول:

وقرظتُكم لو أنّ تقريظَ مادحٍ   يواري عواراً من أديمكم النَّغْلِ[(٢)]

قال أبو نواس لما مات جعفر بن يحيى: لا يكون في الدنيا أكرم منه هجوته، وقلت فيه:

ولَسْتُ وإنْ أَطْنَبْتُ في مَدْحِ جَعْفرٍ   بأولِ إنسانٍ خرى في ثيابِه[(٣)]

فأمر لي بعشرة آلاف درهم وقال: اغسل بها ثيابك التي خريت فيها!

الموسوي:

مدَحْتُهمُ فاسْتَقْبَحَ المدحُ فيهمُ   ألا ربَّ عُنْقٍ لا يليقُ بهِ العقدُ

من لا يستحق الهجو لخسته ودناءته:

قال أبو مسلم لأصحابه: أي الأعراض أدنأ؟ فقال بعضهم: عرض بخيل! فقال: رب بخيل لم يكلم عرضه، أدنأ الأعراض عرض لم يرتع فيه حمد ولا ذم.

وقيل للفرزدق: وضعت كل قبيلة إلاَّ تيماً، فقال: لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه. وقال ابن مناذر لرجل: ما لك أصل فأحقره ولا فرع فأهصره. وقال رجل للنمري: اهجني! فقال: إنما يهجو مثلَك مثلك، وقال:

إنّي لأكرمُ نَفْسي أن أكلفَها   هِجاءَ جَرْمٍ وما يهجوهمُ أَحدُ

ماذا يقولُ لهم مَن كان هاجيَهم   لا يبلغ الناسُ ما فيهمْ وإن جهِدوا

مسلم:

أما الهجاء فَدقَّ عِرْضُكَ دونه   والمدحُ فيكَ كما عَلِمتَ جَليلُ

فاذْهَبْ فأنتَ طليقُ جدّك إنه   جَدٌّ عَزَزْتُ به، وأنتَ ذليلُ[(٤)]

المتنبي:

فلو كنتَ امرأً يُهجى هجَوْنا   ولكنْ ضاق فِتْرٌ عَنْ مَسيرِ[(٥)]

أخذه من قول الراعي:

---

(١) ديوانه ص ١١٠ (طبعة مكتبة الحياة).

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٤٤٤.

(٤) ذيل ديوانه ص ٣٣٤.

(٥) ديوانه ٢/٢٤٨.

لو كنتَ من أَحدٍ يهجى هجوتُكمُ　　يا ابن الرقاع، ولكن لست من أحدِ[(١)]!

من لا يهتز لمدح ولا يغتم لهجو:

قال رجل لحكيم: لا أبالي مُدحت أم هُجيت! فقال: استرحت من حيث تعب الكرام. وقيل: من لا يبالي سخط الكرام وشكيمة الأحرار، فطوقه سوءة الحمار. وقيل: ليعد ميتاً من لم يهتز لمدح ولا يرتمض من ذم.

ابن الرومي:

فما يرتاحُ للمدحِ　　ولا يرتاحُ للذمِّ[(٢)]

وله:

ولا يبالي الشتم عرضٌ　　كلّه شتمٌ وذمُّ[(٣)]

إبراهيم بن المنذر:

أَحقُّ الناس كلهمُ بعَيبٍ　　مُسيءٌ لا يبالي أن يُعابا

قال أبو نواس وقد تبجح بقلة مبالاته وبما يقال فيه، ويعني بذلك في باب تعاطيه الخسارة!

جَريتَ مَعَ الصّبا طلقَ الجموحِ　　وهان عليَّ مأثورُ القبيحِ[(٤)]

من يشرف بالهجو:

أبو نواس:

أَصْبَحَ فضلٌ ظاهرَ التيهِ　　وذاك مُذْ صِرتُ أهاجيهِ

كم بينَ فَضْلٍ منذ هاجيته　　وبينَه قبل هجائيه[(٥)]

من يصدق هاجيه ويكذب مادحيه:

مثقال:

ما قلت فيكَ هِجاءً خلته كذباً　　إلا بَدَتْ لك سوآت تحقُّقه

ابن الرومي:

خير ما فيهمُ ولا خير فيهمْ　　أنهم غير آثمي المغتاب[(٦)]

منصور بن باذان:

---

(١) ديوانه ص ٧٩.
(٢) ديوانه ٤/ ٨.
(٣) ديوانه ٦/ ١٠٣.
(٤) ديوانه ص ٧١.
(٥) ديوانه ص ٤١٦.
(٦) ديوانه ١/ ٣١٩.

أبا دلَفٍ يا أكذبَ الناس كلهم   سواي فإني في مديحك أكذبُ

ونظر رجل إلى أبي هفان يحدث آخر فقال: فيم تكذبان؟ فقالا: في مدحك.

من لا يأثم هاجيه:

ورد في الحديث: اذكروا الفاسق بما فيه. وقيل: لا غيبة للفاسق.

عبدان:

وقالوا في الهجاء عليك إثمٌ   وليسَ الإثم إلاَّ في المديحِ
لأني إنْ مَدَحْتُ مَدَحْتُ زوراً   وأهجو حين أهجو بالصَّحيحِ

المهجو بكل لسان:

ذكر أعرابي قوماً فقال: قد سلختُ أقفاؤهم بالهجاء ودبغت جلودهم باللؤم، لباسهم في الدنيا الملامة، وزادهم في الأخرى الندامة.

الداعي على هاجيه وعائبه:

نظر الفرزدق إلى رجل ذي عمة فقال:

قبحت العينان تحتَ العَمَّه

فقال:

بل قبُح الهاجي وناكَ أمَّه

البسامي:

مَنْ هجاني من البرِية طرّاً   وسعى في مَساءتي أو لحاني
فاللواتي عليه حَرَّمهنَّ الله   في سورة النساء زواني

أخو دعبل:

بنيت قافية قيلت تناشدها   قومٌ سأترك في أعراضهم ندبا
ناكَ الذين رووها أمَّ قائلها   وناك قائلُها أمّ الذي كتَبا

ذم قبيح الكلام:

قيل: قبيح الكلام سلاح اللئام. وسمع المهلب رجلاً يسبّ آخر، فقال: اكفُف، فوالله لا ينقى فوك من سهكها أبداً. وقال يزيد: إياك وشتم الأعراض، فإنَّ الحرّ لا يرضيه من نفسه شين.

النهي عن المشاتمة وذم الغالب منهما:

قال النبي ﷺ: «البذاءة لؤم وصحبة الأحمق شؤم». وقال ابن عامر: دعوا

قذف المحصنات تسلم لكم الأمهات. وقيل: المبتدىء شاتم نفسه والبادىء أظلم. وشتم رجل حكيماً فقال: اسكتْ فلستُ أدخل في حرب الغالب فيها شر من المغلوب. وقال أمير المؤمنين كرَّم الله تعالى وجهه: ما تسابّ اثنان إلاَّ غلب ألأمهما.

شاعر:

وإنَّكَ قد سابَبتَني فغلبتَني هنيئاً مريئاً أنتَ بالسَّبِّ أحذقُ!

وقيل: ما تسابّ اثنان إلاَّ انحط الأعلى إلى مرتبة الأسفل. وقال حذيفة بن بدر لرجل: أيسرك أن تغلب شر الناس؟ قال: نعم، قال: لن تغلبه حتى تكون شرّاً منه.

نازع رجل المهلب فأربى عليه فقيل: لم أمسكْتَ عنه؟ فقال: كنت إذا أردت إجابته رغبت في غلبة اللئام، وكان إذا سبني تهلل وجهه واستنار لونه وتبجَّحَت نفسه، فإنْ ظفر، فبفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء، وقلة الاكتراث بسوء الثناء.

الحث على قطع مادة الذم بالسكوت عنه:

قيل: من سمع كلمة كرهها فسكت عنها انقطعت، وإلاَّ سمع أكثر منها. وما أحسن ما قال الشاعر:

وتَقْلَق نَفْسُ المرءِ مِنْ أَجلِ شتمة فَيُشْتَمُ ألفاً بَعْدَها ثم يَصْبرُ

وقيل: إذا سمعت كلمة تؤذيك، فتطأطأ لها تتخطاك.

شاعر:

كُلَّما خفتُ من لئيم جواباً فأطَلْتُ السكوتَ عنه غممتُه

وشتم الحسن رجل وأكثر فقال: أما أنتَ فما أبقيت شيئاً، وما يعلم الله أكثر.

ذم من ينزه عن سبه:

قيل: ذَمُّ مَن كان خاملاً إطراء. وشتم رجل آخر فلم يرد عليه، فقيل له في ذلك فقال: أرأيت لو نبحك كلب أتنبحه، أو رمحك حمار أكنت ترمحه؟ وقال آخر:

قد ينبحُ الكلبُ النجوما

آخر:

وما كلُّ كلب نابحٍ يستفزّني ولا كلما طنَّ الذبابُ أُراعُ

شاعر:

شاتَمْني عَبْدُ بني مسْمع فصُنْتُ منه النَّفْسَ والعِرضا
ولم أَجبْهُ لاحتقاري لهُ من ذا يعضُّ الكلبَ إن عضَّا[١]

علي بن الجهم:

بلاءٌ ليسَ يُشْبهُهُ بلاءٌ عداوة غير ذي حسبٍ ودينِ
ينيلكَ منه عِرضاً لم يصنْه ويَرْتَعُ مِنْك في عِرْضٍ مصونِ[٢]

ونحو ذلك ما قال جرير لذي الرمة: هل لك أن تهاجيني؟ فقال: لا، إن حرمك قد هتكتهن الأشعار فما فيهن مرتع!

شاعر:

أوَكُلمَا طَنَّ الذبابُ زَجَرْتُه إنَّ الذُّبابَ إذاً عليَّ كريمُ

وقيل لنصيب: ألا تهجو فلاناً وقد حرمك؟ فقال: إنما كان ينبغي أن أهجو نفسي حيث سألته! فقيل: ويحك قد هجوته بأشد هجاء!

أبو علي بن عروس الشيرازي:

ومتى هجيتَ فَقَدْ مدَحْتَ لَقَدْ غلا سومُ البَعوضة إنْ رماها الصائِدُ

عبد الله بن خلف:

دناءة عِرْضِكَ حِصْنٌ مَنِيعُ يقيكَ إذا شاءَ مِنْكَ الضَّبيعُ
فَقُلْ لِعَدوِّكَ ما تَشْتَهي وأنتَ الرفيعُ المنيعُ الوضيعُ

من لا يخاف لكونه ممتنعاً بغيره:

قيل: وقف جدي على سطح، فمر به ذئب، فأقبل الجدي يشتمه، فقال الذئب: لست تشتمني وإنما يشتمني المكان الذي تحصنت به! منصور بن باذان:

لو كُنْتُ أجسرُ أن أقولا أشفيتُ من نفسي الغليلا
لكن لساني صارمٌ مُنِئَت مضاربُه فُلولا[٣]

آخر:

(١) البيت الثاني بلا نسبة في كتاب الأمثال والحكم، ص ١٨٣.
(٢) تكملة ديوانه ص ١٨٧.
(٣) الفلول: جمع فَلّ، وفَلُّ السيف: ثَلْمُه، كسْرُه.

وما جهلت مكان الآمريك بذا ... يا مَنْ هويتَ، ولكن في فمي ماءُ

إجابة من عابك تعريضاً بما عابك به:

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: لست أعرف طريقاً للمعروف أحزن ولا أوعر من طريقه إليك، لأنه ينضاف إلى حسب دنيء ولسان بذيء، وجهل قد ملك عنانك! فكتب إليه أبو العيناء في أسفل رقعته:

وأنتَ رعاكَ الله فينا فإنما ... مَدَحْتَ بفَضْلٍ ضعفُه فيكَ يوجدُ

فعدوه أبلغ من الأول. قال ابن مكرم لأبي العيناء: يا مخنث! فقال: وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه. وقال ابن ثوابة لرجل: يا مأبون! فأنشد:

كِلانا يرى الجوزاءَ يا جَمَلُ إنْ بَدَتْ ... ونَجْمُ الثريا، والمزارُ بعيدُ

وقال رجل لآخر: يا دعي! فقال:

عَبْدُ شمسٍ أبوك وهو أبونا ... لا نُناديكَ مِنْ مَكانٍ بَعيدِ

وقال رجل لآخر: يا ابن الفاعلة! فقال له ذاك: يا ابن الصالحة، أكذبُ حتى أكذب؛ وعلى هذا المعنى قال:

ثَالَبَني عمرو فثَالبتُه ... فأَثِمَ المَثْلوبُ والثالبُ

قلتُ له خيراً، وقال الخنى ... كُلٌّ على صاحبِهِ كاذبُ

وقال رجل لشاعر: إنَّكَ تغتاب المحصنات. فقال: إذاً لا بأس على عيالك مني.

تعريضات عن الأجوبة في الذم بالنثر والنظم:

لما قال كعب الأشتر لزياد الأعجم:

وأقْلَفُ صَلّى، بعْدَما ناكَ أُمَّهُ ... يرى ذاك في دين المجوسِ حلالا[١]

فقال زياد: لا جُزيتْ أُمه خيراً فقد أخبرته أني أقلف! ولما قال جرير لابن الرقاع:

يُقَصِّرُ باعُ العاملي عَنِ العُلا ... ولكن أيرُ العاملي طويلُ[٢]!

قال ابن الرقاع:

أَأُمّك كانت أَخبرتْكَ بطولهِ ... أَم أَنتَ امرؤٌ لم تدرِ كيفَ تقولُ[٣]؟

---

(١) الأقلف: الذي لم يُخْتَنْ (لم يُطَهَّرْ). (٢) ملحق ديوانه ص ١٠٣٤.

(٣) ديوان عدي بن الرقاع ص ٩٤.

فقال: لم أدر كيف أقول. ولما قال أرطأة بن سهية للربيع بن قعنب:

لـقـد رأيـتُـك عُـرْيـانـاً ومُـؤْتَـزِراً فـمـا دَرَيْـتُ أَأُنـثـى أنـتَ أم ذَكَـرُ

فقال الربيع:

لـكـن سـهـيـة أدرى يـوم زرتـكـم

ومر الفرزدق بباب المكاري فقال:

وكَمْ مِنْ هَنٍ يا بابُ ضَخْمٍ حَمَلته على الرجل فوق الأخدري المراكبِ[١]

فقال باب: قد حملت النوار فيمن حملت. فقال الفرزدق: غلبني والله! ولما قال مسكين الدارمي:

نـاري ونـارُ الـجـارِ واحـدةٌ وإليـه قَـبْـلـي يـنـزل الـقِـدْرُ[٢]

قالت امرأته: نعم، لأنَّ القِدْر والنار للجار.

ولما قال إبراهيم بن هرمة:

لا أُمْـتِـعُ الـعُـوذَ بـالـفـصـالِ ولا أبـتـاعُ إلاَّ قـريـبَـةَ الأَجَـلِ[٣]

قال المزيد: صدق ابن الخبيثة، فإنه يشتري شاة الأضحية فيذبحها من ساعته. وتبجَّحَ رجل فقال: إن أبي ممن قال فيهم شاعر:

يـقـومُ الـقـعـودُ إذا أقـبـلـوا

فقال له: صدقت لأنه كان بين يديه حمل شوك.

من قصد مدحاً فاتفق منه هجو:

عيب على جرير قوله:

تَـعَـرَّضَـتْ تَـيْـمٌ لـي عَـمْـداً لأهـجـوَهـا كما تَعَرَّضَ لاستِ الخارىءِ المَدَرُ[٤]

فقيل: جعل نفسه است الخارىء، ولو هجى بهذا لكان كثيراً! وقد تقدم في هذا المعنى باب في كتاب الشعر.

التهديد بالهجاء:

لما هجا جرير حنيفة بقوله:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) ديوانه ص ٤٥.
(٣) ديوانه ص ١٨٥. والعوذ: جمع عائذ، وهي الناقة التي نتجت. والفِصال: جمع فصيل. وهو ولد الناقة حين يُفصَل عن أمه.
(٤) ديوانه ص ٢١٠ (وفيه «الحجر» مكان «المدر»).

إنَّ اليمامة أضحَتْ لا أَنيسَ بها إلاَّ حنيفة تَفْسو في مناحيها[١]

لقيه عطية بن دعبل الحنفي فقال: يا جرير، إنك قد عرفت نصرة الفخم وإن لي سيفاً يختصم الجزور، فوالله لئن عدت لهجاء قومي لأسيلنه منك بشرطين. فقال: لا أنطق بعد هذا، فاعف هذه المرة! وتهدد الفرزق رجلاً بالهجاء فقال له: قل واصدق! فقال: إذاً أقول خيراً.

أبو القاسم بن أبي العلاء:

دَعِ الفضائِحَ تخفى والليث في الغيلِ رابض

وله:

لا تخرجني من خيسي فَتُنْكرني وتؤذيَ الناسَ أحياءً وأمواتا

كأنني بكَ قد ضيَّعْتَ مَوْعِظتي وجئتني نادماً والأمرُ قد فاتا

* * *

ومما جاء في الغيبة والنميمة

حقيقة الغيبة:

محمد بن عبيدة: الغيبة أن تغتابه إذا أقلع لا أن تغتابه وهو مقيم على فسقه. ولذلك قال النبي ﷺ: «ليس للفاسق غيبة». وقال عليه الصلاة والسلام: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بهته». وقيل: ما قلته في وجه الرجل ثم تقوله من ورائه فليس بغيبة. وقال بعض الفقهاء: الغيبة أن تذكر الإنسان بما فيه من العيب من غير أن تحوج إليه، وفي ذلك احتراز مما يقول الشاهد عند الحاكم.

ذم الغيبة والنميمة وفضل تركهما:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٢]؟ فما رضي بأن جعله آكلاً لحم أخيه حتى جعله ميتاً. وقال النبي ﷺ: «الغيبة أشد من الزنا، لأن الله تعالى يتوب على الزاني، ولا يغفر الغيبة إلاَّ بتحليل صاحبها». وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إياك والغيبة فإنها أدم كلاب النار. وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز.

---

(١) ديوانه ص ٥٤٤، والرواية فيه:

قد غَلَّبَتْني رُواةُ الناسِ كُلَهم إلاَّ حنيفةَ تَفْسو في مناحيها

وقال المأمون: حسبك من السعاية أن ليس في الدنيا صدق مذموم غيرها. وقال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القَلَم: الآية ١١]. وقال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات». وقال: «النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء». وقال: «من قلّ ماله وكثر عياله وحسنت صلاته ولم يغتب المسلمين، كان معي يوم القيامة كهاتين». وقال: «عذاب القبر من ثلاثة: من الغيبة والنميمة والبول». وقيل: الساعي غاشّ وإن قال قول المتنصح.

وقال ابن أكثم: القول بالمحاسن في المغيب فريضة على كل ذي نعمة. وقال المأمون لابنه العباس: قَلِّمْ أظفارك من جليسك، فأخسّ الناس من دمي جليسه بظفره. قال: ولله در القائل:

لا أخدشُ الخدشَ بالجليسِ ولا ... يخشى جليسي إذا انتشبتُ يدي

من امتنع أن يجعل مغتابه في حل:

قال رجل لابن سيرين: قد نلت منك، فاجعلْني في حلّ. فقال: لا أُحِلّ ما حَرَّمَ الله عليك. وقيل للحسن: إن الحجاج كان يذكرك بسوء. قال: علم ما في نفسي له فنطق، وعلمت ما في نفسي له فسكت، وكل امرىء بما كسب رهين.

من سمحت نفسه بأن يجعل في حل:

كان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا خرج يقول: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك. وقد روي عن النبي ﷺ ذلك. وقال كثير:

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ ... لعزَّةَ مِنْ أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ[1]

وقيل لرجل: فلان شتمك واغتابك. فقال: هو في حل. فقيل: أتحلّ من يغتابك وبه يثقل ميزانك؟ فقال: لا أحب أن أثقل ميزاني بأوزار إخواني.

من قلّت مبالاته بمن اغتابه:

قيل لفيلسوف: فلان يشتمك بالغيب. فقال: لو ضربني بالسياط في الغيب لم أبال به! قال:

وإن الذي يؤذيك منه استماعه ... وإن الذي قالوا وراءك لم يَقُل

قال المتوكل لأبي العيناء: ما بقي أحد إلاّ اغتابك، فقال:

إذا رضيَتْ عني كرامُ عشيرتي ... فلا زالَ غَضْباناً عَلَيَّ لئامُها[2]

---

(١) ديوانه ص ١٠٠.

(٢) ديوانه ص ٤٩.

وقيل للأحنف: فلان اغتابك. فقال:

رُبَّ مَنْ يَعيبُه أمري ... وهو لم يَخْطُرْ ببالي
قلبهُ ملآنُ مِنْ غيظي ... وقلبي منه خالِ

وقيل لأعرابية: فلانة تقع فيك. فقالت: دعوها فشكاتها وسكاتها عندي سواء. وقيل لرجل: فلان يغتابك. فقال: دعني يسترفعني الله بذلك، فمن أكثرت فيه الوقيعة رفعه الله، فإن بني أمية لعنوا علياً على المنابر، فما زاده الله إلا رفعة. وحُكي عن ببغا الشاعر البغدادي أنه قيل له: إنَّ فلاناً يغتابك، فقال: لا ضير أنه أراد أن يمتحن ودي. وقيل لآخر ذلك فقال:

ولم يمحُ من نورِ ... النبي أبو جهلِ!

ذم ناقص يغتاب فاضلاً:

قيل: كفى بالمرء شرّاً أن لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين.

شاعر:

عُثَيْثة تقرضُ جلداً أملسا

المتنبي:

وإذا أتتك مَذَمَّتي مِنْ ناقصٍ ... فَهيَ الشهادةُ لي بأنِّي كاملُ[1]

الموسوي:

عاداتُ هذا الدهر ذمُّ مُفْضِلٍ ... ومَلام مقدامٍ ونقصُ جوادِ

وكأنه من قول الآخر:

وما زالت الأشرافُ تُهجى وتُمدحُ

ونحوه قول الآخر:

إنَّما الغيبةُ تلقيحُ الشَّرف

من رمى غيره بعيبه:

رَمَتْني بدائها وانْسَلَّتْ[2]. عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَه نَسِي بُجيرٌ خَبَرَه[3]. وقيل: أتبصر

---

(١) ديوانه ٣/ ٣٧٦.

(٢) المستقصى ٢/ ١٠٣؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٠٢؛ والمثل قالته امرأة عَيَّرَتْها ضرَّتُها بعيبٍ كان فيها.

(٣) المستقصى ٢/ ١٧٥؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٨. وبجير وبجرة اسما رجلين، فعاب بُجَيْرٌ بُجَرَة بعيبٍ كان فيه.

القذاة في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك؟.

اغتياب المرء غيره يدل على عيبه:

قيل: من وجدتموه عياباً وجدتموه معيباً، لأنه بعيب الناس بفضل عيبه. وفي ذلك قال:

ويأخُذُ عَيْبَ المرءِ مِنْ عَيْبِ نَفْسِه مـراد لـعَـمْـري مـا أراد قـريـبُ

قال أبو العيناء: ما قطعني أحد كما قطعني المهدي، فإنه قال: بلغني أنك تغتاب الناس! فقلت له: يبطل ما قيل في شغلي بعيني. فقال: والله ذاك أشد لغيظك على أهل العافية أعرف الناس بعوار الناس المعور.

تشهي الغيبة واستطابتها:

قال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام. فقال: لو تلمظت به ما صبرت عنه. وقال رجل لبنيه: إذا اجتمعتم فعليكم حديث أنفسكم ودعوا الاغتياب. فقال أحدهم: نحن نحتاج في هذه السنة إلى كذا وكذا، ونفعل ونصنع كذا وكذا، فقد فرغنا من حديثنا فبماذا نشتغل؟ وقيل: الغيبة فاكهة النساك والقراء. وقصد رجل ابن عمه مسترشداً لحق له فأحسن إليه، فلما عاد سئل فقال: منعني التلذُّذ بالغيبة والشكوى. ونحوه قول الآخر:

فَـقَـضَـتْ حـاجـتـي مُـعَـجّـلَـة فَـجَـعَـتْـنـي بـلـذّة الـشـكـوى

من اغتاب فاغتيب:

قيل: من رمى الناس بما فيهم رموه بما ليس فيه. وقيل: بَحْثك عن عيوب الناس يدعو إلى بحثهم عن عيوبك. وقال آخر:

ومَـنْ دعـا الـنـاسَ إلـى ذَمِّـه ذمُّـوه بـالـحـقِّ وبـالـبـاطـلِ[1]

الكاروشي:

تَـحَـلَّـلْـتُ بـالـسـبّ لـمـا رأيـتُ أديمَـك صـح، ومـن سَـبَّ سُـبْ

فـإنْ لـم نـجـد فـيـك مـن مَـغْـمَـزٍ سـلـكـنـا إلـيـك طـريـقَ الـكـذِبْ

الشطني:

لا تكشفَنّ مساوي الناس ما ستروا فـيـهـتـكَ الله سِـتْـراً عـن مـسـاويـكـا

(١) البيت لكعب بن زهير في كتاب الأمثال والحِكم، وليس في ديوانه.

النهي عن استماع الغيبة:

قال عمرو بن عبيد لرجل يستمع إلى آخر يغتاب: ويلَكَ، نَزِّه أُذنك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن النطق به.

شاعر:

وسَمْعَك صُنْ عَنْ سماعِ القبيحِ ... كصونِ اللسانِ عنِ النطقِ بهِ

آخر:

والسامِعُ الذمَّ شريكٌ لهُ ... والمطعِمُ المأكولَ كالآكلِ

وقال الفضيل: الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها. وقيل: إذا رأيت من يغتاب الناس، فأجهد جهدك أن لا يعرفك، فأشقى الناس به معارفه.

إبراهيم بن المهدي:

من نَمَّ في الناس لم تؤمَنْ عقاربُهُ ... على الصَّديقِ ولم تؤمَنْ أفاعِيهِ[1]

الممدوح بصيانة مجلسه عن الغيبة:

مدح بعضهم رجلاً فقال: يُنَزه مجالسه عن الغيبة ومسامعه عن النميمة.

كعب الغنوي:

إذا ما تراءاهُ الرجالُ تحفّظوا ... فلم تَنْطقِ العوراء وهوَ قريبُ

ومثله قول البهلول:

نُبئْتُ أن النارَ بعدك أوقِدَتْ ... واستَبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ

الحث على التثبُّت فيما يسمع من السعاية:

وُشي برجل إلى بلال، فلما أتى به قال: قد أتاك كتاب من الله في أمرنا فاعملْ به؛ قال الله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحُجرَات: الآية ٦]. فقال: صدقت! وأُبلغ ملك عن رجل منكراً فأمر بقتله فقال: إن قتلتني ومن سعى بي كاذب يعظم وزرك، وإن تركتني وهو صادق قلّ وزرك، وأنت من وراء ما تريد، والعجلة موكل بها الزلل، فأمر بإبقائه والفحص عن أحواله.

كثير:

---

(١) ديوانه ص ٩٣.

وإنْ جاءك الواشونَ عني بكذبةٍ   فَرَوْها ولم يأتوا لها بحويلِ
فلا تَعْجلي يا عَزُّ أن تَتَبَيَّني   بنُصْحٍ أَتى الواشون أم بحُبولِ(١)

من سأل صاحبه أن لا يصغي إلى الساعي:

لما أراد عبد الملك بن صالح الهاشمي الخروج إلى الشام، استدعى حوائجه من جعفر بن يحيى فقال: أسألك أن تكون لي كما قال ابن الدمينة:

فكوني على الواشين لَدّاءَ شَغْبَةً   كما أنا للواشي أَلَدُّ شَغوبُ(٢)

فقال له جعفر: أكون كما قال الآخر:

وإذا الواشي أتى يسعى بها   يَقَعُ الواشي بما جاءَ يَضُرْ

من بكت الساعي به ودل على بطلان قوله:

سعى رجل بالليث بن سعد إلى والي مصر، فأحضره، فقال: إن رأيت أن تسأله أسِرّ ائتمنته عليه فخانه أم كذب بقوله، فالخائن والكاذب لا يقبل قولهما.

ووشى واشٍ إلى زياد بن همام وقال: إنه هجاك. فأحضره وأعلمه فقال: كلا. فقال: أخبرني بذلك الثقة. فقال: الثقة لا يكون نمّاماً. فأحضر الساعي وجبهه بذلك فقال:

وأنتَ امرؤٌ ما ائتمنتك خالياً   فخنت، وإما قلتَ قولاً بلا علمِ
فأنتَ من الأمر الذي كان بيننا   بمنزلةٍ بين الخيانةِ والإثمِ

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: فلان قال فيك كذا. فقال: الحمد لله الذي أحوجه إلى الكذب في، ونَزَّهني عن الصدق فيه.

من رد السعاية على الساعي وبكته:

كان الفضل بن سهل يبغض السعاة، فإذا أتاه ساع يقول: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك. ودخل رجل على عبد الملك فقال: هل من خلوة؟ فأقبل عبد الملك على أصحابه وقال: إذا شئتم. فقاموا، فقال له عبد الملك: اسمعْ، لا تمدحني في وجهي، فإني أعرَف بنفسي منك، ولا تكذبني فليس لكذوب رأي، ولا تسعين بأحد إلي. فقال الرجل: أأنصرف؟ قال: إذا شئت. فقام وانصرف.

---

(١) ديوانه ص ١١١. والحبول: الدّواهي.
(٢) ديوانه ص ١١٢. والشغوب: المُخالِف المُخاصِم.

ووقّع عبد الله بن طاهر في قصة ساع: سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين. ورفع رجل قصة إلى أنوشروان أن رجلاً من العامة دعاه إلى منزله فأطعمه طعام الخاصة، فوقَّع في قصته: قد أحمدنا فعلك فيما تأتيه، وذممنا صاحبك لسوء اختياره لمن يؤاخيه. ووقع طاهر بن الحسين في رقعة متنصح: قد سمعنا ما كره الله، فانصرفْ لا رحمك الله. ووقَّعَ السفاح في قصة ساعٍ: أنت ظاهر السِّعاية قليل النكاية. وسعي إلى عبد الملك بن مروان في عبد الحميد فوقع:

أقلُّوا عليه لا أبا لأبيكمُ   من اللؤم أو سدُّوا المكان الذي سدّا

وقال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: ما زال القوم في ثلبك إلى الساعة! فقال: يا أمير المؤمنين، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم، والله وليُّ جزائه وعقابك من ورائه، قال: فما الذي قلت لهم: قال: قلت:

وسَعى إليَّ بعَيْبِ عزّةَ نِسوةٌ   جَعَلَ الإلٰهُ خدودَهُنّ نِعالَها

الموسوي:

وأوطأتُ أقوالَ الوشاةِ أخامصي   وقد كان سمعي مدرجاً للنمائمِ

قلّة التخلص من اغتياب الناس وذمهم:

سأل بعض الأنبياء ربه عزَّ وجل أن يدفع عنه ألسنة الناس باغتيابه وذمه، فقال: هذه خصلة لم أجعلها لنفسي، فكيف أجعلها لك؟ وقيل: ليس إلى السلامة من ألسنة الناس سبيل، فانظرْ إلى ما فيه صلاحك فالزمْه.

شاعر:

إذا كُنْتَ مُلْحِيّاً مسيئاً ومُحْسِناً   فَغَشْيانُ ما تهوى من الأمرِ أَكْيَسُ[1]

ذم ناقل الغيبة:

قيل: الراويةُ أحدُ الشاتمين[2]. وقيل: من بَلَّغَكَ فقد سَبَّك. قال:

مبلغكَ السوءَ كباغيهِ لكا

وقيل لحكيم: فلان عابك بكذا. فقال: لقد لقيتك نفحتني بما استحى الرجل من استقبالي به. وقيل: ما ضرت كلمة ليس لها مخاطب. ويدخل في هذا الباب قول الشاعر:

(١) البيت للسموأل في نهاية الأرب ٣/ ٨٩؛ وليس في ديوانه.
(٢) مجمع الأمثال ١/ ٣٠٣.

وأنت امرؤ ما ائتَمَنْتُكَ خاليا

(البيتين) وقد تقدما. وكان أبو ضمضم إذا قعد للحكم يقوم بإزائه رجل يعلق نوادره، فعلم بذلك أبو ضمضم فرماه يوماً بلوح في يده فشجه، فقال له بعضهم: ما أصاب. فقال: استرق السمع فاتبعه شهاب ثاقب.

الموصوف بالنميمة:

قال الله تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القَلَم: الآية ١١]. وقيل: فلان أَنَمُّ من الزهر[١]. قال ابن الرومي:

أَنَمُّ بما استودَعْتَه من زُجاجةٍ ... ترى الشيء فيها ظاهراً وهْوَ باطِنُ

آخر:

قد كانَ صَدْرُكَ للأَسرارِ جَنْدلةً ... ضنينةً بالذي تحوي نواحيها

فصارَ مِنْ بثّ ما استودعتَ جوهرةً ... رقيقةً تستشفُّ العينُ ما فيها

وأنكر بعضهم لمحة جليس له، فنسبه إلى النميمة فقال: ما نطقت، ولكن رمقت، ورب عين أنم من لسان وطرف أشد من سيف، وأوجع من حتف. وقال الرشيد لأبي عمرو الشفافي: فلان نمّ بك. فقال: يا أمير المؤمنين، إن فلاناً لو كان بينك وبين الله واسطة لسعى بك إليه. وقال أعرابي: أتى فلان بنميمة منمنمة وسخيمة مسخمة. العباس بن الأحنف:

أناس أمَنّاهم فَنَمُّوا حديثنا ... فلما كَتَمْنا السِّرَّ عنهمْ تَقَوَّلوا[٢]

من قول أبي ذهل:

أمِنَّا أناساً كُنْتِ قد تأمنينهم ... فزادوا علينا في الحديث وأوهَمُوا

وقالوا لنا ما لم نقُلْ ثم أكثروا ... عليّ وراحوا بالذي كنتُ أكتمُ

من اغتاب غيره فرآه:

اغتاب أعرابي رجلاً فالتفت فرآه فقال: لو كان خيراً ما حضرته. ويقال لمن حضر إذا ذُكر غائباً نُزّه[٣]: اذكر الكريم وافرشْ له. اذكر الكلب وهَيِّىءْ له العصا.

الحث على التحرُّز مما يقتضي الغيبة:

قال الحسن رضي الله عنه: من دخل مداخل التهمة لم يكن له أجر الغيبة.

---

(١) الدرة الفاخرة ٢/ ٤٤٤. (٢) ليس في ديوانه.

(٣) كذا، والمقصود: يقال لمن يحضر مجلساً في آن ذكْرِه في هذا المجلس.

وقيل: من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن واغتابه.

من لا يحرم اغتيابه:

قال النبي ﷺ: «ليس للفاسق غيبة». وقال: «اذكروا الفاسق بما فيه». وقال: «لا غيبة لثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، ومبتدع فاجر».

نوع من ذلك:

روي فيما أظن عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سعى رجلان بمؤمن آل فرعون إليه وقالا: إنّ فلاناً لا يقول إنك ربه. فأحضره فرعون وقال للساعيين: من ربكما؟ فقالا: أنت. وقال للمؤمن: من ربك؟ فقال: ربي ربهما. فقال: سعيتما برجل على ديني لأقتله، لأقتلنكما! وأمر بهما فقتلا، فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: الآية ٤٥]. جرى بين عتبة بن رؤبة وبين بشار شيء فقال عتبة: أتقول لي كذا وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر؟ فقال: أقول لك ذلك، ولو كنت من الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

* * *

ومما جاء في التحية والأدعية والتهنئة

الحث على التحية ووصف فضلها:

قال النبي ﷺ: «إذا التقيتم فابدأوا بالسلام قبل الكلام، ومن بدأ بالكلام، فلا تجيبوه». وقال ﷺ: «بلوا أرحامكم ولو بالسلام». وقال بعضهم: بثوا السلام فهو رفع للضغينة بأيسر مؤونة، واكتساب إخوة بأهون عطية.

شعر:

كَيْفَ أَصْبَحْتَ كَيفَ أَمْسَيْتَ مما ... يزرعُ الودَّ في قلوبِ الكرام؟

عنى تحية. فقال: هدية فلاناً. وقال رجل لآخر: أبلغ حسنة ومحمل خفيف.

الحث على الجواب:

روي أن التحية نافلة[1] والجواب فريضة. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

(١) النافلة: ما هو مُسْتَحَبُّ القيام به، وليس واجباً.

حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّساء: الآية ٨٦]. ومر رجل بقوم فسلّم فلم يردوا عليه فقال: يا عجباً ممن خَوَّلتهم نافلة، فمنعوا عني واجباً. وسلم نصراني على الشعبي فقال: وعليك السلام ورحمة الله. فقيل: أتقول ذلك لنصراني؟ فقال: أليس في رحمة الله يعيش؟ وقال ﷺ: «أطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام».

ذم من بخل بالتحية وعذره:

أنشد ثعلب:

وما لَكَ نِعْمةٌ سَلفَتْ إلينا فكَيْفَ نراكَ تَبْخَلُ بالسلام؟

كشاجم:

إذا كتبوا صادفوا في الدعا كأنَّ دُعاءهم مستجابُ

وأنشد المبرد:

إذا لم تجُدْ بجميل الكلامِ فما الذي بَعْده تبذُل؟

آخر:

يا جوداً بالثراء وبخيلاً بالدعاء!
فتفضل يا أخا الفضلِ بتفخيم الثَّناءْ

وسلّم آخر على رجل بسوطه، فلم يجبه، فقيل له في ذلك، فقال: سلَّم عليَّ بالإيماء، فرددت عليه بالضمير.

لقد مَرَّ عَمْرو على مجلسي فَسَلَّمَ تسليمةً خافيَه
لئِنْ تاهَ عَمْرو بفَضْلِ الغنى لقد فضَّل الله بالعافيه[1]

وقيل: من بدأ بغيضاً بالسلام فهو أبغض منه. وقال ابن المقفع: لا تكونَنَّ نزْرَ الكلام والسلام، ولا تتهافتن بالبشاشة والهشاشة، فإنَّ أحدهما كبر والآخر سخف. وقال الشعبي: انتهت التحية إلى قولهم: «وبركاته». ولقي رجل أبا العيناء فقال: أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك. فقال: هذا العنوان ما هو. وقال المتنبي في عذر تخفيف السلام:

أُقِلُّ سلامي حُبَّ ما خَفَّ عنكمُ وأَسْكُتُ كيما لا يكونُ جوابُ[2]

---

(١) ديوانه ص ٢٥.
(٢) ديوانه ١/ ٣٢٤. و«حُبَّ» مفعول معه، والمعنى: لإيثاري التخفيف عنكم أقلّل التسليم عليكم.

مواضع التسليم:

جاء رجل إلى النبي ﷺ وهو يبول، فسلم عليه فقال ﷺ: «إذا أتيتني على هذه الحال، فلا تسلِّمْ عليَّ، فإنَّك إنْ فعلتَ لم أرد عليك». وقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم المجلس فليسلِّمْ، فإن قام والقوم جلوس فليسلِّم، فالأولى ليست بأحق من الأخرى». أتى أبو معكم الأسدي النبي ﷺ، فقال:

يقولُ أبو مَعْكم صادقاً: عليك السلامُ أبا القاسمِ

فقال ﷺ: «إن عليك السلام تحية الموتى وكذا يقال للميت، نحو: عليك سلام الله قيس بن عاصم». ودخل الحسن بن الكناني على عبد الله بن جعفر فأنشده:

عليكَ السلامُ أبا جعفرٍ ولَسْتُ بهرٍّ لدى المَحْضَرِ

فقال: أخطأت، حَيَّيْتني بتحية الموتى وقد أمكنك أن تقول: سلام عليك أبا جعفر. قال:

ألا طَرَقَتْنا آخرَ الليلِ زَيْنَبُ عليكَ سلامٌ، هل لِما فاتَ مَطْلَبُ؟
فقلت لها: حَيَّيْتِ زينَبُ خِدْنَكم تحية موتى، وهو في الحي يَشْرَبُ

ذم تحية من لا نفع لديه:

شاعر:

وما مَرْحَبٌ إلاَّ كريحٍ تَنَسَّمَتْ إذا أنت لم تُخلطْ نوالاً بمَرْحَبِ

آخر:

إذا كان رَدُّ المرءِ ليس بزائدٍ على مَرْحَباً أو كيف أنت وحالُكا؟
فَلَمْ يَكُ إلا كاشِراً ومُوارياً فأفٍّ لودٍّ ليس إلا كذلكا!

التسليم:

دخل رجل على أمير المؤمنين كرَّم الله وجهه فقال: السلام عليك سلاماً تتصل آماله بسمعك أبداً ما بقيت من وليك بطوع قلبه، وصادق وده ومن عدوك برغم أنفه وذل خده.

في التلبية:

لَبَّيْكَ إذْ دَعَوْتَني لَبَّيكا أَحْمَدُ ربّاً ساقني إليكا

حمد المصافحة والحث عليها:

قال النبي ﷺ: «إذا لقي المؤمن المؤمن فصافح أحدهما الآخر، تناثرت

الخطايا بينهما كما يتناثر ورق الشجر». وكان ﷺ إذا صافحه إنسان لم ينزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده. وقيل: المصافحة تزيد في المودة.

شاعر:

تَصافَحَتِ الأَكُفُّ وكان أشهى ... إلينا أنْ تَصافَحَتِ الخدودُ
نَعيشُ إذا التقى كَفٌّ وكفٌّ ... فكيفَ إذا التقى جيدٌ وجيدُ؟

آخر:

وصافحتُ من لاقيتُ في البيتِ غيرها ... وكلُّ الهوى مِنِّي لمنْ لا أصافحُ

القصاني:

قد أحدَثَ النَّاسُ ظُرْفاً ... أربى على كلِّ ظَرْفِ
كانوا إذا ما تلاقوا ... تصافحوا بالأَكفِّ
فأحدَثوا اليومَ لثمَ ... الخدودِ واللثمُ يشفي
فَصِرْتُ ألْثُمُ خدّيه ... من طريقِ التخفِّي

بقية باب حمد المصافحة والحث عليها:

قيل لرجل من قريش: كيف حالُكَ؟ فقال: حال من يهلك ببقائه ويسقم بصحته، ويؤتى من مأمنه. قال الربيع الحاجب لأبي العتاهية: كيف أصبحت؟ فقال:

أصْبَحْتُ والله في مضيقٍ ... هَلْ مِنْ دليلٍ إلى طريقِ[1]؟

ولها باب في غير هذا الموضع.

جواب من سئل من الصالحين عن حاله فشكا علة أو حالة منكرة:

قيل لأبي عمرو بن العلاء رضي الله عنه: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت كما قال الربيع الفزاري:

أصْبَحْتُ لا أحملُ السلاحَ ولا ... أمْلِكُ رأسَ البعيرِ إنْ نَفَرا
والذئبُ أخشاه إنْ مَرَرْتُ به ... وحدي وأخشى الرياحَ والمطَرا[2]

وقيل للحسن بن وهب قال: أصبحت على النشاط كال القريحة صَدِىء الذهن ميت الخاطر من سوء اختيار الزمان وتغيُّر الإخوان. وقيل لمحارب بن دثار فقال كما قال الأعشى:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) ديوانه ص ٢٦٧.

ولكن أراني لا أزالُ بحادثٍ أعادي التي لم تمسِ عندي وأطرقُ

قيل لأبي العالية السامي: كيف أنت؟ فقال: على غير ما يحب الله وغير ما أحب، وغير ما يحب إبليس لأن الله يحب أن أطيعه وأنا أعصيه، وإبليس يحب أن أتعاطى ضروب الخسارة ولست كذلك، وأنا أحب أن يكون لي ثروة وصحة وليس كذلك. وقال أبو حزابة ليزيد بن المهلب: كيف الأمير؟ فقال: كما تحب. فقال: لو كنت كذلك لكنت قائماً مقامي وكنت قاعداً محلك.

الدعاء بالرحب والسعة:

قال رجل للأصمعي: مرحبا وأهلاً وسهلاً! فقال: أرحب الله بلدك وأهل رحلك وسهل أمرك. وقال رجل لخالد بن صفوان: مرحباً بك. فقال: رحب واديك وعز ناديك.

الدعاء بإطالة البقاء:

قيل: ليس في الدعاء مثل: أطال الله لك البقاء، وأدام لك العلاء. ومثل ذلك: عِشْ ما شئت كما شئت.

المتنبي:

بقيتُ بقاءَ ما تَبْني فإنّي أراهُ بقاءَ يَذْبُل أو أبانِ[1]

آخر:

فلا زالتِ الشَّمْسُ التي في سَمائهِ مُطالِعةً الشَّمْسَ التي في لثامه

ولا زالَ يجتازُ البُدورَ بوَجْهِه يعجبُ من نقصانِها وتمامِه

عمارة:

فذا العرش زد في عمره من صلاتِنا وأعمارِنا حتى يطول له العمرُ

وقد نسب قوم أطال الله بقاءك وجعلني فداءك إلى الإحالة. وقد روي أن أول من خاطب بذلك أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه.

التفدية:

ابن بوقة:

أفديكَ بلْ أيامُ عمري كلَّها يفدين أياماً عَرَفْتُك فيها

وله:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه. ويذبل وأبان: جبلان.

نَفْسي فداؤكما وقلَّت في الورى   للسَّيِّدِ المخدومِ نفسُ الخادمِ

آخر:

بِنَفْسي أنتَ لا بأبي فإني   رأيتُ الجودَ بالآباء لؤما

وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: جَعَلني الله فداء نَعْلك. فقال: إذاً يطيل الله هوانك.

يعقوب بن الربيع:

فلو أنني إذْ كان وقتُ حِمامِها   أُحَكَّمُ في عمري لشاطرتُها عمري

فَحَلَّ بنا المقدارُ في ساعة معاً   فماتَتْ ولا أدري ومُتُّ ولا تدري

الخوارزمي:

أطال الله أعمارَ المعالي   وذاك بأن يطولَ لكَ البقاءُ

ولا زالتْ تمدُّ إليك كَفٌّ   بضاعتُها ثَناءٌ أو دعاءُ

وإنْ رضي الزمان بمثلِ روحي   فداء عنك فهي لك الفداءُ

أبو سعيد الرستمي:

وقاكَ بنو الدنيا جميعاً صروفُها   جميعاً فإنَّ الجفْنَ من خدمِ النصلِ

آخر:

فداؤك مالي فهو منك ومُهْجتي   فإنك قد أَقررتها في جوانحي

قال إبراهيم الصولي: إن قولهم قدمني الله قبلك مأخوذ من قول الأقرع بن حابس:

إذا ما أتى يوم يُفرّقُ بيننا   بموتٍ فكنْ أنتَ الذي تَتَأَخرُ

وقال منكة الطبيب الهندي ليحيى بن خالد البرمكي: لو أمكنني تخليف الروح عندك لفعلت. وهذا يجوز على سبيل الدعاء له.

الدعاء بصبحك الله بخير:

كانت العرب تتحيا في الجاهلية بقولهم:

صَبَّحَكَ الله بخيرٍ فاخرِ   ولحمِ طيرٍ وشرابٍ خازرِ

قبل طلوعِ الشمس للمسافرِ

صبحك الأفلاح بكل خير ونجاح. صبحك الخير وجنبك الضير، وقوى منك الأير. وقال رجل لآخر: كيف أصبحت؟ فقال: بخير. فقال: هلا قلت: أحمد الله وأستغفره، فكان أوله شكراً وآخره عبادة. صبحتك الأنعمة بطيبات الأطعمة.

الدعاء بكبت العدا والحساد والإعاذة من شماتتهما:

قال أعرابي: أراك الله في عدوك ما يعطفك عليه. وقالت امرأة لرجل: كبت الله كل عدو لك إلاَّ نفسك. وإنما أرادت بذلك قول النبي ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»، أعاذك الله تعالى مما يقلق قلب الصديق ويضحك سن العدو، وأعاذك الله من خيبة الرجاء وشماتة الأعداء، وزوال النعمة وفجاءة النقمة. الصاحب: لا زال أعداؤه في قل وذل وأمر منحلّ مضمحلّ.

الخوارزمي:

ولا زالت عِداك بكلّ أرضٍ لهم مِنْ سوءِ ظنهمُ نذيرُ
قصيرُ نهارِهمْ خوفٌ طويلٌ بهم، وطويل عمرهمُ قصيرُ[1]

المتنبي:

وأراك دهرُكَ ما تحاولُ في العدا حتى كأن صُروفَها الأقدارُ[2]

الدعاء ببلوغ الأمل:

شاعر:

أنالَكَ ربُّك ما تأملُه وحَقَّ لكَ الله ما تسألُه

الموسوي:

ظفرتَ بما اشْتَهيتَ مِن الليالي وأُعطيتَ المرادَ مِن الأماني

الدعاء بأن جعل الله له النعم وأدامها عليه:

زادك الله كما زادنا بك، وأعطاك أكثر مما أعطانا منك. وقال ابن القرية: لا زلت في رحب من البال وثروة من المال، في غبطة وسرور وبعد من المكروه والشرور، أعطاك تعالى حتى ترضى، وزادك بعد الرضا، وتوفر لك من سعته ما لا تهتدي لمسألته، ولا يحبط قلبك بمعرفته، وجعل ذلك موصولاً بالثواب المدخر للمحسنين، أنعم الله عليك بما يعجز عنه شكرك، ولا أبلاك بما يضيق عنه صدرك. منحكم الله منحة لا تغار ليست بجداء، ولا نكراء، ولا ذات داء. جعل الله نعمك هبة مخلدة لا عارية مستردة.

المتنبي:

(١) ديوانه ص ٤٩.
(٢) ديوانه ٢/ ١٩٠ (وفيه «الأنصار» مكان «الأقدار». ولعلّ هذه الرواية هي الصواب).

أتـم سـعـدُك مَـنْ لـقّـاك أولَـهُ ولا استردّ هباتٍ منك معطِيها[١]

علي بن الجهم:

أتـمّ الله نِـعـمـتَـهُ عـلـيـنـا فـإنَّ تـمـامَـهُ نِـعَـمٌ عـلـيـنـا[٢]

الدعاء بزيادة النعماء والعلاء:

المتنبي:

إنْ كـان فـيـمـا نـراهُ مِـنْ حَـسَـنٍ فـيـك مَـزيـدٌ فـزادَك الله[٣]

أبو تمام:

اسمعْ أقامتْ في ديارك نِعْمةٌ خضراء ناعمة ترفُّ رفيفا[٤]

عنان جارية الناطفي:

نِعَمٌ إذا النعمُ انتقلنَ تخيمَتْ وإذا نفرنْ عُدَّتْ عليك أُلوفا

آخر:

أيـا ربِّ زِدْهُ نِـعْـمَـةً وكـرامَـةً على غيظِ أعداءٍ وإرغامِ حاسدِ

الدعاء بأن يقيه الله من الفقر ويجعل له سعة من اليسر:

جعل الله لك في الخير جداً، ولا جعل معيشتك كدّاً. أعاذك الله من القنوع والخضوع والخنوع، أعاذك من بطر الغنى ومذلة الفقر. جعل الله لك رزقاً واسعاً، وجعلك به قانعاً. وهب الله لك من غناه ما لا يقدر عليه سواه. قال رجل لمسروق ابن الأجدع: أعاذك الله من خشية الفقر وطول الأمل، ولا جعلك ردية السفهاء وشيناً على الفقهاء. وقال أعرابي: رزقك الله من غير طلب شديد، ولا سفر بعيد. جعلك الله في الرزق حولاً لغيرك.

الدعاء بالتوفيق والإعاذة من الشرور:

فرّغك الله لما له خلقك ولا شغلك بما تكفل به لك. وقال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم فقلت: ادع لي. فقال لي: رغبك الله في ما يبقى، وزهدك في ما يفنى، أعاذك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، ومخالفة الهدى، وسنة الغفلة، وإيثار الباطل على الحق، وأعاذك من سوء السير وإحصاء الصغيرة، ومن شماتة الأعداء والفقر إلى غير الأكفاء، ومن عيشة في شدة، وميتة من غير عدة، ومن سوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب.

---

(١) ديوانه ٤/ ٤٠٣.

(٢) تكملة ديوانه ص ١٨٥.

(٣) ديوانه ٤/ ٤٠١.

(٤) ديوانه ٢/ ٤٣٠.

وقال أعرابي: أعاذك الله من هول المطلع، وضيق المضطجع، وبُعد المرتجع. وقال آخر: أعانك الله على الدنيا بالسعة، وعلى الآخرة بالمغفرة.

المتنبي:

فلا تُنِلْكَ الليالي إنْ أيديَها إذا ضربْنَ كسَرْنَ النبعَ بالغربِ
ولا تعزّ عدوّاً أنت قاهره فإنهُنَّ يصدْنَ الصَّقرَ بالخربِ[1]

ابن الرومي:

فزادكم بالمدحِ كُلَّ قصيدة ولا قصدَتْكم بالمراثي القصائِدُ[2]

أبو محمد الخازن:

لا زال أَلسنةُ القريضِ نواطقاً يخدمْنَ مَجْدُكَ بالثناءِ الأفصحِ

تهنئة بولاية:

أهنىء بك العمل الذي ولّيته ولا أهنئك به، لأن الله تعالى أصاره إلى من يورده موارد الصواب، ويصدره مصادر الحجة. ولما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه دخل عليه شاب من الأنصار فقال: ما طيبتك الخلافة ولكن طيبتها وما زينتك الولاية بل زينتها، فأنت كما قال:

وتزيدَنّ أطيبَ الطيبِ طيباً

إبراهيم بن العباس:

ما جددت لك من نعمى وإن عظُمَت إلا يصغّرها القدرُ الذي فيكا
لا زلتَ مُسْتَحدثاً نعمى تُسَرّ بها على الليالي ولا زلنا نهنّيكا[3]

ابن الرومي:

قلْ لَكَ الملك ولو أنه مجموعةٌ فيه الأقاليمُ
والله يُبْقيكَ لنا سالِماً يأتيكَ تبجيلٌ وتعظيمُ[4]

أبو الغمر:

ليهنِكَ الفتحُ مَشْفوعاً حساً وزكا وصاحبتك الليالي غضّة ضحكا

تهنئة بنيروز:

شاعر:

---

(١) ديوانه ١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.
(٢) ديوانه ٢/ ٣٠٠.
(٣) ديوانه ص ١٣٦.
(٤) ديوانه ٦/ ٧٧.

أَنـعِـمْ بـنـيـروزِك وابـهـجْ بـه   مـتَّـعـت ألـفـاً مـثـلَـهْ بـعـدَه

أهدى بعض الأدباء يوم نيروز وردة وسهماً وديناراً ودرهماً، فقال:

لا زِلـتَ كـالـوردِ لـذيـذَ الـمنسمِ   ونـافـذاً مـثـلَ نـفـاذِ الأسـهُـم

فـي عـزّ ديـنـارٍ ونـجـح درهـمِ

تهنئة بمهرجان:

المهلب بن مالك:

جـاءك الـمـهـرجـانُ يـخـتـالُ طـلـقـاً   فـي هَـواءٍ صـافٍ وفـي زَعْـفـرانـهِ

نِـلـتَ فـيـه الـذي بـه نـالَ أفـريـدون   مـن رغـمِ حـاسـدٍ وهـوانِـه

تهنئة بزفاف:

نهى النبي ﷺ أن يقال: «بالرفاء والبنين»، وكان يقول: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما بخير». وهنأ ابن القرية الحجاج فقال: أقر الله عينك، ورزقك ودها وولدها، وجعلك الباقي بعدها.

ابن الرومي:

سَـيِّـدة زُفّـتْ إلـى سَـيِّـدٍ   أبـدلَـنـا الـيُـسْـر مِـنَ الـعُـسْـرهْ

ألَّـفَ بـالـتـوفـيـق شـمـلاهـمـا   فـي نِـعْـمـةٍ تـمّـت وفـي خـيـرهْ

عَـمَّـرَه الله وأبـقـى لـه   ركـنـيـه مـن عـزٍّ ومِـن قُـدْرَهْ[1]

تهنئة بولد:

قال شبيب بن شبة للمهدي: أراك الله في بنيك ما رأيته في أبيك. وقال رجل عند الحسن: ليهنك الفارس. فقال: لعله يكون بغالاً، قلْ: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ورزقت رشده، وبلغ أشده. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل معه صبي فقال: أهذا ابنك؟ قال: نعم. قال: أمتعك الله به.

وقال إسحاق الموصلي للفضل بن الربيع:

مَـدَّ لـك الله الـحـيـاةَ مـدّا   حـتـى يـكـونَ ابـنُـك هـذا جـدّا

ثـم يُـفـدّى مِـثـلـمـا تـفـدَّى   أشـبـه مِـنـك سـنـةً وقـدّا[2]

الرفاء:

تـمـل فـارسـك الـمـذكـور في شيم   بـمـثـلـهـا الـذّكـرُ الـصَّـمْـصـامُ مـذكـورُ

---

(١) ديوانه ٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥.   (٢) ديوانه ص ١٠٨.

وافى ومولدُه الوافي يخبّرنا ... بأنه ناصرٌ للمجد مَنْصورُ
فعاشَ ما نشر الديجورُ حُلَّته ... وما انطوى بضياءِ الفَجْرِ ديجورُ
حتى تراه وقدْحُ السيفِ في يده ... مُثَلَّم، وسنانُ الرمحِ مأطورُ(١)

تهنئة بابنة:

كانوا يقولون: أمنكم الله منها العار، وكفاكم منها المؤونة.

الصاحب:

إيـاك أن تـنـكِـرَ الإنـاثَ فـكـم ... أُنثى غدَتْ في فخارها ذَكَرا(٢)

الدعاء للمسافر:

قال النبي ﷺ لرجل أراد سفراً: «اللهم اطوِ له البعيد، وهوّن عليه العسير». وكانوا يقولون: استودع الله دينك وأمانتك وخواتم أعمالكم، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفةُ في الأهل.

السري الرفاء:

الله جـارُك ظـاعـنـاً ومُـقـيـمـا ... وظـهـيـرُ نَصْرِك حادثاً وقديما
إن تغن كان لك النجاحُ مصاحباً ... أو تثو كان لكَ السرورُ نديما(٣)

المتنبي:

وإذا ارتحلت فشيَّعَتْكَ سلامةٌ ... حيثُ اتّجهْتَ وديمةٌ مدرارُ
وصَدَرْتَ أغنمَ صادرٍ عَنْ مَوْرِدٍ ... مرفوعة لقدومِك الأبصارُ(٤)

الخبزأرزي:

رعاه الله حيثُ غدا وسارا ... وأعقبَهُ الغنيمةَ والإيابا

أبو المعافاة:

ردَّك الله إلـيـنـا سـالـمـاً ... بعد غُنْمٍ واغتباطٍ وظَفَرْ

الدعاء للقادم من سفر:

أبو العتاهية:

لا زلـتَ مـن غـمٍ إلـى راحـةٍ ... تـقـدمُ يـا خـيرَ فـتـى قـادمِ(٥)

---

(١) ديوانه ص ١٠٣.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.
(٣) ديوانه ص ٢٥٠.
(٤) ديوانه ٢/ ١٩٠.
(٥) ديوانه ص ٦٤٤.

ابن الرومي:

لا زلتَ من غنمٍ إلى ... دعةٍ وأمنٍ قادما[١]

وله:

قدومُ سعادةٍ وقفولُ يُمْنٍ ... هو البشرُ المخففُ كل حزْنِ[٢]

وقيل: لما دخل النبي ﷺ المدينة، كان نساؤها يقلن:

طلعَ البدرُ علينا ... مِنْ ثَنياتِ الوداعْ

وَجَبَ الشُّكْرُ علينا ... ما دعا لله داعْ

تهنئة بالصوم:

الصنوبري:

نِلْتَ في ذا الصِّيام ما ترتجيه ... ووقاك الإلٰهُ ما تَتَّقيه

أنت في الناس مثلُ ذا الشهرِ في ... الأشهرِ بل مثل ليلةِ القدْر فيهِ[٣]

تهنئة بالعيد:

قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل بك الخير والنعمة.

ابن خلاد:

بأسعَدِ طالعٍ عيَّدْتَ يا مَنْ ... بطلْعتِهِ سعادةُ كلِّ عيدِ

المتنبي:

هنيئاً لك العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ ... وعيدُ لمَنْ سمَّى وضحّى وعيَّدا

ولا زالتِ الأعياد لبسَك بعدَها ... تسلّم مخروقاً وتعطى مجدّدا[٤]

آخر:

البس النعماءَ ما أوْ ... مَضَ برقٌ في غمامْ

واصِلاً عيداً بعيدٍ ... ودواماً بدوامْ

تهنئة بخلعة:

أبو بكر الصولي:

خِلَعٌ خَلَعْتَ بها قلوبَ عِداكا ... ملأَت سروراً كلَّ مَنْ يهواكا

لا زلتَ تلبَسُ كلّ يومٍ مِثلها ... أبداً على إرغامِ مَنْ عاداكا

---

(١) ديوانه ٦/ ٦١.
(٢) ديوانه ٧/ ٢٠٧.
(٣) ديوانه ص ٥١٣.
(٤) ديوانه ٢/ ٧ ـ ٨.

ووقاك ربُّ الناسِ ما تخشاه مِنْ　　عنت الزمانِ وظُلمِه وكفاكا

تهنئة بدار:

ابن الرومي:

دارُ أَمْنٍ وقرار　　واعتلاءٍ واقتدارْ
أُسِّسَتْ والطير باليمنِ　　وبالسعدِ جِوار
خيرُ دارٍ حلَّ فيها　　خيرُ أربابِ الدِّيار
وقديماً وفقَ الله　　خياراً لخيارْ[1]

القاضي علي بن عبد العزيز:

ليهن ويسعدْ مَنْ به سعِدَ الفضلُ　　بدارٍ هي الدنيا وسائرُها فضلُ

دعاء لتناول شيء من لحيته:

نزع رجل من لحية الحسن قذاة، فقال: لا بك السوء. وقال آخر: لا عدمت ربك نافعاً. وتناول بعضهم من لحية رجل شيئاً، فقال: صرف الله عنك السوء. فقال: إليك لا عاد. ورأى الفتح شيئاً في لحية المتوكل فلم يمدّ يده إليه، ولا قال له شيئاً، بل قال: يا غلام هات مرآة أمير المؤمنين. فجيء بها ونظر فيها فأخذه بيده.

وعلى العكس من هذا الباب:

قال الأصمعي: نزع رجل من لحية آخر شيئاً فقال: نزع الله ما بك من نعمة. وتناول بشار من لحية رجل شيئاً، فقال: لا يمنعني أنْ أقول صرف الله عنك السوء إلاَّ مخافتي أن يذهب الله بوجهك فإنه سوء. ومن هذا الباب قال أبو الأسود: لا يفض الله فاك، أي: لا يجعله فضاء بذهاب الأسنان.

وقال بعضهم: طاب طيبك، وعاش حبيبك، ولا زال خير ينوبك. وقال رجل لآخر: رحمك الله. فقال له مجيباً له: يغفر الله لي ولكم. فقال: ما أنصفتنا، آثرناك على أنفسنا بالدعاء، وجعلتنا علاوة على نفسك.

دعاء مكروه المبدأ:

دعا رجل لسلطان فقال: لا صَبَّحك الله إلاَّ بخير. فأمر بأن يُصفع، وقال: من أخذني باحتمال قبيح ابتداء سلامه والصبر على انتظار تمامه. ولما أنشد أبو

---

(١) ديوانه ٣/ ٤٩.

مقاتل الضرير الراعي يهنئه بمهرجان:

لا تَـقُـلْ بـشـرى ولـكـن بُـشْـريـانِ

أمر بطرده، وقال: أعمى ينشد يوم المهرجان: لا تَقُلْ بشرى! وقال رجل لبعض الخلفاء في كلام نفاه: لا أطال الله بقاءك! فقال: قد علمتم لو تعلمتم: ألا قلت لا وأطال الله بقاءك؟ وعنى بذلك ما روي أن رجلاً قال لبعضهم: لا وأطال الله بقاءك. فقال: ما رأيت واواً أحسن موقعاً من هذا الواو. وقال رجل لآخر: كيف أنت؟ فقال: كبر ضعفي! فقال: قوى الله ضعفك. فقال: اسكت! إذاً يزيد في علتي، قل: قواك الله على ضعفك.

ويقرب من ذلك ما حكي أن رجلاً تعرض للصاحب فقال: أنا قاضي شلنبة، وأدعو أبداً على مولانا. فقال: ادع على نفسك. فقال: لا بل على مولانا، وقدر أن ذلك زيادة في الدعاء، فقال الصاحب: زادنا في البر.

* * *

ومما جاء في الدعاء على الإنسان

حنق اللئيم بالسباب وعجز الكريم عنه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما تساب اثنان قط إلاَّ غلب ألأمهما؛ أخذه الشاعر فقال:

وإنَّـكَ قـدْ سابَبْـتَـني فـغـلـبـتَـني ... هنيئاً مريئاً أنتَ بالسَّبِّ أحْذَقُ!

ونازع رجل المهلب، فأربى عليه فقيل له: لِمَ سكتَّ عنه؟ قال: استحييت من سخف المسابة، ورغبت في غلبة اللئام، وكان إذا سبّني تهلل وجهه واستنار لونه، وتبجحت نفسه، فإن غلب فبفضل القحة ونبذ المروءة وخلع ربقة الحياء، وقلّة الاكتراث بسوء الثناء.

ما جعلته العرب تعجُّباً من الشتم:

تقول العرب: قاتله الله! قال ابن الأعرابي: إذا قيل: «قتله الله»، لا يكون إلاَّ شتماً، وإذا قيل «قاتله الله» يكون تعجباً. ما له لا عد من نفره، وتَرِبَت يداه، وثكلته أمه وهدت أُمه، كل ذلك يستعمل على طريق التعجب واستعظام القول فيه. ولهذا قال بعض الشعراء:

أُسَبُّ إذا أجدت القولَ ظُلماً ... كذاكَ يُقالُ للرجلِ المجيدِ

الحث على التعريض بالشتم دون التصريح:

قال أبو عمرو بن العلاء: أحسن الشتم ما يتذاكره ذوو المروءات في مجالسهم، ولا يتحاشى من روايته أهل الأديان.

من شتم كثيراً معرضاً غير مصرح:

سأل رجل بعض الكبار شيئاً، فاعتذر إليه بفقر ناله، فقال: إن كنت كاذباً، فجعلك الله صادقاً، وإن كنت محجوباً، فجعلك الله معذوراً.

كتب هشام إلى ملك الروم: من هشام أمير المؤمنين إلى ملك الطاغية! فكتب إليه: ما ظننت أن الملوك تُسَبّ، وما الذي يؤمنك أن أكتب إليك: من ملك الروم إلى الملك المذموم: هشام الأحول المشؤوم!.

كان محرز الكاتب إذا رأى ابن شاهين قال: حيَّاك الله وجهاً ألقاك به! وهو لا يفهم فلما أكثر، قيل له: إنما عنى نفسه بما يقوله. فقال: دعوه لي، فلما رآه وقال له ذلك قال: لا حيا الله وجهاً أراك به! فضحك محرز، وقال: آمين.

بعضهم:

سَلامٌ سَاقِطُ المِيمِ   على وَجْهِكَ بالحاءِ
لنا في البيت خَروفٌ   فكُلٌ منه بلا فاءِ

ابن الحجاج:

وزنتَه أَلفينِ يا ليتَه   أصبح في تَصْحيفِ أَلفيْنِ

أي: في القبر. وسأل أمير المؤمنين بعض الناس، فقال: هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مني كهارون من موسى، اللهمَّ والِ مَن والاه، وعادِ من عاداه»؟، فقال: كبرتْ سنّي ونسيته. فقال: إن كنت كاذباً، فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة! فصار ذا برص إلى أن مات.

من تملح في شتم كبير:

خرج المهدي إلى الصيد، فتفرد مع غلام، فرأى أعرابياً فقال: إني أريد أن أضحك من هذا الأعرابي. فأتاه الغلام فقال: أجبْ أمير المؤمنين. فقال: ما لي ولأمير المؤمنين؟ فزنّاه وشتمه. فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، هذا شتمني. فقال المهدي: يا غلام، أعطه دانقاً[1]. فقال الأعرابي: أدِيَة فريتكم[2] دانق يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: فأنت زانٍ، وابن زانية، وابن زان، خذْ درهماً،

---

(١) الدانق: سُدس الدّرهم.

(٢) أي: قصاص كذبكم.

ومرْ في حفظ الله!.

وقال هشام: من يسبّني ولا يُفحش، وهذا المطرف له؟ فقال له أعرابي: هاته يا أحول! فقال: خذه قاتلك الله! وقال البوشجان: حضرت مجلس المبرد فسمعنا نفاشاً يقول في حرام أصفهان فقال أبو العباس: هذا قد شتمكم على قول الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: الآية ٨٢] أي أهلها.

الدعاء على إنسان بالمرض:

قال أعرابي لرجل: إن كنت كاذباً فبعث الله عليك داء ليس له دواء. وقال آخر: رماه الله من الداء بما يصير به رحمة للأطباء. وقيل: ما له خَرِبَ وحَرِبَ وذَرِبَ. معنى ذَرِبَ: فسدت معدته. ما له وراه الله الورى سعال يقيء منه الدم. قال عبد بني الحسحاس:

وراهَنَ ربي مثْلَ ما قد وَرَيْنَني وأحمي على أكبادِهِنّ المكاويا[1]

وقيل: بفيه الثرى وحمَى خيبرا فإنه خيسرى[2] أي: خاسر. أبرد الله مخه، أي: أهزله ماله. إلَّ وَغِل وسل. كساه الله عصابة رمد، ورداء نكد، وإزار جذام.

الدعاء عليه بفقدان الجوارح:

جذعه الله جذعاً مُرعباً، أشلَّ الله عُشْره.

فلا استَقَلَّتْ أبداً سوطاً من الأرض يَدُه

جارية الناطفي:

فَلَيْت مَن يضربُها ظالِماً تَيْبَسُ يُمناه على سوْطِه

الدعاء عليه بذهاب المال:

شَرِبَ بارداً وحلب قاعداً، أي: لا كان له لبن حتى يشرب الماء القراح، وعُوِّض من الإبل غنماً يحلبها قاعداً. ونحوه: أبادَ الله رواغيه، وأبقى ثواغيه. رماه الله بقَرع الفناء وصُفْر الإناء. قرع مراحه وساف ماله. لا طلبته الخيول، ولا تكاءدته المحول، أي: لا جعل الله له ما لا تطلبه الخيول للغارة أو يتكاءده جَدْبُ الزمان؛ فعلى هذا حمل قول الشاعر:

وجَنَّبْتَ الجيوشَ أيا زنيبٍ وجاد على منازِلك السحابُ

---

(١) ديوانه ص ٢٤.

(٢) مجمع الأمثال ١/ ٩٦؛ ولسان العرب ١٤/ ٧١ (بري).

الدعاء عليه بالهلاك:

رماه الله حيث لا يرى بفاقرة الثرى، أي: الأفعى. كقولهم: رماه الله بأفعى عادية ورماه الله ببلية لا أخت لها. تقول: ثُلَّ عرشه، وجذَّ ثدي أمه، وهَوَت أمه، وزال زواله، ولا عُدَّ من نَفَره. رماه الله بثالثة الأثافي، ورياح عاصفة، وسيول جارفة. ويقال: ما لكم تفاقدتم، فجع الله به وادّاً ودوداً، وأشمت به حاسداً حسوداً، وسلط عليه همّاً يضنيه، وجاراً يؤذيه، وعدواً يرديه، أقام الله عليه ناعيه، وأشمت به أعاديه.

امرأة:

ارمِ بسَهْمَيْن على فؤادِه ... واجْعَلْ حِمامَ نفسِه في زادِه

وفي معنى أفقدنيه الله:

فَقَدْتَ خيالَك لا مِنْ عمًى ... وصوتَ كلامِك لا مِنْ صَمَمْ

الحميري:

رب قد أعطيتناه ... وهو من شر عطاء

فارْجَعْنه رَبِّ عنا ... بإزار ورداء

الدعاء بإزالة الدولة:

أبو هفان:

أزالَ الله دولَتهم سريعاً ... فقد ثقُلَتْ على عُنُقِ الزمانِ

جحظة البرمكي:

سألتُ الله تَعْميراً طويلا ... ليبهجني بخطب يعتريكم

أخافُ بأن أموتَ ولن تريني ... صروفُ الدهرِ ما أهواه فيكمُ[1]

الدعاء على ظاعن:

ودعت على امرأة زوجها، ورمته بَرَوْثة ونواة وحصاة، وقالت: راثَ خَبَرُك، وتناءت دارك، وانحصَّ أثرك، ثم أنشدت:

اتبعته إذْ رحل العيسُ ضحى ... بعد النواةِ روثةً حيث انتوى

للروثةِ الريثُ وللنأي النَّوى

علي بن عاصم:

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

أما وقد ضمَّه الفرار ... فلا يضمنَّه القرار
ولا اطمأنّتْ به الفيافي ... ولا استقرّتْ به الدّيار

ابن حازم:

وداعٌ دونَ أوبتِه النّشورُ ... ونأْيٌ لا يقرّ به مسيرُ
وقالٍ غير ميمونٍ ولكنْ ... بأنكدَ ما يدورُ وما يطيرُ

أبو هفان:

في عذابٍ يطلبُ الطّا ... لبُ مِن أدناهُ مُوْتَه
ونحوس قاطعات ... لكَ عمَّا قد نَوَيْتَه

الدعاء على متزوج:

قال بعضهم: المتزوج بالبيت المهدوم، والطائر المشؤوم، والرحم المعقوم.

أبو الفرج الكاتب:

بالرزايا والطائرِ المنْكوسِ ... كان يومُ الزفافِ والتعريسِ
واصلَ الله باتصالِك هذا ... نكباتٍ مبيدةً للنفوسِ
دخلت رجلُها دخولَ قدار ... وطويس ومنشم والبسوسِ
وتبدّلتَ بالجلاءِ جلاء ... وبرحْبِ الديارِ ضيقَ الحبوسِ

الدعاء على باني دار:

البسامي:

شدّتْ داراً خلتها مكرمة ... سلَّطَ الله عليها الغَرقا
وأرانيكَ فقيراً وسْطها ... وأرانيها صَعيداً زلقا

أنواع مختلفة:

أبو الوليد الكناني:

بلوناهم واحداً واحِداً ... فَكلهُم شأنُهم واحده
فلا ذَرَأَ الربُّ أولادَهم ... ولا باركَ الربُّ في الوالده

أعرابي:

وصاحبٍ قلتُ ولم اسمه ... لما به مِنْ مَقْته وغمه
لعَنَ الإلٰه ثعلة بن سافر ... لعناً عليه يشقّ من قد أمَّه

أبو الأشعث الهمداني وقد سرق له أضحية:

يا سارق الكبشِ رجلاهُ وجَبْهته في صَدْع أمّك بالقرنينِ والذنبِ
هلا سرقت! جزاك الله لعنتَه من الموالي ولم تسرقْ مِنَ العربِ

سمع ذو الرمة رجلاً يقول: على فلان لعنة الله! فقال: لم يرض بواحدة حتى شفعها بأخرى، ومعنى ذلك أنه اعتقد في قوله لما سمعه مفتوحاً أنه مرفوع مثنى، كقولك: هذان عبد الله.

شاعر:

وما دعوتُ عليه قطُّ ألعنُه إلاَّ وآخرُ يتلوني بِآمين

سقط مخنث من جبل، فغشي عليه، فلما أفاق قال: يا جبل، ما أصنع بك؟ أضربك لا يوجعك، أشتمك لا تبالي، ولكن بيني وبينك يوم يكون الناس كالفراش المبثوث.

ومن كلام أبي العبر: استودعك الله حائطاً مائلاً وكنيفاً سائلاً. وقع بين أنس ابن مالك وامرأته شر، فقال لامرأته: لأدعون الله عليك! فقالت: قد دعوته على الحجاج، فما زادت رقبته إلاَّ غلظاً. حكى الصاحب أن أبا علي بن مثوبة كان إذا شتم إنساناً في غضب عظيم يقول: يا قواد، يا قواد، تر. قال: هذه الزيادة لم تسمع إلاَّ منه.

لرابية الأسدية:

فمنْ لامني في حُبِّ نَجد وأهلِه فليمَ على مثل وأوعَبَ جادِعَه

معاذ الدهلي:

لحى الله أدنانا إلى اللؤم زلفةً وألأَمنا أُمّاً وأَسْقَطَنا جدّا

قال الأصمعي: كان النساء يقلن للشيخ إذا سعل: وَرْياً وقحاباً. وللشاب: عمراً وشباباً. القحب: السعال. حكي عن يهودي بأصبهان أنه كان إذا أتاه جندي فيقول: يا أخا القحبة! يقول: لما سمعت صوتك علمت أنه هو. وقال له غلامه: إن هذا يقول يا ديوث. فقال: الديوث إيش يعمل ها هنا؟ يعرض به. وقال: إنسان امرأته قحبة! فقال: أليست أُختاً لك، أليست بنتاً لك؟ قال له إنسان: امرأته قحبة فقال: حلالت هو ذا، أي إنها امرأتك.

* * *

ومما جاء في الهدايا

الحث على الإهداء وذكر فضيلته:

قال النبي ﷺ: «تهادوا تحابُّوا». وقال: «الهدية تسلّ السخيمة»[١]. وقال عمر رضي الله عنه: نِعْم الشيء الهدية بين يدي الحاجة. وفي الخبر: إذا قدم أحدكم من سفر، فليهد إلى أهله، وليطرفهم وإن حجارة. وقيل: أسكفة الباب تضحك من الهدية. وقيل: الهدية هداية. قال:

ما من صديقٍ وإنْ تمّتْ صداقتُه ... يوماً بأنجح في الحاجات مِنْ طبقِ
لا تكذبَنَّ فإنَّ الناسَ مذ خُلِقوا ... عَنْ رغبة يعظمون الناسَ أو فرقِ
أما الفعال ففوقَ النَّجْمِ مطلبَهُ ... والقولُ يوجَدُ مطروحاً على الطرقِ

آخر:

إذا أتتِ الهديةُ دارَ قومٍ ... تطايرتِ الأمانةِ مِنْ كُواها

وقيل: الهدية بضاعة تُيسِّر الحاجة، ومن صانع بالمال لم يحتشم. قال الغاضري لأصحابه: أي راكب أحسن؟ فقال بعضهم: تمرة على ربذة. فقال: لا بل هدية على حمال. ومن أمثال الفرس: الهدية تغالط العقول.

الحث على قبول الهدية:

قال النبي ﷺ: «إنّ الهدية رزق الله، فمن أُهدي إليه شيء من غير سؤال ولا إسراف فليقبله، فإنما هو رزق ساقه الله إليه». وقال: «من سألكم بالله فأعطوه، ومن استعاذكم فأعيذوه، ومن أهدي إليه كراع فليقبله». وقال: «لو أهدي إليَّ كراع[٢] لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأجبت».

الحث على المقابلة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النِّساء: الآية ٨٦]، فسره بعضهم بالهدية وجعل الثواب بها واجباً. وروي أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها. أنشدني بعضهم:

رأيتُ الناسَ طُرّاً في الهدايا ... كَبَيْعِ السّوقِ خذْ مِنّي وهاتِ

---

(١) السخيمة: الضَّغينة، والحِقْد.
(٢) الكراع من البقر أو الغنم: مُسْتَدَقّ الساق.

طلب الهدية ومعاتبة من تركها:

روي أن رجلاً أهدى إلى الحسن والحسين رضي الله عنهما، ولم يهد إلى ابن الحنيفة، فأنشأ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول:

وما شَرُّ الثلاثة أمّ عَمْرو   بصاحِبِك الذي لا تَصْحبينا

وكتب رئيس إلى بعضهم: لا تهدين ما يجحف بحالك، فإنه لا يزيد في مالي ولا يمنعك من ملاطفتي بيسير، واللطف استعظامك لمكاني، فالكثير منك يسير واليسير عندنا كثير، والسلام.

المعيطي:

أتاني أخ من غيبةٍ كان غابَها   وكنتُ إذا ما غاب أنشدُه الركبا
فجاء بمعروفٍ كثير فدسَّه   كما دَسَّ راعي السوء في حضنه رطبا
فقلتُ له: هل جئتني بهدية؟   فقال: بنَفْسي! قلت: أطعمتها الكلبا!
هي النفس لا أرثي لها من مُلمة   ولا أتمنى إن نأيت لها قرْبا

الهدية مشتركة:

قال النبي ﷺ: «إذا أتي أحدكم بهدية، فجلساؤه شركاؤه فيها». وكان الهيثم ابن عدي يحدث بهذا الحديث، فما تم حتى طلعت هدية فقال: ما خلا هذه.

نهي الولاة عن قبول الهدية:

صعد النبي ﷺ المنبر فقال: «ما بال أقوام استعملتهم على الصدقات، فيجيء أحدهم فيقول: هذا مالكم وهذا أهدي إليه، هلّا جلس في حِفْش[1] أمه فينظر أيهدى إليه؟ والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلاَّ لقي الله يحمله، فليأتين أحدكم وعلى رقبته بعير له رغاء، وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء. ثم رفع يده وقال: اللهم قد بلَّغت».

وروي: إياكم والهدية، فإنها ذريعة الرشوة. ولعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي. قال الشيخ: وقد ذكرت خبر أنو شروان مع غيره في مثل هذا الباب في الولايات.

الممتنع من أخذ الهدية:

سأل رجل الخيزران حاجة، فاستبطأها، فأهدى إليه هدية، فكتب إليه: إن

---

(١) الحِفْش: البيت الصغير.

كان ما وجهته ثمناً لرأيي فيك فقد بخستني في القيمة، وإن كان استزادة فقد استغششتني في النصيحة.

وقال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال: لئن ابتدأني بها، فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه منة، ولئن كافأني على معروف عنده أنه ليروم أخذ ذلك، فمن أي هذين لا أجزع.

وطلب عبد الله بن جعفر لأزادمرد حاجة من أمير المؤمنين رضي الله عنه، فأهدى إليه أزاد مرد أربعين ألف درهم، فامتنع عبد الله من أخذها وقال: إنَّا أهل بيت، لا نأخذ على معروفنا ثمناً.

وأهدى عبد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة، مع كل واحدة بدرة[1]، وبعثها إليه ليلاً فردها، وكتب إليه: لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً، وما آتاني الله خير مما آتاكم، بل أنتم بهديتكم تفرحون.

من كان بعد شدة لأخذ هدية:

مر زياد بأبي العريان بالبصرة فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان. فقال: ما أعرف في ولد أبي سفيان زياداً. فبلغه ذلك، فوجَّه إليه دنانير ثم مر به فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان. فقال: لقد ذكرني شمائل أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه:

ما لبثتك دنانير رشيتَ بها ... أن لوَّنَتْكَ أبا العريانِ ألوانا
لله درُّ زيادٍ مُنْذُ قَدَّمها ... كانت له دونَ ما يخشاهُ قرْبانا[2]

فكتب له:

ابعَثْ لنا صِلةً تحيا النفوسُ بها ... قد كدت يا ابنَ أبي سفيانَ تنسانا
من يسد خيراً يجدْه حيثُ يجعله ... أو يسد شرّاً يجدْه حيثما كانا
أما زياد فلا أنسيت نسبتَه ... ولم أرد بالذي حاولتُ بُهتانا

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم، قيل ذلك للأعمش، فقال: ظالم ولي المظالم! فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب، فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي. وكان رؤبة له حكومة فلم يكن يبلغ مراده فيها، فأهدى إلى الحاكم شيئاً، فنال ما رام، فقال:

---

(١) البدرة: كيس توضع فيه كميّة من الدراهم.
(٢) ديوان معاوية بن أبي سفيان، ص ١٢٢.

لما رأيتُ الشفعاء بلدوا   أسوتهم برشوةٍ فقردوا
وسهَّل الله بها ما شدّدوا

وكان بعض الولاة يخاشن بعض عماله، فأرضاه بما أهداه، فسألته: كيف حالك مع فلان؟ فقال: قد سَدَّ ابن بيض الطريق[1]، وخبره معروف.

استرداد ظروف الهدايا وتركها:

قال الغنوي: استديموا الهدايا برد الظروف. وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى بن عيسى: يا أبا عيسى، حلواؤنا عليك. وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف، فلما كان بعد عشر ليال قطعها، فقال له الرشيد: اصغوت فقطعت الحلواء. فقال: ما قطعها غيرك إن أنصفت. قال: كيف؟ قال: إن من يأخذها منا لا يرد صحفة ولا منديلاً ولا طبقاً. قال: بئس ما عمل! إن الهدايا تستدام برد الظروف، فإذا صرت المتقاضي وأنت القاضي فلا تحتشم أحد في استرداد الظروف. للصاحب وقد أهدى دنانير على طبق فضة، فكتب بأبيات فيها:

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه

الاعتذار من إهداء شيء طفيف:

كتب بعضهم: سهل لي سبيل الملاطفة فأهديت هدية من لا يحتشم إلى من لا يستغنم. كتب أحمد بن يوسف: للهدية معنيان، كلاهما يوجب القبول، وإن قل. وقيل: إن كان لك عند المهدي يد، فلا تستقصر بمزيدك، وإن كان مبتدئاً فالتفضل لا يستقل الهدية، أظرفها أخفها وأقلها أنبلها.

وكتب آخر: قدمت المعذرة في إهداء ما اتسعت به المقدرة. وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة، فأمر الريح أن تتجنب عشّها الذي فيه فراخها، فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه، وألقت جرادة هدية له لما فعل، فقال سليمان: هي مقبولة، فكل يهدي على قدر وسعه. ومما يروى لأبي يوسف القاضي:

علينا بأن نهدي إلى مَن نحبّه   وإن لم يكن في وسْعنا ما يُشاكِلُه

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ٢/ ١١٧؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٢٨.
وابن بيض: رجل عقَرَ ناقةً على ثنيَّة، فسَدَّ بها الطريق، ومنع الناس من سلوكها.

أَلَـم تـرَنـا نـهـدي إلـى الله مـا لـه　　وإن كـان عـنـه ذا غـنًى فـهـو قـابـلُه

دعبل:

هـذي هـديـة عَـبْـدٍ أنـت مـلـبـسُـه　　ثوبَ الغنى فاقبل الميسورَ مِن خَدَمِك[1]

الخبزأرزي:

تـفَـضَّـلْ بـالـقـبـول عـلـيّ إنـي　　بَعَثْتُ بما يَقِلّ لعَبْدِ عَبْدِكَ

أهدى بعض الأدباء إلى المعتز شيئاً وكتب إليه: لا يعيب العبد أن يهدي إلى سيده القليل من نِعْمته عنده، ولا السيد أن يقبل ذلك، وإن كان الكُل له، والسلام.

المقتصر في الهدية على الشكر:

قال المازني: أظرف من اعتذر للفقر واقتصر على الشكر في الإهداء أحمد ابن إبراهيم؛ كتب إليه ابن ثوابة:

إنِّـي جـعَـلـتُ هـدّيـتـي　　في المهرجان إليك شكري

لـمـا تـعـذَّرَ واجـبٌ　　فَسَحَ التعذر فيه عذري

فـإذا مـررتَ بـذكْـرِ مـن　　جـاءَتْ هـديـتُـه بـبِـرٍّ

فـأدِرْ عـلـى اسـمـي دارة　　واكتب عليه: أتى بِعُذْرِ!

محمد بن أبي حكيم:

رأيـت كـثـيـرَ مـا يُـهـدى قـلـيـلاً　　لـعـبْـدِك فـاقـتـصـرت عـلـى الـدُعـاءِ

وقال آخر:

وافق المهرجانُ والعيد مني　　رقةَ الحالِ وهي داء الكرامِ

فاقْتَصَرْنَا على الدعاءِ وفيه　　عونُ صدقٍ على قضاءِ الذمامِ

المقتصر على إهداء النفس:

افتصد المتوكل، فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلاَّ أهدى إليه، فأُخبرت قبيحة لذلك، وكانت معشوقته، فتزينت ودخلت عليه فأنشدته:

طَلَبتُ هديّةً لكَ باحتيالٍ　　على ما كان من حِسِّي وبَسّي

فلمَّا لم أجدْ شيئاً نفيساً　　يكون هدّيتي أهديتُ نفسي

فقال المتوكل: نفسك والله أحبُّ إلي!.

---

(١) ليس في ديوانه.

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حبيبي فَصدتُ العِرق من أجْلِ علةٍ فلم تهدِ لي فيه وِصالاً مُجَدّدا
فأهديتُ نفسي يوم فَصْدي بوصلِها إليكَ فخذْها كي تكونَ لكَ الفِدا

استهداء النفس:

كتب أبو العباس بن رشيد إلى صديق كان مشغوفاً به:

الناسُ يهدون إلى المفتصد أحسنَ ما يلقونَه في البلَد
فاهدِ لي وجهَك يا سَيِّدي فإنه أحسَنُ شيءٍ يَرِدِ!

المهدي شيئاً معيناً:

أهدى أبو عبادة الوزير إلى المأمون مصحفاً في يوم مهرجان، ووافق أول يوم من شهر رمضان، فكتب إليه: عدلت عن هدايا السلطان إلى التيمن بالقرآن، وما يرضي الرحمٰن. فوقع في رقعته: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾ [الرَّحمٰن: الآية ١٣]؟. وأهدى أحمد بن يوسف إلى المأمون هدايا وكتب إليه رقعة، فلم يستظرف من هديته شيئاً إلاً قوله في رقعته: هذا يوم جرت فيه العادة بألطاف العبيد للسادة.

وبعث إبراهيم بن المهدي بجراب ملح وجراب أشنان[١]، وكتب معهما: قصرت البضاعة عن بلوغ الهمة، فكرهت أن تطوى صحف البر خالية من ذكري، فبعثت بالمبدوء به لبركته والمختوم به لنظافته، والسلام. وشرب الرشيد دواء، فأهدت إليه الخيزران جارية بكراً معها جام كتب عليه:

إذا خرج الإمامُ مِن الدواءِ وأعقَبَ بالسلامةِ والشِّفاءِ
فليسَ له دواءٌ غير شربٍ بهذا الجام ينزعُ بالطلاءِ
وفَضِّ الخاتم المهدَى إليه فهذا العيشُ من بعدِ الدواءِ

وأهدى رجل إلى آخر قلنسوة ونعلاً وخاتماً، فقال: لقد أشواني[٢] فلان بكسوته، أي أصاب شواي.

ذكر الهدية بأنها أمارة لفضل صاحبها ونقصه:

قيل: يعرف فضل المرء بفضل هديته، وسخافته بسخافة بره. وقيل: ثلاثة

---

(١) الأُشْنان: حِمْض تُغْسَل به الأيدي والثياب.
(٢) الشّوى: أطراف الجسم كاليدين والرجلين.

تدل على عقول أربابها: الهدية، والرسول، والكتاب. وقد حكى الله تعالى عن بلقيس أنها قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٣٥]. فجعلت جواب الهدية دلالة.

كشاجم:

إنّ هـدايـا الـرجـالِ مُـخْـبـرةٌ	عَنْ قَدْرِهم قَلّلوا أو احتفلُوا[١]

المهدي هدية سخيفة:

أهدى أبو رهم السدوسي إلى قينة كان يتعشقها زنبيل[٢] بصل، فقال فيه ابن المعدل: قالت جبل: ماذا العمل، هذا الرجل، حين احتفل، أهدى بصل!.

أهدى رجل إلى إسماعيل الطالبي فالوذجة[٣] عتيقة قد زنخت وكتب معها: إني اخترت لعملها سكر السوس والعسل الماذي والزعفران الأصفهاني. فكتب إليه: برئت من الله إن كانت هذه الفالوذجة قد عملت إلاَّ قبل أن يوحي ربك إلى النحل! وأهدى أبو علي البصير إلى أبي العيناء كرينجان قد كتب على كل واحدة منها: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحِجر: الآية ٤٦]! فردها أبو العيناء وقد كتب عليها: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [القَصَص: الآية ١٣]. وكان رجل قد شغف بصبي، فأهدى إليه كلباً، فقال أبو شبل:

وما رأتْ عيني ولا قيل لي	أن فتًى مُسْتَهْتراً صَبَّا
لما دنا من وصْل أحبابِهِ	أهدى إلى أحبابِه كَلْبا!

الصولي:

أهدى إليَّ هديةً مذمومةً	وأَذَمُّ مِنها عِنْدنا مُهديها
وكأنما هي في سَماجةِ مَنْظرٍ	تحكيه في قبحٍ كما يحكيها

الممتن بهدية أهداها:

أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح قال: يا أبا محمد، كيف كانت البطيخة؟ قال: طيبة! ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً، فقال: إنْ خَفَّفتَ من قولك وإلاَّ قِئْتها!.

وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكاً، فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرّخ بديكه،

---

(١) ديوانه ص ٢٦٨. احتفلوا: أكثروا.
(٢) الزنبيل: القفّة، الوعاء.
(٣) الفالوذج: نوع من الحلوى المثَلَّجة.

فيقول: إنه كان يوم أهديت إليك الديك، وأنه كان قبل الديك بكذا وبعد الديك بكذا!.

وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة، فأعجب بها معاوية، فلما رأى زياد سروره بذلك، قال: يا أمير المؤمنين، إني دوخت لك العراق وجبيت لك برها وغثَّها وسمينها، وحملت لك لبها وسرورها. فقال له يزيد: أما إذا فعلت ذلك، فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قريش، ومن عبيد إلى أبي سفيان، وما أمكنك تدويخ العراق إلاَّ بنا. فقال معاوية: حَسْبك فداك أبوك، ووريت زناده فيك!.

الشاكر المهدى إليه:

أَتَتْنا هدايا منه أَشْبَهْنَ فَضْلَه ... ومَنَّ عليَّ مُنْعماً مُتَفَضلا

ولو أنه أهدى إليَّ وصالَه ... لكان إلى قلبي ألذَّ وأَوْصلا

* * *

ومما جاء في الطب والمرض والعيادة

قيل: حد الطب دفع الضد بالضد. وقيل: هو معرفة الداء وتلقيه بالدواء، وأصل الطب العلم. والطبيب صار اسماً للعالم بمداواة أبدان الناس. وقيل: هو استدامة الصحة ومرمة السقم. وقال عبد الله بن المعتز: المرض حبس البدن والهمُّ حبس الروح.

مدح طبيب حاذق:

حكي أن سلموية طبيب المأمون، وكان قد أَسَنَّ وذهب بصره، كان قد دخل على المأمون يتكىء على صبية تقوده، فلما قام المأمون، قام ثم رجع، فرجع سلموية إلى حضرته، واتكأ على تلك الصبية، فقال للمأمون: هذه الصبية كانت بكراً وخرجت من عندي الساعة، وعادت ثيباً فاستخبرها فقالت: العباس ابن أمير المؤمنين دعاني إلى نفسه لما خرجت، فافتضني. فقال له المأمون: وكيف علمت ذلك؟ فقال: كنت أخذت مجستها فوجدتها قوية، ثم جسستها فوجدت نقصانها، فعلمت ذلك. فتعجب المأمون من حذقه.

ونحو ذلك في التنجيم حديث الفيلسوف الذي كان ينام على سرير، فنام عليه ذات يوم فأنكره، وقال: إما أن تكون السماء قد انحدرت أو الأرض قد ارتفعت،

فتأمل فإذا قد جعل تحت قائمة السرير شيء ارتفع به عن الأرض. ومن الحذق البين ما حكي أن عمرو بن الليث زلقت رجله، فانخلعت إحدى فخذيه، فنام على الفخذ الوجعة واستحضر المجبرين، وجعل يعرض على واحد واحد الفخذ الصحيحة ويئن إذا مست، وكان يقول: بهذا نختبرهم إلى أن حضر المعروف بابن المغازلي، فلما جسّها أنّ عمرو، فقال ابن المغازلي: ما هذه الجلبة؟ ما بك من قلبة وإن فخذك أصح من فخذ الظليم! فعرض عليه الفخذ الأخرى فقال: أما هذه فنعم! فعلم عمرو أنه حاذق، فقال: إن مداواتها صعبة لأنها تحتاج إلى إشالة الرجل(١)، وأنا أستسمج ذلك، ولكنني أحتال له، فعمد إلى زق فوضعه بين رجلي عمرو، وشد إبهامي رجليه بعضهما إلى بعض، وجعل ينفخ في الزق وهو يربو وينتفخ، ويرتفع الفخذ بانتفاخه إلى أن امتد الزق ورَدّ العضو إلى موضعه، ثم حل الإبهامين وشده إلى أن برأ.

وقال رجل: توجع رجلي مدة، وتداويت بكل دواء فلم ينفع، فرأيت طبيباً، فوصفت ذلك له، قال: انظر، فلعل إحدى ركابيك أطول من الآخر! فتأملت فإذا هو كذلك، فأصلحته فزال الوجع السري.

الكندي:

أحيا لنا علمُ الفلاسفةِ الذي ... أودى فأوضحَ رَسْمَ طبٍّ عافِ

فكأنه عيسى ابنُ مريمَ ناطقاً ... يهب الحياةَ بأوهنِ الأوصافِ

يبدو لهُ الداءُ الخفيُّ كما بدا ... للعين رضراض الغديرِ الصافي

وله:

كأنهُ من لطفِ تَدْبيرهِ ... يجولُ بين الدمِ واللحمِ

لو غضبتْ روحٌ على جسمِها ... ألّفَ بين الروحِ والجسمِ

ذم طبيب:

رأى أفلاطون إنساناً مدعياً للصراع ضعيفاً في دعواه، ثم تحول طبيباً، فقال له: الآن أحكمت الصراع، تهيأ لصراع من شئت، فإنك تصرعه.

ترك لافس التصوير وتطبب فقيل له في ذلك فقال: الخطأ في التصوير تدركه العيون وتلحقه العيوب، وخطأ الطبيب تواريه القبور. ورأى فيلسوف طبيباً جاهلاً،

(١) أي: رفعها.

فقال: هذا مستحث للموت!.

الخبزأرزي في طبيب اسمه نعمان:

أقول لنعمانٍ وقد ساقَ طبَّه نفوساً نفيساتٍ على ساكني الأرضِ:

أيا منذر أَفنيت فاستبق بعضَنا حنانَيْك بعضُ الشر أهونُ من بعض[1]!

المصيصي الخياط:

لم يأتِ في الأربعا عليلاً إلاَّ دفنَّاهُ في الخميس!

مدح الحمية:

قيل: الحمية طابع الصحة. وقيل للحارث بن كلدة: ما الدواء الأكبر؟ فقال: الأَزْم[2]. وقيل: حمية شهر أيسر من سهر ليلة، وإن تصبر على الحمية شبراً خير من أن تقاسي العلة فتراً. وقيل: لا تأكل ما تشتهي، فيصيرك إلى ما لا تشتهي. وقيل للسري: قد تركت الشهوة. فقال: تركت ما أحب لأستغني عن العلاج بما لا أحب.

واحتمى أحمد بن المعدل لعلة به، فبرأ فقال: الحمية صالحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض، ولأهل الآخرة صالحة تبرئهم من النار. وقال عمر رضي الله عنه: عزم الرجل بحميته وحزمه بمتاع بيته.

وقال المأمون لطبيبه: ما الذي يذهب بأكل الطين؟ فقال: عزمة من عزمات الرجال. قال: صدقت. فتركه بعد ذلك ولم يعاوده. قيل للصاحب يوماً: تحتمي وتشرب الأدوية؟ فقال: أفعل ذلك بغضاً في الحمية وشرب الأدوية.

ذم الأدوية أيام الصحة وتجاوز الحد فيها:

قيل: ليس الحمية في الصحة بأوجب من التخليط في الصحة. واستوصف العباس أخو المنصور طبيباً فقال له: كل في الصحة على الطبيب، وفي المرض على مقتضى قول الطبيب.

ودخل بيادوق طبيب الحجاج على بشر بن مروان فقال: أما ترى هذه العلة قد طالت بي؟ فقال: إلى أن أختبرك ولا يكون ذلك إلاَّ على الريق. فبكر إليه وأضجعه على الحصير، وجسّه ما بين أخمص قدمه إلى هامته، ثم قال: أيما أحب

(١) البيت الثاني لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٩٦.

(٢) الأَزْم: عدم الاستكثار من الطعام حِمْيَةً.

إليك الصدق أم الكذب؟ فقال: وما حاجتي في الكذب؟ فقال: إنك ميت. فقال: أرني أمارة ذلك. فدفع إليه قطعة لحم طري وشدها في إبريسم[1]، وقال: ازدرِدْها، ففعل، وتركها ساعة ثم قلعها. فإذا عليها دود كثير فقال: كيف أصابني ذلك وقد قدمت بلدكم وكننت نفسي من الحر والبرد؟ فقال: منها أُتيت فقد نغل جسمك، فالأبدان لا تقوم إلاَّ بالحر والبرد وإن أذياها. فعاش بعد ذلك ثلاثة أيام. وقيل: الجوع للحمية أضر على البدن من العلة.

صعوبة الحمية ومدح تركها:

قيل: الحمية إحدى العلتين، فمن احتمى فهو على يقين من المكروه. وفي شك من المحبوب.

عبد الصمد بن المعذل:

وقالوا: شفاؤك في حميةٍ   تعودُ عليك بها النضْره
فأصبحتُ في بلدٍ مخصبٍ   ببلقعةٍ جدبةٍ قَفْرَه[2]

وقال الرشيد للفضل: ما أطيب ما في هذه الدنيا؟ فقال: رفض الحشمة وترك علم الطب، فلا عيش لمحتشم ولا لذة لمحتم. وقيل: من عرف ما يضره مما ينفعه فهو مريض. وقال أفلاطون: الموت موتان: طبيعي وإرادي، فالطبيعي مفارقة الروح البدن، والإرادي منع الأبدان الشهوات. وقيل: الأبدان المعتادة للحمية آفتها التخليط، والأبدان المعتادة للتخليط آفتها الحمية.

مدح التقليل من الطعام وذم الإكثار:

اجتمع أربعة من الأطباء عند المأمون: عراقي، ورومي، وهندي، وسوادي، فقال: ليصفْ كل منكم الدواء الذي لا داء معه. فقال الرومي: حَبُّ الرشاد، وقال الهندي: الهليلج الأصفر، وقال العراقي: الماء الحار، وقال السوادي وهو أبصرهم: حب الرشاد يورث الرطوبة، والماء الحار يرخي المعدة، والهليلج يرقق البطن، ولكن الدواء الذي لا داء معه أن تجلس على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنه وأنت تشتهيه. وقيل لطبيب: كم آكل؟ فقال: خوف الجوع ودون الشبع.

مضرة الشبع فوق مضرة الجوع:

بقراط: الإكثار من المنافع شر من الإقلال من المضار. وقال

(١) الإبريسم: خيط من حرير.

(٢) ديوانه ص ٩٩.

أرسطوطاليس: المطعم والمشرب إذا كثرا على المعدة أطفآ نارها، فجرت الأغذية في البدن غير نصيحة، فصار ذلك نقصاناً للبدن يورث الفترة، كالشجرة إذا كثر ماؤها عفنت وإن قلّ جفت، وكالسراج إذا قلّ دهنه أو كثر انطفأ.

وقال محمد بن عبد الله بن جعفر: من تغدى وتعشى ولم يأكل فيما بينهما سلم من الأوجاع، لقول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريَم: الآية ٦٢]. وقال بعض الأطباء: أحب الناس إلينا الرغيب البطن لكثرة حاجاتهم إلينا. وقد ذكر بعض هذا الباب في كتاب الأكلة.

ما تستدام به الصحة من الأكل والشرب والصوم والجماع:

قال طبيب الحجاج: لا يحفظ الصحة كالأكل بالنهار، وتقليل الشرب بالليل، وأن لا يحبس البول والنجو والرياح التي تعرض في البطن. من أراد حفظة الصحة فليقلّ الغذاء وغشيان النساء وشرب الماء.

ولما احتضر الحارث بن كلدة اجتمع إليه شبان قريش فقالوا: أوصِنا. فقال: لا يتزوجن أحدكم إلاَّ شابة، ولا يأكل إلاَّ لحم فتي، ولا يتناولن أحدكم الدواء ما احتملت نفسه الداء، ولا تأكلوا الفاكهة إلاَّ في إبان نضجها، وإذا تغدى أحدكم فلينم عليه نومة، وإذا تعشى فليتخط على إثر عشائه أربعين خطوة، وعليكم بالنورة في كل شهر، فإنها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة.

وقال أبقراط لما حضرته الوفاة: خذوا جامع العلم مني، مَن كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره.

وقال إسكندر: اجمعوا لي الطب في كلمات أتصورها، فقالوا: لا تدخل الفضل على المعدة، ولا تمنع نفسك شهواتها، فإن النفس تقوى على هضم المشتهي، ولا تنكحن عجوزاً، ولا تخرج الدم وأنت مستغن عن إخراجه، فإنك لا تُعَلّ إلاَّ علة الموت.

وقيل: راع غذاءك فأنت تحكم به بناءك. أخبر حاتم بن زيد بن المهلب بشيخ قد أتت له مائة وخمسون سنة في اعتدال جسم ونضارة لون، فاستدعاه وسأله فقال: إن كان لما أرى من هذه الموهبة الجميلة سبب بعد تقدير الله تعالى، فما أصفه ما احتملت مهما تبعد على مدافعته، ولا رأيت من زوجة مكروهاً، ولا اجتمع في بطني طعامان، وإذا شربت شراباً تناولته رقيقاً طيباً لا أثمل منه، ولا

أستدعي الطبيعة من غير عارض، وما استدعيت للباه[1] حركة إلاَّ أن يهيج بالطبيعة على القلب، وإذا فعلت ذلك أقللت الحركة بقية يومي.

وكان جالينوس يقول: اجتنبوا ثلاثة، وعليكم بأربعة، ولا حاجة لكم بالطبيب: اجتنبوا الغشيان، والغبيراء، والنتن، وعليكم بالدسم والطيب والحلواء والحمام.

نفع النوم ومضرة السهر:

قال المأمون: قد أصبت دواء يمرىء ولا يؤكل ولا يشرب. فقيل: ما هو؟ قال: النوم أثر الغداء. وقيل: إذا أكلت، فاضطجع على جنبك الأيسر، فإن الكبد يقع على المعدة فينضج الطعام فيهضمه.

ما تتولد منه العلل:

قيل: أضر الأشياء طعام بين شرابين وشراب بين طعامين. وقيل: أضر الأشياء للبدن الفكرة والسهر، وأنهك الأشياء للبدن الخوف. وقيل: ثلاثة تورث الهزال: شرب الماء على الريق، والنوم على غير وطاء، وكثرة الكلام برفع صوت.

وقيل: أربع يهدمن الجسم وربما قتلنه: أكل القديد الجاف، والجماع على الامتلاء، ومجامعة العجوز، وإدخال الطعام على الطعام، وشرب الماء في ثلاثة مواضع متلف: عقيب الخروج من الحمام، وأثر الجماع، وعلى الإعياء.

وقيل: من أدوأ الداء الشرب على اللقمة في الفم. وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما أخرج الضرع والبحر والنخل تسلموا.

وقال الحارث بن كلدة لأنوشروان: الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها، وغشيان المرأة المولية يضعف القوة ويسقم البدن، لأنها كالشن البالي ماؤها سَمّ قاتل ونفسها موت عاجل، تأخذ منك ولا تعطيك. وأجمع علماء الطب على مضرة اللحم الجاف والسمك والبيض البارد، وأجمعوا على منفعة النبيذ والسويق والسكنجبين. وقيل: من حُمَّ يوماً، فلا يأكل الكشك سنة. وقيل: كثير الرمان ضار كما أن قليله نافع.

من تناول طعاماً وتحقق تولد علة منه:

اجتاز رجل بصديق له محموم، فسأله عن سبب علته، فقال: أكلت في هذا

---

(١) الباه: الجِماع، النِّكاح.

الصيف فراخاً وعسلاً، وشربت خمراً صلباً ونمت في الشمس، فقال له: عليَّ كل يمين لو كانت الحمى من حملة الشمس ورأتك بهذه الحالة لتركت عملها ووافتك.

وقال بعضهم: أكل رجل سمكاً وخبز أرز ولبناً، وشرب عليه ماء كثيراً بجليد، ودخل سرداباً، فجامع ونام هناك، فأتى الموت حيه ودق عليهم الباب وقال: تعالوا وانظروا إلى هذا المتخلف وفعله، فإن هذا يموت، فيقال: اختطفته المنية، ولا يعرفون سوء تدبيره وقبح صنيعه.

نظر طبيب إلى دهقان يغرس شجرة مشمش فقال له: ما تصنع؟ قال: اعمل لي ولك. يعني أن الطبيب ينتفع بالمشمش لسوء أثره على آكليه، وحاجتهم إلى الطبيب لما يتولد عليهم من الأدواء لأكل الطري منه. وفي هذا المعنى يقول ابن الرومي:

إذا ما رأيتَ الدهرَ بُسْتانَ مشمشٍ ... فأيقِنْ يقيناً أنهُ لطبيبِ
يَغُلُّ له ما لا يغلُّ لغيرِهِ ... يغلُّ مريضاً حَمْل كلِّ قضيبِ[1]

هيجان الدم ونقصانه:

قال النبي ﷺ: «إذا تبيغ بأحدكم الدم، فليحتجمْ لئلا يقتله». قال ابن ماسويه: في الفصد ثلاث منافع وثلاث مضار، أما منافعه فإنه يحد البصر، ويصفر اللون، ويزيد في اللحم، ومضاره أنه يضعف البدن، ويجلب الضعف، ويقطع الباه.

قال جالينوس: الدم في الجسد كالزيت في السراج إذا نفد الدهن طفىء السراج. وقال بختيشوع للمأمون: البدن إلى الدم أحوج منه إلى إخراجه، ألا ترى إلى الطباخ الحاذق يجيء إلى القدر وهي تفور، فيأخذ رغوتها ويسكنها بشيء من الماء أو غيره وهي ممتلئة؟ فكذلك يفعل بالدم.

وافتصد المأمون يوماً، فأراد أن يشرح وكان قد أتخم، فشدوا الرباط عليه، فلم يخرج الدم، فقال المأمون: قد عقرتموني فحلوا الرباط، واعتزلوا وتشاوروا بظهر الغيب عني، فالهيبة أدهشتكم. فاعتزلوا يتشاورون، فدعا فراشاً وأمره بمصّه فمصه، فخرج الدم. فقال: ادع هؤلاء الحاكة: فلما رأوه أخبرهم بذلك، فقالوا: لو فعل جالينوس هذا كان عجيباً.

---

(١) ديوانه ١/ ٣٦٢.

تهنئة بالفصد:

ابن رزين الواسطي:

أراقَ الفصدُ خيرَ دم دم الأذهانِ والفهمِ

لقد أخطأ الطبيبُ غداً ة فَصْدِك طيب النَّسَمِ

وراح وفي حديدته دَمُ المعروف والكَرَمِ

ابن الرومي:

يا فاصداً من يد جلَّتْ أياديها وذاق طعمَ الردى والبؤس شافيها

يد الندى هي فارفق لا تُرِقْ دمها فإن أرزاقَ طلابِ النَّدى فيها[1]

وافتصد جعفر بن يحيى فكتب إليه الفضل:

إذا أنت أسبلت للباسليق عيوناً من أجفانه الواهِيَه

رأيتَ اعتدالَك يبكي دماً وتضحكُ مِن جنبك العافِيَه

جملة التداوي:

قال بقراط: جملة المعالجة خمسة أضرب، يعالج ما في الرأس بالغرغرة، وما في المعدة بالقيء، وما في أسفل المعدة بالإسهال، وما بين الجلد بالعرق، وما في داخل الجلد بإخراج الدم. وقال جالينوس: يعالج ما في قعر الكبد والطحال والكليتين بإخراج البول، وما في المعدة من ضعف أو تغير مزاج أو فضول زائدة يرقق بالأدوية، إن كانت حرارة بردت، وإن كانت رطوبة جففت.

من امتنع في مرضه من التداوي وذكر قلّة غنائه:

قيل لأبي بكر رضي الله عنه: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقال: قد رآني الطبيب وقال: أنا فَعّال لما أُريد.

ودخل عثمان على ابن مسعود رضي الله عنهما في مرضه فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي. قال: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني. قال: ألا نأمر لك بشيء؟ قال: فما منعتني قبل اليوم، فلا حاجة لي فيه اليوم. قال: ندعه لعيالك؟ قال: إني علمتهم شيئاً إذا راعوه لم يفتقروا؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ في كل يوم وليلة سورة الواقعة لم يفتقر أبداً».

(١) ديوانه ٦/ ٣٦٨.

وقيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ذلك فقال: لو علمت أن دوائي في مسح أذني ما مسحتها، نِعْم المذهوب إليه ربي.

وقيل للربيع بن خيثم في مرضه: ألا ندعو لك طبيباً؟ فقرأ: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفُرقان: الآية ٣٨]؛ قد كان فيهم مرضى وأطباء فلا المداوي بقي ولا المداوى. واستحسن قول الشاعر:

إنَّ الطبيبَ بطبِّهِ ودوائِه ... لا يستطيعُ دفاعَ مقدورٍ أتى
ما للطبيبِ يموتُ بالداءِ الذي ... قد كان يبرىء مثله فيما مضى؟
هَلَكَ المداوي والمُداوى والذي ... جَلَبَ الدواء، وباعه ومن اشترى

المتنبي:

يموت راعي الضأن في جَهْلِه ... ميتةَ جالينوس في طبّه[1]

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب من أين الداء؟ قال: من عندي. قال: الدواء؟ قال: من عندي. قال: فالأطباء ما يصنعون؟ قال: يطيبون قلوب عبادي حتى تحل عافيتي أو بلائي.

ابن نباتة:

نُعلِّلُ بالدواءِ إذا مرِضْنا ... وهل يشفي من الموت الدواء؟
ونختارُ الطبيبَ وهلْ طبيبٌ ... يؤخِّر ما يقدمُه القضاء؟
وما أَنفاسُنا إلاَّ حسابٌ ... ولا حَرَكاتنا إلاَّ فناءُ

وقال مسلمة: ما وَعَظني شيء بعد القرآن كما وعظني بيتان لعمران بن حطان:

لنا كلَّ عام مرضةٌ ثم نَقْهةٌ ... ونَبْغي ولا نبغي متى وإلى متى
فيوشك يومٌ أن يوافقَ ليلةً ... يسوقان حتفاً راحَ نحوَكَ أو غَدا[2]

وصف الحمى:

دخل بختيشوع على يحيى بن خالد بعقب حمى فقال له: توقّ، فإنّ حمى ليلة يبقى في البدن تأثيره سنة. وعنده وكيع فقال: صدق! فقال يحيى: ما أقرب تصديقك إياه! قال: لأن النبي ﷺ قال: «حمى ليلة كفارة سنة» فعلمت أن هذا كما قال.

---

(١) ديوانه ١/ ٣٣٧.

(٢) ديوانه ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

وقال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول: الحمى ناري أسلطها على عبدي، فإن لم يشكني إلى عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وأخرجته من ذنوبه كهيئة يوم وُلد». وقال ﷺ: «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء». ويستجاد قول المتنبي:

وزائرتي كأنَّ بها حياءً ... فليسَ تزورُ إلاَّ في الظَّلامِ
بَذَلْتُ لها المطارفَ والحشايا ... فعافَتْها وباتَتْ في عظامي
إذا ما فارقتني غَسَّلَتْني ... كأنا عاكفانِ على حرام
أراقبُ وَقْتها من غير شوقٍ ... مراقبةَ المشوقِ المُسْتَهامِ[1]

حُمَّ أعرابي في أيام القيظ بمكة، فأتى الأبطح وقت الظهيرة، فتعرى وطلى بدنه بالزيت، ونام في الشمس، وجعل يتقلب فيها، ويقول مخاطباً للحمى: لتعلمن ما نزل بك يا حمى، عدلت عن الأمراء وأهل الثراء، وجئتني؟ فعرق وذهبت حماه وقام، فسمع قائلاً يقول: حُمَّ الأمير! فقال: أنا والله بعتها. فلعنَ الله من وشى به عليّ!.

وقيل: التقى حمتان فسألت إحداهما الأخرى، فقالت: آتي كل يوم رجلاً خريماً ناعماً فيضجعني على فراش وطيء فأُضاجعه في أرغد عيش، فأنصرف عنه بأطيب حال. فقالت الأخرى: ويحك إني وقعت إلى كساح قذر متى قصدته يأت بي سبخة[2]، فيعركني في التراب، فأرجع عنه متربة، فقالت: ويحك تعالي إلى صاحبي لأغاديه أنا، وتراوحيه أنت.

الرمد:

كتب علي بن القاسم رحمه الله: بلغني عن حال رمد عرض له ما أرمد خاطري وأظلم ناظري، وأذهلني عن كل مهم وخفف في عيني وقلبي كل ملم. ويستحسن في عين محبوب رمداء قول ابن المعتز:

قالوا: شَكَت عينُه! فقلتُ لهم: ... من شدةِ الفتكِ نالها الوَصَبُ
حمرتُها من دماءِ من قتلَتْ ... والدمُ في النَّصْلِ شاهدٌ عَجَبُ[3]

ابن الحجاج:

---

(١) ديوانه ٤/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧.
(٢) السَّبْخة: أرض ذات نَزّ ومِلْح.
(٣) ديوانه ٣/ ٢١١.

أنا الفداء لعينٍ بعضُ أسهمِها ... مسكونةٌ بين أحشائي وفي كبدي
فيها فُتورُ سَقامٍ لا خفاء به ... يجردُ السقْمُ في قلبي وفي جسدي
كانتْ تعلُّ فؤادي وهي سالمةٌ ... فكيف بي وهي تشكو علة الرمَدِ؟

النقرس:

كان أبو الفضل بن العميد يكثر برجله النقرس فقيل له: لا تغتمّ، فإنَّ ذلك يؤذن بطول العمر! فقال: طول العمر هو أن من به النقرس يسهر، فيصير ليله نهاراً، فكأنما يتضاعف عمره.

شاعر:

ألا فاعجبوا من مُفْلسٍ حلفَ نقرسٍ ... أما نقرس في مُفْلسٍ بعجيبِ

وقال المبرد: ذكر أعرابي رجلاً قد أثرى، فقال: تنقرس، كأنه سمع أن النقرس يكون مع النعمة. ومنه قول أعرابي:

فصرت بعد الفَقْر والتفلُّس ... يخشى على الحيِّ داءَ النقرسِ

وقال ماسرجوية: لا ينقرس الناطفي في رجله والشطرنجي في يده.

الحبون[1]:

دخل شبيب بن شبة إلى ابن هبيرة فقال: ما حَبَسَك عنا؟ فقال: علة منعت الحركة ولم توجب العيادة، حتى خرج علي. فقال ابن هبيرة: إن لحماً شديداً عاد قيحاً وصديداً لأهلٌ أن يعاذ صاحبه. وقيل: حَبْنك يؤذن بمالك. وقال بعض الأدباء: إنما يؤذن بما لك بفتح اللام، أي: يقتضي أن يقال أي شيء لك؟.

شاعر:

ولي دُمَّلٌ في كل يوم يزورُني ... فَيُقْلقُ أحشائي ويُسْهِرُ مُقْلتي
يقول لي العوّاد: مالٌ وصحَّة ... فيا ليتهم آبوا بمالي وصِحَّتي

أبو حكيمة:

أيحْسِدُني إبليسُ داءَين أصْبحا ... برأسي ورجلي: دُمَّلًا وزُكاما
فليتَهما كانا به، وأزيدُه ... زمانَة[2] أيرٍ لا يُطيقُ قِياما

الجرب:

في الخبر: أن النبي ﷺ قال: «لا عدوى». فقيل: إن البعير يجرب في

(١) الحبون: الدُّمَّل.
(٢) الزمانة: المرض يدوم.

القطيع فيجرب بجربه الإبل كلها. قال: فمن أجرب الأوّل؟ ويسمى الجرب حبيبات الطرب. وقيل: صاحب الجرب شاكر، لأنه أبداً يقول قد ذهب.

الصنوبري:

الشَّيْبُ عنديَ والإفلاسُ والجربُ ... هذا هلاكُ وذا شُؤْمٌ وذا عَطَبُ[1]

عبدان:

ومُسْتَخْبِرٍ حالتي إذ رأى ... أَقَضَّ على جَنْبي المضجعُ

فَقُلْت مجيباً له: إنني ... لضري كما قال لي أسجعُ

إذا الليل ألبسني ثوبَه ... يقلب فيه فتى موجعُ

الزكام:

روي أنه قيل: ثلاثة لا يعدن: المزكوم، والرمد، والجرب. وقالت عائشة رضي الله عنها: من لا يعودني في الزكام لا أُبالي أن لا يعودني في مرض آخر. وقيل: مؤونة أنف المزكوم أعظم من مؤونة استين.

ودعا عيسى بن علي ابن المقفع إلى الغداء، فقال: لست اليوم بمؤاكل للكرام لأنني مزكوم، والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الأحرار. ويقال: إن الشيطان قال: ما حسدت ابن آدم إلاّ على شيئين: الطشاءة والحقوة، أي الزكام والهيضة[2].

الوزير الرئيس الكافي الأوحد:

ونزلةٍ كنت أحمي وجهَ موردها ... ففاجأتني على ضَرْب مِنَ الجمرِ

سَدت عليّ طريقَ الروحِ منتشقاً ... وأسلمتني لأيدي الروعِ والخدرِ

وأنشأتْ مزنة في الرأس مضرمةً ... ينعق بارقُها في السمعِ والبصرِ

حتى إذا مخضتها مدة قدرت ... مدت بصَفْو حميمٍ غير ذي كَدَرِ

ففي شؤوني حريق من تلهبِه ... وفي الخياشيم ضيقٌ محصد المررِ

لا الفصدُ يغني ولا ماءُ الشعيرِ ولا ... طولُ احتماءٍ إذا ما همّ بالدرر

فالحمد لله حمداً لا كفاءَ له ... على السلامة، وقاها مِنَ الغيرِ

---

(١) ديوانه ص ٤٥٢.

(٢) الهيْضة: انطلاقة البطن، والمرضة بعد المرضة.

شرب الأدوية المسهلة:

سئل طبيب كسرى عن دواء المشي فقال: سهم ترمي به في جوفك أخطأ أم أصاب. وقيل: الدواء مثل عدو إلى جانبه صديق، ترمي العدو فلا تأمن من أن يصيب الصديق.

وقيل: الدواء في البطن كالصابون في الثوب، ينقيه لكن يخلقه. وقيل لبقراط: ما بال الإنسان أثور ما يكون بدناً إذا شرب الدواء؟ فقال: مثل ذلك مثل البيت أكثر ما يكون غباراً إذا كُنِّس.

وقيل: لا تستعمل الأدوية في ما تنفع فيه الأغذية. وقيل: النفس إذا ألفت الدواء فسدت، لأن الدواء يجب أن يطرأ عليها غريباً فتحتشم.

الكناية عن الأدوية المسهلة:

كان ظرفاء البصرة يقولون لشارب الدواء: لمَ لبست النعل؟ ويقال: شربت فما أنجاني؛ كناية عنه. وكتب الصنوبري إلى صديق له شرب الدواء:

نَبِّني كيف تخطيك إلى دار الكرامه

كم جدار هدّ من رَعْدٍ وكم سحَّت غمامه[1]؟

فلم يجبه. فكتب إليه ثانياً:

أبن لي كيفَ أصبحتَ ... وما كان من الحال؟

وكم سارت بك الناقَةُ ... نحو المنزلِ الخالي[2]؟

فأجابه:

كتبت إليك والنعلان ما إن ... أغبهما من السيرِ العنيفِ

فإن رمتَ الكتاب إليّ فاكتب ... على العنوان يوصل في الكنيف[3]

الحقنة:

كان كرتكين أمير بغداد أمره الطبيب بالحقنة قال: يوضع في استه كذا! فقال: في است من؟ فخاف الطبيب فقال: في استي، أيَّد الله الأمير! وكان عين الدولة أصابه مغص، فأشير عليه بالحقنة، فأبى وتفادى منها. فلما اشتد به الوجع قال: يا قوم، ادخلوا هذا الجذع في استي وأريحوني! فحقن وبرأ. واعتل أعرابي، فأشير عليه بالحقنة، فقال صديق له:

(١) ديوانه ص ٤٨٨.

(٢) ديوانه ص ٤٨٨.

(٣) ديوانه ص ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

كَفى سوءةً أنّا نراك محبساً على شكوة قُبْحاً، وفي استك عودُها

الحث على التداوي بالأدوية:

روي في الخبر: تداووا، فإن الله ما وضع داء إلاَّ وضع له دواء إلاَّ الهرم. وقال طبيب لرجل: بمَ تُداوي من حماك؟ قال: بالنشرة. فقال: إن رأيت أن تغسلها بماء الشعير وتشربه فافعل. وقال رجل لآخر وكان معه إبل جرب: هلا داويتها؟ فقال: إن لنا عجوزاً صالحة نتكل على دعائها ونستغني به عن الدواء! فقال: اجعلْ مع دعائها شيئاً من القطران.

التداوي بالقرآن والأدعية:

وجد ابن أسقع يشكو حلقه فقال له النبي ﷺ: «عليك بقراءة القرآن». ووجد بعض الصحابة شكوى في بعض بدنه فقال ﷺ: «ضع يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله أعوذ بالله، وبقدرته من شر ما أجده»، سبع مرات.

ذكر التأني في المداواة والمبادرة:

قيل: حق الطبيب أن يتأنى في المداواة فعَثْرته لا تُقال. وقيل: المتأني في علاج الداء بعد معرفة الدواء كالمتأني في إطفاء النار، وقد أخذت بحواشي ثيابه.

نوادر الأطباء:

جاءت امرأة إلى طبيب بقارورة فقال: ما يجد صاحبها؟ قالت: به حرارة وضيق ويبوسة. فقال: ليت ذاك في حِر امرأتي! وجاءت أخرى ببستوقة فيها ماء فقال: لو جاز في البستوقة لجاز أن تحمليه في حِرك! وشكا رجل إلى طبيب سوء الهضم فقال: كله مهضوماً.

وجاء آخر إلى طبيب فقال: أكلت الشعير والرطبة فأصابني مغص، فقال: هذا طعم الحمار فاذهب إلى يحيى البيطار يعالجك. واعتل رستاقي، فجاء إلى الطبيب فقال له: كلِ الرائب. فقال: والله إني لو عصرت ما انعصر مني لا الرائب. وقال طبيب لمريض: لا تأكل السمك واللحم. فقال: لو كانا عندي ما اعتللت.

شكا عبد الله بن جعفر ضرسه فقال له عبد الله بن صفوان: إن إبليس يقول: دواء الضرس قلعه؛ فقال: إنما يطيع إبليس أولياؤه.

شكا رجل إلى أبي السائب وجع رجله، فقال له: لا تأكل القديد. فقال: أنا أحبه. قال: فالوجع أيضاً يحب رجلك. وظن خادم أن بشراً المريسي طبيب،

فعرض عليه ماءه فقال: أنا طبيب الأديان، لا طبيب الأبدان.

سخفيات في الطب:

نظر عبادة إلى رجل في عينه جرب فقال: أعطني مائة درهم أصف لك دواء. قال: افعل. فقال: خذْ ورق المدر، وعروق الحجر، واسحقهما واكتحل بهما سبع سنين، فإن لم تذهب عينك فخذني به! فرفع رجله وضرط عليه ضرطتين فقال: خذ هذين الدرهمين، فإنْ نفع دواؤك زدناك!.

وركب بختيشوع يوماً مع المأمون فتعلق به مجنون وقال: أيها الطبيب، خُذْ نبضي. فأخذه وقال: ما تشتكي؟ فقال المجنون: أشتكي الشَّبقَ! فقال بختيشوع: خذ مسواكَ أراكٍ، وأدْخِله من وراك فإنه صالح لذاك! فضرط المجنون وقال: خذْ هذا لذاك حتى نجرب دواك، فإن كان صالحاً زدناك ولا يكون لنا طبيب سواك! فضحك المأمون.

شهوة المريض للطعام:

قيل للخليل في علته: أتشتهي شيئاً؟ قال: لا، وبودي أن أشتهي. وقيل ذلك لآخر فقال: أشتهي ما لا أجد، وأجد ما لا أشتهي. وقيل ذلك لآخر فقال: أشتهي أن لا أموت. قال بقراط: المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي.

المتنبي:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مرٍّ مريضٍ ... يجد مرّاً به الماءَ الزُّلالا[1]

من شكا علته:

أبو نواس وقيل هو آخر شعر قاله:

دَبَّ فيَّ السَّقامُ سُفْلاً وعلوا ... وأراني أموتُ عُضواً فعُضْوا

ليسَ يمضي من ساعة بي إلاَّ ... نقصتني بمرها بي جَزْوا

لهف نَفْسي على ليال وأيا ... م تمتعتهنَّ لعباً ولهوا[2]

قيل لعمرو بن العاص في مرضه: كيف تجدك؟ قال: أجدني أذوب ولا أثوب، وأجد نجوي أكثر من رزي، فما بقاء للشيخ على ذلك. وقيل: ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبرُ

---

(١) ديوانه ٣/ ٣٤٤.

(٢) ديوانه ص ٤٦٤.

حمد شكوى العلة:

قال بعضهم: دخلت على سفيان وهو عليل، فقال: أشتكي كذا، وبت البارحة بكذا. فقلت: أما تخشى أن تكون هذه شكاية من الله؟ فقال: أنا أذكر قدرته عليّ.

ولما مرض أمير المؤمنين دخل إليه الناس فقالوا: كيف تجدك؟ قال: بشر. قالوا: أهذا كلام مثلك؟ قال: أجلْ، إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: الآية ٣٥]، فالخير الصحة والشر المرض. وقيل: الشكوى تخفف الهم وتزيل الألم.

وقيل لآخر: ما تشكو؟ فقال: تمام العدة وانقضاء المدة. ووجه المتوكل إلى الجاحظ يدعوه فقال: ما يصنع أمير المؤمنين بشخص ليس بطائل ذي شق مائل، ولعاب سائل، وفرج مائل، وعقل حائل؟.

شكوى العلة:

قال المأمون لابنه العباس، وقد شكا إليه وجعاً في بطنه: يا بني، إنك لا تجد مواساة في عرض ما تجده في بدنك، ولا يشركك فيه صديقك، فلا تشمتن به عدوك. وقال بعضهم لمن يشكو: أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟ وقيل لسعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص وهو مريض: إن المريض يتفرج إلى الأنين وإلى أن يصف ما به إلى الطبيب. فقال: أما الأنين، فوالله إنه لجزع وعار ولا يسمع الله مني أنيناً، فأكون عنده جزوعاً، وأما الطبيب، فوالله لا يحكم غير الله في نفسي، فإن شاء قبضها إليه، وإن شاء منَّ بها عليّ.

فضل الصحة والعافية:

قيل: شيئان لا يعرف فضلهما إلاَّ من فقدهما: الشباب والعافية. وقيل: لا يعرف طعم العافية إلاَّ من نالته يد العلة، ولا طعم الرخاء إلاَّ من مسته يد البلاء. وقيل: الدنيا بحذافيرها الأمن والعافية. لا تزال غنياً ما دمت سويّاً.

نفع المرض:

اعتل الفضل بن سهل بخراسان ثم برأ، فجلس للناس فهنّؤوه بالعافية، وتصرفوا في فنون الكلام، فلما فرغوا، أقبل على الناس فقال: إن في العلل نعماً ينبغي للعاقل أن يعرفها: تمحيص الذنب والتعرض للثواب، والإيقاظ من الغفلة والأذكار بالنعمة في حال الصحة، والاستدعاء للتوبة، والحض على الصدقة، وفي قضاء الله وقدره الخيار.

ودخل الحسن بن علي رضي الله عنهما على عليل فقال: إن الله قد أقالك فاشكره، وذكرك فاذكره. واعتل جعفر بن محمد عليهما الرضوان فقال: اللهمَّ اجعله أدِباً لا غضباً. وقال عليه السلام: إن المريض تتحات عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجر. وذكرت الأدواء عند أبي الدرداء فقال رجل: ما اشتكيت قط! فقال: لا جرم أن ذنوبك لم تحط عنك.

وجوب عيادة المريض:

قال النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ثلاث: عيادة المريض، وتشميت العاطس، وتشييع الجنازة». وقال ﷺ: «من عاد مريضاً خاض الرحمة، فإذا قعد عنده استنقع فيها، وإذا خرج من عنده خاض الرحمة». وقيل: عيادة المريض بعد ثلاث. وفي الخبر: عودوا مرضاها، وشيِّعوا هلكاها، وعزوا ثكلاها.

أدب عيادة المريض:

قيل: سوء العيادة تلقيح العلة. وقال الفضل بن الربيع: لا تقولوا: كيف أمير المؤمنين، ولا تسألوه عن حاله، فتكلفوه الجواب، ولعله يثقل عليه الكلام، ولكن اجعلوا مسألتكم الدعاء له، وقولوا بدل كيف يجد أمير المؤمنين نفسه: أنزل الله عليه الشفاء والرحمة.

شاعر:

حَقُّ العيادة يومٌ بعد يومين ... وجلسةٌ لكَ مثل اللحظ بالعينِ

لا تُبرِمَنّ مريضاً في مُساءلةٍ ... يكفيكَ مِنْ ذاكَ تسآلٌ بحرفينِ

ودخل قوم على السري السقطي، رحمه الله، وهو عليل فأطالوا الجلوس، وقالوا: ادعُ لنا، فقال: ارفعوا أيديكم، وقولوا: اللهمَّ اجعلنا ممن علمتهم عيادة المرضى! ودخل قوم على مريض فأطالوا ثم قالوا: أوصِنا، فقال: أوصيكم أن لا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه. ودخل ثقيل على مريض فأطال الجلوس، ثم قال: ما تشتكي؟ قال: قعودك عندي!.

شكاية من لا يعوده إخوانه:

جحظة البرمكي:

مَرِضْتُ فلم يكنْ في الأرضِ حرٌّ ... يُشَرِّفُني بِبِرٍّ أو سَلام

وضنُّوا بالعيادة وهْيَ أجْرٌ ... كأن عيادَتي بَذْلُ الطعامِ[١]

---

(١) ديوانه ص ١٦٣.

الاعتذار من ترك العيادة:

شاعر:

إنْ كنتَ في ترك العيادةِ تاركاً حَظي فإني في الدعاءِ لجاهدُ
ولربما تَرَكَ العيادةَ مُشْفِقٌ وأتى على غلِّ الضَّميرِ الحاسدُ

من عاده بمرضه:

عبد بني الحسحاس:

يَعدْنَ مريضاً هُنَّ هيَّجْنَ داءَه ألا إنما بَعْضُ العوائدِ دائيا[(١)]

آخر:

وخُبّرت ليلى بالعراق مريضةٌ فأقبلتُ من أهلي بمصر أعودُها
فوالله ما أدري إذا أنا عُدتُها أأُبرِئُها من دائِها أم أَزيدُها؟

مريض عاد صحيحاً:

شاعر:

إذا مرضنا أتيناكم نَودُكم وتُذْنِبونَ فنأتيكم ونَعْتَذِرُ

العباس بن الأحنف:

قالت: مرضت! فعدتُها فتبرمَتْ وهي الصحيحة والمريضُ العائِدُ
والله لو أنَّ القلوبَ كَقَلْبِها ما رقَّ للوَلَدِ الضَّعيف الوالدُ[(٢)]

وصف العلة بأنها تنال الأماثل:

روي أن الله تعالى يجعل العلة تمحيصاً لذنوب أوليائه. وقال النبي ﷺ: «مَثَلُ المؤمن مثل الحزمة من الزرع تفيؤها الريح مرة هكذا ومرة هكذا، ومثل المنافق مثل الأرزة المجدبة على الأرض يكون انجعافها مرة»[(٣)].

أبو تمام:

فإنْ يكنْ وَصَبٌ قاسيت صورَتَه فالوِرْد حِلْفٌ لليثِ الغابةِ الأَضِم
إنَّ الرياحَ إذا ما أَعْصَفَتْ قصفَتْ عيدانَ نَجْدٍ ولَمْ يَعْرِضْنَ للرَّتَمِ[(٤)]

البحتري:

---

(١) ديوانه ص ٢٣.
(٢) ديوانه ص ١٠١.
(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في فصل المقال ص ٧؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢٧٧.
(٤) ديوانه ٢/ ١٤٢. والرَّتم: ضرب من الشَّجر.

وما الكلبُ محموماً وإن طال عمرُه ألا إنما الحمى على الأَسَد الوَرْدِ[١]

ذكر تباطؤ زوال العلة:

دخل سفيان على جار له مخنَّث، فقال له: كيف تجدك؟ قال: جاءتني العلة باقات، والعافية تأتيني طاقات. وقيل: العلة تحمل على الجمال، وتثقل على النمال.

حث العائد على تنشيط المريض:

قال يوحنا: بشِّروا المريض بالبرء، ونشِّطوه لشرب الدواء، ولا تصعِّبوا عليه العلة، فتخاف نفسه ويموت حسه. وقال بقراط: حدِّثوا المريض حال من كان في أصعب من علّته فبرأ، ولا تحدثوه عمن كان في مثل علته فمات. وقيل: أدب العيادة تشجيع العليل بلطيف اللطف وحسن الفأل.

الحث على تخويفه ليتجنب المضار:

قيل: خوّفوا المريض ليجتنب المضار، فمن خوفك لتلقى الأمن خير لك ممن أَمَّنكَ لتلقى الخوف. وقيل: من أوجرك المر لتبرأ خير ممن أوجرك الحلو لتسقم. ودخل طبيب على مريض قد أصاب إصبعه ريح فشمها فقال: إن أكلت اليوم شيئاً متّ. فلما كان من الغد برأ، فقيل له في ذلك فقال: لو لم أخوِّفه لتجاسر على الأكل فكان يطول عليه.

رقيع خوَّف مريضاً برقاعته:

عاد رجل مريضاً لم يكن به بأس، فقال: لا ضير إذا رأيتم المريض هكذا، فاغسلوا أيديكم منه، فقد كان أبي به هذا الداء فمات. وعاد آخر عليلاً فقال: ما عِلَّتك؟ قال: وجع الركبة. فقال: إنَّ جريراً يقول بيتاً ذهب عني صدره وآخره:

وليسَ لداءِ الرُّكْبَتينِ دَواءُ[٢]

فقال: ليت ما ذهب عنك عجزه مع نفسك!.

ودخل آخر على مريض فقال: آجركم الله. فقيل: إنه لم يمت! فقال: يموت إن شاء الله!. وقال رجل لمريض: كيف أنت جعلني الله فداءك؟ فقال: على الموت. فقال: إذاً لا جعلني الله فداءك، فإني قدَّرت أنَّ في الأمر فسحة.

---

(١) ديوانه ص ٧٥٨. الورد: الشجاع الجريء.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

تهنئة من برأ من مرض والدعاء له:

أشجع:

لئن جرحَتْ شكاتُك كلَّ قلبٍ لقد قَرَّتْ بصِحَّتِكَ العُيونُ(١)

وله:

لقد أمسى صلاح أبي علي لأهلِ الأرضِ كلِّهمُ صلاحا(٢)

قيل لأعرابي برأ من علته: الحمد لله الذي سلمك. فقال: أَوَ يَسْلم من الموت في عقبه؟ كتب عبد الله بن المعتز: أذن الله بشفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومسحك بيد العافية ووجه إليك وافد السلامة، وجعل علتك ماحية لذنوبك مضاعفة لثوابك.

ابن المعتز:

يا ربّ أَمْسِكْ رَمَقَ الدنيا به واغسلهُ بالصحةِ من أوصابِه(٣)

أبو تمام:

سَقَمٌ أتيح له بُرءٌ فزَعْزَعَهُ والرمحُ ينآدُ طوراً ثم يُعْتَدِلُ

قد حالَ لون فردّ الله نُضْرتَهُ والنجمُ يخمدُ حيناً ثم يَشْتَعِلُ(٤)

المتنبي:

صحَّت بصِحَّتِك الغاراتُ وابتهجَت بها المكارمُ وانهلّتْ بها الديمُ

وراجعَ الشمسَ نورٌ كان فارقَها كأنَّما فقدهُ في جِسْمها سَقَمُ(٥)

تفدية المريض:

شاعر:

فديناك لو نُعطى المنى فيكَ والهوى لكانَ بنا الشَّكْوى وكان لك الأَجرُ

البحتري:

بأنفسنا لا بالطوارفِ والتُّلْدِ نقيك الذي تخفي من السقم أو تبْدي

---

(١) ديوانه ص ٢٦٤.
(٢) ديوانه ص ٢٠١.
(٣) هذا البيت ملفّق من بيتين في ديوانه، وهما:

خوفاً على الوزير، بي ولا به يا رَبِّ، أمْسِكْ رمَقَ الدنيا بهِ

واغْسِلْهُ بالصِّحَّةِ مِنْ أوصابِهِ لا خيرَ في مملكةٍ إلاَّ به

ديوانه ص ١/ ٤٥١.
(٤) ديوانه ٢/ ٢٧.
(٥) ديوانه ٤/ ٩١.

بنا، معشر العافين، ما بكَ من أذى فإن أشفقوا مما أقول فبي وَحْدي[(١)]

آخر:

يا ليتَ علَّته بي غير أنَّ له أجرَ العليلِ وأني غيرُ مأجورِ

ديك الجن:

يا ليتَ حمَّاه بي كانت مضاعفَةً يوماً بشهرٍ وأن الله عافاهُ

فيُصْبحُ السقمُ منقولاً إلى جسدي ويَجْعَلُ الله مِنْهُ البُرْءَ عُقْباهُ[(٢)]

من ذكر شدة ما قاساه بعد ما صح:

عبد الله بن المعتز:

أتاني ببُرْءٍ لم أكنْ فيهِ طامِعاً كَمِثْلِ أسيرٍ حُلّ بَعْدَ وثاقِه

فإنْ كُنْتُ لم أجزَعْ من الموتِ جزعَةً فإني مَجَجْتُ الموتَ بَعْدَ مَذاقِه[(٣)]

تغيُّر اللون:

قال الصولي: لم يسمع أحسن من قول البحتري في صفرة اللون:

بَدَتْ صُفْرةٌ في لونِهِ إنَّ حَمْدَهم من الدرّ ما اصفرّتْ حواشيه في العِقْدِ[(٤)]

أبو تمام:

لم يَشِنْ وَجْهَهُ البهيجَ ولكِنْ جَعَلَتْ وردَ وجنتَيهِ بهارا[(٥)]

أنواع مختلفة في الطب:

اشتكى رجل بطنه فقال النبي ﷺ: «اذهب إلى امرأتك واستوهبْ منها درهمين، واشتر بهما عسلاً، واقرأ عليه القرآن وتناوله». ففعل فبرأ فقيل له في ذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ [النساء: الآية ٤]، وقال في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النّحل: الآية ٦٩]». وقيل في الطعام: إذا خرج من الجوف قبل سبع ساعات، فهو مذموم غير محمود، وإذا بقي بعد أربعة وعشرين ساعة يضر.

وقيل: كل شيء ينام من الإنسان إلاَّ أربعة: الوريد والسحر والمثانة والمعدة. وقال جعفر بن محمد: قيل الطبائع أربع: الدم وهو عبد وربما قتل

(١) ديوانه ص ٧٥٦.
(٢) ديوانه ص ١٣٦.
(٣) ديوانه ٢/ ٥٥٧.
(٤) ديوانه ص ٧٥٧.
(٥) ديوانه ٢/ ٢٦٥ ورواية العجز فيه: «جعلتْ وردَ خَدِّه جُلّنارا». والجُلّنار: زهر الرمّان.

صاحبه، والبلغم وهو خصم ألدّ إن خصمته من جانب احتج عليك من جانب، والصفراء وهي مرة كالصبى ومرة كالملك تداوى في الحالين، والسوداء وهي كالأرض إذا رجفت رجف ما فوقها.

وقيل: إذا كان الطبيب حاذقاً والعليل عاقلاً، فهما فأجدر بالداء أن يزول.

لسعت عقرب سُرْم[1] أعرابي فقيل: أين لسعتك؟ فقال: حيث لا يضع الراقي أنفه. ولسعت آخر فقال أعرابي: عندي دواؤه، فقيل له: ما هو؟ قال: الصياح إلى الصباح.

قيل: فرط الغم والسرور يقتلان، أما الغم فإنه يجمد الدم والسرور يلهبه حتى تعلو حرارته على الحرارة الغريزية. ولما دخل الرشيد طوس اشتدت علته، وطبيبه بختيشوع يغدو ويروح عليه ويعطيه الأباطيل ويمنيه الأماني، ويقول: إن علتك من حدة السفر. فدعاه الفضل يوماً وقال: أبغني رجلاً عاقلاً من التجار أشاوره في أمري وأفضي إليه بسر. فجاءه برجل من أهل طوس فاستنطقه فرآه عاقلاً، فقال: أتحفظ السر؟ قال: نعم. فخلا به وقال: خذ هذه القارورة فأتِ بها جبريل بن بختيشوع، فقلْ له: هذه قارورة أبي فتأمله فإن كان له دواء فعرِّفني، وإن لم يكن له دواء فعرِّفني، فليتجهز ويصلح أمره. فذهب إليه بالقارورة، فلما نظر إليها جبريل أقبل على أبيه وقال: ما أشبه ماءه بماء ذلك الرجل، إن هذا ميت لا محالة! فرجع الرجل وأخبر الرشيد بما قاله، فقال: ويلي على ابن الزانية! يا فضل، اذهب فاضرب عنقه، يعني الطبيب، فأخذه الفضل وحبسه فقال: اتركني محبوساً عندك ثلاثة أيام، فإن عاش فاقتلني وإلاَّ فلا تتقلد دمي. ففعل، فمات الرشيد ليله الثالث.

قال أنوشروان لوزيريه يوماً: أي الفراش ألذ؟ فقال أحدهما: ألذ الفراش الخز محشواً. وقال الآخر: ألذ الفراش الحرير محشواً، وكان بين يديه غلام في عدد الحجاب، فقال: أيها الملك، أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم. قال: ألذ الفراش الأمن. قال: صدقت. قال: فما ألذ الطعام؟ قال: ما لا يهيج على طبيعة

(١) السُّرْم: طرف المعى المستقيم.

علة، ولا يعقد في عنق آكله منَّه. فقال: أحسنت! فما ألذ الشراب؟ فقال: ما لا يزيل عقلاً عن محله، ولا يهيج على طبيعته شيئاً من علله. قال: أحسنت! فما ألذ الريحان؟ قال: الولد السار ريحان أبيه في حياته وخلف له بعد وفاته. فرفع محله وألحقه بأكابر حشمه. وكان بعض الأصبهانيين أصابه صداع، فضمد رأسه بدار صيني وفلفل، فقال له الطبيب: هذا يعمل لرأس يوضع في التنور.

* * *

الحد السابع
في الهمم والجد والآمال

فمما جاء في الهمم الرفيعة والوضيعة

مدح رفع الهمة والحث عليه:

قيل: الهمة تلقح الجلد العقيم. وقيل: الهمة جناح الحظ. وقيل: لا تدور رحى الجد إلاَّ بقطب الهمة، وقيمة كل امرىء همته. وقال عمرو بن العاص: عليك بكل أمر فيه مزلقة ومهلكة، أي بجسام الأمور. قال عمر رضي الله عنه: لا تصغرنَّ همتك، فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته. وقال: أحسن ما قال لبيد:

أَكْذِبِ النفسَ إذا حَدَّثْتُها ... إنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزري بالأَملْ[1]

وقيل: ثلاثة لا تدرك إلاَّ برفع الهمة: عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو.

ابن نباتة:

حاول جسيمات الأمورِ ولا تقلْ: ... إنَّ المحامدَ والعُلى أرزاقُ
وارغَبْ بنفسِك أن تكونَ مُقْصِّراً ... عَنْ غاية فيها الطلابُ سباقُ

المرء تابع لهمته:

المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت، وإن قصر بها اتضعت. نظر رجل إلى برذون يستقى عليه، فقال: ما المرء إلاَّ حيث يجعل نفسه لو هملج في سيره ما استقي عليه.

شاعر:

وما المرءُ إلاَّ حيثُ يجعلُ نفسَه ... ففي صالحِ الأخلاقِ نفسَك فاجعلِ

لبعض بني عامر:

(١) ديوانه ص ١٨٠.

إذا لـم يَكُـنْ لـلـفتـى هِـمَّـةٌ تُـبَـوِّئـه فـي الـعُـلا مَـصْـعـدا
ونـفـسٌ يُـعَـوِّدهـا الـمـكـرمـا تِ، والـمـرء يـلـزم مـا عـوّدا
ولـم تَـعُـدْ هـمـتـه نَـفْـسُـه فـلـيـس يـنـالُ بـهـا الـسُّـؤْددا

من عظمت همته وقصرت موجدته:

قيل: ذو الهمة وإن حط نفسه تأبى إلاَّ العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً. وقيل: أسوأ الناس من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته؛ أخذ ذلك المتنبي فقال:

وأَتـعـبُ خـلْـقِ الله مـن زادَ هِـمَّـةً وقَصَّرَ عما تَشْتَهي النَّفْسُ وُجْدُه(١)

ابن نباتة:

أرى هِمَمَ المرء اكتِئاباً وحَسْرةً عـلـيـهِ إذا لـم يَـسْـعـدِ الله جَـدَّه

الحث على طلب الجسام والاعتزال عن الأنام:

قال في كليلة: ينبغي لذي المروءة أن يكون إمّا مع الملوك مبجّلاً أو مع النساك متبتلاً، كالفيل إما أن يكون مركباً نبيلاً أو في البرية مهيباً جليلاً. وقال حكيم: الناس رجلان: دنياوي وأخري، فالدنياوي صاحب سلطان وذو لسان أو سنان لا يفضي على هوان، والأخري المتباعد من الناس الجاعل بينه وبينهم سدّاً، ولا واسطة بينهما. وقال معاوية لابنه: كن مترفعاً عن الناس ومستتراً عنهم.

الممدوح بعظم الهمة:

قال أعرابي: فلان يرمي بهمته حيث يشير إليه الكرم، يتحسى مرارة الإخوان ويسقيهم عذبه، له همة تناطح النجوم، وكرم يشامخ الغيوم.

أبو الغمر:

وهِمَّةٍ نَبُلَتْ عَنْ أن يقالَ لها كأنها وتعالتْ عن مدى الهمَمِ

آخر:

ولي هِمَمٌ بيني وبين بلوغِها بحورٌ من الآمال ليسَ لها جِسْرُ

المتنبي:

لـه هِـمَـم لا مُـنْـتـهـى لـكـبـارِهـا وهمتُه الصغرى أجلُّ مِنَ الدهرِ(٢)

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٢٢. وفي المطبوع «ويقصر». والوُجْد: السَّعة.

(٢) ليس في ديوانه.

وله:

فتى أصابَ منَ الدنيا نهايتَها ... وهَمُّهُ في ابتداءات وتشتيتِ[(١)]

آخر:

صدرٌ رَحيبٌ لما يأتي الزمانُ به ... وهمةٌ تسعُ الدنيا وما تسعُ

من ضاق به الزمان لعظم همته:

المتنبي:

فتى يَشْتَهي طول البلادِ، ووقتُه ... تَضيق به أوقاتُه والمقاصدُ[(٢)]

وله:

تجمعَتْ في فؤادِهِ هِمَمٌ ... ملءُ فؤادِ الزمانِ إحداها[(٣)]

الموسوي:

ضاقَ الزمانُ فضاقَ فيه تقلُّبي ... والماءُ يَجْعَلُ نفسَه في جَدْولِ

تحمل المكاره في نيل المكارم:

قيل: المكارم موصولة بالمكاره. وقيل: من سما لمكرمة، فليتحمَّلْ مكروهها.

الخبزأرزي:

فقلْ لمرجي معالي الأمور ... بغير اجتهادٍ: رَجَوْتَ المُحالا!

أبو تمام:

ما ابيضّ وجهُ المرءِ في طَلَبِ العلا ... حتى يُسَوَّدَ وَجْهُهُ في البيدِ[(٤)]

وقيل: إذا لم تتعن لم تنودع، وإذا لم تنفجع لم تتمتع. دون نيل المعالي هول العوالي. وقيل للربيع بن خيثم: أتعبت نفسك في العبادة وإصلاح أمر الناس. فقال: راحتها أريد، فإن أفره العبيد أكسبهم لمولاه. وقيل لروح بن حاتم: طال وقوفك في الشمس! فقال: ليطول وقوفي في الظل. وقد أجمع حكماء العرب والعجم أنه لم يدرك نعيم بنعيم قط، وما أدرك نعيم إلاَّ ببؤس قبله.

شاعر:

وتحمُّل المكروهِ ليس بضائرٍ ... ما خِلْته سبباً إلى محمودِ

امرؤ القيس:

---

(١) ليس في ديوانه.

(٢) ديوانه ١/ ٣٩٨.

(٣) ديوانه ٤/ ٤١٣.

(٤) ديوانه ٢/ ٤١٦.

فلو أنَّ ما أَسْعى لأدنى معيشةٍ كفاني، ولم أطلبْ قليلاً مِنَ المالِ[١]

المتنبي:

إذا غامرت في شرفٍ مرومِ فلا تقنع بما دون النجوم
فطعمُ الموت في أمرٍ صغيرٍ كطعم الموتِ في أمرٍ عظيمِ[٢]

وله:

عَلَى قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تَأتي العَزَائِمُ [وتأتي على قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمِ][٣]

الصاحب:

وقائلةٍ: لِم عَرَتْكَ الهمومُ وأَمرك ممتَثلٌ في الأمَمْ؟
فقلت: دَعيني على غُصَّتي بقَدْرِ الهموم تكون الهِمَمْ[٤]!

وكتب بليغ: فلان تعب في طلب المكارم غير ضالّ في طرقها، ولا متشاغل عنها.

استطابة تحمل الشدة للوصول إلى الرفعة:

المتنبي:

تَلَذُّ له المروءَةُ وهي تؤذي ومن يعشَقْ يَلَذّ له الغرامُ[٥]

أبو فراس:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا ومَنْ يخطبِ الحسناءَ لم يُغْلِها المهرُ[٦]

أبو دلف:

وليسَ فراغُ القلبِ مجداً ورِفْعةً ولكنَ شغلَ القلبِ للْهَمّ دافعُ
وذو المجدِ مَحْمولٌ على كلّ آلةٍ وكُلُّ قَصير الهمّ في الحيّ وادعُ[٧]

ذم من همته نفسه:

لما قال الحطيئة في الزبرقان:

دَعِ المكارِمِ لا تَرْحَلْ لبُغيَتِها واقْعُدْ فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسي[٨]

---

(١) ديوانه ص ٣٩.
(٢) ديوانه ٤/ ٢٤٥.
(٣) ديوانه ٤/ ٩٤.
(٤) ديوانه ص ٢٨٠.
(٥) ديوانه ٤/ ١٩٥.
(٦) ديوانه ص ١٤٥. وفي المطبوع «يغله» وهذا تحريف.
(٧) ديوانه ص ٧٩. وفي المطبوع «رافع»، وهذا تصحيف.
(٨) ديوانه ص ١٠٨.

شكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر: ما في ذلك هجاء! فقال: يا أمير المؤمنين، إنه عراني عما ابتنيته من المعالي، فدعا حساناً وسأله، فقال: ما هجاه، ولكنه سلح عليه.

حاتم:

لحى الله صُعْلوكاً مُناهُ وهمُّه مِنَ العيشِ أن يلفى لبوساً ومطعما[١]

آخر:

إني رأيتُ مِن المكارمِ حسبكم أن تلبسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا
فإذا تُذوكِرَتِ المكارِمُ مرةً في مجلسٍ أنتم به فَتَقَنَّعوا

ابن سوادة:

همّهم من هذِه كلِّه في الأَكلِ والشربِ وفي الباهِ[٢]

أخذ ذلك من قول الأعرابي الذي قال: فلان كالبهيمة تأكل ما جمعت، وتنكح ما وجدت. وقال:

إذا الفتى لم يركبِ الأهوالا فاسْعَ له وعُدَّه عِيالا

ذم من قصرت همته عن طلب المعالي:

ذم أعرابيّ رجلاً فقال: هو عبد البدن حر الثياب، عظيم الرواق صغير الأخلاق، الدهر يرفعه وهمته تضعه.

أبو تمام:

بنوا لِهِمَمِ الهوامدِ والنفوسِ الخوامدِ والمروءاتِ النيام[٣]

وكان لأعرابيَة ابن تحرضه على الإقامة والاقتصار على المطعم والمشرب فأنشدها:

إذا ما الفتى لم يبغ إلاَّ لباسَه ومطعمَه فالخيرُ منه بعيدُ

وقيل: فلان بطر الدعة بخيل السعة سيِّىء الرعة. قال ابن الأعرابي: فلان يشبعه كراع الأرنب. إذا كان دنيء الهمة. ويقرب من هذا الباب ما قاله المنصور للمهدي: اشبع العباس بن محمد، فإنك إن لم تشبعه يأكلك، وأما محمد بن إبراهيم فإنه إذا قدر على فرج امرأته لم يفارقه، وإياك أن تولي محمد بن سليمان

---

(١) ديوانه ص ٢٢٥.
(٢) الباه: النِّكاح.
(٣) ديوانه ٢/ ١٤١. والرواية فيه:
ذوي الهمم الهوامِدِ والأكُفِّ الـ ـجوامِدِ والمُرُوّاتِ النِّيامِ

صعود منبر، فإنه إن صعده همّ بالخلافة.

تذمم من قصر في طلب المعالي:

المتنبي:

إلى كم ذا التخلفُ والتواني وكم هذا التمادي في التمادي؟
وشُغْلُ النفس عَنْ طلب المعالي يبيعُ الشعْرَ في سوقِ الكسادِ[1]

ذم إيثار الدعة والنهي عنه:

قال: ما لزم أحد الدعة إلاَّ ذلّ، وحب الهوينا يكسب الذل، وحب الكفاية مفتاح العجز. وقال الصاحب: إن الراحة حيث تعب الكرام أودع لكنها أوضع، والقعود حيث قام الكرام أسهل لكنه أسفل.

آخر:

فتى بهمَّتِهِ يلتَذُّ في دَعَة وراحة، ويولي غيرَه التعبا

أبو دلف:

ليس المروءَةُ أن تبيت منعَّماً وتظلُّ معتكفاً على الأقداح
ما للرجالِ وللتنعم؟ إنما خلقوا ليوم كريهةٍ وكفاحِ[2]!

قال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله لئلا أتعود العجز.

ذم الكسل وتدرع العجز:

قال الأحنف: إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تُؤَدِّ حقاً، وإن ضجرت لم تصبر على حق.

شاعر:

لا تَضْجَرَنّ ولا تدْخلك مُعْجزةٌ فالنجحُ يهلكُ بين العجزِ والضجرِ

وقيل: زُوِّجَ العَجْز التواني فنتج بينهما الحرمان.

ابن المعافى:

كأن التواني أنكحَ العجزَ بنتَه وساق إليها حين أنكحَها مهرا
فراشاً وَطيئاً ثم قال له: اتكىء فقصراكما لا شكّ أن تَلِد الفقرا[3]

---

(١) ديوانه ٢/ ٧٧.

(٢) ديوانه ص ٥٩.

(٣) البيتان لأبي المعافى في عيون الأخبار ١/ ٣٥١؛ وديوان المعاني ٢/ ١٩١؛ وهما لمحمد بن حازم في المناقب والمثالب (رقم ٩٧٥)، وليسا في ديوانه.

آخر:

خاطِرْ بنفسِك لا تنقعْ بمعجزةٍ   فليسَ حُرٌّ على عَجْزٍ بمعذورِ

مدح إيثار الدعة وقصر الهمة:

قيل لابن المقفع: لمَ لا تطلب الأمور العظام؟ فقال: رأيت المعالي مشوبة بالمكاره، فاقتصرت على الخمول ضَنّاً بالعافية؛ ومنه أخذ العتابي قوله:

دعيني تَجِئْني مَنِيَّتي مطمئنةً   ولم أَتجشَّمُ هَوْلَ تِلْكَ الموارِدِ
فإنَّ جُسَيماتِ الأمورِ مَشوبةٌ   بمسْتَودعاتٍ في بطونِ الأساوِدِ[1]

مدح الخمول مع الغنى:

قيل لحكيم: من أنعم الناس عيشاً؟ فقال: من اتسعت قدرته وقصرت همته. وقال عبد الملك لأعرابي: تمن. فقال: العافية والخمول، فإني رأيت الشرّ إلى ذي النباهة أسرع. فقال: ليتني كنت سمعت هذه الكلمة قبل الخلافة. وقيل لسعد: أرضيت أن تكون مشغولاً بأغنامك والناس يتنازعون الملك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب الغنيّ التقيّ الخفيّ».

قال البريدي:

وما العيشُ إلاَّ في الخمول مَعَ الغنى   وعافيةٍ تغدو بها وتروحُ

بعضهم: جربنا العيش فوجدناه أهنأه أدناه. وقال محمد ابن زبيدة: أتروني لا أعرف الإيراد والإصدار؟ ولكن شرب كأس وشم آس واستلقاء من غير نعاس أحب إليّ من مداراة الناس.

مدح التوسط في الأمور:

مدح الله تعالى التوسط في كل الأمور، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣]. وقال النبي ﷺ: «خير الأمور أوسطها». وقيل: الغلو في العلو مؤدٍّ إلى وضع الضَّعة. وقيل: أكثر الخير في الأوساط.

أبو العتاهية:

عليكَ بأوساطِ كلِّ الأُمورِ   وعَدِّ عنِ الجانبِ المشتبهِ[2]

(١) ديوانه ص ٦٥.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

ذم التوسط:

كشاجم:

وقالوا: عليكَ وسيط الأمور فقلتُ لهم: أكْرَهُ الأوسطا
إذا لم أكُنْ في ذُرا شاهقٍ ولا في حَضيضٍ وطيء المطا
وحاولتُ في مرتقى هائِلٍ تَوَسُّطُه خِفْتُ أن أسقطا[1]

وقيل: مما يُسْتقبح: معنى وسط، ومغنٍّ وسط، ونادرة وسط، وحقيقة الوسط ما لم يكن سنياً ولا دنيئاً كما قال أبو مهدية الأعرابي، وقد سئل عن طعام فقال: ليس بخسيس ولا نفيس. وقيل لإسحاق الموصلي: قد خبرت فلاناً، فكيف هو؟ فقال: ليس في الكمال كما تهوى، ولا في التخلف كما تخشى.

ذم بلوغ النهاية:

عند التمام يكون النقصان، وبقدر السموّ في الرفعة تكون وجبة الوقعة.

شاعر:

إذا تَمَّ أمْرٌ بدا نَقْصُه تَوَقَّعْ زوالاً إذا قيل: تَمّ[2]

وفي بعض الأدعية: صَرَف الله عنك التمام. وقال المأمون لأحمد بن أبي خالد وهو يخلف الحسن بن سهل: رأيت أن أستوزرك. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني ويجعل بيني وبين الغاية منزلة يرجوني إليها المولى، ويخشاني لها العدو، فما بعد الغايات إلاّ الآفات.

ومما يضاد هذا الباب ما كتب القاسم بن عبد الله الكرخي: ولي فيما جدد الله من هذه النعمة للوزير من بلوغ النهاية ما أستديمها به. قال: انتزعته من كتاب الله تعالى في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: الآية ٣]. وقد علم أن دين الله بعد نزول هذه الآية لم يزل نامياً عالياً على كل دين، وأنه إنما ضرب بجرانه وقهر الأمم شرقاً وغرباً بعد كماله.

* * *

مما جاء في الجد

تفضيل الجد على الجِد:

قيل:

---

(١) ديوانه ص ٢٠٣.

(٢) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٨٦.

جَدُّكَ لا كَدُّكَ[١] عارك بجَدٍّ أو دَعْ[٢]. وقيل: لا جَدَّ إلاَّ ما أقعص عنك. الجد أجدى والجدُّ أكدى. وقيل: مُدٌّ من حظ خير من صاعٍ من عقلٍ وجِدّ.

البديهي:

لیسَ يُجْدي عليك سَعْي بِجدٍّ لـم تُـيَـسِّـرْ لـه مـلاقـاةُ جَـدّ

وقيل: الحظ يأتي من لا يؤمه:

لـيـس بـالـكَـدِّ بـلـوغُ الـراغـبِ

آخر:

الجدُّ أنهضُ بالفتى من سَعْيهِ فانهضْ بجدٍّ في الحوادثِ أو دعِ

آخر:

هل نافعي جِدّي وفرطُ تيقظي إنْ كان جَدِّي يا أمامةُ جاهدا

وأنشد محمد بن عمر الوراق البلخي:

إنَّ الـسـعـادةَ أمـرٌ لـيـس يُـدركُـه أهـلُ الـسـعـادةِ إلاَّ بـالـمـقـاديـرِ
مَـخزونـةٌ عـن أنـاسٍ طـالـبـين لـهـا وقـد تُـسـاق إلـى قَـوم بـتَـيْـسـيـرِ

وقال عمر للنبي ﷺ: لما ذُكر من أسعده الله من أهل الجنة وأشقاه من أهل النار: ففيم العمل يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا ابن الخطاب، اعملْ، فكلٌّ ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فميسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فميسرون لعمل أهل الشقاوة».

تفضيل الجد على العقل:

تقدم إخوة إلى سوار في ميراث لهم، فقال سوار: خيروا الأكبر منكم، فإنه خلف أبيكم، والمنظور إليه دونكم. قالوا: قد فعلنا، فأبى الأكبر أن يقبل ذلك، فقال سوار: ما يمنعك؟ فقال: إني بحظي أوثق مني بعقلي، فأقرع بينهم، فخرج سهمه خيراً من سهامهم، فقال: كيف رأيت؟ فقال سوار: استأذن العقل على الحظ فَحَجَبه. وقد تقدم في باب العقل أمثلة لذلك.

كون العاقل محدوداً والجاهل مجدوداً:

من زيد في عقله نقصَ من حظه. وقيل: ما جعل الله لأحد عقلاً وافراً إلاَّ

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في فصل المقال ص ٢٨٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٧٢.
(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ٢/ ٤٣؛ والمستقصى ٢/ ١٥٦.

احتسب عليه من رزقه.

شاعر:

وخَصْلةٍ قلّ فيها من يخالفُني ... الرزقُ والحمقُ ملزومانِ في قَرَنِ

آخر:

خاب امرؤٌ ظلَّ يرجو أن ينالَ غنى ... بالعقلِ ما عاش في دَهْرِ المجانين

المتنبي:

وما الجمعُ بين الماءِ والنار في يدي ... بأبعدَ مِن أن أجمَع الحظَّ والفَهْما[١]

معارضة دنيء ساعده القدر:

ألا ليتَ المقادرَ لم تقدّرْ ... ولم تكن الأُحَظَّى والجدود

فَنَنْظُر أينا يُضْحي ويمسي ... له هذي المراكبُ والعبيدُ

وقيل لرجل: كيف فلان؟ فقال: أحمق مرزوق. وقيل لآخر فقال: عيّ غني حظي.

الجد يحسن القبيح ويقرب البعيد:

قيل: إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت، سلبته محاسن نفسه.

شاعر:

إن المقاديرَ إذا ساعدَتْ ... ألحقتِ العاجزَ بالحازِمِ[٢]

وقيل: السبب الذي يتقدم به المجدود هو السبب الذي يتأخر به المحدود.

أبو الشيص:

يخيبُ الفتى مِن حيثُ يرزقُ غيرُه ... ويُعطَى الفتى من حيثُ يحرَمُ صاحِبُه[٣]

الموسوي:

لا تحدثنْ طمعاً وجدُّكَ مدْبرٌ ... واطلبْ مدى الدُّنيا وجدُّكَ مقبلُ

تعسر الأمر على من خذله جده:

قيل: إذا لم يساعد الجد، فالحركة خذلان. وقيل: إذا ولت الدول، صارت الحيل وبالاً.

---

(١) ديوانه ٤/ ٢٣٤.

(٢) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٨٢.

(٣) ديوانه ص ٣٢.

شاعر:

إذا كان جدّ المرءِ في الشيء مُقْبلاً تأتّتْ له الأشياءُ مِن كل جانبِ
وإنْ أدبرَتْ دنياهُ يوماً توعَّرَتْ عليهِ فأعيَتْهُ الأشياءُ وجوهُ المطالِبِ[١]

قال ثمامة: لما أخبر يحيى بن خالد بتغير الرشيد له، كان يحتال في تخليص روحه، فأمرني يوماً بالحضور معه، فاجتمعنا على الرأي، فكلما أتى الرأي، نقض عليه آخر حتى أعيانا الأمر، فقام وقال: أفّ لهذه الدنيا، كان الرأي يجيئنا على البديهة والأمر مقبل، فصار لا يأتينا على الروية والأمر مدبر، ليصنع الدهر ما شاء! وقيل: إذا أراد الله تعالى أن يزيل عن عبده نعمة، فأوَّلُ ما يزيل عنه عقله.

البديهي:

إذا المقادير لم تقبَل مُساعدةً على بلوغ المنى لم تنفعِ الهِمَمُ

وقال مخنث: إذا جاء البخت توقف البيضة على أعلى الوتد، وإذا أدبر البخت أسق الهارون في الشمس.

تأسف من جد جده ولم يساعده جده:

أبو تمام:

ماذا علي إذا ما لم يزل وتري إن نال في الرمي أغراضي فَلَمْ أُصبِ[٢]

آخر:

لم أوتَ ويحَكَ مِنْ سعيٍ فلا تلمِ المنعُ من جانبِ الأقدارِ والقَسَمِ

آخر:

تكاملَ فيّ آلة كلِّ حُرٍّ ولكنْ لا يساعدُني الزمانُ

الموسوي:

غرستُ غروساً كنت أرجو لَحاقَها وآملُ يوماً أن تطيبَ جناتها
فإن أثمرَتْ لي غيرها كنتُ آمِلاً ولا ذنب لي إن حنظَلَتْ نخلاتُها

المجدود:

قال معاوية لما أتاه خبر موت أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه: لا جد إلاَّ ما أقعص عنك.

(١) البيتان بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٨٢.
(٢) ديوانه ٢/ ٤٣٥.

شاعر:

وكانت قريشٌ يفلق الصخرَ جدّها ... إذا أقلق الناسَ الجدودُ العواثرُ

أبو تمام:

ورثوا الأبوةَ والحظوظَ فأصْبَحوا ... جَمَعوا جُدوداً في العلا وجدودا[1]

وقيل: إنه لما قال ذلك أجمع الأدباء أنه أشعر أهل زمانه.

عابدة المهلبية:

ولو أَرسلْتَ نَبْلَكَ ناصلاتٍ ... لصارت في الطريقِ لها نُصولُ

التوفيق:

قال عمر رضي الله عنه: توفيق قليل خير من مال كثير. وقيل لبزرجمهر: أيّ الناس أفضل؟ فقال: مجتهد في الخير ساعده القدر. وقيل لحكيم: ما الشيء الذي لا يستغني عنه المرء في كل حال؟ فقال: التوفيق من حرم التوفيق، فأقطع ما يكون إذا اجتهد. وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن أمره؟ فزعق زعقة ثم أنشد:

مَنْ لم يَكُنْ للوصالِ أهلاً ... فكلّ إحسانِه ذنوبُ

وقال بعض الصوفية: إن العنايات لا تضر معها الجنايات. وأنشد الشبلي:

ويَقْبُح مِن سواكَ الشيءُ عِندي ... وتَفْعَله فيحسُنُ مِنْك ذاكا

سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من الجهد.

بطلان الجد والتدبير مع القضاء والقدر:

قيل: إذا جاء الحين حار العين[2]، وإذا جاء القدر عمى البصر[3]. المرء طالب والقضاء غالب. إذا انقضت المدة لم تنفع العدة. إذا نزل البلاء ذهبت الآراء. إذا حلت المقادير ضلّت التقادير. إذا حلّ القدر بطل الحذر.

لما حج أبو مسلم قيل له: إن بالحيرة نصرانياً، أتت عليه مائتا سنة، وعنده علم من علوم الأوائل، فقصده، فلما نظر إلى أبي مسلم، قال له: قمت بالكفاية، ولم تأل في العناية حتى بلغت النهاية، أحرقت نفسك لمن لا يرحم حسك، وكأني بك وقد عاينت رمسك. فبكى أبو مسلم فقال: لا تبكِ، فإنك لم تؤت من حزم وثيق ولا من

---

(١) ديوانه ١/ ٢٢٢.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ١١٨؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٠.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ١١٨؛ والمستقصى ١/ ١٢٣.

رأي دقيق، ولا من تدبير بارع ولا من سبب قاطع، ولكن ما استجمع لأحد أمله إلاَّ أسرع في تفريقه أجله. قال: فمتى يكون؟ قال: إذا تواطأ الخليفتان على أمر والتقدير في يدي من يبطل معه التدبير، وإذا صرت إلى خراسان فقد سلمت وهيهات، فلولا أن البصر يعمى إذا نزل القدر، لكان في ذلك ما يبعث على الاحتيال.

انتهى أعرابي إلى أرض، فقيل له: أنها مَفْعاة[١]. فبات على ظهر راحلته، فتعلقت حية بنسعة[٢] كانت في يده فلسعته، فقال وهو يجود بنفسه:

لَعَمرُك ما يدري امرؤٌ كيف يتقي ... إذا هو لم يَجْعَلْ له الله واقيا[٣]

ولأمير المؤمنين رضي الله عنه:

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليهِ اجتهادهُ[٤]

آخر:

سَبَقَ القضاء بكُلِّ ما هو كائنٌ ... فليجهدِ المتقلبُ المحتالُ[٥]

ابن نباتة:

وإني إذا ما حاجةٌ حالَ دونها ... نهارٌ وليلٌ ليس يعتورانِ

حملتُ على سوءِ القضاءِ ملامَها ... ولم أَلزمِ الإخوانَ ذنبَ زماني

إذا الله لم يأذن بما أنتَ طالبٌ ... أعانك في الحاجاتِ غير معان

قيل: القضاء يقرب البعيد ويبعد القريب. قال شاعر:

وقد يجلب الشيءَ البعيدَ الجوالبُ

وقيل: إذا كان المقدور كائناً فالهمّ فضل. وكان نقش خاتم أبي العتاهية: سيكون الذي قضي سخط العبد أم رضي.

* * *

ومما جاء في الأماني والآمال

ما يدل على جواز التمني:

قال الله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا

---

(١) أي: مليئة بالأفاعي.
(٢) النسعة: حَبْل أو سير من جلْد عريض تُشَدُّ به الرِّحال.
(٣) البيت لأفنون التغلبي في نهاية الأرب ٣/ ٦٩.
(٤) ديوان الإمام علي، ص ٦٣.
(٥) البيت لأشجع السلمي ص ٢٤.

وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريَم: الآية ٢٣] فدل أن تمني ما لا يكون محظوراً مباح. وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: الآية ١]. وسمع ذلك رجل من الصالحين فقال: يا ليت ذلك تم.

طيب الأماني والآمال:

قيل لبعض من كان يخطب عملاً: ما تصنع؟ قال: أخدم الرجاء حتى ينزل القضاء. قيل: ليس سرور النفس بالجدة والمقدرة إنما هو بالأماني والآمال. وقيل لحكيم: أي شيء أدوم امتناعاً؟ فقال: الأماني. وقال رجل من بني الحارث:

منًى إن تكنْ حقاً تكنْ أحسنَ المنى وإلاَّ فقد عِشنا بها زمناً رغْدا
أماني من سعدٍ حساناً كأنما سقتك بها سعدى على ظمأ بردا[1]

آخر:

إذا ازدحَمتْ همومي في فؤادي طَلَبْتُ لها المخارجَ بالتَمنّي

آخر:

في المنى راحةٌ وإن علَّلتْنا مِنْ هواها ببعض ما لا يكونُ

ذَمّ الأماني وبطلانها:

قيل: إياك والمنى، فإنها بضاعة النوكى. الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين، . الخذلان مسامرة الأماني، والتوفيق رفض التواني. ابن المقفع: كثرة المنى تخلق العقل وتطرد القناعة وتفسد الحس. وقال أمير المؤمنين كرَّم الله وجهه: تجنبوا المنى فإنها تذهب ببهجة ما خولتم وتصغر مواهب الله التي رزقتم. ثلاث تخلق العقل وفيها دليل على الضعف: سرعة الجواب، وطول التمني، والاستغراب في الضحك، قال رجل لابن سيرين: رأيتني كأني أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح. فقال: أنت رجل تكثر الأماني. وقيل: المنى والحلم أخوان. إن المنى طرق الضلال.

[ليتَ شِعْري وأيْنَ مِنِّيَ لَيْتُ] إنَّ لَيْتاً وإنَّ لوّاً عناءُ[2]

كثير:

وددت وما تغني الودادة أنني

---

(١) البيتان لابن ميادة في ديوانه ص ٢٤٥.
(٢) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص ٢٤.

البيتين. محمد بن أمية:

أقطع الدهر بظنٍّ حسْنِ وأجلي كربةً لا تنجلي

وكلما أمّلتُ وَجْهاً صالحاً عرض المكروهُ دونَ الأمَلِ

وكَذا الأيامُ لا تدني الذي أرتجي مِنْك وتدني أجلي

البسامي:

أُعللُ نفسي بما لا يكونُ كما يفعلُ المائقُ الأحمقُ

المتنبي:

تَمَنٍّ يَلَذُّ المُسْتَهامُ بمثلِه وإن كانَ لا يُغْني فتيلاً ولا يُجدي[١]

أبو تمام:

من كان مرعى عزمِه وهمومِه روضُ الأماني لم يزل مهزولا[٢]

آخر:

[إذَا تَمَنَّيتُ بِتُّ اللَّيْلَ مُغْتَبِطاً] إنَّ المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ[٣]

أفنون التغلبي:

ولا خير في أن يكْذبَ المرءُ نفسَه وتَقْواله للشيء: يا ليت ذا لِيا[٤]!

أماني من تمنى أمراً فأدركه:

اجتمع ابن عمر وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة، فقال مصعب: هلموا نتمنَّ. فتمنى عروة الفقه، وأن يحمل عنه الفقه، وتمنى عبد الملك الخلافة، وتمنى مصعب ولاية العراق وتزويجه سكينة بنت الحسين بن علي وعائشة بنت طلحة، وتمنَّى عبد الله بن عمر الجنة؛ فنال مصعب وعبد الملك وعروة ما تمنوا، وشهد ابن عمر رضي الله عنهما مدرك ما تمناه وطلبه.

وروي أن كعب بن ربيعة بن عامر أتاه آت في المنام فقال: اجمع بنيك ومرهم بالتمني، فإنهم يعطون. فجمعهم، فقال لعقيل: تَمَنَّ، فقال: العدد والرمي، فليس في بني كعب أكثر عدداً منهم ولا أرمى. وقال لجعدة: تَمَنَّ،

(١) ديوانه ٢/ ١٦٢.
(٢) ديوانه ٢/ ٣٣.
(٣) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٢٨٢.
(٤) ديوانه ص ٢٠٢.

فقال: المال؛ فهم أكثر بني كعب خيلاً وإبلاً، وهم أهل رضاخ وضرية والفلج. وقال لقشير: تمنَّ، فقال: البقاء والجمال؛ فهم أجمل بني كعب ويكثر فيهم ذو السن، وذو الرقية منهم أدرك الإسلام وله مائة وعشرون سنة وله ألف من ولده، هذا يقول: يا أبتاه، وذا يقول: يا جداه. وقال لحريش تمنَّ، فقال: النعظ؛ فهم أنكح بني كعب. وقال لخبيب تمنَّ، فقال: المودة من إخوتي فيما بينهم وأن لا يؤثروا بهم. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله نسأل الله أن يعطينا منانا بعد أن يوفقنا لتمني ما فيه مصالحنا.

من ذكر قلة مبالاته بالمنية لإدراكه قاصية الأمنية:

قال الله تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ١٠١].

قيس بن الخطيم:

متى يأتِ هذا الموتُ لا تلفَ حاجةً ... لنفسي، إلاَّ قد قَضَيْتُ قضاءَها[١]

ونحوه:

أدركتُ في الدهرِ أياماً بلغتُ بها ... رضا الشبابِ الذي قد كانَ عاصاني

وقال منصور بن طلحة بن عامر: رأيت عبد الله بن طاهر في المنام بعد موته، فقلت له: ما خبرك أيها الأمير؟ فقال:

مِنْ كُلِّ شيءٍ قَضَتْ نفسي لُبانَتَها ... فإذا أتاني رآني قاضياً أجلي

زهير بن جناب الكلبي، وكان من المعمرين:

مِنْ كُلِّ ما نالَ الفتى ... قد نِلْتُهُ إلاَّ التَّحيَّهْ[٢]

طيب إدراك المنى:

في المثل: أطيب من نيل المنى وإدراك الأمل. وقيل: ليس بعد بلوغ المنى إلاَّ نزول المنية، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: الآية ٤٤].

أبو الفتح بن العميد:

إذا المرءُ أدرك آمالَه ... فليس له بعدَ ذا مقترَحْ

---

(١) ديوانه ص ٤٩. (٢) ديوانه ص ٢١٠.

أماني قوم بحسب أحوالهم:

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر: ما تتمنى؟ فقال: لواء منشور، وجلوس على السرير، وسلام عليك أيها الأمير. وقيل لعبد الله بن الأهتم ذلك فقال: رفع الأولياء، وقمع الأعداء، وطول البقاء، مع القدرة والنماء. وقيل ذلك للفضل به سهل فقال: توقيع نافذ، وأمر جائز.

وقيل لحكيم: تمنَّ، فقال: محادثة الإخوان وكفافاً من عيش والانتقال من ظل إلى ظل. وقيل ذلك لمطرف فقال: مركب وطيّ ومطعم شهيّ وملبس دفيّ. وقيل لآخر فقال: شواء مستنشل، وغناء مسترسل، ونكاح مستعجل. وقال بعضهم: العيش كله في صحة البدن وكثرة المال وخمول الذكر. وقيل لحكيم فقال: هوى وافق حقاً. وقيل لرجل فقال: أن تعطي جوارحك لذاتها.

وقيل لأعرابي فقال: خباء في أرض خلاء، وكلب إذا أصابه المطر زاحمني فيه. وقيل لابن سنان فقال: ليل طويل الطرفين أقرن بينهما بذكر الله تعالى. وقيل لمأبون[1] فقال: لذة الأبنة وحك الجرب فمن حرمهما فقد حرم لذات الدنيا! نعوذ بالله من بعض الأماني.

أماني البُلْه:

شاعر:

إذا تـمـنَّـى مـائـقٌ أُمـنـيـةً تَحَسَبُها كائنةً مقضِيَّهْ[2]

قال الأصمعي: قال شيخ من بني العجيف: إني تمنيت أن أبني داراً، فمكثت أربعة أشهر للدرجة أين أضعها. ومر الحجاج ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن، وهو يتمنى يقول: أنا أبيع هذا اللبن بكذا درهماً، وأشتري به كذا ثم أبيعه ثم يكثر مالي، ويحسن حالي، وأخطب إلى الحجاج ابنته، فأتزوج بها، فتلد لي ابناً، فأدخل عليها يوماً فتخاصمني، فأضربها برجلي هكذا، ومد رجله فكسر البستوقة، فقرع الحجاج بابه واستفتحه فضربه خمسين وقال: أليس لو ضربت بنتي بوكزة هكذا، لفجعتني بها!.

نوع من الأماني:

قال الوليد بن عبد الملك لبديع المغني: خذ بنا في الأماني فلأغلبنك. فقال: والله لا تغلبني فيها أبداً إني أتمنى كفلين من العذاب، وأن يلعنني الله لعناً

(١) المأبون: الذي يُلاط.
(٢) المائق: الأحمق.

يشن على من خلفي ومن قدامي أتمنى مثله؟ فقال: غلبتني لعنك الله!.

وقيل لرجل: أيسرك أن يكون لك ألف درهم؟ فقال: نعم، وأضرب مائة. فقال: وضرب المائة لمه؟ فقال: لأنه لا يكون شيء إلاَّ بشيء. وقيل: كان رجل يطلبه الحجاج فمر بساباط فيه كلب فقال: ليتني كنت هذا الكلب، فأستريح من الغم والخوف، فما لبث أن جيء بذلك الكلب وفي عنقه حبل. وقيل: ورد كتاب الحجاج يأمر فيه بقتل الكلاب.

وقعد ابن أبي عتيق فقال: ليت لنا لحماً فنطبخ سكباجاً. فما لبث أن جاء جار له بصحفة فقال: اعطونا قليل مرق! فقال: إن جيراننا يشمون رائحة الأماني.

التحذير من طول الأمل:

قال النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وبعد الأمل، أما الهوى فيعدل عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة». ما أطال عبد الأمل إلاَّ أساء العمل. من جرى في عنان أمله فعاثر لا شك بأجله. الآمال مصائد الرجال. ووجد على حجر مكتوب: يا ابن آدم، لو رأيت ما بقي من أجلك، لزهدت في طول ما ترجوه من أملك.

تبكيت من أطال الأمل:

أقام معروف الكرخي الصلاة فقال لمحمد بن ثوابة: تقدمْ. فقال: إن صليت بكم الصلاة، لم أتقدم بعده. فقال: وأنت تحدث نفسك بصلاة أخرى؟ نعوذ بالله من طول الأمل، فإنه يمنع من خير العمل، مَنْ عَدَّ غداً من أجله فقد أساء.

نفع طول الأمل في الورى:

قال النبي ﷺ: «الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً». ومن هذا أخذ الحسين رضي الله تعالى عنه: لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته لخربت الدنيا. وقال مطرف: هذه الغفلة رحمة، فلو دخل الناس الخوف من الموت ما انتفعوا بدنياهم.

مضرة انقطاع الأمل:

قيل: أعظم المصائب انقطاع الرجاء. وقيل لبزرجمهر: ما الذي يشدد البلاء على الناس؟ فقال: القنوط والاستبسال؛ قيل: فما الذي يهونه عليهم؟ قال: الرجاء وحسن الظن. قال النظام: كنا نلهوا بالأماني وتطيب أنفسنا بها، فذهبت من بعد وانقطع الأمل.

بقاء الأمل والمنى ببقاء الحياة:

قيل: لا ينقطع رجاء المرء ما لم تنقطع حياته. وقيل: الأمل يساوق الأمل. قال علقمة:

والعيشُ شُحٌّ وإشْفاقٌ وتأميلُ[(١)]

ومثله:

العيشُ إن تجلُ عنه كلُّه تَعَبٌ   والمرءُ إن قَرَّ عيناً كلُّه أَملُ

قال بشار: الإنسان لا ينفك من أمل، فإن فاته عُوِّل على الأماني، فالأمل نفع نسيب والهوى لا يكون نسيباً، وبابه مفتوح لمن يكلف الدخول فيه.

تضمن الرجاء للخوف:

قيل: خوف وقوع المكروه مقرون برجاء السلامة. كل رجاء متضمن للخوف، ولذلك استعمل كل واحد منهما موضع الآخر. وقول الهذلي:

إذا لسَعْتهُ النحلُ لم يرجُ لَسْعَها   [وخالَفَها في بيتِ نوبٍ عوامِلِ][(٢)]

أي: لم يخف. وقيل: لا ينبغي للعاقل أن يسرّ بالرجاء، فإنه مشوب بالذعر، والسرور به غرور، وإن خاب أضعف الإكداء عليه الغم.

* * *

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في شرح أشعار الهذليين ١/ ١٤٤. والنوب: التي تنتاب المرعى، لا واحد لها. عوامل: تعمل العَسَل والشَّمْع.

الحد الثامن
في الصناعات والمكاسب والتقلُّب والغنى والفقر

فمما جاء في الحرفة

مدح الحرفة وفضلها:

قال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: ما المروءة فيكم؟ قالوا: العفة والحرفة. وقال النبي ﷺ: خير الكسب كسب اليد لمن نصح. وكان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى رجل سأله: أله حرفة؟ فإذا قال: لا، سقط من عينه.

ونظر عمر رضي الله عنه إلى أبي رافع وهو يقرأ ويوصغ فقال: يا أبا رافع، أنت خير مني، تؤدي حق الله تعالى وحق مواليك. وقيل لأعرابي ينسج: ألا تستحي أن تكون نَسّاجاً؟ قال: إنما أستحي أن أكون أخرق لا أنفع أهلي، وحرفة يقال فيها خير من مسألة الناس. وقال ﷺ: «إن الله يحب التاجر الصدوق والصانع الناصح لأنه حكيم».

أبو العتاهية:

ولا تَدَعْ مَكْسَباً حلالاً   تكونُ منه على بيانِ[1]

ذم السرقة:

قيل: لا ترج الخير ممن يكون رزقه من ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل، يؤتى يوم القيامة بسوقي فيوزن عمله فتميل به الميزان، فيقول: حولوا إلى الكفة الأخرى، ففي الميزان عيب.

أصناف الصناع وتفضيل بعضها على بعض:

قيل: الناس أربعة: ذو صناعة وزراعة وتجارة وإمارة، وما سوى ذلك فإنهم يغلون الأسعار، ويكدرون المياه. وقال المأمون: السوقيون سفل، والصناع أنذال، والتجار بخلاء، والكتاب ملوك على الناس.

---

(١) ديوانه ص ٣٨٥.

كتب الوليد إلى صاحب الساحل: اجعل الحائك والإسكاف في مرتبة، والحجام والبيطار في مرتبة، والبزاز والصيرفي في مرتبة، والمعلم والخصي في مرتبة، والنخاس والشيطان في مرتبة.

وقيل: ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس: الحياكة والحجامة والدباغة. وقال حبيب بن محمد لمالك بن دينار: لو خيرت في الصناعات، ما كنت تختار؟ فقال: أكون حداداً، فأرى لفح النار لعلي أتقيها. فقال حبيب: كنت أختار أن أكون حفاراً للقبور.

المتولي صناعة تنافيه:

قال شريك بن عبد الله: خمسة من الكبائر، عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة، وخصيّ له امرأة، ومخنث يَؤُمُّ قوماً، وأعرابي أشقر. ومن العجائب: منجم أعمى، وأطروش صاحب خبر، وعطار أخْشم، ومنادٍ أخرس، ومؤاجر أصْلع، وجندي محفوف الشارب، وكناس متعزز، وفيج منقرس، ولحياني ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش، وحجام قليل الفضول، وإمام أمّي، وكحال أرمد. وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحاً لم يحسن السباحة، وقال: من العجائب ملاح غير سابح!.

المتولي صناعة تليق به:

من تمام آلة القاضي أن يكون لحيانياً، والقاص أن يكون أعمى شيخاً بعيد الصوت، والزامر أن يكون أسود، والمغني فاره الدابة براق الثوب عظيم الكبر سيّيء الخلق، والشاعر أن يكون أعرابياً، والداعي إلى الله أن يكون صوفياً. من عمل عمل أبيه، كفي نصف المعاش.

أنذال من الصناع متبجح بعضهم على بعض:

دعا حجام كناسين يكنسان له كنيفاً، فقال أحدهما للآخر: أتدري عند من نعمل؟ قال: لا. قال: نعمل عند حجام. فقال: الحمد لله الذي أعلمنا ذلك قبل أن نشرب من كوزهم، أردت والله أن أرمي بكل ما في جوفي أطلب لي شيئاً أشرب به، فضرب يده إلى كوز معه في جوف جرة ينقلون فيها الخرء، فمسحه بيده، وناوله فشرب منه.

اجتمع كناسان على كنيف، فقال أحدهما: فيه من الخرء قامة. وقال الآخر: قامة وبسطة، فنزع ثوبه وقفز فيه وغاص، ثم أخرج رأسه، وقال: تظنني حائكاً.

وقع شر بين حجام وحذاء. فقال: أنت تمشط وتسرح، وأنا أحذو، وأنت تشق بمبضع، وأنا أشق بمخصف، فما فضلك علي؟.

ذكر من تولى صناعة دنيئة من الأكابر:

قيل: كان طالوت دباغاً، فآتاه الله الملك على رغم من ذكره، وكان داود ﷺ راعي غنم وآتاه الله الملكَ والحكمة، وموسى راعياً أجيراً لشعيب صلوات الله عليهما، وعيسى عليه السلام صياد سمك، وهذا باب يكثر أن يتبع.

ذم الحاكة:

قيل: الحمق عشرة أجزاء تسعة في الحاكة. مَرَّ على أمير المؤمنين، كرَّم الله وجهه، رجل، فقال له: إلى أين؟ قال: إلى البصرة في طلب العلم. فقال: أتترك علياً وتطلب العلم بالبصرة؟ ثم قال له: ما صناعتك؟ فقال: نَسّاج. فقال رضي الله عنه: من مشى مع حائك في طريق ارتفع رزقه، ومن كَلَّمَ حائكاً لحقه شؤمه، ومن اطلع في دكانه اصفرّ لونه. فقال قائل: لِمَ يا أمير المؤمنين، وهم إخواننا؟ فقال: إنهم سرقوا نعل النبي ﷺ، وبالوا في فناء الكعبة، وهم تبع الشيطان وشيعة الدجال، وسراق عمامة يحيى بن زكريا وجراب الخضر، وعصا موسى، وغزل سارة، وسمكة عائشة من التنور، واستدلتهم مريم عليها السلام، فدلوها على غير طريق، فدعت عليهم أن يجعلهم الله سخرية، وأن لا يبارك في كسبهم.

وقال حائك لعالم: دلني على عمل أتواضع به. فقال له: ما عمل أوضع من عملك فالزمه. وقال: شهادة الحائك تجوز مع عدلين. وكان النظام يسمي العروضي اخضر البطن، فيكشف عن بطنه وقال: ما ها هنا خضرة. فقال: إنه يريد أنه حائك. ويقال: فلان أخضر النواجذ والبراجم للأكّار[1]، بمعنى أنه يأكل الكراث، ويتناول الخضروات.

في مدحه:

لولا الحياكة والذين يلونها   بَدَتِ الفُروجُ ولاحَتِ الأدبارُ

وفي ذم صناعة قليلة النفع يتمثل بقول الشاعر:

[كِلانا إذا ما نالَ شيئاً أفاتَهُ]   ومَنْ يحترِثْ حَرْثي وحَرْثَكَ يَهْزَلِ[2]

---

(١) الأكّار: الفلّاح، المزارع.

(٢) البيت لتأبّط شرّاً في ديوانه ص ١٨٤.

مدح الحجام:

قال النبي ﷺ: «نِعْم العبد يقلّ الدم، ويخف الصلب، ويجلو البصر!». ومن فضلاء الحجامين أبو طيبة حجام رسول الله ﷺ، حجم النبي ﷺ وشرب دمه، فاختلط دمه بدمه، فخطب إلى الأشراف وزُوِّج من الكرام. ومنهم أبو هبة؛ قال النبي ﷺ: يا بني هند، إنما أبو هبة رجل منكم، فأنكحوه وأنكحوا إليه. ومنهم عبيد الحجام بالبصرة وكان أديباً قيل له: كم يعطيك فلان؟ قال: سدوسي؛ عنى قول الشاعر:

فإنْ تَبْخَلْ سدوسُ بدرهَمَيها ... فـإنَّ الـريحَ طـيِّبـةٌ قـبـولُ

ابن طباطبا:

أبـو سـلـيـمـانْ داودُ بـن بـنـكـلـةٍ ... قد فات في الحجم حذقاً كل حجام

وزانَ ذاك بـصـوتٍ لا يـجـاوزُه ... إلى الفُضول سوى نطقٍ بإبهامِ

لطْفاً ورِفْقاً وحِذْقاً في صناعَتِه ... وخِفَّةٍ لم تشنْ منه بإبرامِ

لولا مواقعُ موساه ومشْرطهِ ... لخلْتني منه في أضغاثِ أحلامِ

محمد بن مسافر:

مـزيـنٌ حـذفـنـي حـاذِق ... لـيس له في الناس مِنْ شِبْهِ

ظـنـنْـتُ إذْ حَـذفـنـي أنـه ... أَحْدَثَ لي وجهاً سوى وَجْهي

أبو ذر البلخي:

يـأخُـذُ مِـن مَـجْروحِـهِ أَرشَـه ... فيا له من جارحٍ مُسْتَشيبِ[1]!

كثرة فضول الحجامين:

استحضر عبد الله بن سليمان حجاماً شيخاً يقال له أبو دلحمة، وقال: أنا متبرم بحجامي، لكثرة فضوله. فأخذ آلة التحذيف، وطفق يشحذ الموسى، فنظر الوزير إلى بعض أصحابه، فقال: أعطِ القوس باريها! فقال أبو دلحمة: ما أول هذا البيت أيها الوزير؟ فقال الوزير: الله أكبر هربت من فضول، فوقعت فيما فوقه. وقال: ما هو يا أبا دلحمة؟ فقال: أنشدني الرياشي بمكة:

يا باريَ القوسِ بَرْيًا لَيْسَ يُحسِنُه ... أفْسَدْتَ قوسَكَ أَعْطِ القوسَ باريها[2]

وكان أبو دلحمة من الشعراء والفضلاء. وقال الفضل بن الربيع: قال لي

(١) الأرش: الثَّمَن، لقاء العمل، الدِّية.

(٢) البيت بلا نسبة في جمهرة الأمثال ١/ ٧٦.

الرشيد: اطلبْ لي حجاماً أصمْت من الحجر! فقلت: نعم، لي غلام سِكِّيت. فقال: ابعثه إليّ. فدعوت به، وأخذت عليه الوصية أن لا ينبس ولا ينبض عرقه إذا خدم أمير المؤمنين، وأوصيته بأن يتأهب، ثم دخلت إلى الرشيد فرأيته يضحك، وقال لي: إنَّ لذلك الحجام شأناً، ولا نراه بعد. ثم سألت فراشاً مختصاً بالرشيد عن خبره، فقال: إنه لما بدأ بالمحجمة، قال: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أسألك عن شيء، فقال له: ما هو؟ قال: لم قدَّمْتَ الأمين على المأمون، والمأمون أسنّ منه؟ قال: أخبرك بالجواب إذا فرغت، فلم يلبث غير قليل حتى قال: وأسألك عن شيء آخر. قال الرشيد: هات. قال: لم قتلت جعفر بن يحيى؟ قال: وهذا أيضاً أخبرك به إذا فرغت. قال: وأسألك: لِمَ اخترت الرقة على بغداد، وبغداد أطيب منها؟ قال: نعم، أخبرك إذا فرغت. فلما فرغ، دعا مسرور الخادم فقال له: لا تشرب عليه الماء البارد إنه سألني عن ثلاث، لو سألني المنصور عنها ما أجبته.

ومرّ المأمون متنكراً بحجام، فسمعه يقول لآخر: سقط هذا المأمون من عيني منذ قتل أخاه! فبعث إليه ببَدْرة[1] وقال: إن رأيت أن ترضى عني فعلت. وكان كسرى يستصفي الحجامين في كل سبع سنين ويقول: إنهم يَبْطرون إذا أثروا!.

ذم التكسب به:

قيل: إنما يقال للحجام قبيس، لأن المسان تحمل إليهم من جبل أبي قبيس. ويقال: إن الحجامين بقم في بعض الأوقات غضبوا، فاجتمعوا من البلد حتى طالت شعور أهلها، واضطروا إلى أن خرجوا إليهم، وقبّلوا الأرض بين أيديهم، وحلفوا لهم أن لا يؤذوهم، ولا يلقبوهم، فرجعوا. وقيل: إنّ الفرزدق حضر مجلساً فيه بلال بن أبي بردة، فجعل بلال يذكره مناقب جده، فقال الفرزدق: لو لم يكن له من المنقبة إلاَّ أنه حجم النبي ﷺ. فقال: إنه ما حجم قبله ولا بعده. فقال الفرزدق: جدك والله كان أفضل من أن يجرب الحجم على رسول الله ﷺ.

شاعر:

أبوك أوهى النِّجادُ عاتِقَه ... كَمْ مِنْ كَمِيّ أَدْمى ومِنْ بَطَلِ
يأخذُ من مالِهِ ومِنْ دمِهِ ... لم يمس من ثاره على وجلِ

(١) البدرة: كيس فيه كمِّيَّة من الدراهم.

منصور بن بازان:

كم مِنْ رِقابٍ جَرحتَ طائعةٍ من غيرِ كَفّيكَ لا ترام حمى

ونهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام، وقال: هو خبيث! وهذا على التنزيه. وروي أنه عليه الصلاة والسلام احتجم وأعطى الحجام أجره، فلو كان حراماً لم يعطه. وروي أنه حَجَّمه عبد لبني بياضة، فأعطاه أجره صاعاً من تمر، وسأل مواليه أن يخففوا عنه من ضريبته

ذم الإسكاف:

قيل لمجنون: ما تقول في إسكاف مات وترك أختاً وأماً؟ فقال: ميراثه للكلاب، ونفقته على الدباغين، وليس لأمه ولا لأخته إلاَّ نثر التراب وتخريق الثياب. وقيل: وقع كليب في كنيف فدعا إسكافاً، فقال: ادفع يدك عن أخيك واخرج! فقال: ذرني في الكنيف، ولا تصحح عليّ بذلك أخوتك. وقال الشاعر يعرض به:

أنْفَذُ في الطَّعْنِ مِن كُلَيْبٍ ومِنْ عمرو الزبيدي فارِسِ اليَمَنِ

الخياط:

قال النبي ﷺ: عمل الأبرار من الرجال الخياطة، وعمل الأبرار من النساء الغزل. وقال ابن عباس: كان إدريس عليه السلام خياطاً، وكذلك هود ولقمان عليهما السلام، وكان نوح نجاراً. وأتى أعرابي إلى خياط بثوب ليخيطه قميصاً فقطعه، فعلاه الأعرابي بالهراوة؛ وقال:

ما إن رأيتُ ولا سَمِعتُ بمثلِه فيما مضى في سالفِ الأَحْقابِ

مِنْ فِعْلِ علجٍ جئتُه ليَخيط لي ثوباً فَخَرَّقه كفِعْلِ مصابِ

فَعَلَوْتِ بهراوةٍ كانَتْ معي ضَرْباً فولَّى هارِباً للبابِ

أَيَشُقُّ ثوبي ثم يقعدُ آمناً كَلّا ومُنزِلِ سورةِ الأحزابِ

ذم النداف:

قال رجل لنداف: لو وضعت إحدى رجليك على حِراء، والأخرى على طور سيناء، ثم أخذت قوس قزح تندف به قطن الغِمام في جياب الملائكة ما كنت إلاَّ ندافاً.

الصاحب:

قل لابنِ ماسويهِ الفقيهِ يا آنفِ الناسِ من أبيه

جَمَعْتَ ضدّينِ في مَكان: صَنْعَةَ حلْجٍ وفرطَ تيهِ[(١)]!

المُخاطِر بنفسه من الصنّاع:

في كتاب كليلة خمس نفر المال أَحَبُّ إليهم من أنفسهم: المقاتل بالأجرة، وراكب البحر للتجارة، وحافر البئر والأسراب، والمدل بالسباحة، والمخاطر على السمّ. وقد تقدم مدح الطبيب وذمه.

القين:

جرير:

هو القَيْنُ يدني الكير من صَدْرِ اسْته ويَعْرِفُ مدّ الكلبتين أنامِلُه[(٢)]

آخر:

القينُ لا يَصْلُحُ إلاَّ ما جلس للكلبتين والعلاة والقَبَسِ

الراعي:

ذم قوم الرعاة، فنسبوهم إلى الحمق، وقالوا: أحمق من راعي ثمانين[(٣)]. وقالوا: لا تشاور راعي الضأن. ومما يدل على فضيلتهم قول النبي ﷺ: ما من نبي إلاَّ وقد رعى، وقد رعيت. وقال النبي ﷺ: ما بعث الله نبيّاً إلاَّ راعياً، بعث موسى وهارون راعيين، وبعثت وأنا أرعى لأهلي.

وشَرَطَ صاحب الإبل على الراعي، فقال: عليك أن تهنأ جرباها، وتلوط حوضها، وتنشد ضالتها، وترد نادتها، وتستقصي في الرسل ما تنهكها حلباً أو تضر بنسل؛ فقال الراعي: نعم على أن يدي مع أيديكم في الحار والقار، ولا تذكر أمي بشر، ولي مقعد موسع من النار! فقال: هذا لك، فإن خنت فما عليك؟ قال: حذفة بالعصا، أخطأت أم أصبت.

وتفاخر راعيان فقال أحدهما: والله ما اتخذت عصا فيها غير هذه منذ شبت وما انكسرت! فقال الآخر: تعستَ، إن اتخذت فيها عصا غير يدي! ويوصف الراعي بأنه ضعيف العصا، أي: قليل الضرب بها. قال شاعر:

ضَعيفُ العصا بادي العُروقِ ترى له عليها إذا ما أجدَب الناسُ إصْبَعا

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) ديوانه ص ٩٧١.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٣٩١؛ والمستقصى ١/ ٧٩؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٢٤.

الكنّاس:

قال رجل من الكناسين لآخر: ويحك ألا تعجب من فلان يزعم أنه كناس ابن كناس! قال: قلْ له يا ابن الخبيثة ما لك والكَنْس، قد والله بَغّضوا إلينا هذا العمل، أفّ وتفّ من النوكى[1]! وجاء أمس ويقول: أنا كناس، أما والله لو شهدنا ونحن نكنس المطابق والسجون فلا نخطىء، ما قدرنا بزنبيل واحد، ولا نتحاشى من الدخول في كنفها علم من الكناس ابن الكناس! وكان أبو إبراهيم الكساح رئيس الكساحين؛ قال له أحمد بن سليمان: احمل مائة سفينة مع المائة التي كنت حملتها قبل، وخذْ ثمنها. فقال: تلك المائة كنت قد جعلتها طعمة للأمير.

باب مختلف من الصناعات:

قيل: من حذق في صناعته حذقه في رزقه، ولذلك ترى أكثر الحاذقين محرومين. وسمعت بعض العلماء يقول: إنما نرى أكثر الحذاق في صناعتهم يضيق رزقهم لاتكالهم على حذقهم، لا يبذلون جهدهم فيما يعملونه، وغير الحاذق يبذل جهده ويفرغ نصحه خشية أن تسترذل صنعته، فيبارك الله فيه بجده وجهده واستفراغ نصحه.

وقال الحسن بن سهل: لا يكسد رئيس صناعة إلاَّ في شر زمان ومملكة أنذل سلطان. وقيل: من انتكاس الدهر أن يولى امتحان الصناع من ليس بحاذق في صناعتهم.

روي في الخبر: لا بد للناس من عريف والعرفاء في النار. كأنه أخبر عن علم الله تعالى في أكثرهم أنهم يعملون بالمعاصي. فأما العرافة والنقابة فقد كانتا في قوم صالحين. يقال: عريف ونقيب ومنكب والعريف فوق النقيب.

نظر حَمَّال إلى راكب فقال: سبحان من حملك وحمَّلني. وعطس حمال فقال رجل راكب مخمور: يرحمك من أخرج العطسة من المضيق! فقال: يغفر لك من حملك وجعل على قفاي هذه الكارة الدقيق.

* * *

ومما جاء في المبايعات

مدح السوق:

كان النبي ﷺ إذا دخل السوق يقول: لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له،

---

(١) النوكى: الحمقى.

اللهم إني أسألك من خير هذه السوق، وأعوذ بك من الكفر والفسوق. وقيل: السوق موائد الله، فمن أتاها أصاب منها. وقال ﷺ لرجل: إلزم سوقك.

ذم السوق:

قيل للحسن رضي الله عنه: هلا تصلي، فإن أهل السوق قد صلوا؟ قال: من يأخذ دينه من أهل السوق؟ إن نفقت سوقهم أخرُّوا الصلاة، وإن كسدت عجّلوها! وقال: أهل السوق ذئاب تحت ثياب. وقال ابن السماك: يا أهل السوق، سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار!.

ذكر أسواق العرب:

كانت عُكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، تأثموا أن يتجروا في الحج، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٨]؛ يعني في مواسم الحج.

مدح التجارة وذمها:

قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحَجّ: الآية ٢٨]: إنها التجارة. وأشراف قريش كانوا تجاراً. قال النبي ﷺ: لا خير في التجارة إلاَّ لستة: تاجر إن باع لم يمدح، وإن اشترى لم يذم، وإن كان عليه دَيْن أيسر القضاء، وإن كان له أيسر الاقتضاء وتجنب الحلف والكذب.

وقال عليه الصلاة والسلام: بُعثت مرحمة ومرغمة ولم أُبعث تاجراً ولا زراعاً، وإن شرار هذه الأمة التجار والزراعون إلاَّ من شحّ على دينه. وقال ﷺ: ما أوحى الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين، ولكن أوحى إليّ أن ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحِجر: الآية ٩٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجُمُعَة: الآية ١١]؛ فقرن التجارة باللهو وهو مذموم.

الحث على التجارة في جنس دون جنس:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من اتجر في شيء ثلاث مرات فلم يصب منه شيئاً، فليتحول إلى غيره. ودخل ناس على عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، فسألهم عن صناعتهم، فقالوا: بيع الرقيق؛ فقال: بئست التجارة ضمان نفس ومؤونة ضرس!.

وقال ابن المبارك: إياك والتجارة في الإبل، فإنها غنم وغرم، وأحب

التجارة إليّ ما كان بين غنمها وغرمها حجاز من السلامة. وقال بطليموس: لا يكاد الإنسان ينحس في جميع الأشياء ولا يسعد في جميعها، فينبغي أن يعرف وجوه منافعه في وجوه شتى، فمتى دخلت المنحسة في شيء، كانت السعادة في شيء.

وقيل: شر الناس من باع الناس! يعني النخاسين. وقيل: بيع الرجل صاحبه بالطفيف من الأمر، وقد قال ﷺ: التجارة في الرقيق ممحقة. وقال محمد بن واسع رحمه الله: أفضل التجارات لديّ بيع العطر والجوهر والحصر والساج، وكل شيء لا يشتريه إلاَّ من في أمواله فضل عن القوت، لأن ظلم أصحاب الفضل أهون، وأبغض التجارة إليّ القطن وشراء الغزل، فإن ظلم هؤلاء صعب إذا كان داخلاً على أقواتهم.

فضل الصدق في البيع:

قال النبي ﷺ: ما أفلس تاجر صدوق. وقال رسول الله ﷺ: التجار فُجّار، قيل: يا رسول الله ولِمَ وقد أحلَّ الله البيع. فقال: إنهم يحلفون ويكذبون. وقال الجاحظ: رحم الله الأحنف حيث يقول: الزم الصحة يلزمك العمل.

وقال الأشج الصيدلاني: مَرّ بي رجل، فرأى قلة الناس عندي وكثرتهم عند غيري، فقال: أتريدنّ أن تكثر مبايعتك ويحسن حالك؟ قلت: نعم. فقال: أصدق واصبرْ سنة، فإن الصدق يستحي لنفسه أن يبطيء عنك أكثر من سنة. ففعلت فكثر زحام الناس عند حانوتي، ثم مر بي فرأى كثرة الناس عندي فقال: احذرْ ولا تتكل على ما وهمتهم من الصدق، فتدعوك نفسك إلى ضعف ربحك اليوم، فإنك إن عدت إلى الكذب عاد عليك الكساد، فلمْ أزلْ قابلاً لوصيته. ثم مر بي بعد سنيات فقال: قليل الربح مع كثرة الحرفاء أربح من كثيره مع قلة الحرفاء. وقد قالوا: الزم الصحة يلزمك العمل، ولو حلفت أنها كلمة نبي لرجوت أن لا أحنث، ثم لم أره بعد ذلك، فرحمه الله حياً وميتاً فقد نصح. وقيل: التاجر الصدوق مع النبيِّين والصدِّيقين.

ذم الحكرة:

قال النبي ﷺ: مَن احتكر على المسلمين طعامهم، ضرب الله ماله بالإفلاس. وعنه ﷺ: مَن احتكر طعاماً أربعين يوماً، فقد بريء من الله ورسوله. وقال ﷺ: الجالب مرزوق والمحتكر ملعون. وفي عهد أردشير: لا تحبوا

الاحتكار فيعمكم القحط.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله ما الحكرة؟ فقال: الذي إذا سمع بالغلاء فرح، وإذا سمع بالرخص اغتمَّ. وقال علي رضي الله عنه: لا أسمع بالكوفة برجل احتكر إلاَّ أحرقت طعامه بالنار أو أنهبته. وكتب الوليد بن مصعب إلى صاحبه بالساحل: تفقد أمر الحناطين، فإن زادوا في السعر من غير علة، فأنهبهم عوامك، فالغلاء من أسباب الفتن، مع الغلاء تكون الشكوى ثم الجلاء ثم الوباء!.

تحليل البيع وذم الربا:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٧٥]، وقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٦]، وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٨]. ولعن النبي ﷺ آكل الربا ومؤاكله وكاتبه وشاهديه. وقال ﷺ: الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية زناها زان. وقال ﷺ: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد إلاَّ أكل الربا، فمن لم يأكله أصابه من غباره. وروي: كل قرض جرَّ منفعة، فهو الربا.

الحث على مراعاة العلم في المبايعة:

قال أمير المؤمنين عليّ كَرَّمَ الله وجهه: مَن اتجر بغير فقه، فقد ارتطم في الربا. وقال الضحاك: ما من تاجر ليس بفقيه إلاَّ أكل الربا شاء أم أبى.

المكروه من البيوع:

قال النبي ﷺ: لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه. وقال ﷺ: لا تناجشوا. والنجش: الزيادة في السلعة من غير حاجة، ونهى عن تلقي الركبان وبيع حاضر لباد. وقال ﷺ: لا يحل شراء المغنيات ولا بيعهنّ ولا تعليمهنّ، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمَان: الآية ٦]. ونهى عن بيع فضل الماء فقال: من منع فضل الماء ليمنع به فضل الكلأ، منعه الله فضل رحمته يوم القيامة. وقال ﷺ: لا يحل منع الملح. وكل ذلك مكروه، وإذا فعله إنسان صح بيعه وشراؤه.

المحرم بيعه:

نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب إلاَّ كلب الصيد. وفي خبر آخر: نهى عن ثمن الكلب والهر وعن مهر البغي. وقال جابر: سمعت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة

يقول: ألا إنَّ الله حرَّم بيع الخمرة وبيع الخنازير وبيع الأصنام، فقيل له: أرأيت شحوم الميتة فإنه يدهن به السفن والجلود؟ فقال ﷺ: قاتل الله اليهود! إنَّ الله حرَّم عليهم الشحوم، فجملوها وباعوها. وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنَّ الله إذا حرَّم شيئاً حرَّم ثمنه. وقال ﷺ: الورق بالورق، والذهب بالذهب، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح ربا، إلاَّ هاء وهاء مثل بمثل، ومن زاد أو ازداد فقد أربى.

وأهل الظاهر قصروا الحكم على هذه المذكورات وغيرهم تعداها؛ فجعل الشافعي رضي الله عنه العلة فيه الأكل، فحرم بيع كل مأكول بجنسه إلاَّ مثلاً بمثل. ونهى النبي ﷺ عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة[1]، وعن بيعين في بيعة، وعن بيع وسلف، وعن ربح ما لم يضمن، وبيع ما لم يقبض، وعن المحاقلة والمزابنة. فالمحاقلة: بيع البر الموضوع بالأرض، والمزابنة: بيع ثمر النخل بالتمر يابساً. ورَخَّصَ في العرايا، والعرية: بيع ثمر النخل بالتمر يابساً إذا كان دون خمسة أوسق. ونهى عن الثنيا وعن المنابذة وبيع الغنيمة قبل القسمة، وعن بيع المجر؛ وهو أن يباع الشيء بما في بطن الشاة، وعن حبل الحبلة وعن بيع الغرر، وعن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها. وفي الحديث أنه عليه السلام نهى عن الكالىء بالكالىء، وهو بيع الدين بالدين، ونهى عن بيع أمهات الأولاد؛ وقال: لا يبعن ولا يوهبن ولا يورثن يستمتع بها سيدها ما بدا له، فإذا مات فهي حرة.

السلف:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في التمر العام والعامين، فقال ﷺ: من أسلف فليسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم. وكان ﷺ استسلف بكراً، فجاءته إبل من إبل الصدقة. قال أبو رافع: فأمرني النبي ﷺ أن أقضي الرجل بكره، فلم أجد إلاَّ رباعياً، فقال ﷺ: أعطه إياه إن خير الناس أحسنهم قضاء.

السهل البيع:

مر النبي ﷺ برجل يبيع شيئاً فقال: عليك بالسماح أول السوق، فالرباح في السماح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أحب الله عبداً سهلاً إذا باع أو ابتاع سمحاً إذا قضى أو اقتضى. وقال ابن عون: ما أرسلني الحسن رضي الله عنه في

(١) النَّسيئة: البيع بتأخير دفع الثمن.

ابتياع شيء له إلاَّ قال لما عدت: بارك الله فيك ولم يسألني عن ثمنه، وما أرسلني ابن سيرين إلاَّ قال حين عدت: كيف اشتريت؟ وقيل لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: بمَ بلغ يسارك؟ فقال: لم أرد ربحاً، ولم أشتر عيباً، ولم أبع بنسيئة.

جواز المماكسة:

قيل: المماكسة[١] في البيع مكايسة. وكان عبد الله بن جعفر يماكس في درهم، ويجود بمال، فقيل له في ذلك فقال: الغبن في البيع بله، وفي الجود كرم. وقيل لآخر مثل ذلك فقال: الغبن في البيع جود بالعقل، وفي السخاء جود بالمال، ولا أسخى بالعقل. وقيل: الحر يتغابن في ابتياع الحمد ولا يتغابن في الشراء والبيع. وقيل: من الغباوة السخاء في التجارة. وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يرى بأساً بالمماكسة والمكايسة، والهند لا تستحل غرارة الجاهل وتستحلّ غبن البائع.

ذم المبالغة في المماكسة:

قيل: كثرة المكاس من أفعال الخِساس. ورأى رجل ابنه يماكس في ابتياع لحم، فقال: يا بني، تساهل فما تضيعه من عرضك أكثر مما تناله من غرضك. وكان الأصمعي مضيقاً في معيشته مستقصياً في مبايعته، فقال العتبي: لو بذلت الجنة للأصمعي بدرهم، لما رضي واستنقص شيئاً. وقال رجل لخياط: خط لي هذا الثوب، وسامحني في الأجرة. فقال: أُخيطه لك مجاناً. فقال: زدني. قال: إذا تخرق رقعته لك. ونحو ذلك أن رجلاً كان يستأجر غلاماً، فقال: كم تطلب؟ فقال: أخدمك بملء بطني. فقال: سامحني. فقال: لا أعرف مسامحة في ذلك إلاَّ أن أصوم لك الاثنين والخميس في الأسابيع لتربح غداءهما.

وكان ابن بالة ببغداد قد اكترى غلاماً كوفياً، فاستحضره المزين فحلق رأسه، فلما فرغ وتنحى، جاء الغلام الكوفي إلى المزين، فقعد بين يديه ليحلقه، فخرج ابن بالة وقد حلق المزين بعض رأسه، فناداه وقال له: هذا من حسابي أو من حسابك يحلق؟ فقام الغلام على حالته محلوق بعض رأسه، وأخذ المنديل وعدا من بين يدي المزين، وحلق بالطلاق أنه لا يحلق رأسه حتى يعود إلى الكوفة.

---

(١) المُماكسة في البيع: طلب إنقاص الثمن.

عذر مبتاع مرغوب فيه بفضل ثمن:

اشترت سكينة شيئاً بفضل ثمن فقيل: غبنت! فقالت: ما غبن من بلغ شهوته. وقيل: استكرمت فاربط، واشدد يديك بغرزه، ولا تنظر إلى كثرة ثمنه.

شاعر:

أشــدِدْ يــديــك بــه وحــز ... هُ فــإنــه عِــلــقٌ مَــضَــنَّــهْ

الحثّ على استجادة ما تشتريه:

قال عمر رضي الله عنه: إذا اشتريت بعيراً فاشتره سميناً، فإن أخطأك الخبر لم يخطئك النظر. وقيل: الغبن غبنان غبن الغلاء وغبن الرداءة، فإذا اشتريت، فاستجد تربح أحد الغبنين. وقيل لبعضهم: بمَ كثر مالك؟ فقال: لم أشترِ قط غبناً ولا شيناً.

مدح متظلف عن المبايعة وعن التفكر في الطفيف:

شاعر:

يبيعُ ويَشْتري لهمُ سواهمْ ... ولكنْ بالسُّيوفِ هُمُ تجارُ

وقال العباس بن المأمون لغلامه: إن رأيت نقلاً حسناً، فاشتر بنصف درهم. فقال المأمون: لا تفلح إذا عرفت للدرهم نصفاً. وطلب الحسن رضي الله عنه ثوباً، فقيل: بثلاثة عشر ونصف. فقال: خذْ أربعة عشر: فالمسلم لا يشاطر أخاه الدرهم.

المتغالي ببيع شيء:

ساوم مديني نعلاً، فقال صاحبها: بعشرة. فقال المديني: لو كانت من جلد بقرة بني إسرائيل ما أخذتها بأكثر من درهم. فقال الحذّاء: لو كانت دراهمك من دراهم أصحاب الكهف ما أعطيتكها! باع رجل شيئاً بعد مماكسة فقال البائع لما باعه: لو صبرت لبعت منك بدرهم. فقال المشتري: لو صبرت لاشتريت منك بأضعاف ما اشتريت دنانير. سام أشعب رجلاً بقوس فقال: بدينارين. فقال: لو أنها إذا رمي بها الطير في الهواء يسقط مشوياً بين رغيفين ما اشتريتها بدينارين. كان رجل ضل له بعير، فحلف إن وجده ليبيعنه بدرهم؛ فوجده فلم تسمح نفسه أن يبيعه بدرهم، فعمد إلى سنور فعلقه في عنقه وجعل ينادي عليه: الجمل بدرهم والسنور بخمسمائة، ولا أبيعهما إلاَّ معاً! فقال رجل: ما أرخص الجمل لولا قلادته.

ترك مبيع لغلائه:

كان الفضيل رضي الله عنه إذا أرسل غلامه ليشتري له شيئاً، فرجع إليه، فقال: وجدته غالياً، قال: الحمد لله إذا غلا علينا شيء تركناه. وقال بعضهم: إذا غلا عليّ شيء تركته، فيكون حينئذ أرخص ما يكون.

شاعر:

وإذا غـلا شَـيء عـلـيّ تـركـتـهُ فيكونُ أرخصَ ما يكونُ إذا غلا[١]

وأنشد جحظة هذا البيت مجيزاً له:

إلاَّ الـدقـيـقَ فـإنـه قـوتٌ لـنـا فإذا غلا يوماً فقد نَزَلَ البَلا[٢]

واشتهت امرأة مزيد يوماً عليه جراداً، فقالت: اشتر لي فإن مدّاً منه بدرهم. فقال: لو جاء الدجال بزلزلة المدينة، وأنت ماخض بالمسيح، تنتظرين أن تأكلي الجراد وتضعي الحمل ما اشتريته بهذا السعر.

من باع نفيساً واشترى خسيساً:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النِّساء: الآية ٢]. باع رجل دابة واشترى بها بازياً، فقال له أبوه: يا أحمق، بعت ما تركبه واشتريت ما يركبك. وباع رجل بستاناً واشترى به دابة، فقال له رجل: بعت ما كنت تعلفه السرجين فيعوضك الشعير بما يأكل الشعير، ويعوضك السرجين. وفي المثل: كالمُشْتَري النافقاء باليربوع[٣]، وما كل مبتاع من رابح. ابن معروف القاضي:

يا خاسرَ الصَّفْقَةِ في سَعْيِهِ وبـائـعـاً بـالـخَـزَفِ الـدُّرَّه

كان يباع زرياب[٤] بدينار، فقال أعرابي: لماذا يصلح هذا؟ فقيل: إنه يضغَب ضَغيب السِّنوَرُ[٥]. فقال: اشتر سنوراً بنصف درهم، يضغب لك أجود من هذا، ويصطاد الفأر زيادة.

---

(١) البيت لمحمود الوراق في ديوانه ص ١٦٥.

(٢) ديوانه ص ١٤٢.

(٣) في مجمع الأمثال ٢/ ١٥٥: «كالمشتري القاصعاء باليربوع». والقاصعاء والنافقاء: جُحْر اليربوع. واليربوع حيوان صغير على هيئة الجُرَذ الصغير، وله ذنب طويل ينتهي بخصلة شعر. يُضرب للذي يُؤْثِر ما لا يبقى على ما يبقى.

(٤) الزرياب: طائر يقال له أبو زريق.

(٥) يضَغب: يُصَوِّت. السِّنّور: الهِرّ.

بيع نفيس للحاجة إليه:

دخل أعرابي بفرس يبيعه، فقيل له: صِفْ فرسك. فقال: ما طلبت عليه قط إلاَّ لحقت، ولا سبقت. فقيل له: فلم تبيعه؟ فقال:

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ مالكٍ كَرائِمَ مِنْ ربٍّ بِهِنَّ ضَنينِ

ذم البيع والابتياع نسيئة:

قيل: إياك أن تتكلم على وجهك في سوقك دون رأس مالك، أو تشتري شيئاً بجميع مالك، وخير التجارة ما لا يعرف أهلها النسيئة. باع رجل داراً من تركي نسيئةً، فجاءه يوماً متقاضياً فأخذه وصفعه صفعات، فلما انصرف قيل له: ما استوفيت من ثمن الدار؟ فقال: صفعات في قفاي.

عُرضت جارية على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فأحب شراءها، ولم يكن عنده تمام ثمنها، فقال البائع: أنا أؤخرك إلى العطاء. فقال: لا أريد لذة عاجلة بذلة آجلة. وعرض على رجل شيء ليشتريه فقال: ما عندي ثمنه، فقال البائع: أنا أؤخرك. فقال: أنا أؤخر نفسي.

بيع مرغوب عنه:

أبو حكيمة في عبد باعه:

بِعْنا تَعيساً ولم يحزنْ له أحدٌ قد غابَ عنَّا فغابَ الهمُّ والنَّكَدُ

أَحْسِنْ به خارجاً من بينِ أظْهرنا لم نَفْتَقِدْه وكَلْبُ الدار يُفْتَقَدُ

وباع عبيد الله ضيعة له فقال:

قيل لي: كيف أنتم؟ قلت: بعنا ضيعةً عدة بشيءٍ قليلِ

فيهِ أدنى صونٍ وأدنى نوالٍ واسترحنا من طولِ غمِّ الوكيلِ

وله:

ومُبْتاعُ بَعْضِ الملْك مني يقول لي وما باعهُ إلاَّ نوائب تعتري:

متى صرت مضطَراً لبيع ذخائرٍ؟ فقلت له: مذْ صار مِثْلُك يشتري

المغالاة بما لا يقل وجوده:

عاتب محمد بن عبد الملك الزيات أبا تمام في أنه يمدح غيره من السوقة، فقال:

رأيتك سمْحَ البيعِ سهلاً وإنما يغالي إذا ما ضنَّ بالشيء بائعُه

فأما إذا هانَتْ بضائِعُ مالهِ فيوشكُ أن تبقى عليهِ بضائعُه

هو الماءُ إنْ أَجْمَمْتَه طابَ وِردُه ويَفْسدُ منه أن تباحَ شرائعُه

ربيب النصراني:

وكلُّ شيءٍ غلا أو عَزَّ مَطْلَبُه مسترخصٌ ومهانُ القدرِ إن رَخُصا

آخر:

[وَزَادَنِي كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مُنِعَتْ] أحبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا[١]

قيل: كل مَبْذول مملول[٢] وكل مَمْنوع مَتْبوع[٣].

الوزن والكيل:

قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ [المطفِّفين: الآيات ١ - ٢] الآية. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين، لا ينقص قوم المكيال والميزان إلاَّ أخذهم الله بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم. قال عكرمة: أشهد لكل كيال ووزان بالنار إلاَّ القليل منهم. فقيل له: سبحان الله وكيف؟ قال: لأنه لا يزين كما يتزن، ولا يكيل كما يكتال. وقال ﷺ لقوم شكوا إليه سرعة فناء طعامهم: كيلوا ولا تهيلوا. وقال ﷺ لرجل ابتاع منه شيئاً: زِنْ وأرْجِحْ.

مدح الإقالة في البيع والحث عليها:

قال ﷺ: من أقال مسلماً أقال الله عثرته يوم القيامة.

الشريك في البيع:

قال السائب: كان رسول الله ﷺ شريكي، وكان خير شريك لا يشاري ولا يماري. وقال ﷺ: لا تزال يد الله على الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه، فإذا خان أحدهما صاحبه رفع البركة عنهما.

الشفعة في البيع:

قال النبي ﷺ: الجار أَحَقُّ بصَقَبِهِ[٤]. وقال ﷺ: الجار أحق بشفعة جاره ينتظر بها إن كان غائباً إذا كان طريقهما واحداً. وقال ﷺ: مَن كان له شريك في

---

(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه ص ١٥٨.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ٢/ ١٦٠.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ٢/ ٥٢٤.

(٤) في المطبوع: «صفقه»، وهذا تحريف. والقول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ٢/ ١٩٨. والصَّقَب: المُجاوِر.

زرع أو نخل، فليس له أن يبيع حتى يأذن شريكه، فإن رضي أخذه، وإن كره ترك. وقال ﷺ: «إذا أزفت الحدود فلا شفعة». يعني ميزت وبينت. وقال: الشفعة فيما لم يُقْسم.

الخيار في البيع:

قال النبي ﷺ: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا إلاَّ بيع الخيار. وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ أنه يغبن في البيع، فقال ﷺ: إذا ما بعت فقل لا خِلابة[١]، ثم أنت بالخيار إلى ثلاثة أيام. وقال ﷺ: من اشترى شاة مصرّاة فهو بالخيار إن شاء أمسك، وإن شاء ردها ومعها صاعاً من تمر.

ما هو في حكم المستثنى من البيع:

قال النبي ﷺ: من باع عبداً وله مال، فماله للبائع إلاَّ أن يشترطه المبتاع، ومن باع نخلاً مؤبراً[٢]، فثمرته للبائع إلاَّ أن يشترطه المبتاع.

مدح الدلالين وذمهم:

قال بعضهم: نِعْم المعين على البيع والابتياع، وعلى الألفة والاجتماع الدلالون، ولو أمكن الاستعانة بهم في الفراش، لانتفع بمكانهم. وقيل: آذى بعض الدلالين الأصمعي في شيء، فقال: شرّ الناس الدلّالون، لأن أول من دل إبليس حيث قال لآدم: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢٠]؟.

نوادر لأنذال الباعة:

جاءت عجوز إلى لحام بالمدينة ومعها درهمان، فقالت: أعطني بهما أطيب لحم، واخبرني باسمك أدعو لك. فأعطاها أخبث لحم وقال: اسمي مَنْ يَمُدّ. فجعلت العجوز عند الأكل تمد اللحم فلا تقدر على أكله، فجعلت تقول: لعن الله من يمد فتلعن نفسها وهي لا تعلم.

وقال جحظة: رأيت سوقياً ينادي على جدي عَلَّقه يقول: هذا مانع نفسه. فقلت له: ما معنى مانع نفسه؟ فقال: يا سيدي لا يقدر أحد أن يأكل منه لقمتين لسمنه. قال: ورأيت آخر وهو يقول زبد في أديم. وقال جراب الدولة: ورأيت ثلاثة من الهراسين على بقعة وهم يتكايدون في مدح هرائسهم، فواحد أخرج قطعة هريسة علقها بالمغرفة، وهو يقول: انزل ولك الأمان، وآخر يقول: يا قوم

---

(١) الخِلابة: الخَديعة بالحديث الرقيق.
(٢) أَبَرَ النَّخْلَ: لقَّحه.

الحقوني أدركوني أجذبها وتجذبني والغلبة لها، والثالث يقول: أنا لا أدري من أكل من هريستي لقمتين أسرج ببوله شهرين. وقال رجل للحام: ليس لحمك بسمين. فقال: إن فلاناً جالسني، ووضع راحته على هذا اللحم وانصرف إلى منزله، فجعل ما علق بها في قدر واتخذ منها دعوة. وكان بائع رمان قَشّرَ رماناً وهو يقول: نزع الأمير قميصه وخرج في غلالة.

الكفالة:

قال النبي ﷺ: الزعيم غارم. وكلم رجل آخر في أن يؤخر شيئاً على غيره فقال: اضمن أنت عنه. فقال: أردنا منك سعة المهلة، فكلفتنا ضيق الضمان. قال الخليل: في الكفالة ست خصال: الندامة، والملامة، والكفران، والخسران، والغرامة، والقطيعة. وقيل: إن الفرس صورت كل شيء حتى الكفيل ينتف لحيته من الندامة.

الحوالة:

قال النبي ﷺ: إذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع. ومن غير هذا الباب احتيج أن يكتب على المعتضد كتاب ليشهد فيه العدول، فكتب: في صحة من عقله وجواز أمر له وعليه، فقال جعفر بن محمد بن ثوابة: لا يجب أن يكتب هذا للخليفة. فضرب عليه وكتب: في سلامة من جسمه وأصالة من رأيه.

الإجارة:

روي عن فاطمة رضي الله عنها أنها قالت: دخل عليٌّ يوماً وأخذ بيد الحسن والحسين فأخرجهما، فجاء النبي ﷺ فقال: أينَ ابناي؟ فقلت: أصبحنا وليس في بيتنا شيء نذوقه، فدخل علي فأخرجهما حتى لا يبكيا. فخرج النبي ﷺ في أثرهما، فوجدهم في حائط يهودي وعلي ينزع كل دلو بتمرة، والحسن والحسين يلعبان في سربة لليهودي، وبين أيديهما فضل من تمر فقال: يا علي، ألا تنقلب بابني قبل أن يشتد عليهما الحر؟ فقال: اجلسْ، فإني قد أشبعتهما. فجلس حتى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجره، ثم حمل النبي ﷺ أحدهما وعليّ الآخر.

وروي: ما أكل أحد طعاماً خيراً له من أن يأكل من عمل يده. وكان داود عليه السلام لا يأكل إلاَّ من كسب يده. ونهى النبي ﷺ أن يستعمل الرجل أجيراً حتى يعلمه أجرته. وقال: من استأجر أجيراً فليعلمه أجرته. وروي في الخبر:

بينما نفر يتماشون فأخذهم المطر، فآووا إلى غار في جبل، فانحطت صخرة على فم الغار، فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجه عنا. فقال أحدهم: اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجيراً بقفيز أرز، فلما قضى عمله سخطه فتركه، فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاء، ثم جاء فقال: اتق الله ولا تظلمني حقي. فقلت له: انطلق إلى هذه البقرة ورعائها فخذها. فقال: أتهزأ بي؟ فقلت: أنا لا أهزأ خذها، فأخذها فإن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرجْ عنا. ففرج لهم.

إعطاء أُجرة الأجير:

قال النبي ﷺ: ثلاثة أنا خصمهم، ومن كنت خصمه خصمته: رجل أُعطي ثم غدر، ورجل باع حراً ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى عمله ولم يوفه أجره. وكان أبو بكر رضي الله عنه لما استخلف، قال للناس: إنكم شغلتموني عن تجارتي، فافرضوا لي، ففرضوا له كل يوم درهم. استأجر رجل حمالاً ليحمل قفصاً فيه قوارير على أن يعلمه ثلاث خصال ينتفع بها، فحمل الحمال القفص، فلما بلغ ثلث الطريق قال: هات الخصلة الأولى. فقال: مَن قال لك إن الجوع خير من الشبع فلا تصدقه. فقال: نعم. فلما بلغ ثلثي الطريق قال: هات الثانية. فقال له: مَن قال لك إنّ المشي خير من الركوب فلا تصدقه. فقال: نعم. فلما انتهى إلى باب الدار قال: هات الثالثة. فقال: مَن قال لك أنه وجد حمالاً أرخص منك، فلا تصدقه! فرمى الحمال القفص على الأرض، وقال: مَن قال لك في هذا القفص قارورة صحيحة فلا تصدقه.

* * *

ومما جاء في الدين

ذم الدَّيْن والنهي عنه:

قيل: إن النبي ﷺ بعث إلى رجل من اليهود يستسلفه إلى الميسرة، فقال: ليس لمحمد زرع ولا ضرع، فأي ميسرة له؟ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: كذب عدو الله، لو أعطانا لأدينا إليه، ولأن يلبس أحدكم ألواناً شتى خير له من أن يستدين ما ليس عنده قضاؤه.

وقال معاذ بن جبل: الدَّين شَين. وقال النبي ﷺ: أعوذ بالله من الكفر

والدين! وقال بعض الحكماء: الدين رقُّك فلا تبذل رقك لمن لا يعرف حقك. وقيل: الدَّيْن هدم الدِّين. وقيل: ما استرق الكريم مالك أفظ عليه من الدين. وقيل: الدين غل الله في أرضه، فإذا أراد أن يذل عبداً جعله في عنقه. وسأل فيلسوف رجلاً أن يقرضه مالاً فرده، وذمه بعض الناس إلى الفيلسوف وقال: إنه جَبَهك بالرد. فقال: ما زاد علي أنْ حمَّر وجهي بالخجل مرة واحدة، ولو أقرضنيه لصفَّرَ وجهي مرات كثيرة.

من مات وعليه دين:

قال النبي ﷺ: من داين الناس بدين في نفسه وفاؤه ثم مات وليس عنده وفاؤه، تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء، ومن داين الناس بدين ليس في نفسه وفاؤه، ثم مات وليس عنده وفاؤه، اقتص الله لغريمه منه. وقال النبي ﷺ: نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: جيء بجنازة يوماً، فوُضعت بين يدي النبي ﷺ، فقام ليصلي عليه، فقيل: إن عليه دَيناً، فقال: صلوا على صاحبكم، فقال أبو قتادة رضي الله عنه: عليّ دينه يا رسول الله. ثم خطب فقال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، مَن مات وعليه دين أو ضياع فعليَّ، ومن ترك مالاً فلورثته.

مدح الدين والرخصة فيه:

قال النبي ﷺ: من أعياه الرزق فليستدنْ على الله ورسوله. دخل عتبة بن هشام على خالد بن عبد الله القسري، فقال خالد معرضاً به: إنّ رجالاً يدانون في أموالهم، فإذا فنيت أموالهم أدانوا في أعراضهم. فقال عتبة: أصلح الله الأمير! إنّ رجالاً تكون أموالهم أكثر من مروآتهم، فلا يدانون، ورجالاً مروآتهم أكثر من أموالهم، فإذا نفذت أموالهم أدانوا على سعة ما عند الله، فخجل خالد وقال: إنك منهم فيما علمت. وقيل: تُعرف مروءة الرجل بكثرة ديونه. وقيل: الدين من مواسم الأشراف.

المقنع الكندي:

يعاتِبني في الدينِ قومي وإنّما ... ديوني في أشياءَ تَكْسِبُهم حمْدا[1]

أبو شراعة:

والدين طوقُ مكارم لا تلتقي ... طرفاه في عُنُقِ البخيلِ الحازمِ

---

(١) ديوانه ص ٢٠٣.

وذلك من قول عمر لزنباع حين قال له: ما أقدمَكَ المدينة؟ قال: دين علي. فقال: الدين ميسم الكرام. وسأل عمرو بن عبيد عن رجل فقالوا: إنه استتر لدَيْن حَصَل عليه. فقال: طالما وفد به الكِرام.

مدح من أدنت عليه:

سعدان:

ولو كُنتَ مولى قيسِ غيلانَ لم تجدْ عليّ لإنسانٍ من الناس دِرْهما

لكنّني مولى قضاعة كُلِّها فلسْتُ أبالي أن أدينَ وتغرما

وهذا أجمع شعر جمع فيه بين مديح وهجاء. وقال ابن الرومي:

علي دَيْن نبيلٌ أنتْ قاضيه يا مَن يُحَمِّلُني ديناً رجائيهِ[1]

من قضى ديناً بدين:

شاعر:

إذا ما قضيتَ الدينَ بالدينِ لم يكُنْ قضاءً ولكنْ كان غُرْماً على غُرْمِ[2]

آخر:

أخذت الدّين ادفع عَن تلادي وكان الدّين أدفعَ للتلادِ

وقيل لمحمد بن واسع: فلان قد قضى دينه مما كسبه، فقال: ما كان أكثر ديناً قط منه الساعة.

مَن أعطى ديناً على أن لا يستر على أن لا يسترجع:

أبو الإصبع:

أيها المسترفدون القرضَ في بردِ الشتاء

ليسَ قَرْضي لكم الدهر بقَرْضٍ ذي اقتضاء

أنتَ عندي منه في حِلٍّ إلى جنّ الظِّباء

فاسْتَعِنْ بالواحدِ الفَرْ دِ وأخلِصْ في الدعاء

فَلَعَلَّ الدهرَ يأتي عَنْ قَريبٍ بامْتِلاءْ

مَن تقاضى ديناً قديماً:

البحتري:

---

(١) ديوانه ٦/ ٣٥١.

(٢) البيت لثعلبة بن عمير في المستطرف ١/ ٣٢٠.

مِـنْ أمـاراتِ مـفـلـسٍ أن تـراه   مُوجفاً في اقتضاء دَيْنٍ قديم[١]

وطلب رجل ديناً عتيقاً فقال: دعني من هذا، فهذا دين عتيق. فقال: لَعن الله من أعتقه!

من أحسن التقاضي:

قال النبي ﷺ: خيركم أَحْسَنكم قضاء. وقال ﷺ: خيركم الذي إذا كان عليه دين أحسن القضاء، وإذا كان له أحسن الاقتضاء. وقال ﷺ: من أدان ديناً وهو ينوي أن لا يؤديه إلى صاحبه فهو سارق.

ابن الرومي:

هـو دَيْـنٌ وأحْـسَـنُ الأمـر فـيـه   أن يَكونَ القضاءُ قبلَ التقاضي[٢]

الحث عليه:

قال النبي ﷺ: رحم الله امرأً سهل البيع سهل الشراء سهل التقاضي. وقال ﷺ: من طلب أخاه فليطلبه في عفاف وافياً أو غير واف. وقال ﷺ: كفى بالمرء من الشحّ أن يقول: آخذ حقي لا أترك منه شيئاً. قال:

إنّي وجدتُك من قومٍ إذا طلبوا   بَعْدَ النسيئةِ ديناً أحْسنوا الطلبا

آخر:

وحَسْبُك من تَقاض المرءِ يوماً   لـحـاجَـتِـه الـزيـارةُ والـحـديـثُ

الرخصة في التقاضي:

استسلف النبي ﷺ من رجل تمراً، فلما جاء يتقاضاه قيل له في ذلك، فقال رسول الله ﷺ: دعْه، فإن لصاحب الحق مقالاً، انطلق إلى خولة بنت حكيم فالتمسوا عندها تمراً، فقالت: والله، ما عندي إلاّ تمر ذخيرة. فقال: خذوه فأقضوه، فلما استوفى، قال له: استوفيت؟ قال: نعم، قد أوفيت وأطيبت، فقال ﷺ: إنّ خيار هذه الأمة الموفون المطيبون.

ذم ماطل ديناً:

قال النبي ﷺ: «مَطْل الغَني ظُلمٌ»[٣]. وقال ﷺ: «لي الواجد يحل عرضه وعقوبته». فقيل: عقوبته حبسه وعرضه شكواه. قال:

---

(١) ديوانه ص ١٩٣٨.   (٢) ديوانه ٤/ ٤٦.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ٢/ ٣٤٥.

فما بال ديني إذ يحلّ عليكمُ أرى الناسَ يقضون الديونَ ولا أقضي؟

يقال: حَلّ الدينُ يَحِلُّ: وَجَبَ محله، وحلَّ يَحُلُّ: حَصَل. وكتب رجل إلى غريم له:

أُماطِلُكَ العَصْرين حتى تملَّني وترضى بنْصف الدينِ والأَنْفُ راغِمُ

فأجابه:

سَتُعْطي برغْم مِنْك في السِّجْن نادماً وتشقى بطولِ الحبسِ والحقُّ لازمُ

وقيل: الأكل سَلَجان والقضاء لَيّان[1]. وقيل: الأكل سُرَّيطى والقضاء ضُرَّيطى[2]. مر بائع زيتون بامرأة فطلبت منه نسيئة، فقال: ذوقي لتعرفي جودته، فقالت: أنا صائمة قضاءً عن رمضان العام الماضي. فقال: يا فاعلة، أنت تمطلين ربك هذا المطل وتطلبين مني الزيتون بنسيئة؟ متى تقضين؟ قال: ومما يتمثل به في هذا الموضع قول كثير:

قضى كُلُّ ذي دَيْنٍ فوفّى غريمَه وعزّةُ مَمْطولٌ مُعَنًّى غريمُها[3]

وقال آخر:

مِن الناس إنسانانِ ديني عليهما مليانِ لو شاءا القضا قضياني
خليليّ أما أم عمرو فمنهما وأما عن الأخرى فلا تسلاني
إلى الله أشكو ما ألاقي وأَشْتكي غريماً لو أن الدين منذ زمانِ

الحث على إنظار المعسر:

قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٠]. وروي عن النبي ﷺ أن رجلاً فيما مضى لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس فيقول لرسوله: خذْ ما تيسَّر، ودَعْ ما تعسَّر، وتجاوزْ لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك قال الله تعالى له: هل عملت خيراً قط؟ قال: لا، إلاَّ أنه كان لي غلام أقول له: خذْ ما تيسر ودعْ ما تعسر، لعل الله يتجاوز عنا. فقال الله تعالى: لقد تجاوزت

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في فصل المقال ص ٣٧٩؛ ومجمع الأمثال ١/ ٤١. والسلجان: البلْع. والليّان: المَطْل.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في فصل المقال ص ٣٧٩. والسُّرَّيطى: من السَّرْط، وهو سرعة البَلْع. والضُّرَّيطى: من الضَّرْط، وهو إخراج الريح من الاست مع الصوت.

(٣) ديوانه ص ٤٣.

عنك. وقال ﷺ: من أنظر معسراً ووضع عنه أظلّه الله عزَّ وجلَّ في ظلّه يوم لا ظلّ إلاَّ ظلّه. وقال ﷺ: من يَسَّر على مُعْسر يَسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة.

لزم رجل غريماً له وهو يقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: الآية ٥٨]، والغريم يقرأ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٠]. وسئل ابن الزيات في رجل له عليه دين أن يصالحه على بعض وينظره به، فقال: إما توفير وتأجيل، وإما صلح وتعجيل.

المتبجح بمطل الدين والناوي الذهاب به:

بعضهم:

أُماطله العَصْرينِ حتى يملّني ... ويرضى بنُصفِ الدين والأَنْفُ راغِمُ

عباس السليطي:

إنِّي وجدك ما أقضى الغريمُ وإن ... حانَ القضاءُ ولا رقّتْ له كبدي

إلّا عصار زَنَتْ طالت برايتها ... تنوء ضربتُها بالكفِّ والعضُدِ

وقال وقد نظر إلى غريم له يحسب ربحه:

يلوي بنانَ الكَفّ يحسبُ ربحَه ... ولا يَحْسَبُ المطلَ الذي أنا ماطلُه

ومِنْ دونِ ما يرجو عناء مبرح ... أواخرُه ما تنقضي وأوائلُهُ

وذهب رجل إلى صديق له فقال: اقرضْني مائة درهم لأشتري بها شيئاً، عسى أربح فيه عشرين درهماً. فقال: إني أعطيك عشرين درهماً وأتخلص. فقال: لا أريد إلاَّ المائة. فقال: حديث من لا يريد أنْ يردّ الدين.

العارية:

قال النبي ﷺ: العارية مؤاداة.

بشر:

[وجَدْنا في كتاب بني تميم] ... أَحَقُّ الخَيْلِ بالرَّكْضِ المُعارُ(١)

جلس بعض أصحاب الحديث، فقال واحد لآخر: تفضَّل وأعِرْني قلماً. فأعطاه فقال: وأولني ورقاً، فدفعه إليه، فقال: ومحبرة. فأعطاه، وقال: يا فتى أتنشط للتزوّج؟ فإن أمي فارغة. وفي ذم من لا يعير، قال الله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾ [المَاعون: الآية ٧].

(١) ديوانه ص ٧٨.

الإفلاس:

قال رسول الله ﷺ: أيما رجل أفلس وعنده مال امرىء بعينه، لم يقبض منه شيئاً، فهو أحق بعين ماله، فإنْ قبض منه شيئاً، فهو أسوة الغرماء. وقال الحجاج: لا تجعلوا مالي عند من لا يمكنني استرجاعه منه، فقيل: ومَن الذي لا يمكنك استرجاعه منه؟ قال: المفلس.

وقيل لمفلس: يا مرابي! فقال: فأُل حَسَن. وفي المثل: أفلس من طنبور بلا وتر[١]. وقيل لمفلس: هل في كفك مال؟ فقال: هو أفرغ من فؤاد أم موسى[٢]. وفلّسَ القاضي رجلاً، فأركبه حماراً وطوّف به، ونودي عليه أن لا يبايع، فإنه مُفْلس، فلما أُنزل، قال له صاحب الحمار: هات الكِراء، فقال له: فيم كنا من أوّل النهار، يا أبله!.

الحث على أخذ الرهن:

قال الله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقۡبُوضَةٌۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٣]. وقيل: إن الله تعالى لا يسمع دعاء من له على غيره حق ولا رهن لديه ولا قبالة له عليه فيقول: قد أمرتك بالاستيثاق فخالفت. ورهن ﷺ درعه بثلاثين صاعاً من شعير كان أخذها رزقاً لأهله.

حكم غلق الرهن وتلفه:

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: لا يغلق الرهن؛ الرهن: من راهنه الذي رهنه له غنمه وعليه غرمه. وروي: الرهن بما فيه. وروي عنه ﷺ: الرهن مركوب ومحلوب. وقال بعض الشعراء في السخف:

أَمْسى غلامُك رَهْناً لا انكفاكَ له ... والرَّهْنُ في الحكم مَرْكوبٌ ومَحْلوبُ
فالدَّرُّ منه حَرامٌ ما نُطيفُ به ... والظَّهْرُ منه على الأحوالِ مركوبُ

الراهن آلات داره لفقره:

زياد الأعجم يشكو فقراً:

لقد لَجَّ هذا الدهرُ في نَكَباتِه ... عليّ إلى أن ليسَ في الكيس دِرْهمُ
وأَمْسَتْ جواليقي برغْمِ طبيعتي ... رهاناً على ما في الجواليقِ يعلمُ[٣]

---

(١) لم أقع عليه فيما عدتُ إليه من كتب الأمثال، ولا في موسوعة الدكتور إميل يعقوب «موسوعة أمثال العرب».

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ١/ ٢٧١؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٩٠.

(٣) ديوانه ص ٩٥.

وأخذ ذلك أبو زرعة الكناني فقال:

وسفْرتي في السوق مَرْهونةٌ على الذي يُؤكَل في السُّفْره

الرهون الظريفة من السخفاء:

قيل: تقدم رجل إلى بقال يسأله شيئاً، فامتنع، فدنا منه فسارّه، فدفع إليه، فقيل له: ما قال لك؟ قال: رهنني طلاق امرأته. وذلك أنه حلف بالطلاق أنه يرده غداً. فقال: ما رأيت رهناً مثله قط!.

وتقدم فتيان إلى فُقّاعي[1]، فشربوا فقاعاً وقالوا: ما معنا شيء، فخذْ من كل واحد منا صفعة رهناً، فصفع كل واحد صفعة، فجاؤوه في اليوم الثاني فقالوا: خذْ حقّك وردَّ الرهن، فقال: حلال لكم! فأبوا إلاَّ رد الرهن وأخْذ الحق، فأعطوه حقه وصَفَعه كل واحد صفعة.

* * *

ومما جاء في الأيمان

النهي عن الأيمان وذم من يكثرها:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: الآية ٤١]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٤]. قال سعيد بن جبير: هو أن يقول الرجل فيما شك على يمين. وقال النبي ﷺ: اليمين الغموس[2] تدع الديار بلاقع[3]. وقال: اليمين حِنْث أو مندمة. وأخذه بعض الشعراء فقال:

يا أيُّها المولى على جَهْدِ القسَمْ بعضَ التأني لا تسفهْ أو تلمْ

وقال النبي ﷺ: الأيمان الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة، والتاجر فاجر إلاَّ من أخذ الحق وأعطاه. قيل: العاقل إذا تكلم بكلمة أتبعها مثلاً، والفاجر إذا تكلم أتبع كلامه حلفاً. قيل: فلان لو سكن الفالج في لسانه، لما نقص حرفاً من إيمانه.

---

(١) الفُقاعي: بائع الفُقّاع، وهو شراب يُتَّخَذ من الشعير أو غيره. ويُعرف أيضاً بـ«الجِعة» (البيرة).

(٢) اليمين الغموس: الكاذبة.

(٣) بلاقع: جمع بَلْقَع، وهو المكان الخالي من الشَّجَر والماء والنبات.

النهي عن الحلف بغير الله:

قال النبي ﷺ: من كان حالفاً، فليحلفْ بالله. وكانت قريش تحلف بآبائهم فقال ﷺ: لا تحلفوا بآبائكم.

الرخصة في لغو اليمين:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٥]. وقيل: لغو اليمين أن يقول: كان كذا والله، ولا والله، ونحو ذلك. وروي أن رجلاً قال للحسن وعنده الفرزدق: ما تقول فيمن يقول: بلى والله، ونعم والله؟ فقال الفرزدق: أما سمعت قولي في ذلك؟ فقال الحسن: ما قلت؟ فقال:

فلَسْتُ بمأخوذٍ بلَغْو تقولهُ إذا لم تعمدْ عاقداتِ العَزائم[1]

فقال الحسن: أصبت. ثم قيل له: ما تقول في امرأة لها حليل؟ فقال الفرزدق: ألم تسمع قولي:

وذاتِ حَليلٍ أَنْكَحَتنا رماحَنا جَهاراً بأيدينا ولما تُطَلَّقِ[2]

فقال الحسن: أصبت. فقال الفرزدق: كنت أراني أشعر منك، فإذا أنا أفقه منك أيضاً.

وصف الكاذب بكثرة الحلف:

قيل: علامة الكاذب جوده بيمينه لغير مستحلف؛ ومنه أخذ المتنبي:

وَفي اليَمينِ عَلَى مَا أَنْتَ فَاعلُه ما دَلَّ أَنَّكَ في الميعادِ مُتَّهمُ[3]

وقال المنصور لعمرو بن عبيد: بلغني أن كتاب محمد بن عبد الله الدارمي ورد عليك، فقال: قد ورد له كتاب وما قرأته، وأنت تعلم رأيي في الخوارج، فقال له: طيِّبْ نفسي بخلعة. فقال: لا تسمني، فإني إن كذبتك تقية لأحلفن تقية.

القليل المبالاة بالحلف:

قال النبي ﷺ: من لم يحلفْ على ماله، فلا مال له. وادعى رجل على المأمون مالاً، فاستحضر قاضيه يحيى بن أكثم، فاستحلفه فحلف، ثم أمر للمدعي بما ادعى عليه، فقيل له في ذلك، فقال: حلفت له لئلا يجعل اتقاي ذريعة إلى أن يدعو علي، وبذلت المال لئلا يظن أحد أني حلفت لمبالاتي بهذا المال.

وادعى رجل على عمر ما لم يلزمه فحلف له. واستحلف أُبي بن كعب عمر

---

(١) ديوانه ٢/ ٣٠٧.
(٢) ديوانه ١/ ٣٨.
(٣) ديوانه ٤/ ١٣٠.

ابن الخطاب رضي الله عنه، فحلف كراهة أن يجعل الناس ترك الأيمان مع معرفتهم بالبراءة سنّة، فدخل ذلك في شدة الورع.

واستحلف عمرو بن عبيد على درهم ادعاه عليه بعض من أراد عنته، فقال حفص بن سالم: نعطيه نحن ونعفيك منه، ونرفع قدرك عن مطالبة مثله. فقال: ما أكره أن أحلف على حق، وما كنت لأعينه على معصية. وادعى رجل على عثمان رضي الله عنه مالاً واستحلفه فأبى واتقاه بدعواه، فقيل له: هلَّا حلفت إذا كان مبطلاً! فقال: خشيت أن يوافق حلفي قضاء فيقال: إن ذلك أصابه لجراءته على الحلف.

المتنبي:

وفاعل ما اشتهى يَغْنيهِ عَنْ حَلفٍ   على الفعالِ حُضورُ العقلِ والكَرَمِ[1]

من لم يتحاش من اليمين ولم يبال به:

حلف مديني على حق كان قَبله فقيل له في ذلك فقال: بالله ادفع ما لا أطيق. وأخذ ذلك ابن الرومي فقال:

وإنـي لـذو حـلـفٍ كـاذبٍ   إذا ما اضطررتُ وفي المالِ ضيقُ
وهـل مِـن جـنـاحٍ عـلـى مُـعْـسِـرٍ   يـدافـعُ بـاللَّـهِ مـا لا يـطـيـقُ[2]

ويقال في المثل: جَذَّها جَذَّ العير الصليانة[3]، إذا أسرع في اليمين، كأنه اقتلعها اقتلاع العير، هذا النبت. جاءت امرأة بزوجها إلى ابن شبرمة فحلف لها، فلما ولّى أنشد:

ألـم تـعـلـمي أني جَـموحٌ عِـنـانـهُ   وإنـي لا أعـدي عـلـي أمـيـرُ
محوتُ الذي في الصّكّ عني بحلفةٍ   سَـيَـغْـفـرُها الـرحـمٰنُ وهـو غـفـورُ

فسمعها الحاكم فرده، فعلم الأعرابي أنه أخطأ فقال: أيها الحاكم، أنت أفضل من أن ترجع في قضيتك. فقال: صدقت، ولكنني أقضي عنك، وقضى عنه.

البحتري:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.   (٢) ديوانه ٤/ ٢٧٢.

(٣) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٣١٩؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٤٣. وجَذَّها: قطعها، والضمير يعود إلى اليمين، أي: القَسَم. والصِّلْيانة: ضرب من النبات، إذا ارتعاه الحمار أو البعير اقتلعه بأصوله. يُضرب لمن يُسْرع الحلفَ.

سألوني اليمينَ فارتعتُ منها ... ليغروا بذلك الارتياع
ثم أرسلتها كمنحَدَرِ السيل ... تهاوى من المكانِ اليفاع[١]

وكان الشماخ عليه دين فقعد به، فقيل له: إنك تحضر القاضي وتحلف فتروع لذلك. فقال: حاش الله أن أحلف ولو سيم مني باطل، فكيف وعليّ حق لازم؟ فاغتر خصمه فأحضره وحلفه فحلف، وخرج من عند الحاكم، فقال:

وجاءت سُلَيمٌ قَضَّها بقَضِيضِها ... تُنغِّصُ حولي بالبقيعِ سِبالَها
يقولون لي احلفْ فلستُ بحالفٍ ... أُخادعُهم عنها لكيما أنالها
ففرجت هَمَّ النفسِ عَنّي بحَلْفةٍ ... كما قَدَّتِ الشَّقْراءُ يوماً جلالَها[٢]

أعرابي:

إذا حلَّفوني بالغَموسِ مَنَحْتهُم ... يميناً كسَحْقِ الألحمي المحرقِ
وإنْ حلَّفوني بالعتاقِ فقد درى ... سُحَيمٌ غلامي أنّني غيرُ مُعْتِقِ

قال ابن المعتز: بودي لو أن لي بيت الخثعمي بألف بيت:

وآلت يميناً كالزجاجِ رقيقةً ... وما حلفَتْ إلاَّ لتَحْنُثَ مِن أجلي

الحث على الحنث وكفارة اليمين:

قال النبي ﷺ: إذا حلف أحدكم على يمين، فرأى غيرها خيراً له منها، فليأت الذي هو خير، وليكفِّرْ عن يمينه. وقال أبو العيناء: أُتي بابن أبي خالد الذي كان بالسند بين يدي المتوكل، فقال: والله لأضربنه بالسِّياط، ووالله لا يشفع فيه أحد إلاَّ ضربت ظهره وبطنه! وكان ابن أبي دؤاد حاضراً، فتركه حتى ضربه عشرين سوطاً، ثم قال: يا أمير المؤمنين في هذا أدب وإن تجاوزت فسرف. فقال له: أما سمعت يميني، فقال: بلى، ولكن ما كان أمير المؤمنين ليؤثر غيظه على ما قال نبيه وابن عمه صلوات الله عليه وعلى آله، قال: من حلف على شيء فرأى خيراً منه، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه، وكفارة أمير المؤمنين مع العلو أقرب إلى الله وأفضل. فعفا عنه، وكَفَّر عن يمينه.

سأل بعض الناس بعض الخلفاء حاجة فقال: حلفتُ أنْ لا أفعل. فقال: يا أمير المؤمنين، إن لم تكن حلفت بيمين إلاَّ بررتها، فما أحب أن أكون أوَّل مَن يؤثمك، وإن كنت ربما حلفت، فرأيت ما هو خير منها، فكفرتها، فلست أحب أن

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) ديوانه ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤.

أكون أهون إخوانك عليك. فقال: سحرتني! وقضى حاجته.

الاستثناء في اليمين:

قال بعضهم لرجل يحلف: قلْ: إن شاء الله، فإنه يدفع الخبث، ويذهب الحنث، وينجز الحاجة، ويدرأ اللجاجة. كانت العرب تسمي الاستثناء في اليمين التحليل والمثنوية على ذلك. قال الشاعر:

تحلّل أبيتَ اللعنَ ... في قولِ آثمِ

وقال:

وإذا حلفْتَ ... مُمارياً فَتَحَلَّلِ

وقال تعالى: ﴿تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التّحريم: الآية ٢].

النابغة:

حَلَفْتُ يميناً غيْرَ ذي مثنويَّةٍ ... [ولا عِلْمَ إلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بصاحبِ][1]

وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الاستثناء بعد تراخي الأزمان يصح. وكان المنصور دعا أبا حنيفة يوماً فقال الربيع وكان يعاديه: هذا أبو حنيفة يخالف جدك حيث يقول: إذا استثنى الرجل في يمين بعد يوم جاز استثناؤه. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين هذا الربيع يزعم أنه ليس لك بيعة في رقبة جندك. قال: كيف؟ قال: يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم. فضحك المنصور وقال: يا ربيع، إياك وأبا حنيفة! فلما خرجا، قال الربيع: كدت تشيط بدمي. فقال أبو حنيفة: أنت أردت أن تشيط بدمي، فحصنت نفسي وإياك.

المعاريض في الأيمان:

قيل: في المعاريض مندوحة عن الكذب[2]. وقال عمر رضي الله عنه: إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب. وقال أبو الحسن اللؤلؤي: واللاه لا أفعل كذا، ويعني فاعل اللهو، وما لي صدقة، يعني ليس لي صدقة. وفي كتاب «المنقذ» للمفجع الشاعر ما فيه مقنع من معاريض الأيمان.

---

(١) ديوانه ص ٤١.

(٢) في أمثال العرب: «المعاذير يشوبها الكذب» (المستقصى ١/ ٣٤٧؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢٩٦).

الأيمان بالله:

من حلْف أمير المؤمنين رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا والذي أمن من آمن به بالله جهد المقسم، وبالله الذي لا شيء أعظم منه، وكل يمين بعد دونه، وأنا أعلم علم اليقين وأحلف إن دعيت إلى اليمين الصابي، والله العظيم مالك يوم الدين، وأنا غني عن اليمين، إني أعلم ذلك علم اليقين بالله يميناً حلوة مرة. ومن أقسام النبي ﷺ: لا ومُقَلِّب القلوب، لا والذي نفسي بيده.

شاعر:

وأقسَمْتُ بالرحمٰن لا شيءَ غيره يـمـيـنَ امـرىءٍ بَـرٍّ ولا أتـحـلَّـلُ

قال أبو بكر الصولي: لا أعرف في الأيمان شعراً أعذب من قول البحتري:

حَـلَـفْـتُ بـربِّ زمـزمَ والـمـصـلَّـى وربِّ الـحـجْـرِ والـحـجَـرِ الـيـمـانـي

وبـالـسَّـبْـع الـطِّـوال ومَـن تـولّـى تـلاوتَـهُـنَّ والـسَّـبْـعُ الـمـثـانـي[١]

اليمين بالبيت والهدى:

تقول العرب: وحَقِّ هذه البُنَيَة.

عويف بن الأحوص:

وإنـي والـذي حـجَّـتْ قـريـشٌ مـحـارمَـه ومـا جـمـعَـتْ حـراءُ

وشَـهْـر بـنـي أُمـيـةَ والـهـدايـا إذا حَـبَـسَـت تـضـرجُـها الـدماءُ

الفرزدق:

حَـلَـفْـتُ بـمـا إلـيـه يَـؤُمُّ نـاسٌ مِنَ الآفاقِ مِنْ يمَنٍ ومصرِ[٢]

اليمين بالطلاق:

أول من استحلف بالطلاق ابن مسلمة، وكان والياً على كرمان، استحلف جنده بالطلاق، فقال بعضهم:

رأيتُ هُذَيْلًا أحْدَثَتْ في طلاقِهِم طلاقَ نِساءٍ لم يسوقوا لها مَهْرا

وقيل: أول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب، استحلف الأنصار ليلة العقبة حين أخذ عليهم البيعة لرسول الله ﷺ، طلق رجل امرأته عدد

(١) ديوانه ص ٢٢٣١ ـ ٢٢٣٢. والسَّبْع الطِّوال: السُّوَر الكُبْرى من القرآن الكريم، وهي البقرة وما تلاها إلى التوبة على أن تُحسب التوبة والأنفال سورة واحدة، ولهذا لم يُفصل بينهما في المصحف بالبسملة. والسبع المثاني: آيات فاتحة القرآن، لأنها سبع آيات.

(٢) ديوانه ١/ ٣٣٨.

نجوم السماء فجاء إلى ابن عباس واستفتاه فقال: يكفيك من ذلك الهقعة، وهي رأس الجوزاء ثلاثة أنجم.

قيل لمزيد المديني: لم تكثر الحلف بالطلاق؟ فقال: لأني لما تزوجت امرأتي حلفت بالطلاق أني أحلف بالطلاق في كل حق وباطل كل يوم، فيميني بالطلاق إمساك لها، وإلاَّ بانت. حلف رجل بالطلاق، فقدمته امرأته إلى القاضي، فسأله عن اليمين فأخبره، فجعل القاضي يتفكر، فقال له الرجل: فيم تتفكر؟ قال: أطلب لك مخرجاً من اليمين. قال: قد هَوَّنَ الله عليك أشهدك أنها طالق سبعين.

قال الأصمعي: كان على بعض الأعراب دين ثقيل، فتعلق به غرماؤه، وكان معدماً، فساموه أن يحلف لهم بالطلاق أن لا يهرب، فحلف لهم بطلاق امرأتين كانتا له، ثم هرب، وأنشأ يقول:

لو يَعْلَمُ الغُرماءُ ما مَقْتي لهم ... ما حَلَّفوني بالطلاقِ العاجلِ
قد مَلَّتا ومَلَلْتُ مِنْ وجهَيهما ... عَجْفاء مُرْضِعةٍ وأخرى حامِلِ

ابن الرومي:

إذا ما حَلَفَ النغلُ ... ففي أيمانِه رُخْصَهْ[1]

منصور بن باذان:

يا ذا الذي جعَلَ الطلا ... قَ سِلَاحهُ عندَ الحقيقَهْ
لا تحلفَنْ بطلاقِ مَنْ ... أَمْسَتْ حوافرُه رقيقَه
هيهاتَ قَدْ علِم الأنَا ... مُ بأنها صارَتْ صَديقَه

الأيمان بأهل البيت:

كان حماد بن موسى يترفض، وكان له صديق يثق إليه ويوافقه في مذهبه، فأودعه حماد دراهم، وطالبه بها بعد مدة فجحده، فاضطر إلى أن مضى لمحمد بن سليمان وسأله أن يحضره، ويحلف له بحق علي بن أبي طالب، فإنه يتحرج من ذلك، فقال: أعزَّ الله الأمير، هذا الرجل أجلّ عندي من أن أحلف له بالبراءة من مختلف في ولايته وأيمانه، ولكني أحلف له بالمتفق على أيمانهما وخلافتهما أبي بكر وعمر، فضحك محمد بن سليمان والتزم بعض ما ادعى عليه وصالحه على بعض. اعترضت امرأة المأمون وكان قد غصبها ضيعة فقالت:

(١) ديوانه ٤/١٨.

ألا أيُّها الملِكُ المرتجى لريبِ المنونِ وصَرْفِ الزمنْ
بحقّ النبيّ وحَقِّ الوصيِّ وحَقِّ الحسينِ وحقِّ الحسَنْ
وحقِّ التي غصَبْتَ حَقَّها ووالدها بعد ذا ما اندفَنْ
شفعتُ إليكَ بأهلِ الكِساء فإنْ لم تشفَّعْ شفيعي فمَنْ؟

وكان أهل الكوفة إذا حلفوا يقولون: وحق الثلاثة، يعنون النبي وأبا بكر وعمر. فرفع رجل إلى الحسن بن زيد، وهو أمير المدينة في ذنب، فأمر أن يضرب فقال له: بحق الثلاثة عليك إلاَّ ما عفوت عني. فقال: وحق أحد الثلاثة عليّ وحقي على الاثنين إلاَّ أوجعتك! فبلغ قوله المنصور فقال: قاتله الله، فما أمر نفسه!.

أيمان الأعراب:

اختصم أعرابيان في حق، فأقبلا إلى والٍ، فوجبت اليمين على أحدهما، فقال المدعي: كِلْه إليّ أيها الحاكم أحلفه. فقال له: أنت وذاك. فدور له دائرة في الأرض، وقال: اجلس فيها. فجلس فقال له: جعل الله نومك نغصاً، وأكلك غصصاً، ومشيك رقصاً، ومسحك برصاً، وقطعك حصصاً، فأدخلك قفصاً، وأدخل في استك هذا العصا! فأبى أن يحلف واتقاه بحقه.

واستحلف أعرابي خصماً فقال: قل لا أصحبني الله عصمة ولا سد عني خلة، وأحضرني كل نقمة وأثكلني كل نعمة، وصرد لي المشرب وسلبني الأقرب فالأقرب، إن كان ما ادعيت حقاً، فاتقاه بحقه.

اختصم أعرابيان إلى أمير اليمامة، فقال أحدهما: إن لي قبل صاحبي حقاً فمره يخرج منه. فأنكر، فقال الوالي: أحالف أنت؟ قال: نعم، فقال خصمه: دعني من يمينك حتى أحلفه. فقال: قل. لا ترك الله لي خفاً يتبع خفاً، ولا ظلفاً يتبع ظلفاً، وحتني من أهلي ومالي حت الورق، وخلعني من أهلي ومالي خلع الخضاب، وأحوجني إلى شر خلق الله إن كان لهذا قبلي حق! فقال: لا أحلف! واتقاه بما ادعى عليه.

وحلف أعرابي آخر فقال: قل لا استتبت الله من خطيئة ولا استنجدته لبلية، ولا وفيت له بعهد ولا استجرته أوان جهد. فاتقاه بحقه.

وقال أعرابي لآخر في حق: أتحلف؟ فقال: نعم. فقال: قل ألزمني الله الزلل ولا سد عني الخلل، وألبسني القل والملل وألصق بي الغم والعلل، وقطع

عني سببه وأصحبني غضبه، وأحضرني نقمه وأعدمني نعمه، وكدر لي المشرب وأفقدني الأقرب فالأقرب إن كان لك عندي حق! فاتقاه ولم يحلف.

أيمان الأسخياء وذوي العلاء:

كان من يمين يحيى بن خالد: لا وعزة الوفاء وحرمة السخاء.

الأشتر:

بقَّيتُ وفري وانحرفتُ عنِ العلا ولقيتُ أضيافي بوجه عبوسِ

أبو علي البصير:

أكذبت أحسنَ ما يظنُّ مؤملي وهدمتُ ما شادَتْه لي أسلافي

وعدمْتُ عاداتي التي عودتها قدماً من الأخلافِ والأتلافِ

وغضضتُ من ناري ليخفي ضوؤها وقريت عذراً كاذباً أضيافي

إن لم أصبَّ على عليَّ حلّةً أضحت قذًى في أعينِ الأشرافِ(١)

أبو مسلم الرستمي:

إذاً فلا رفعَتْ كاساً بنانُ يدي ولا سعت بي لتطلابِ العلى قدمي

وأثكلتني القوافي رقتي وغَدَتْ في نسجِها كلمى غفلا بلا علمِ

الأستاذ الرئيس:

عَقَقْتُ العلى إن كنتُ خنتُك بالقلا وعفْتُ الندى إن لم أكنْ ذا جوًى يذوى

التنوخي:

إذاً فرأيْتُ العرفَ في صورةِ النكْر

آخر:

إذاً فلا بلغَتْ نفسي أمانيها

آخر:

إذاً فثَكَلتُ سابغتي وسيفي غداةُ وغى وراحلتي وزادي

الموسوي:

وإلاَّ فلا أمّني النازلون ولا جاءني الطارقُ المجتدي

أيمان الشرب ومتعاطي اللهو:

وهب الهمداني: لا والذي سنّ للمدامة والماء نكاحاً بغير طلاق.

---

(١) ديوانه ص ٢٧٠.

المخزومي:

لا والذي قسَمَ الصَّهباءَ من ذَهَبٍ والماءَ من فضةٍ ما ساد من بخِلا

علي الأحول:

كفرتُ إذاً بحقوقِ الصَّديقِ وعَرْبَدْتُ في الشربِ عندَ المدامِ

أيمان الكهنة وأهل الجاهلية:

أُقسمُ بالضياء والحلك والنجوم والفلك والشروق والدلك، لقد خبأت ثدين فرخ في أعليط مرخ. كانت العرب تتحالف على النار وتتعاقد على الملح، ولذلك قال الشاعر:

حلفتُ لهم بالملحِ والقومُ شهدٌ وبالنارِ واللاتِ التي هي أعظمُ

الكميت:

بهولة ما أوقد المخلفون لدى الخائفين وما هوّلوا[1]

والهولة: نار كانوا يوقدونها ويلقون عليها الكبريت ليستعظم مرءاها، ويهابها من أقدم على اليمين ويخشاها.

أيمان النوكة والسفل:

من أيمان أهل بغداد: أعطيت الله ألف جوالق عهود. ويقولون: أعطيت الله مائة ألف كر مواثيق. كانت أيمان مزبد: وإلا فسلحت في القبلة وحشرت في صورة قرد. بعض أعقاب الأنبياء: ادّعى رجل على آخر طنبوراً عند بعض القضاة فقال: حلفه. فقال القاضي: إن كان عندك الطنبور، فأيري في حجرك! فقال: أي يمين هذا؟ فقال: يمين الطنابيريين.

وادعى رجل على امرأة فقال الرجل: إن كنت كاذبة، فأير القاضي في حرك، فتوقفت المرأة، فقال لها القاضي: قولي، وإلاَّ اخرجي من حقه.

وادعى ريحاني شيئاً على آخر عند قاض فقال القاضي له: قل والله الذي لا إلٰه غيره، فقال: ليس هذا من يمين الريحانيين، أمي بَظْراء إن كان له عندي شيء! فقال القاضي: قم فما أراك إلاَّ صادقاً. وحلف مزبد فقال: إن كان كذا فعليّ أن أصعد السماء في حزيران على سلم من الزبد.

---

(١) ديوانه ٢/ ١٤.

أيمان الظرفاء:

الرصافي:

أما وتفتير طرفِك الوَسَنِ وحُسْنِ خالٍ بخدِّكِ الحسَنِ

الخبزأرزي:

بمجاري فلك الحسن التي في وجناتك

ابن المعتز:

وحياةِ عاذلتي لقَدْ صارمتُه وكذبْتُ بل واصلتُه وحياتهِ[١]

البحتري:

وحياةِ من أهوى فإني لم أكن أبداً لأحلف كاذباً بحياتهِ[٢]

أيمان أهل الذمة:

قال إسحق الموصلي: وجبت على عون العيادي يمين بحضرة الفضل بن الربيع، وكانت بيننا وحشة، فقلت: ولِّني استحلافه. فقال: قد فعلت. فقلت: قلْ: بالذي لا يعبد غيره ولا ندين إلاَّ له، وإلاَّ فخلعت النصرانية وبرئت من المعمودية، وطرحت على المذبح حيض يهودية، وقلت في المسيح ما يقول المسلمون إن الله خلقه من غير أب كمن خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولعنك البطريق الأكبر والبطارقة والقمامسة والأساقفة والديرانيون، وأصحاب الصوامع عند مجمع الخنازير وتقريب القربان، وعليك لعنة الثمانية عشر أسقفاً الذين خرجوا من رومية حتى أقاموا عهود النصرانية، وإلاَّ فشققت الناقوس وطبخت به لحم الجمل يوم الاثنين عند مدخل الصوم، وهدمت كنيسة لد وبنيت بحجارتها مستراحاً لليهود، وهتكت درع داود وإلاَّ فسقط عليك قربانك من يدك، وأخذته من يد يهودي وأنت حنيف مسلم، وهذه اليمين لازمة لك ولعقبك من بعدك! فقال: والله ما أجوز أن أسمعها، فكيف أحلف بها؟

ومن أيمان اليهود:

والله الذي لا إلٰه إلاَّ هو منزل التوراة على موسى، وإلاَّ فأنت بريء من اليهودية داخل في الحنفية، وبرئت من الآيات العشر التي أنزلت على موسى بطور سيناء، وبرأك الله من الأربعة الأخياط التي في كساء هارون أخي موسى، وبرئت

---

(١) ديوانه ١/ ٢٤٥.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

من شمعون وشمعي، ومن يوم السبت وحقه، وحرمت الفطير في وقته، وخرقت توراة موسى بأسنانك، ومحوت كل آية بلسانك، وعليك المشي إلى بيت المقدس.

أنواع من ذلك:

حلف أعرابي بالمشي إلى بيت الله أن لا يكلم ابنه، فحضرته الوفاة فقيل له: كلِّمه قبل مفارقة الدنيا. فقال: ما كنت قط أعجز عن المشي إلى بيت الله مني الساعة. كان قوم عليهم دين لأعرابي، فقدموا على أن يحلفوا فقال الأعرابي:

يا ربِّ إن كانَ بنو عميرَه ... قد أجمعوا بحلفةٍ مشهورَه
فابعَثْ إليهم سَنَةً قاشورَه ... تحتلقُ المالَ احتلاقَ النورَه[1]

* * *

ومما جاء في الاكتساب والإنفاق

الحث على تثمير المال في الصغر والكبر:

حكي أن كسرى مرَّ بشيخ كبير يغرس فسيلاً[2]، فقال له: يا هذا، كم أتى عليك من العمر؟ قال: ثمانون سنة، قال: أفتغرس فسيلاً بعد الثمانين؟ فقال: أيها الملك، لو اتكل الآباء على هذا، لضاع الأبناء. قال كسرى: زه يأخذ أربعة آلاف درهم. فقال: أيها الملك الفسيل يطعم بعد سنين من غرسه، وهذا قد أطعمني في سنته. فقال: زه يأخذ أربعة آلاف درهم. فقال: أيها الملك الفسيل يطعم في السنة مرة وهذا قد أطعمني في أوّل السنة مرتين. فقال: زه يأخذ أربعة آلاف درهم. فقال الوزير: إن لم ينهض الملك، أردى هذا بحكمته بيت المال.

تثمير ذي مال كثير لمال حقير:

قال سعيد: ولّاني عتبة بن أبي سفيان ماله بالحجاز، فقال: تعهد صغير مالي يكبر ولا تجف كبيره فيصغر، فإنه ليس يمنعني كثير ما في يدي من إصلاح قليل مالي، ولا يشغلني قليل ما في يدي عن الصبر على كثير ما ينوبني.

وأتى قوم قيس بن عبادة يسألونه حمالة، فصادفوه في حائط له يتبع ما يسقط من الثمر، فيعزل جيده ورديئه، فقاموا حتى فرغ فكلموه في ذلك، فبذل لهم ما

---

(١) السنة القاشورة: الشديدة القَحْط.

(٢) الفسيل: جمع فسيلة، وهي النخلة الصغيرة تُقطع من الأم فتُغْرَس.

أرادوا، فقال بعضهم: صنيعك هذا مناف لترقيح عيشك. فقال: بما رأيتم من فعلي أمكنني أن أقضي حاجتكم. وقال زياد: لو أن لي ألف ألف درهم ولي بعير أجرب، لقمت به قيام من لا يملك غيره، ولو أن عندي درهماً واحداً فلزمني حق لوضعته فيه. قال الوليد بن يزيد: لأجمعن جمع من يعيش أبداً، ولأُنفقنه إنفاق من يموت غداً.

التمدُّح بالتكسب والحث على ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ١٠]. فدل على وجوب الطلب أو فضيلته. قال الموصلي: عليكم بالتكسب، فأول ما يبدأ به الفقر دين الإنسان. ولما أقبل النبي ﷺ من غزوة تبوك، استقبله معاذ، فصافحه فقال: كبنت[١] يداك. قال: نعم احترث بالمسحاة[٢]، وأنفقه على عيالي. فقبله وقال: لا تمسها النار. وقال بعض الحكماء: لا تدع الحيلة في التماس الرزق بكل مكان، فالكريم محتال والدنيء عيال.

عروة بن الورد:

إذا المرءُ لم يَطْلُبْ مَعاشاً لنَفْسه ... شكى الفقرَ أو لام الصديقَ فأكثرا

فسرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى ... تعشْ ذا يسار أو تموتَ فَتُعْذَرا[٣]

وقيل: هو أكسب من الذر والنمل ومن الذئب[٤]. وقيل: فلان يسعى سعي الأمّ البَرَه، ويجمع بجهده جمع الذرَه.

تفضيل الكسب على السؤال:

كان عمر رضي الله تعالى عنه إذا نظر إلى فتى وأعجبه سأل: هل له حرفة؟ فإذا قالوا لا، سقط من عينه. وكان يقول: مكسبة فيها دناءة خير من مسألة الناس. وقال ابن عباس رضي الله عنه: قدم قوم على النبي ﷺ فقالوا: إن فلاناً يصوم النهار، ويقوم الليل، ويكثر الذكر. فقال: أيكم كان يكفي طعامه وشرابه؟ فقالوا: كلنا. فقال: كلكم خير منه.

---

(١) كبنت: ورمت.

(٢) المسحاة: آلة كالمجرفة يُجرف بها الطين أو نحوه.

(٣) ديوانه ص ٨٩.

(٤) ورد المثل: «أكسب من الذرّ» والمثل «أكسب من الذرّ»، والمثل «أكسب من الذنب» في جمهرة الأمثال ٢/ ١٧٥؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٦٨.

وروى أنس أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ وقال: أتيتك من أهل بيت لا أراني أرجع إليهم من الجوع. فقال: أما عندك شيء؟ قال: لا. فأعطاه درهمين وقال له: اذهب فابتْع بأحدهما طعاماً وبالآخر فأساً، واحتطبْ وبعْ. فغاب خمسة عشر يوماً ثم جاء فقال: بارك الله لي فيما أمرتني به، أصبتُ عشرة دراهم، فابتعت لأهلي بخمسة طعاماً وبخمسة كُسْوة. فقال النبي ﷺ: هذا خير لك من المسألة، إن المسألة لا تحل إلاَّ لأحد ثلاثة: دم موجع، أو غرم مفظع، أو عَدَم مُدقع.

وقال إبراهيم عليه السلام: يا رب استحييت من كثرة تصرفي في طلب الرزق، فأوحى الله إليه: ليس طلب المعيشة من طلب الدنيا.

شاعر:

ولا تَدَعْ مَكْسباً حلالاً تكونُ مِنهُ على بيانِ

تفضيل التكسب على التوكل:

قال حكيم لرجل يجلس إليه: ما حرفتك؟ قال: التوكل على ربي والثقة بما عنده. فقال الحكيم: الثقة بربك تحرم عليك إصلاح معيشتك، أوَما علمت أن طلب ما تعف به عن المسألة حزم، والعجز عنه فشل، والفقر مفسد للتقى، متهم للبريء ولا يرضى به إلاَّ الدنيء. وأنشد:

فإن قلت: يكفيني التوكُّل والأسى فقد يطلب الرزقَ الذي يتوكَّل

وقيل لحكيم: احذر كلّ الحذر أن يخدعك الشيطان، فيمثل لك التواني في التوكل، ويورثك الهوينا بإحالتك على القدر، فإنّ الله أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم للقضاء بعد الإعذار، فقال: ﴿خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النِّساء: الآية ٧١]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٥]. وقال النبي ﷺ: اعقلْها وتوكَّلْ. وقال عمر لرجل: ما معيشتك؟ قال: رزق الله. فقال: لكلِّ رزق سبب، فما سبب رزقك؟

أبو تمام:

وصدقت أن الرزق يطلبُ أهلَه لكنْ بسيرةِ مُتْعَبٍ مَكْدودِ(١)

وقال الموسوي وقد أحسن في معناه:

(١) ديوانه ٢/ ٤١٦.

اعـزمْ فـليـسَ عـليـكَ إلاَّ عـزمـةٌ والـعَـجْـزُ عـنـوانٌ لـمـن يـتـوكَّـلُ
أو حَـمِّـلِ الـلَّـومَ الـقَـضـاء فـإنـهُ عـودٌ لأَحـمـال الـمـلامِ مـذلـلُ

الترغيب في طلب المعاش مع مراعاة المعاد:

قال النبي ﷺ: خيركم من لم يدع دنياه لآخرته، ولا آخرته لدنياه. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: احرث لآخرتك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً. ينبغي للعاقل أن يكون ظاعناً إلاَّ في ثلاث: تزود لمعاد، ومرمة لمعاش، ولذة في غير محرم.

جرير:

فـلا هـوَ فـي الـدنـيـا مـضـيـعٌ نـصـيـبُـه ولا غرضُ الدنيا عن الدينِ شاغِلُه[1]

وقال خالد: يا بُني، خصلتان لا تبال ما صنعت بعدهما: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك.

الترغيب في اكتساب الحلال:

قال ابن المبارك: لقيت رجلاً بمكة يبيع الخرز، وكان أبوه خرّازاً، فسألته عن ذلك، فقال: إن الله لا يسألني هلا كنت خزازاً وإنما يسألني من أين اكتسبت، وفيم أنفقت؟ وقال ﷺ: لا يكتسب عبد درهماً من حرام فيتصدق به، أو ينفقه، أو يتركه، إلاَّ كان زاده في النار. وقال سفيان: عليكم بعمل الأبطال: الاكتساب من الحلال، والإنفاق على العيال. واستأذن رجل النبي ﷺ في الجهاد فقال: أَلَكَ من تعوله؟ قال: نعم. قال: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله.

النهي عن التواني في التكسب:

قال هرم: من التوفيق رفض التواني، ومن الخذلان مسامرة الأماني.

شاعر:

وإن وطـاءَ الـعَـجْـزِ أورثَ خـلَّـةً وأصْلَدَ ما أورى الأَكُف القوادِحُ

وقال:

ومـا طَـلَـبُ الـمـعـيـشـةِ بـالـتَّـمَـنِّـي ولـكِـنْ أَلْـقِ دلـوَك فـي الـدِّلاءِ[2]

وقيل:

---

(١) ديوانه ص ٧٠٣.

(٢) البيت لأبي الأسود الدّؤلي في ديوانه ص ١٦٠.

حُبُّ الهوينا يُكْسِبُ النَّصَبا

مدح الشغل وذم الفراغ:

قال بزرجمهر: إن يكن الشغل محمدة، فالفراغ مفسدة، الراحة للرجال عقلة وللنساء غُلْمَة[1]. واستشار رجل في عمل يتولّاه آخر، فقال: اعلم أن الفراغ من شأن الأموات، والاشتغال من شأن الأحياء، فإنْ قدرت أن تكون حياً فافعل.

وقال حكيم: لا تفرغْ قلبك من ذِكْر، ولا ولدك من شغل، فالقلب الفارغ يبحث عن السوء، واليد الفارغة تنازع إلى الإثم، وقال آخر: أُحذركم عاقبة الفراغ، فإنّه شرٌّ من السكر. وقال الفضل بن مروان: الكاتب كالدولاب إذا تعطل انكسر.

الأمر بالاقتصاد في الطلب:

قال النبي ﷺ: اقتصدوا في الطلب، فإنّ ما رزقتموه أشد طلباً منكم له، وما حرمتموه فلن تنالوه ولو حرصتم. وقيل: لا يدرك بالحذق هارب الرزق.

المرقش الأصغر:

أجْمَلُ العيشِ أنَّ رزقُك آتٍ ... لا يرد الترقيحُ شَرْوى فَتيلِ[2]

أبو الشيص:

لكلّ امرىء رِزْقٌ وللرزقِ جالبٌ ... وليسَ يفوتُ المرء ما خَطَّ كاتبُه

يُساق إلى ذا رزقُه وهو وادِعٌ ... ويحرمُ هذا الرزقَ وهو طالبُه[3]

وقال أبو تمام:

والحظ يُعطاه غيرُ طالبه ... ويُحرزُ الدرَّ غيرُ مُجْتَلبِه

تِلْكَ بناتُ المخاضِ راتعةٌ ... والعود في كوره وفي قتبِهِ

آخر:

حظك يأتيك وإن لم ترم

راشد الكاتب:

إذا كانتِ الأرزاقُ في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنمْ لذَّة الدعَه

وإن ضاق أمرٌ يفرجُ الله ما ترى ... ألا رُبَّ ضيقٍ في عواقبهِ سعَه

---

(١) الغُلْمة: الشهوة الجنسيَّة.
(٢) ديوانه ص ٥٦٠.
(٣) ديوانه ص ٣٢.

العطوي:

لا تحسَبنَّ طول الرَّحْل يزيدُ في رزقِ الأجلْ
ولا مُقاماً وادعاً يَدْفعُ رزقاً قد نَزَلْ

وقيل لبعض من تقاعد به الزمان: القِ الدّلاء، واجذِبْها ملاء. فقال: كيف أنزع دلواً، خان رشاؤها[1]، وأسدد سهماً زالت أغراضها.

الحث على السفر في طلب المال:

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك: الآية ١٥]. وقال النبي ﷺ: سافروا تغنموا. وسئل ضمرة بن ضمرة عن الفقر الحاضر والعجز الظاهر، فقال: أما الفقر الحاضر فمن لا تشبع نفسه، وأما العجز الظاهر فالشاب القليل الحيلة اللازم الحليلة، إن غضبت ترضاها، وإن رضيت فداها، يحوم حولها ويطيع قولها. قيل: رأس العجز أن تقيم فلا تريم، وأن تخيم فلا تظعن، فمن طلب جلب، ومن تَبَغَّلْ تبقَّلْ، ومن نام رأى الأحلام. وقيل: الحركة لقاح الجد العقيم.

أبو تمام:

أرادَ بأن يحوي الغنى وهو وادعٌ وهل يغرسُ الليث الطَّلا وهو رابِضُ[2]؟

قال بزرجمهر: السعيد يتبع الغنى، والشقي يتبع مسقط رأسه.

شاعر:

ذو اللبِّ تنزع للرفاهةِ نفسُه وترى الشقيَّ نزوعُه للموطنِ

أخذه المبرد:

الفقر في أوطانِنا غربةٌ والمالُ في الغربةِ أوطانُ

آخر:

وكُلُّ بلادٍ أخصبَتْ فبلادي

المتنبي:

وما بلدُ الإنسانِ غير الموافقِ ولا أَهلهُ الأدنونَ غير الأصادقِ[3]

---

(١) ديوانه ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩.
(٢) رشاء الدلو: حبلها.
(٣) ديوانه ١/ ٣٨٦.

إقامة العذر في الطلب:

عروة بن الورد:

لـتـبـلـغَ عـذراً أو تُـصـيـبَ رغـيـبـةً ومبلغُ نَفْسٍ عُذْرُها مثلُ مُنجِحِ[١]

كشاجم:

وعـلـيّ أن أسـعـى ولـيـس عـلـيّ إدراك الـنـجـاحِ[٢]

آخر:

قـد قـضـى مـا عـلـيـه مَـن بـلـغ الجهدَ وإن لم يصل إلى ما أرادا

المتكسب بسلاحه:

دخل رجل على أبي دلف فاستماحه وانتسب له، فقال له: أتستميح وجدك القائل:

ومَـنْ يـفـتَـقِـرْ مِـنَّـا يـعِـشْ بِـحُـسَـامِـه ومَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سائِرِ النّاسِ يَسْأَلِ[٣]

فخرج الرجل وجرد سيفه، فاستقبله وكيل لأبي دلف معه مال، فاستلبه وقتله، فاتصل الخبر بأبي دلف فقال: دعوه، فإني علمته. وقال بعض الشجعان: التظلل ضرر والاتكال غرر، ولا يكسب الأموال إلاَّ منازلة الأبطال ومصاولة الرجال، وتجريد السيوف ومباشرة الحتوف. الأعشى:

فتى لا يـحـبُّ الـزادَ إلاَّ مِن الـتـقـى ولا الـمـالَ إلاَّ مـن قَـنـاً وسـيـوفِ[٤]

ابن نباتة:

شرابُهُم في الحربِ ما تمطرُ القنا وأكـلـهـمُ مـا تـجـتـنـيـهِ الـصـوارِمُ

وصف الناس بأن تصرفهم في طلب المعاش:

أبو العتاهية:

الـمـرءُ يَـغْـلُـطُ فـي تَـصَـرُّفِ حـالِـه فـلـربـمـا اخـتـارَ الـغـنـاءَ عـلـى الـدعَـةْ

كُـلٌّ يـحـاولُ حـيـلـةً يـرجـو بـهـا دَفْعَ المَضرَّةِ واجتلابَ المنفَعَهْ[٥]

وقيل لفارسي: فيم تقلب الناس؟ فقال بالفارسية: أش نيازواز، أي: من الفقر والحرص.

آخر:

---

(١) ديوانه ٣/ ٦٣.
(٢) ديوانه ص ٤٠.
(٣) ديوانه ص ٥٤.
(٤) البيت لبكر بن النطاح. ص ٢٥٨.
(٥) لم أقع عليه في ديوانه.

كُلُّ امرئٍ مُشْتَغِلٌ بنفسِه يطلبُ ما يطحنُه بضِرْسِهِ[١]

النهي عن الاغترار بما في يد الغير:

قيل: غنك خير من ثمين غيرك[٢].

شاعر:

وإنْ حَدّثَتْكَ النفسُ أنك قادرٌ على ما حوتْ أيدي الرجالِ فَجَرِّبِ

أبو العتاهية:

لا تغضبَنّ على امرئٍ لك مانعٌ ما في يَدَيه
واغضبْ على الطمعِ الذي استدعاك تطلبُ ما لَدَيْه[٣]

تفضيل الحاضر على المنتظر:

في المثل: عَشِّ ولا تَغْتَرّ[٤]. وقيل: لقمة في فمك أحضر منفعة من فَخْذ في تنور. معاطاة الموجود خير من انتظار المفقود.

الحث على حفظ المكتسب:

قال سقراط: لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه.

شاعر:

لِحفْظُكَ مالاً قد عنيتَ بجمعِه أشدُّ من إدراكِ الذي أنتَ طالبُه

آخر:

لحفظُ المالِ خيرٌ من ضياعٍ وطَوفٌ في البلادِ بغير زادِ

وقيل: حفظ الموجود أيسر من طلب المفقود. وقيل: احذر نفاد النعم، فما كل شارد مردود.

الحث على حفظ المال لنوب الأيام:

محمد بن غالب:

إنَّما الدُّنيا ضبابُ قذًى تَكِفُ الأحزان عن مَطَرِه
فاتَّخذْ للدهرِ في يُسُرٍ عُدّةَ تبقى على عُسُرِه

---

(١) ديوانه ص ٢٣٥.

(٢) ورد المثل في مجمع الأمثال ٢/ ٥٨؛ والمستقصى ٢/ ١٧٦.

(٣) ديوانه ص ٤١٢.

(٤) ورد المثل في مجمع الأمثال ١/ ٣٣ برواية «عشّر إبلك ولا تضرّ». ويُضرب لأخذ الحيطة والحَذر.

البديهي:

لا تحسبَنّ ادّخارَ المرءِ قنيتَه لصونِه وجهَه بل لا هو الكرمُ
عزّ القناعةِ بالموجود يَمنع من ذلّ القنوع وحفظُ العِرض مغتنمُ

حفظ المال بالختم عليه:

قيل: من ختم البضاعة أمن الضياعة. من الكيس ختم الكيس. طينة خير من ظنة. وقيل: أربعة أشياء لا يستحيى من الختم عليها: المال لنفي التهمة، والجوهر لنفاسته، والطيب للأبدال، والدواء للاحتياط.

الحث على حسن التدبير والنهي عن التبذير:

قيل: حسن التدبير نصف الكسب، وسوء التدبير داعية البؤس. الإفلاس سوء التدبير. كن مقدراً لا مقتراً. وقال النبي ﷺ: الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسرَاء: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧]. وقيل: التبذير إنفاق المال في غير الحق. وسئل سعيد بن جبير رضي الله عنه عن التبذير فقال: هو أن تنفق الطيب في الخبيث. وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩]. ولم يأذن في الفضول. وقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفُرقان: الآية ٦٧].

وقال ﷺ: أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال. وقال: ليس في السرف شرف. وقال معاوية: ما رأيت تبذيراً إلاَّ وإلى جنبه حق مضيع. وقال ﷺ: ما عال امرؤ عن اقتصاد. وقال أبو بكر رضي الله عنه: إني لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام في يوم واحد. وقيل: ما وقع تبذير في كثير إلاَّ هدمه، ولا دخل تدبير في قليل إلاَّ ثمره. وقيل: إنك إن أعطيت مالك في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس عندك ما تعطي منه.

التهكم على مبذر:

قيل في المثل: خرقاء وجدت صوفاً[1]. وقيل: من يطل ذيله ينتطق به[2].

---

(١) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٤٢٤؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٣٧.

(٢) ورد المثل في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٥٣؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٠. ومعنى المثل: من كَثُرَ ماله أنفق منه فيما لا يفتقر إليه، كمن يطول ذيلُه، ويرفع فضوله، ويحتبك بها. يُضرب للغني المسرِف.

وقيل: يطأ فيه، ومن وجد دهناً دهن استه. وقيل: عبد خُلَيّ في يديه وعبد ملك عبداً[١]. وكان بعض المتخلفين ورث مالاً فكان يحمل الدنانير ويأتي الشط فيقذف واحداً واحداً في الماء، فقيل له في ذلك فقال: ما أصنع بالدراهم إذاً؟.

الحث على حفظ المال والاستغناء به عن الأنذال:

كان لسفيان بن عيينة صرة دنانير يحفظها فقيل له: أتحفظ ذلك وأنت موصوف بالزهد؟ فقال: لئلا أكون مناديل الغمر من الرجال. وقيل لأفلاطون: لِم تُدخر المال فأنت شيخ؟ فقال: لأن يموت الإنسان ويخلف مالاً لعدوه خير من أن يحتاج إلى أصدقائه في حياته.

وقيل: خلف للأعداء ولا تحتجْ إلى الأصدقاء. وقيل لحكيم: لِمَ حفظتِ الفلاسفة ما في أيديهم؟ فقال: لئلا يقيموا أنفسهم المقام الذي لا يستحقونه، فقد علموا أن لا اتكال على ما في يد الغير. وفي المثل: بَقِّ نعليك وابذلْ قدميك[٢].

النهي عن إنفاق جميع المال والرخصة في ذلك:

روي في الخبر أن كعب بن مالك أراد أن يتصدق بماله كله، فنهاه النبي ﷺ وقال له: أمسك عليك مالك، فإنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: حث النبي ﷺ ذات يوم على الصدقة، فجاء أبو بكر بماله كله، فقال له النبي ﷺ: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله! وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له: ما أعددت لعيالك؟ فقال: الله ورسوله ونصف مالي. فقال ﷺ: بين الرجلين ما بين الكلمتين.

وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم، وأما من جهة الإخلاص فالكلّ. وقيل للمأمون: لا شرف في السرف. فقال: لا سرف في الشرف.

الإنفاق على الأهل:

قال النبي ﷺ: نفقة الرجل على أهله صَدَقة. وقال: خيركم خيركم لأهله.

---

(١) الخُلَيّ: تصغير الخلا، وهو الرَّطب من النبات. يُضرب للرجل اللئيم يُفَوَّض إليه الأمر، فيعيث فيه.

(٢) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ١٢٧؛ ومجمع الأمثال ١/ ٩٠. يُضرب في صَوْن المال وابتذال النفس.

وقال: ابدأ بمن تعول، ولا تعجن عن نفسك. وكان أيوب يقول لأصحابه: تعاهدوا أولادكم وأهليكم بالبر والمعروف، ولا تدعوهم يطمحوا بأبصارهم إلى ما في أيدي الناس. وقال زيد بن علي رضي الله عنه: ثلاث لا يسأل الإنسان الإنسان عنها: ما ينفقه في مرضه، وما ينفقه في إفطاره، وما ينفقه على ضيفه.

مدح مفيد مبيد:

مدح أعرابي رجلاً، فقال: هو أكسبكم للمعدوم، وآكلكم للمأدوم، وأعطاكم للمحروم. وقال الوليد بن يزيد: لأجمعن جمع من يعيش أبداً، ولأنفقنه إنفاق من يموت غداً.

أبو تمام:

إذا ما أغاروا فاحتَوَوا مالَ مُعشرٍ ... أغارت عليهمْ واحتوتْه الصنائعُ[1]

آخر:

إذا أسلفَتْهنَ الملاحمُ مغنماً ... دعاهنّ من كسبِ المكارمِ مغرمُ

المتنبي:

السِّلْمُ يَكْسر في جناحي ماله ... بنوالِه ما تجبرُ الهيجاءُ[2]

النهي عن إمساك المال:

قال النبي ﷺ: ينادي منادٍ كلَّ ليلة فيقول: اللهم اجعلْ لمنفق خلفاً ولممسك تلفاً. وقال ﷺ: أنفق بلالاً ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً.

شاعر:

وإنَّ أشدَّ الناسِ في الحشْر حَسْرةً ... لمورثُ مالٍ غيرَه وهو كاسبُه

ولهذا باب في ابتداء فضل الجود.

الحث على الإنفاق وقت السعة وإظهار أثر النعمة:

قال الله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطَّلَاق: الآية ٧] الآية. وبعث عمر رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح، وهو أمير الشام مالاً، وقال للرسول: انظر ماذا يصنع؟ فرآه يوسع على عياله ثم نقص من أرزاقه، فقتر عليهم، فقال عمر: رحم الله أبا عبيدة، وسعنا عليه، فوسَّع، وقترنا عليه فقتر.

وسئل الحسن رضي الله عنه عن رجل آتاه الله مالاً، فأنفق على أهله ما لو

(١) ديوانه ٢/ ٤٥٣.

(٢) ديوانه ١/ ١٥٠.

أنفق دونه لكفى فقال: وسع على نفسك وعلى عيالك كما وسع الله عليك، فإنَّ الله قد أدب عباده أحسن تأديب، فقال: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطّلَاق: الآية ٧]، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله. وما عذب الله قوماً وسع عليهم فشكروه، ولا غفر لقوم ضيق عليهم فكفروه. وقال ﷺ: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتباؤس. وقال ﷺ: من آتاه الله خيراً فليرَ أثرَه عليه.

ذهاب المال الحرام في الأباطيل:

قال الحسن رحمه الله: إذا أردت أن تعلم من أين أصاب الرجل المال، فانظر في أي شيء ينفقه، إنَّ الخبيث ينفق في إسراف. وقيل: من درى من أين أخذ، درى أين ينفق.

التظلف والتذمم لمكسب دنيء:

قيل في المثل: نفع قليل وفضحت نفسي[١]. تجوع الحرةُ ولا تأكُلُ بثدييها[٢].

شاعر:

أصَبْتُ صنوفَ المالِ من كُلِّ وُجْهةٍ　　فـمـا نِـلْـتُـه إلاَّ بـكـفٍّ كـريـمِ

وإنِّي لأرجو أن أموتَ فَتَنْقضي　　حياتي، وما عِندي يدٌ للئيمِ

حكم وجود الضالة:

سئل النبي ﷺ عن ضالة الإبل فقال: ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء وتأكل الشجر. قيل: فضالة الغنم. قال: هي لك أو لأخيك أو للذئب. وسئل عن اللُّقطة[٣] فقال: احفظ عِفاصها ووكاءها وعرِّفها سنة[٤]، فإنْ جاء صاحبها، وإلاَّ فشأنك بها. وروى جارود بن المعلى عنه عليه السلام الصلاة والسلام أنه قال: ضالة المؤمن حرق النار. وقيل: ما يوجد بمكة فلا يجوز الانتفاع به لقوله ﷺ: إن الله حرَّم مكة ما بين لابتيها، لا ينفر صيدها ولا تلتقط

---

(١) ورد المثل في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٩٧؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٤١. يُضرب في احتمال الرجل المذلّة بسؤال القليل من البخيل، وفي كلّ خسيسة تجرُّ فضيحةً.

(٢) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٢٦١، ٤٩٤؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٢٢. يُضرب في الحثّ على صَوْن النفس في الضرّاء دون إدخالها فيما يُدنِّسها.

(٣) اللُّقَطَة واللُّقْطة: ما يوجد مُلْقًى على الأرض فيُلْتَقَط.

(٤) العِفاص: جلد يُغطّى به رأس القارورة ونحوها. الوكاء: رباط القربة.

لقطتها إلاَّ لمعرف. وقال عمر رضي الله عنه: إذا وجدتم تمرة ملقاة في الطريق، فليلتقطها من هو أحوج إليها. ووجد النبي ﷺ تمرة ساقطة، فقال: لولا أني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها.

* * *

ومما جاء في مدح الغنى وذم الفقر

منفعة المال ديناً ودنيا:

كان النبي ﷺ يقول: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى. وقال ﷺ: نعم العون على تقوى الله المال. وقال أبو قلابة: الغنى من العافية. نظر أعرابي إلى دينار فقال: ما أصغر مرآك وأكثر منافعك!.

ابن الرومي:

لـم أرَ شيـئـاً صـادقاً نَـفْـعُـه للـمـرءِ كـالـدرهـمِ والـسَّـيفِ
يـقـضـي لـه الـدرهـمُ حـاجـاتِه والسَّيفُ يحميهِ منَ الحَيْفِ[1]

وقيل: نِعم العون على الدين اليسار.

شاعر في معناه:

ما أرسلَ الإنسانُ في حاجةٍ أقضى مِن الدرهم في كِمِّهِ

آخر:

إذا ما خليلي صدَّ عني بنَبْوةٍ فدرهميَ المنقوشُ خيرُ خليلِ

أحمد بن أبي طاهر:

ولا يُـسـاوي درهـمـاً واحـداً مَـنْ لـيـسَ فـي مـنـزلـه دِرَهـم

آخر:

ولا خيرَ في الدنيا لمن لم يكن لهُ دنـانـيـرُ فـيـهـا جـمـةٌ ودراهِـمُ

وقيل في قوله: «فأرسل حكيماً ولا توصِه»[2]: إنه الدرهم. وقيل: الدرهم هو الأخرس النجيح. قال وهب بن منبه: الدرهم والدينار خواتيم رب العالمين أينما بعث قضى الحوائج.

---

(١) ديوانه ٤/ ٢٢٤.

(٢) هذا عجزُ بيت، صدره: «إذا كنتَ في حاجةٍ مرسلاً»، وهو لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٦٤؛ ولصالح بن عبد القدوس في ديوانه ص ١٤٩.

محبة الناس للمال:

قال عمرو بن العاص لمعاوية: ما أشد حبك للمال! قال: ولم لا أحبه وأنا أتعبد به مثلك، وأبتاع به مروءتك ودينك. وقال بعض الفرس: من زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه، وإذا ثبت صدقه فهو عندي أحمق. وقيل لابن زياد: لم تحب الدراهم، وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: هي وإنْ أدْنَتني منها، فقد أغنتني عنها. وقيل: تقليب الدرهم يوقف الشيب ويزيل الهم والتعب. وقيل: من نقر درهماً زرع في قلبه شهوة.

تشاحح الناس بالمال:

قال يونس: لو أن الدنيا مملوءة دراهم، على كل درهم مكتوب: من أخذه دخل النار، لأمست وما على ظهرها درهم يوجد. وقيل: لما ضربت الدراهم والدنانير، صرخ إبليس صرخة وجمع أصحابه فقال: قد وجدت ما استغنيت به عنكم في تضليل الناس، فالأب يقتل ابنه، والابن يقتل أباه بسببه.

وصف أنواع المال وتفضيل بعضها على بعض:

سئل أبو كرب عن أصناف الأموال، فقال: أما الماشية، فإنها تقبل مع السنة إذا أقبلت وتدبر معها إذا أدبرت، وأما الرقيق فإنه يغدو عليها ضرها، ونفعها وقليل الضر يأتي على كثير النفع، والصامت مال من لا مال له لأنه إن أنفقه أتلفه، وإن أمسكه أهان به نفسه، وكان كمن لا مال له. وقال: خير المال ما أطعمك ما لا تطعمه.

وقال عبد الله بن الحسن: غلة الدور مسألة، وغلة النخل كفاف، وغلة الحب غنى. وقيل للأحنف: أي المال أبقى وأوفى؟ فقال: المساكن والأرضون. وقيل في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾﴾ [المدَّثِّر: الآيات ١٢ - ١٣]: أن له غلة شهر بشهر. قيل لمجنون: لم صار الدينار خيراً من الدرهم والدرهم خيراً من الفلس؟ فقال: الفلس ثلاثة أحرف، والدرهم أربعة أحرف، والدينار خمسة. وقيل لآخر: لِمَ صار لون الذهب أصفر؟ فقال: لأن طلابه كثير. وقيل لآخر فقال: لخوف الدفن.

وقيل لرجل: لم فضل الدينار على الدرهم؟ فقال: لأن الدينار يؤدي إلى النار. والدرهم دار همّ وعذاب، الهم عاجل وعذاب النار آجل، وإلى ذلك محيا وممات. ودفع إلى أعرابي دينار، فحمله إلى الصراف، فملأ له يديه دراهم،

فقال: ما أصغر منظرك وأعظم مخبرك!.

وقال أنصاري لابن عبد الرحمٰن بن عوف: ما ترك لك أبوك من المال؟ فقال: ترك أموالاً كثيرة. فقال: ألا أعلمك ما هو خير لك مما ترك أبوك؟ قال: نعم، قال: اعلم أنه لا مال لعاجز ولا ضياع على حازم، والرقيق جمال وليس بمال، فعليك من المال بما يعولك لا بما تعوله.

وصف الحيوان من بين المال:

قيل لابنة الخس: ما تقولين في مائة من الماعز؟ قالت: غنى. قيل: وفي مائة من الضأن؟ قالت: قنى. قيل: وفي مائة من الإبل؟ قالت: منى. قيل: فما تقولين في الحمار؟ قالت: أخزاه الله مال لا يذكى! وقيل لرجل: أي مركب إذا كان أكبر كان أنذل؟ فقال: الحمار! وقيل لآخر: أي المال أحب إليك؟ فقال: الذي يقيم بقيامي ويظعن بظعني، ويحملني ومالي وداري، يعني الإبل. وعلى عكسه قول الآخر:

وإنَّ اقتناءَ النوقِ موقٌ وحِرْفةٌ ... يبيتُ على يُسرٍ ويَغْدو على ثُكْلِ

قدر ما يحمد من المال:

قال النبي ﷺ: نِعْم المال الأربعون والكثير الستون، وويل لأصحاب المائتين إلاَّ من أعطى في نجدتها، ونحر سمينها، ومنح لبونها، وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها. قال خالد بن صفوان: من كان له مال كفافاً، فليس بغني ولا فقير، لأن النائبة إذا أتت أجحفت بكفافه، ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير، ومن كان ماله فوق الكفاف فهو غني.

وصف درهم أو دينار ثقيل الوزن:

كان المتوكل ضرب دراهم وزن كل واحد عشرة، وعلى جانب منه مكتوب:

أمازحُها فتَغْضَبُ ثم ترضى ... وكلُّ فِعالها حَسَنٌ جَميلُ

وعلى الآخر:

فإنْ غضِبَتْ فأَحْسَنُ ذي دلالٍ ... وإنْ رضيَتْ فليسَ لها عديلُ

ووجد في خزانة جعفر بن يحيى دنانير في كل دينار مائة مثقال ومثقال نقشه:

وأصْفَرَ من ضربِ دارِ الملوكْ ... يلوحُ على وجههِ جَعْفرُ

يزيد على مائةٍ واحداً ... إذا نالهُ مُعْسِرٌ يوسرُ

وأهدى عضد الدولة إلى ركن الدولة دنانير كل دينار منها مائة مثقال ونقشه:

بِذكْرِ الله أكرم مُسْتجارٍ ضربناهُ من الذَّهَبِ النضارِ
جعلنا وزنَه مائةً فأضحى عديمَ الندِّ مَفْقودَ النجارِ
لِنُهْديه إلى الركنِ المرَّجى بويه إلى عليّ ذي الفَخارِ

وأمر الصاحب أن يضرب دينار من ألف مثقال وأهداه إلى فخر الدولة، وكتب عليه:

وأحمرَ يحكي الشمسَ شكلاً وصورةً وأوصافُه مشتقَّة من صفاتِه
فإن قيلَ دينارٌ فقد ذكرَ اسمُه وإن قيل ألفٌ كانَ بعضَ سماتِهِ
بديعٌ فلم يطبعْ على الدهرِ مثلُه وإن ضُربت أضرابُه ببراتِه
لقد أَبرَزَتْهُ دولةٌ فلكيةٌ أقام بها الأفلاك صدر قَناتِه
وصار إلى شاهانَ شاه انتسابهِ على أنه مُسْتَصْغَرٌ لعفاتِه
تأنق فيه عبدُه وابنُ عبدِه وغرسُ أياديه وكافي كفاتِه

وصفهما إذا كانا خفيفين:

كان المتوكل أمر أن يضرب له ألف ألف درهم، في كل درهم قيراط لينثره مكان الورد، وأمر بأن تصبغ صفراً وحمراً وخضراً، وكان الدرهم يبقى في الهواء بقاء الورد. العباس في وصف دينارين خفيفين:

جادَ بدينارينِ لي جَعْفَرٌ أصلحَهُ اللَّهُ وأخزاهما!
وكادَ لا كانا ولا أفلحا عليهما يرجَحُ ظِلَّاهما[(١)]

ابن الرومي في دينار خفيف:

كأنَّهُ في الكَفِّ مِنْ خِفَّة مِقْدارُه مِنْ صُفرةِ الشَّمْسِ[(٢)]

وقيل لرجل: ما أولاك فلان؟ فقال: درهماً. كأنما عناه الشاعر بقوله:

مرّ بنا والعيونُ ترمقُه تجرحُ منه مواضِعَ القبَلِ

وصف مال بالكثرة:

قيل: هو في خير لا يطير غرابه[(٣)]. ووجد فلان تمرة الغراب[(٤)]. وعندَه

---

(١) ديوانه ص ١٩٦. (٢) ديوانه ٢/ ٣٢٧.
(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ٢/ ٣٩٩.
(٤) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ٢/ ٢٣؛ والمستقصى ٢/ ٣٧٣؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٦٣. يُضرب لمن وجد أفضل ما يريد؛ وذلك أنَّ الغراب يطلب من التمر أجودَه وأطيبه.

عائرة عين[١]. وله كحل وسواد[٢]. والنشب والعرض والطم والرمّ[٣]. وجاء بما صأى وصمت[٤] وبالضح والريح[٥].

كون المال موفياً على الحسب والنسب:

قال النبي ﷺ: إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه هذا المال. وفي مثل: رُبَّ حَسَب دَفَنه الفقر[٦].

شاعر:

وأجهدَ الناسَ مَن بِعُنْصرِهِ يزهو على مَن يزينُه النشبُ

وقف أعرابي من بني فقعس يسأل وهو عريان:

كساني فقعسٌ وكسا بنِيه عطافَ المجدِ إنَّ له عِطافا

فقال له بعض الحاضرين: لو كساك خرقة تواريك، لكان أصلح لك.

مَن سوده ماله:

قيل: المال يسود غير السَّيِّد، ويقوي غير الأَيِّد.

شاعر:

الفَقْرُ يُزْرِي بِأقوامٍ ذَوي حسَبٍ وقَد يُسَوِّدُ غَيْرَ السَّيِّدِ المالُ[٧]

عمارة:

حَيّاكَ مَنْ لم تكُن تَرْجُو تَحِيَّتَهُ لولا الدَّراهِمُ ما حَيَّاكَ إنْسَانُ[٨]

تعظيم الناس لذي المال:

قيل للحسن رضي الله عنه: ما بال الناس يكرمون أرباب المال؟ فقال: لأن

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ٢/ ٦. والمعنى: له من المال ما يكاد من كثرته يفقأ عينيه. وفي المطبوع «عائرة عير» وهذا تحريف.

(٢) في المستقصى ٢/ ٣٠١: «له سَوادُ كُحْل»، أي: كثير المال. والسَّواد: المال.

(٣) من أمثال العرب: «جاء بالطمّ والرمّ» (المستقصى ٢/ ٣٩؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٦١)، أي: بالبحر والبرّ، وقيل: بالماء والتراب.

(٤) جمهرة الأمثال ١/ ٣٢٠؛ والمستقصى ٢/ ٤٢؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٧٩. وصأى: نطقَ وصاح.

(٥) جمهرة الأمثال ١/ ٣٢١؛ والمستقصى ٢/ ٣٩؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٦١. والضّحّ: الشمس.

(٦) لم أقع عليه فيما عدتُ إليه من كتب الأمثال، ولا في موسوعة الدكتور إميل يعقوب «موسوعة أمثال العرب».

(٧) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٩٠.

(٨) ديوان عمارة بن عقيل ص ٨١.

عشيقتهم عندهم. ومر موسى بالشعبي فتزعزع له فقيل له في ذلك فقال: رأيت ذا المال مهيباً! وعوتب ابن أبي ليلى لتخفره لغني مر به فقال: إن تعظيم ذوي المال شيء جعله الله في القلوب لا يُستطاع دفعه. وقال العطوي:

اقصِدْ إلى أيّ ودٍّ شِئتَ مُعْتَصِماً ... بحبلِ ودٍّ فلا ذِئْبٌ ولا ضَبُعُ
المالُ أَغْضَبُ سيفٍ عِنْدَ صَوْلَتِه ... من أنْ يعنَّ له في مَنْهلٍ سَبُعُ

وهذا كقول بعض اللصوص لبعض أصحابه: لا تنقبوا على غني، وكونوا مع الله على المدبر.

مصادقة الناس للأغنياء ومعاداتهم للفقراء:

قيل لبعض العقلاء: كم لك من صديق؟ فقال: لا أعلم ذلك لأن الدنيا مقبلة علي، والأموال موجودة عندي، وإنما أعرف ذلك إذا ولت، ألم تسمع قول طريح:

النــاسُ أعداءٌ لكلِّ مُدْقعٍ ... صفرِ اليدينِ وإخْوةٌ للمُكْثِرِ[1]

ولما استوزر علي بن عيسى ورأى اجتماع الناس عليه، تمثل بقول أبي العتاهية:

ما الناسُ إلاَّ معَ الدنيا وصاحِبها ... فكيف ما انقلبَتْ يوماً بهِ انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا فإنْ وثَبَتْ ... يوماً عليه بما لا يشتهي وثَبوا[2]

شاعر:

إذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... إليه ومال الناس حيث يميل

ومثله لأبي العتاهية:

النــاسُ إخوةُ نعمةٍ ... للَّه ما دامَتْ عَلَيكا[3]

وقول الآخر:

إنَّ الحبيبَ إلى الإخوانِ ذو المالِ

آخر:

النـاسُ خِلانُك ما لم تفتقِرْ

وقيل: إذا أيسرت فكلُّ رحل رحلك، وإذا افتقرت أنكرك أهلك. وقيل:

---

(١) ديوانه ص ٤١٦.
(٢) ديوانه ص ٢٢.
(٣) ديوانه ص ٥٩٣.

العسرة والعشرة لا يجتمعان.

زيارة الناس لذي المال:

قال بشار:

يَزْدَحِمُ الناسُ على بابِهِ والمنْهَلُ العذبُ كثيرُ الزّحامْ

آخر:

إن الغنى يُهْدي لكَ الزّوّارا

آخر:

وأيُّ الناس زُوّارُ المقِلِّ؟

الفقر مجمع العيوب:

قيل: الفقر مجمع العيوب. وقال بعضهم: وجدت خير الدنيا والآخرة في شيئين وشرهما في شيئين، خيرهما الغنى والتقى، وشرهما الفقر والفجور.

جرير:

ترادَفَهم فقرٌ قديمٌ وذِلّةٌ وشَرُّ الرديفاتِ المَذَلَّةُ والفَقْرُ[(١)]

وقيل: ما روي أجود من قول عروة في ذم الفقر:

ذريني للغِنى أسعى فإني رأيت الناسَ شرُّهم الفقيرُ[(٢)]

وما من خصلة تكون للغني مدحاً ولا تكون للفقير ذماً: إذا كان حليماً قيل: هو بليد، وإذا كان شجاعاً قيل: هو أهوج، وإذا كان لسناً قيل: مهذار. ولقد صدق من قال:

إن ضَرَطَ الموسرُ في مَجْلِسٍ قالوا له: يَرْحَمَك الله!
أو عَطَسَ المفلِسُ في مَجْلِسٍ سُبَّ وقالوا فيه ما ساه
فمضَرطُ الموسِرُ عِرْنينُه ومَعْطَسُ المعسِرِ مَفْساه

حسان:

رُبَّ حلمٍ أضاعَهُ عدمُ الما لِ وجهلٍ غطّى عليهِ النعيمُ[(٣)]

وكان الحسن رضي الله عنه إذا رأى المساكين قال: هؤلاء مناديل الخطأ.
وقيل: الخلة تقدح في الذهن وتغمز في العقل.

---

(١) ديوانه ٤/ ١٩٢.
(٢) ديوانه ص ١٧٨.
(٣) ديوانه ص ٩١.

خفة الموت في جنب الفقر:

قيل: القبر ولا الفقر.

ولا الموتُ خيرٌ للفتى مِنْ قُعوده عديماً ومن مولى تدبُّ عقاربه

آخر:

خيرُ حالِ الفقيرِ عند ذوي الألبابِ أنْ تنطوي عليهِ القبورُ

ابن طباطبا:

قد يَصْبرُ الحرُّ على السَّيفِ ويجزَعُ الحرُّ مِنَ الحَيْفِ

ويؤثرُ الموتَ على حالةٍ يَعْجزُ فيها عن قِرى الضَّيْفِ

التعوذ من الفقر وكونه كالكفر:

كان النبي ﷺ يتعوَّذ من الكفر والفقر، فقال له رجل: أيستويان؟ فقال: نعم، كاد الفقر أن يكون كفراً! ودعا رجل لمسروق، فقال: جنَّبك الله الفقر وطول الأمل. وقال سفيان: كان من دعائهم اللهم زهدنا في الدنيا ووسعها علينا، ولا تزوها عنا وترغبنا فيها. وقالت المجوس: من لا مال له لا عقل له، ومن لا عقل له، فلا دنيا له ولا دين.

عدم المجد حيث عدم المال:

كان طلحة رضي الله عنه يقول: اللهمَّ ارزقني مجداً ومالاً، فلا يصلح المجد إلاَّ بالمال، ولا يصلح المال إلاَّ بالأفعال. المتنبي وقد أخذ هذا المعنى:

فلا مجدَ في الدنيا لمنْ قلَّ مالهُ ولا مالَ في الدنيا لمنْ قلَّ مَجْدُه[1]

هرم بن عمير التغلبي:

إنـي امرؤٌ هَدَمَ الإقتارُ مأثرتي واجتاح ما بَثَّتِ الأيامُ من خطري

أرومةٌ عطَّلتني مِنْ مكارِمها كالفوسِ عطَّلها الرامي مِن الوَتَرِ

ومما يناقض هذا الباب قول جرثومة بن مالك:

فتى إن تجدْهُ معوزاً من تلادِهِ فليسَ مِن الرأي الأصيلَ بِمعوزِ

الأحنف:

وإنَّ المروءَةَ لا تُسْتطاعُ لمن لم يكنْ مالُه فاضِلا

---

(١) ديوانه ص ٨٩.

صعوبة الفقر على ذي همة وجود:

قيل لحكيم: من أشقى الناس؟ فقال: من اتسعت معرفته وضاقت مقدرته. وقال أعرابي: لا تنظر إلى هيئتي، وانظر إلى همتي.

الطرماح:

أرى نـفـسـي تـتـوقُ إلـى أُمـورٍ ... ويـقْـصـرُ دونَ مُـبْـلـغـهِـنَّ مـالـي

فـنَـفْـسـي لا تـطـاوعـنـي لِـبُـخْـلٍ ... ومـالـي لا يـبـلـغـنـي فـعـالـي[١]

المتنبي:

إلى الله أشكو لا إلى الناسِ إنني ... أرى صالحَ الأخلاقِ لا أستطيعُها

أرى حـلـة فـي إخْـوةٍ وقـرابـةٍ ... وذي رحمٍ ما كنتُ ممّن يضيعُها[٢]

آخر:

أرى الدهرَ يجفوني ونَفْسي عزيزةٌ ... وليسَ مَعي زهدٌ فأسطو على الدهْرِ

صعوبة الفقر على متعودي اليسر:

كان النبي ﷺ يتعوَّذ من الحُور بعد الكُور[٣]، وقال: ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً بين جُهَّال. وقيل: جهد البلاء أن تزول النعمة وتبقى العدالة، ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً، وعدواً شامتاً، وزوجة مختلفة، وجارية مستبيعة، وعبداً يحقرك، وولداً ينتهرك. وأتى عبد الله بن معاوية بأسير، فقال: هذا هو جهد البلاء. فقال الأسير: كلا، جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع.

صعوبة مقاساة الجوع:

قتل رجل بصفين أبا امرأة وابنها وأخاها وعمها وعشرين من أهل بيتها، ثم أتت تسأله فقال: ما أظن على ظهر الأرض أبغض إليك مني! فقالت: بلى إن الذي ألجأني إليك أبغض إليَّ منك وهو جوع بطني. وأخذ رجل بلجام عبد الملك فقيل له: ما جرأك؟ فقال: الجوع شجاع. وقيل: الجائع فقير ضيق النفس، والشبعان واسع الصدر غني النفس.

ستر الحال في العسر واليسر:

قال عبد الملك للهيثم بن الأسود: كم مالك؟ فلم يخبره به، فقيل له في

---

(١) ديوانه ٢/ ١٢٣.

(٢) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٣) ليسا في ديوانه.

ذلك، فقال: صاحب المال بأحدى منزلتين: إن كان كثيراً حُسِد، وإن كان قليلاً حُقِّر. وقيل: رضي بالذل من كشف ضره، وبالحسد من كشف يسره.

شاك فقره:

الحاركي:

مَنْ كانتِ الدنيا له شارةً فنحنُ من نظارةِ الدنيا

نَرْمقُها من كثَبٍ حَسْرةً كأننا لفظٌ بلا معنى

العطوي:

أنا طرح بين خلا تِ حديداتِ النصال

بين دينٍ وشتاءٍ وعيالٍ واخْتِلال

آخر:

من رآني فقد رآني ورَحْلي

آخر:

ومِنْ عَجَبٍ أنَّ حِلْفَ الفسوق غَنيٌّ وقَدْ أَعدمَ الأتقياءَ

وقال مخنث: أنا عظيم البلية، أموت من حب رزقي ويموت هو من بغضي.

نادرة ماجن شاكي الفقر:

شكا بعضهم فقره فقيل له: أحمد الله الذي رفع السماء بغير عمد. فقال: وددت أنه وسع رزقي وجعل بين كل زراع أربع أسطوانات، فليس لي دار يضيقها. سمع صبي فقير امرأة في جنازة تقول: يذهبون بك إلى بيت ليس له غطاء، ولا وطاء، ولا عشاء، ولا غداء، ولا سراج. فقال الصبي: يا أبتِ، إنهم يذهبون به إلى بيتنا. وقيل لمزبد: بعْ قطيعتك. فقال له: ما ملكت قط إلاَّ قطيعة الرحم. قيل له: ما عندك من آلة الخبيص؟ قال: الماء. وقيل له: ما أعددت للبرد؟ قال: الرعدة.

متعذر لفقره بأن الجود فرق ماله:

طلب قوم ابن هرمة فلم يجدوه في منزله فقالوا لابنته: أقرينا، قالت: ما لنا شيء. قالوا: فأين قول أبيك:

لا أمتع العود بالفصالِ ولا أبتاعُ إلاَّ قصيرةَ الأَجلِ[١]

---

(١) أي: من النقص بعد الزيادة.

قالت: فذلكم الذي منعكم القرى!

دعبل:

قالتْ سلامة: أين المال؟ قلت لها: المالُ ويحك لاقى الحمد فاصطحبا!
الحمد فرَّق مالي في الحقوق فما أبقين ذمّاً، ولا أبقت له نَشَبا[١]

جحظة:

جاء الشِّتاءُ وما عندي له ورقٌ مما وهبتُ، ولا عندي له خِلعُ
كانَتْ فبدَّدها جودٌ ولعتُ به وللمساكينِ أيضاً بالندى ولعُ[٢]

من نسي فقره بعد زواله:

شاعر:

يَعيشُ الفتى بالفَقْر يوماً وبالغنى وكلٌ كأن لم يلقَ حين يزايلُه

آخر:

كأنَّ الفتى لم يعرُ يوماً إذا اكتسى ولم يكُ صُعْلوكاً إذا ما تموّلا

تأسف من ضيّع ماله ثم احتاج إليه:

شاعر:

وكانَ المالُ يأتينا فكُنَّا نبذرُه وليسَ لنا عقولُ
فلمّا أن تَوَلّى المالُ عنَّا عقلنا حين ليسَ لنا فضولُ

تأسف من وجد خيراً لم ينتفع به:

قال القلابي: دخلت على الجاحظ في منصرفي من عند السلطان، وقد حسنت حاله واشتدت علته، فسألته فقال: كنّا إذا أردنا، لم نجد حتى إذا وجدنا لم نرد.

الموصوف بالفقر والجهل:

شاعر:

يظلُّ عديمَ أموالٍ ولبٍّ يَرقُّ له المُكاشحُ والمعادي

وسئِل أعرابي عن رجل فقال: ما له حول ولا معقول، ولا مال ولا حال.

ذم دنيء تمول:

إذا أيسر الدنيء ابتلى به ثلاثة: صديقه القديم يفارقه، وامرأته يتسرى عليها،

---

(١) ديوانه ص ١٨٥. (٢) ديوانه ص ١٠٦.

وباب داره يغيره. وقد نظم ذلك في قوله:

إذا استَغْنى الوضيعُ ونال جاهاً — وأَنْكَر نحوةً في الناس نفسَه
حبا خلصان إخوتِهِ جفاءً — وغيّر بابه وأبان عرسَه

أخذه من ابن أبي البغل:

إذا ما ساقطٌ أثْرى تَعَدّى — وأنكر قبلَ كلّ الناسِ نفسَه
وغيّر بابَ منزِله وأربى — على جيرانِه وأبان عرسَه

قال عمرو بن العاص: لأن يسقط ألف من العلية خير من أن يرتفع واحد من السفلة.

البحتري:

محاريب الدنيا نباهةُ جاهلٍ — فلا ترتقبْ إلاّ خمول نبيهِ[1]

النهي عن البطر عند الغنى وذم ذلك:

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: الآيتان ٦ ـ ٧]. وقيل: البطر يقتضي الفقر والنظر يقتضي العبر. وقيل: أكثر شكر الله على نعمه فالبطر من قلّة الشكر.

شاعر:

خُلُقان لا أرضى طريقَهُما — خلْقُ الغنى ومَذَلَّةُ الفقرِ
فإذا غنيتَ فلا تكنْ بَطِراً — وإذا افْتَقَرتَ فتِه على الدهْرِ

وفي كتاب كليلة: لا ينظر العاقل لمنزلة أصابها كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة، والسخيف تبطره أدنى منزلة كالحشيش الذي تحركه أدنى الرياح. وقيل: سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً، وسوء حمل الفقر أن يكون الطلب شرها. وقيل: حمل الغنى أشد من حمل الفقر، ومؤونة الشكر أصعب من مشقة الصبر. وقال بعضهم فيمن لا يبطر ولا يمكنه ستر غناه:

تَأْبَى الدَّراهِمُ إلاّ كَشْفَ أَرؤُسِها — إنّ الغَنِيَّ طويلُ الذَّيلِ مَيَّاسُ[2]

المرقش الأكبر:

إن يُخصبوا يعيوا بخصبِهم — أو يُجدِبوا تجديهم ألأَمْ[3]

---

(١) ديوانه ص ٥٠٦. (٢) ديوانه ص ٢٣٩٩.
(٣) البيت بلا نسبة في الأمثال والحِكم، ص ١٦٥.

الخبزأرزي:

قد كان في حال مَحْسودٍ فأبطرَه ... طغيانُه فاغتدى في حالِ مرحومِ

مسلم بن الوليد:

فالكلبُ إنْ جاعَ لم يعدمْك بَصْبَصَةً ... وإنْ يَنَلْ شبعةً ينبحْ على الأثرِ[١]

مدح من لا يبطره اليسر ولا يدقعه الفقر:

هدبة:

ولستُ بمفراحٍ إذا الدهرُ سَرَّني ... ولا جازعٍ مِنْ صرفِه المتقَلِّبِ[٢]

الزبير بن الأسدي:

إنْ تَنَلْ مَنْفَسة لا تفلنا ... ترف الخيل ولا نكبو لضرّ[٣]

الزبير بن الأسدي:

ولا يراني على ما ساءَ مُكْتئباً ... ولا يراني على ما سرّ مبتهجا

مثله:

فتى إنْ هو استغنى تحذق في الغنى ... وإنْ قلّ مالاً لم يضع سنة الفقرِ

اجتناب عرض الدنيا:

قيل: العاقل من لا يجزع من قعود الدهر به، علماً بأن مراتب الأقسام توضع على قدر الأفهام. وقيل: وكل الحرمان بالعقل، والرزق بالجهل، ليعلم العبد أن ليس له من أمر الرزق شيء. وقيل: أبت الدنيا أن تعطي أحداً ما يستحقه: إما محطوط عن درجته أو مرفوع فوق قدره. وقيل لأفلاطون: لِمَ لا يجتمع العلم والمال؟ فقال: لعزَّة الكمال. قال:

ومنَ الدليلِ على القضاءِ وكونهِ ... بؤسُ اللبيبِ وطيبُ عيشِ الأحمقِ[٤]

وقيل: مَن أعطاه الله عقلاً احتسب عليه من الرزق. وقيل: لو جعل الله المال للعقلاء مات الجهال، فلما جعله في أيدي الجهال استقلهم العقلاء، واستنزلوهم عنه بلطفهم. وقد تقدم في باب العقل شيء من هذا.

علّة ميل الدنيا إلى الأنذال:

سعيد بن المسيب رضي الله عنه: الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال. وقال

---

(١) البيت في ديوان المرقش الأكبر ص ٥٨٨.
(٢) ديوانه ص ٣٢١.
(٣) ديوانه ص ٦٩.
(٤) ديوانه ص ٥٠٨.

حكيم: إذا أردت أن تزهد في الدنيا فانظر عند من هي. وقال النظام: مما يدل على لؤم الذهب والفضة كثرة كونهما عند اللئام، فالشيء يصير إلى شكله؛ ومن هنا أخذ المتنبي قوله:

وشِبْهُ الشَّيْءِ مُنْجَذِبٌ إليه ... وأشبهُنا بدُنْيانا الطَّغامُ[١]

حسان:

المال يَغْشى رجالاً لا طِباعَ لهم ... كالسَّيل يغشى أصولَ الدندن البالي[٢]

أبو تمام:

لا تنكري عطلَ الكريمِ من الغنى ... فالسيلُ حربٌ للمكانِ العالي[٣]

ابن الرومي:

رأيت الدهرَ يرفعُ كلَّ وَغْدٍ ... ويخْفُض كلَّ ذي رتبٍ شريفَه

كمثلِ البحر يرسب فيه حيٌّ ... ولا ينفك تطفو فيه جيفَه

وكالميزانِ يخفضُ كل وافٍ ... ويرفعُ كل ذي زنةٍ خفيفَه[٤]

معاتبة الدهر لتقديم جاهل وتأخير فاضل:

جحظة البرمكي:

غلطَ الدهرُ بما أعطاكمُ ... وفِعالُ الدهرِ جهلٌ وغلطْ[٥]

الموسوي:

ومما يحلِّلُ ذمُّ الزما ... نِ إقصاؤه الأفضلين الخيارا

أبو حاتم:

أظن الدهرَ قد آلى فبرا ... بأن لا يكسبَ الأموالَ حرّا

لقد قعدَ الزمانُ بكل حرٍّ ... ونقصٍ من قواه ما استمرّا

أبو تمام:

لقد ساسَنا هذا الزمانُ سياسةً ... سدى لم يسسْها قطُّ عبدٌ مجدعُ

حلت نطفٌ منها لنكس وذو الحجى ... يدافُ له سمٌ من العيشِ منقعُ

فإنْ نكُ أهملنا فأضعفْ بسعينا ... وإن نكُ أجبرنا ففيمَ نتَعْتعُ[٦]؟

(١) البيت للإمام الشافعي في ديوانه ص ١٠٨.
(٢) ديوانه ٤/ ١٩٢.
(٣) ديوانه ص ١٤٧.
(٤) ديوانه ٢/ ٣٨.
(٥) ديوانه ٤/ ٢٣١.
(٦) ديوانه ص ١١٩.

وما أحسن ما قال:

ليس المقلّ على الزمانِ براضِ

ومن السخف قول التمار:

أرى فَقْحةَ الدنيا على مَعْشرٍ تخري فإنْ أقبلتْ نحوي رأيتُ بها خضرا

ومن الجيد في هذا قول عابدة المهلبية ويروى للمهلبي:

أَلَسْتَ ترى استراقَ الدهْرُ حظي وكيف يفيت في أدبِ الخمولِ
أَأَبْغي العونَ منه وهو خَصْمي كما استبكَتْ ضرائرَها الثَّكولُ

وقال رجل لمنجم: انظر في نجمي، هل ترى لي غنى؟ فقال: دَعْ عنك هذا، فإنَّ الدهر مشغول بالسفل، فلا يتفرغ إلى أحد. وقيل: الدهر لا يعطي أحداً ما يستحقه إما أن يزيده أو ينقصه.

معاتبة القدر في ذلك:

قال أبو العيناء لرجل سأله: ما بال الركيك الأحمق يُرزق والأديب يُحرم؟ فقال: لأن هذه الدنيا دار اختبار، وأحب الرازق أن يعلمهم أن الأمور ليست لهم، فإن غلات السواد تُباع بكف أنموذج، فهلا اكتفى في ذلك بنقرة؟

جحظة:

يا رَبّ إنَّ الشكوكَ قد عَلقتْ أوكارنا، والشكوكُ تَعْترِضُ
وغدٌ له نعمةٌ مؤثلةٌ وسيِّدٌ لا يزالُ يَعْترضُ
فَنَحْنُ مِن قُبْحِ ما نُشاهدُه مِنْ مَعْشَرٍ في قلوبهم مَرَضُ[1]

عبدان:

لقولهِ نحنُ قسمْنا بينهم زال المرا
ولو تولّى غيرُه قسمة أرزاقِ الورى
جرتْ حظوظٌ بيننا لكنَّنا تحت العرا[2]

وقيل: إذا رأيت الجاهل مرزوقاً والعاقل منحوساً، فاعلمْ أن بين السماء والأرض أكراداً يقطعون الطرق. وقيل لمدني شكا الفقر: أحمد الله، إنه رزقك الإسلام والعافية. فقال: أجل، لكن جعل بينهما جوعاً تتقلقل منه الأحشاء.

شاعر:

(١) ديوانه ١/٣٩٩ ـ ٤٠٠.
(٢) ديوانه ص ١١٦.

يا حُجَّة الله في الأرزاقِ والقَسَم ومحْنة لذوي الأخطارِ والهِمَم
تراك أصْبَحْتَ في نعماءَ سابغةٍ ألا وربّك غضبان على النِّعَمِ

آخر:

عَجَباً للناسِ في أرزاقِهم ذاك عطشانٌ وهذا قد غَرِقْ!

سؤال الله تعالى الغنى بغلظة مقال:

قال الأصمعي: رأيت بالموقف أعرابياً قد رفع يده إلى السماء، وهو يقول:

أما تَسْتحي يا خالقَ الخلقِ كلِّهم أُناجيك عُرياناً وأنت كَريمُ
أترزقُ أولادَ اللِّئام كما ترى وتتركُ شيخاً من سُراة تميم

فقلت له: ما هذه المناجاة؟ فقال: إليك عني، فإني أعرف من أناجيه، إنَّ الكريم إذا هُزَّ اهتز! فرأيته بعد أيام عليه ثياب حسنة، فقال لي: ألست ترى الكريم كيف أعتب؟

ودعا أعرابي، فقال: يا رب، إن كنت تدع رزقي لهواني عليك، فنمرود كان أهون مني، وإن كنت تدعه لكرامتي عليك، فسليمان بن داود كان أكرم مني. فقيل له: أخذت الحبل بطرفيه.

* * *

ومما جاء في الزهد ومدح الفقر وذم الغنى

حقيقة الزهد والحرص واليقين:

قال النبي ﷺ: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك. سئل حكيم عن الزهد فقال: أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود. وقيل: ظلف النفس عن الشهوة. وقال سفيان: هو قصر الأمل لا أكل الغليظ ولبس العباء. وقال يونس بن حبيب: هو ترك الراحة.

وسئل الجنيد عنه فقال: خلوّ الأيدي من الأملاك، وخلوّ القلب من التتبع. وسئل مرة فقال: ترك ما في الدار على من في الدار. وذكر الزهد عند الفضيل فقال: هو حرفان في كتاب الله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٢٣]. وهذا يوافقه قول من قيل له: من الزاهد؟ فقال: من لم يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره.

وسئل الجنيد رحمه الله عمن لم يبق عليه من الدنيا إلاَّ مقدار مص نواة،

فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم. وقال يحيى: الزاهد هو الذي بلغ من حرصه في تركها حرص الحريص في طلبها. وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الزهد ثلاثة: زهد فرض وذلك في الحرام، وزهد فضل وذلك في الحلال، وزهد سلامة وذلك في الشهوات. وقيل: أصل القناعة والزهد اليقين فمن أيقن قنع وزهد. وقال ذو النون: الزهد الاستخفاف بثلاثة أشياء: بالنفس والشيء والحلق، فإذا استخف بالنفس عزبه، وإذا استخف بالشيء ملكه، وإذا استخف بالخلق خدمه. أبو الأدنيان: اليقين ترك التدبير فيما لا تملك. الحرص طلب ما في يد الغير. وقيل: الحرص تضييع الكثير وطلب القليل.

حقيقة التوكل ووصفه:

قيل: التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلي عن الخلق. وقيل: الاستسلام لما قضى. وقيل: الثقة بالله فيما ضمن. وقيل: الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهم في قضائه. وقيل للحارث: ما علامة المتوكل؟ فقال: أن لا يحركه إزعاج المستبطىء فيما ضمن له من رزقه. فقيل له: هل ينقص من توكله قصده من يسد جوعته. فقال: لا، لأن النبي ﷺ خرج فلقيه أبو بكر وعمر فقال: ما الذي أخرجكما؟ قالا: الجوع! فقال: أخرجني الذي أخرجكما، فدخلوا منزل أبي الهيثم فأكلوا وشربوا.

وقيل: التوكل الانقطاع إلى الله تعالى في إيصال النعماء ودفع البلاء. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية ٣]. وخير يوسف عليه السلام بين خصلتين، فاختار إحداهما، فقيل له: اخترت فتركناك مع اختيارك، فبقي في السجن ما بقي.

ذم المال:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: الآية ١٥]. وقال المسيح عليه السلام: لا خير في المال. فقيل: ولِمَ يا روح الله؟ فقال: لأنه يجتمع من غير حل. قيل: فإنْ جُمع من حلال؟ قال: لا يؤدي حقه. قيل: فإنْ أدى حقه؟ قال: لا يسلم صاحبه من الكبر والخيلاء. قيل: فإن سلم؟ قال: يشغل عن ذكر الله. قيل: فإن لم يشغل؟ قال: يطول عليه الحساب يوم القيامة.

وذكر المال عند أفلاطون فقال: ما أصنع بما يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه الكرم. وقيل لآخر فقال: ما أصنع بشيء يجيء بالاتفاق لا الاستحقاق،

والزهد والجود يأمران بإتلافه، والشؤم والبخل يأمران بإمساكه. وقال النبي ﷺ: تعس عبد الدينار! تعس عبد الدراهم! تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش! وقال أبو الدرداء: أعوذ بالله من تفرقة القلب. قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يكون للإنسان مال في كل واد. وقال النبي ﷺ: من رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل.

كثرة المال سبب الهلاك:

ابن طباطبا:

إنَّ في نَيْل المنى وشْكَ الردى ... وقياس القَصْد ضدّ السرفْ
كسراجٍ دهنُه قوتٌ له ... فإذا غرقْتَه فيه طفَّ[1]

ابن الرومي:

ألم ترَ أنَّ المال يُهلكُ أهلَه ... إذا جمَّ آتيه وسُدّ طريقُه
ومن جاوزَ الماءَ الغزيرَ مَجَمُّه ... وسدّ طريقَ الماءِ فهو غريقُه[2]

وقيل: صاحب الدنيا كدودة القز لم يزدد الإبريسم على نفسه إلاَّ زاد من الخلاص بعداً.

عبد الله بن رؤبة:

يرى راحةً في كَثْرةِ المالِ ربّه ... وكثرة مالِ المرءِ للمرءِ مُتعبُ
إذا قَلَّ مالُ المرءِ قلَّتْ همومُه ... وتشعبُه الأموالُ حينَ تشعبُ[3]

كون العدم نعمة وبسط الدنيا نقمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: الآية ٢٧]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٤]. وفي بعض المناجاة: يا من مَنْعه عطاء. وقال رسول الله ﷺ: يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام.

ابن أبي عيينة:

لا تشعرَنْ قلبَك حُبَّ الغني ... إنَّ مِنَ العِصْمةِ أن لا تَجِدْ
كمْ واحدٍ أطلقَ وجدانُه ... عنانَه في بعض ما لم يُرِدْ

---

(١) ديوانه ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٢) ديوانه ٤/ ٢٨٥.
(٣) ملحق ديوانه (العجاج) ٢/ ٢٧٣.

وقال الحسن رضي الله عنه: ما بسط الله على أحد دنياه إلاَّ اغتراراً، ولا طواها عنه إلاَّ اختباراً. وقال بعضهم: نعمة الله علينا فيما طواه عنا أعظم من نعمته علينا في ما بسطه لنا.

محمود الوراق:

مِنْ شَرَفِ الفقرِ ومِنْ فَضْلهِ ... على الغنى، لو صَحَّ مِنكَ النظرْ
أنكَ تَعْصي لتنالَ الغِنى ... ولَسْتَ تعصي الله كَيْ تفتقِرْ[1]

وقال عبدان:

تبيَّنَ فضلُ الفقرِ عندي على الغنى ... بواحدةٍ فيها عزاءٌ لذي حجرِ
متى متّ لم آسفْ على فقدِ نعمةٍ ... يود الفتى من أجلِها المدَّ في العمرِ

صنوف الفقر وما يحمد منه:

قيل: الفقر على ثلاثة أقسام: فقر الخلق إلى الله وعدم الأملاك لعرض الدنيا والحرص، وهو فقر الناس إلى الناس، وهو الذي استعاذ منه النبي ﷺ، والمشار إلى فضله ما حكي عن الجنيد أنه قيل له: متى يكون الفقير مستوجباً لدخول الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام؟ فقال: إذا كان موافقاً لله تعالى، يعد فقره نعمة يخاف على زوالها مخافة الغني على زوال نعمته، وغناه مستغنياً بربه كما قال تعالى للفقراء: ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٣] الآية.

نفي العار بالفقر:

كان النبي ﷺ يقول: اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين. وكان ﷺ يستنصر بصعاليك المهاجرين. وقال ﷺ: أطلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء.

وقال العطوي:

ما الفقر عارٌ إنما العارُ الثَّرا والبُخْلُ[2]

وقال رجل من بني قريع:

وكائِنْ رأينا مِنْ غنيٍّ مذممٍ ... وصعلوكِ قومٍ ماتَ وهو حَميدُ

أبو تمام:

---

(١) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٢) الثَّرا: الثَّراء.

لا يُحْسَبُ الإقلال عدماً بل يرى　　أنَّ المقلَّ مِنَ المروءَةِ مُعْدَمُ[١]

طيب عيش مؤثر الفقر وعزته وفضله:

كان سقراط فقيراً، فقال له بعض الملوك: ما أفقرك؟ فقال: لو عرفت راحة الفقر لشغلك التوجع لنفسك عن التوجع لي، فالفقر ملك ليس عليه محاسبة. وقيل له: لم لا يرى أثر الحزن عليك؟ فقال: لأني لم أتخذ ما إن فقدته أحزنني.

وقال بعض الحكماء: من أحب أن تقل مصائبه فليقل قنيته للخارجات من يده، لأن أسباب الهم فوت المطلوب وفقد المحبوب، ولا يسلم منهما إنسان؛ لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد، وبهذا ألمّ ابن الرومي فقال:

ومَنْ سَرَّه أن لا يرى ما يسوؤه　　فلا يتَّخِذْ شيئاً يخاف له فَقْدا[٢]

حُكي أنه لما غرقت البصرة أخذ الناس يستغيثون، فخرج الحسن رضي الله عنه ومعه قصعة وعصا، فقال: نجا المخفون. وقال بعض الزهاد وقد قيل له: أترضى من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك من رضي بدون هذا، قال: نعم. قال: من رضي بالدنيا بدلاً من الآخرة. وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله: أترضى بالدون؟ فقال: إنما رضي بالدون من رضي بالدنيا وترك الآخرة.

طيب عيش من قنع بما رزق:

سئل الفرغاني عن الفتوة فقال: هو أن يكون في كل وقت بشرطه. وقيل لبزرجمهر: أي الناس أقلّ همّاً؟ فقال: ليس في الدنيا إلاَّ مهموم، ولكن أقلهم همّاً أفضلهم رضاً، وأقنعهم بما قسم. وقيل لبعضهم: مَنْ أنعمْ الناس عيشاً؟ فقال: من رضي بحاله ما كانت. وقيل: من رضي بما قسم له كان دهره مسروراً. وقيل لابن عوف: ما تتمنى؟ فقال: أستحي أن أتمنى على الله ما ضمنه لي.

النقاد:

دنيا تخادعُني كأني　　لستُ أعرفُ حالَها
حظر الإلٰه حرامَها　　وأنا احتميتُ حلالَها
وَوَجَدْتُها محتاجَةً　　فَوَهَبْتُ لذّتَها لها

---

(١) ديوانه ٢/ ١٠٦.　(٢) ديوانه ٢/ ٣٠٣.

كون الدنيا عبداً لمن زهد فيها:

قال زاهد لملك: أنت عبد عبدي، لأنك تعبد الدنيا لرغبتك فيها، وأنا مولاها لرغبتي عنها وزهدي فيها. ويقوي ذلك ما روي عن النبي ﷺ: إن الله أمر الدنيا فقال: من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه. وقيل: من زهد في الدنيا ملكها، ومن حرص عليها أملكها. وقال الحسن رضي الله عنه: أهينوا الدنيا، فوالله لأهنأ ما تكون حين تهان.

أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمنْ هي في يديه ... عذاباً كُلَّما كثُرَتْ لديهِ
تهين المكرمينَ لها بصَغرٍ ... وتكرمُ كلّ من هانت عليهِ
إذا استغنَيْتَ عَنْ شيءٍ فدعْه ... وخذْ ما أنتَ محتاجٌ إليهِ[1]

الحث على التوكل في أمر الرزق وترك الحرص:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن في القرآن آية لو أن جميع الناس أخذوا بها لكفتهم في القناعة. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢ ـ ٣]. وسئل بزرجمهر عن الرزق فقال: إن كان قد قسم فلا تعجل، وإن كان لم يقسم فلا تتعب. وقال الحسن رضي الله عنه: الحريص الجاهد والقانع الزاهد كلاهما مستوف حظه، وأكله غير منتقص ما قدر له، فعلام التهافت في النار؟ وقال النبي ﷺ: لو توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بِطاناً[2]. وقيل للحارث: كيف قال ذلك والطير تغدو في طلب الرزق وتروح؟ فقال: مهلاً إن الطير يأخذ في الحوصلة وأنت لا تقنع بذلك، مع أن الطير لم يخاطب بالضمان منه لرزق، ولم ينزل عليه كتاب.

وقال سهل بن وهبان: لا تكونوا للمضمون مهتمين. وقال أعرابي لآخر رآه حريصاً: يا أخي، أنت طالب ومطلوب، يطلبك طالب ولن تفوته، وتطلب ما كفيته كأنك لم تَرَ حريصاً محروماً، ولا زاهداً مرزوقاً. وقال آخر: إنك لا تدرك أملك، ولا تسبق أجلك، ولا تغلب على رزقك، ولا تعطى حظ غيرك، فعلامَ تهلك نفسك؟ لكل صباح صبوح، ولكل عشاء عشاء، وفي بعض كتب الله: يا ابن آدم، لو أن لك الدنيا كلها لم تنل منها إلاَّ القوت، فإذا أعطيتك القوت وجعلت

---

(١) ديوانه ص ٤١٠ ـ ٤١١.

(٢) خِماصاً: جائعة. بِطاناً: شِباع.

حسابه على غيرك، ألم أكن محسناً إليك؟

من قلّ تفكره في أمر الأرزاق وتوكل على الرزاق:

قيل لصوفي: من أين رزقك؟ قال: الذي خلق الرحى يأتيها بالطحين. وقيل لآخر فقال: من كدك على رغم أنفك، رب ساع لقاعد. وقيل لزاهد: من أين المطعم؟ فقال: من عند المنعم. فقال: هل بالقرب من يأتيك برزق من قوم؟ قال: يأتيني به من لا تأخذه سنة ولا نوم.

وأتى رجل إلى شقيق البلخي يطلبه فقالت امرأته: قد خرج إلى الجهاد. فقال: وما خلف عليكم؟ فقالت: أرزاق شقيق أو مرزوق؟ فقال: بل مرزوق. فقالت: إن المرزوق خلف علينا الرزاق، يا هذا، لا تعد إلينا فتفسد على الله قلوبنا. وسئل آخر فقال:

إنَّ الذي شَقَّ فمي ضامِنٌ لي ... الـرزقَ حـتـى يـتـوفّـانـي

وسئل أحمد بن الجلاء عن قوم يدخلون البادية بلا زاد قال: هم رجال الحق. قيل: فإنْ هلك أحدهم؟ قال: الدية على العاقلة. وقال عبد الواحد بن زيد: اجتزت بجبل لكام، فرأيت جارية سوداء عليها جبة صوف، قلت: من أين؟ قالت: من عند من لا تخفى عليه خافية. فقلت: إلى أين؟ قالت: إلى من يعلم السر وأخفى. فقلت: ليس معك زاد! فنظرت إليّ شزراً، وقالت:

مَـنْ قَـصَـدَ الله لا يـبـالـي ... بـأي أرضٍ بـهـا يـمـوتُ

ولـم يـخـاطِـرْه فَـسْـخُ عـزمٍ ... إنْ هـو أبـطـأ عـلـيـه قـوتُ

روي عن النبي ﷺ أنه ذكر عنده أن قوماً من اليمن يحجون بلا زاد، فقال: أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٧]؟ وقيل: عجباً لمن آمن بكتاب الله تعالى ثم رفع بعد سماعه لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [الحِجر: الآية ٢١] حاجة إلى غير الله تعالى.

تبكيت من يشفق لفقد القوت ويبكي لضر:

شكا رجل إلى الحسن سوء الحال وجعل يبكي، فقال الحسن: يا هذا، كل هذا اهتماماً بأمر الدنيا، والله لو كانت الدنيا كلها لعبد فسلبها، ما رأيتها أهلاً لأن يبكي عليها.

كشاجم:

لا تَـغْـدُ كَـلّاً واجـتَـنِـبْ ... أمـراً يـخـافُ الـعـبـدُ عـارَه

وإذا عَـدِمْـتَ مـن الـمـآ كِلِ كلّها فَكُلِ الحجاره[1]

ذم المشتغل برزق مستقبل الزمان:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا تجعل همّ يومك لغدك، فإنَّ غدك إن كان من أجلك يأتي الله برزقك. وقيل: إذا طالبتك نفسك برزق غد، فقل: هاتي كفيلاً بالغد.

شاعر:

إنَّ ربَّاً كانَ يكفيكَ الذي كان بالأمسِ سيكفيكَ غَدَكَ!

آخر:

ولا يكنْ همُّكم في يومِكم لغدِ

آخر:

مَن كانَ لم يُعْطِ عِلْماً في بقاءِ غدٍ ماذا تفَكُّرهُ في رِزْقِ بعدَ غدِ

النهي عن النظر إلى من هو فوقه:

روي في الخبر: انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري بنعمة الله. وقال الضحاك: خصلة من وفق لها وفق لحظه، من نظر في دنياه إلى من هو دونه، فاستكثر قليل ماله.

نهي ذي عيال عن الاهتمام برزقهم:

شكا رجل إلى الشبلي عياله، فقال له: ارجع إلى بيتك، ومن لم يكن منهم رزقه على الله، فأخرجه من دارك. وقيل لرجل كان كثير الحاشية: لو أخرجت بعضهم، لكان يكثر مالك، فهمّ بذلك، فرأى ليلة في المنام كأن العيال الذين همَّ بإخراجهم يدخلون بيته، ويخرجون دقيقاً يحملونه، فسألهم عن حمل ذلك، فقالوا: هذا رزقنا نخرجه من دارك إلى من يتكفل بنا. فانتبه، وعلم خطأ عزمه، فقارَّهم[2]، وزاد لكل منهم.

مدح من لا يدخر:

أُتي عمر رضي الله عنه بمال فقال له عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: لو حبست من هذا المال في بيت المال شيئاً لنائبة. فقال: كلمة ما عرض بها إلاَّ

---

(١) ديوانه ص ١٤٤. والكلّ: العالة على غيره.

(٢) أي: وافقهم.

شيطان، لقنني الله حجتها ووقاني فتنتها، أأعصي الله العام مخافة القابل؟ أعد لهم تقوى الله قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: الآيتان ٢ ـ ٣] ولتكونن فتنة على من بعدك.

النابغة:

ولَسْتُ بخابىءٍ لِغَدٍ طَعاماً ... حَذارَ غدٍ، لِكُلِّ غَدٍ طَعامُ[١]

أخذه الآخر فقال:

إنْ كانَ عندكَ رِزْقُ اليوم فاطَّرحَنْ ... عنْك الهمومَ فعندَ الله رِزْقُ غدِ

آخر:

رِزْقُ غدٍ يأتي مَعَه

آخر:

لأَصْبِرَنَّ على عُسْري وميسرتي ... يوماً بيومٍ كما تجبي العَصافيرُ

نهي من لا عيال له عن الاهتمام بالمعيشة:

قيل: لا تهمنك المعيشة ما كنت وحدك، فإنّ المرء يعيش بالبقلة كما يعيش بالكسرة، ويروى بالمذقة كما يروى بالضرع. وقيل: قلّة العيال أحد اليسارين[٢].

طيب عيش من لا مال له ولا عيال:

أبو حازم:

فلا ولدٌ يروعني بسُقْم ... ولا مالٌ على شَرَفِ الثَّواء

ولا لي صاحِبٌ أبكي عليهِ ... ولا عقبٌ أُخلِّفُ من ورائي

ابن عبد القدوس:

اللَّه أحمد شاكراً ... فبلاؤه حسنٌ جميلُ

أصبحتُ مستوراً مُعا ... فى بينَ أنعمِهِ أجولُ

خلواً مِن الأحزان خفَّ ... الظهر يُقْنعني القليلُ

حُرّاً فلا مَنٌّ ... لمخلوقٍ عليَّ ولا سبيلُ

ونَفَيْتُ باليأسِ المنى ... عني فطاب لي المقيلُ[٣]!

---

(١) ملحق ديوانه ص ٢٣٢.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في الدرة الفاخرة ٢/ ٥١٢؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٠.

(٣) ديوانه ص ١٣٢.

طيب عيش من عنده قوت يومه:

قال رسول الله ﷺ: من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. وقال سفيان رضي الله عنه: مَن كان عنده قوت يومه، فليس بفقير. وقيل: من أعطي القوت فطلب مالاً، كمن أعطي السلامة فطلب المال، فإن المال ألم.

شاعر:

إذا ما أصَبْنا كلَّ يوم مذيقة ... وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ جوائِز

فَنَحْنُ ملوكُ الناسِ خِصْباً ونعمةً ... ونحنُ أسودُ الغيلِ عِنْدَ الهزاهزِ(١)

آخر:

أراني وقاروناً سَوِّيَيَن في الغنى ... إذا كانَ عِنْدي ما يُزَجَّى به الوقتُ(٢)

أبو العتاهية:

إذا القوتُ تأتَّى لك ... والصِّحّةُ والأمنُ

وأصْبَحْتَ أخا حزنٍ ... فلا فارَقَكَ الحزنُ(٣)!

آخر:

إذا كان لي قوتٌ بيومي وصِحَّةٌ ... فلا حالَ أرجو بعدها أن أنالها

ولم أتتبعْ رتبة إنْ بلغتها ... أخافُ بعَزْلٍ أوْ بموتٍ زوالَها

ذم النفس لخوف الفقر والطمع:

قيل: أهلك الناس حُبُّ الفخر وخوف الفقر.

أبو العتاهية:

رأيتُ النَّفْسَ تَحْقُرُ ما لديها ... وتطلبُ كلّ مُمْتَنِع عليها

فإنْ طاوعتَ حِرْصَكَ كنتَ عبداً ... لكلِّ دنيئة تدعو إليها(٤)

تبكيت شيخ يعمر دنياه:

محمود:

يا عامرَ الدنيا على شيبهِ ... فيك أعاجيبٌ لمن يعجَبُ

---

(١) الغيل: موضع الأسد. الهزاهز: المصائب.

(٢) قارون: رجل يُضرب به المثل في الغنى.

(٣) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٤) لم أقع عليهما في ديوانه.

مـا عُـذْرُ مَـنْ يَـعْـمُـرُ بـنـيـانُـه وعُـمْـره مُـسْـتَـهْـدَم يـخـربُ[1]؟

آخر:

عجبتُ لتغريسي نوى النخلِ بعدما طلِعتُ على الستين أو كدت أفعلُ
وأدركْتُ مُلءَ الأرض ناساً فأصبحوا كـأهـلِ ديـارٍ أدلـجـوا فَـتَـحَـمَّـلـوا
ومـا الـنـاسُ إلاَّ رفـقـةٌ قـد تـحـمَّـلـتْ وأُخـرى تـقـضـي حـاجـهـا ثـم تـرحَـلُ

راحة القنع وعزته:

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: الآية ٩٧]: إنها القناعة. وقال النبي ﷺ: الزهد في الدنيا يريح البدن، والرغبة فيها تكثر الهم والحزن. وقيل لمحمد بن واسع: أوصني، فقال: كن ملكاً في الدنيا ملكاً في الآخرة، فقال: وكيف لي هذا؟ قال: ازهد في الدنيا واقنع. بزرجمهر: القَنِعُ عزيز في عاجله مُثاب في آجله. محمد ابن الحنفية رضي الله عنه: ما كرمت على أحد نفسه إلاَّ هانت عليه دنياه. مَنْ حَصَّنَ شهوته صان قدره.

الموسوي:

من كـانَ يَـرْجُـو نَـعـيـمـاً لا زوالَ لـه فـلا تـكـنْ هـذه الـدنـيـا لـه شَـجَـنَـا

قال وهب: خرج العز والغنى يجولان، فلقيا القناعة فاستقرّا.

شاعر:

بلـوغُ الـمنى أن لا تكـاثـرَ بـالـمنى ونَيْلُ الغنى أن لا تنافِسَ في الغنى
ومَـنْ كـان لـلـدنـيـا أشَـدَّ تَـصَـوُّراً تـجـدْه عـنِ الـدنـيـا أشـدَّ تـصـوّنـا

ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

الموسوي:

وإني لألقى راحتي في تَقَنُّع وفي طلب الإثراء طولُ عنائيا

وله:

حَسْبي غنى نفسي الباقي فكُلُّ غنى مِـن الـمـغـانـم والأمـوالِ يَـنْـتَـقِـلُ

ابن نباتة:

وإن الـمـرءَ مـا استغنى غني وحـاجتُه إلى الشيءِ افتقارُه

---

(١) ديوانه ص ٧٣.

غم الحريص وتعبه:

من لم يكن قنعاً، لم يزل جزعاً. الرغبة مفتاح التعب، وغاية النصب. وقيل: جعل الله الخير في بيت، وجعل مفتاحه الزهد، وجعل الشرّ في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا. وقال بزرجمهر: الغنى قلة التمني والرضا بما يكفي. غم الدنيا الحرص عما لعلك لا تناله. إياك والحرص، فإنه يورد المشارب الكدرة، ويسفّ للمطاعم القذرة. وقال عمر رضي الله عنه: ما كانت الدنيا همّ أحد إلاَّ لزم قلبه أربع: فقر لا يدرك غناه، وهمٌّ لا ينقضي مداه، وشغل لا تنفد أولاه، وأمل لا يدرك منتهاه.

لا تخدمِ الحِرْصَ تَعِشْ ذا سرور

اجتاز عبد الله الصفَار بسجن فقال لصاحب له: بمَ حبس من في السجن؟ فقال: لا أدري. فقال: غطى النعيم على قلبك في شيئين: التشفِّي والشَّرَه.

ذم الحرص وعزَّة القنع:

قال النبي ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة، ومن خطبها تأهب للذل. من قَلَّ قنوعه كثر خضوعه. الحرّ عبدٌ إذا طمع والعبد حُرّ إذا قنع. الطمع طبع. من صبر على الخل والبقل لم يستعبد.

أبو العتاهية:

إذا ما المرءُ لم يقنَعْ بعيشٍ تقنَّع بالمذلَّةِ والصَّغارِ[1]

بينما فَتْح الموصلي في أصحابه، إذا بصبيين معهما رغيفان: على رغيف أحدهما كامخ، وعلى رغيف الآخر عَسَل. فقال صاحب الكامخ لصاحب العسل: أطعِمْني من عَسَلك. فقال: أطعمك على أن تكون لي كلباً. فقال: أنا كلبك! فجعل في فمه خرقة يجره بها، فالتفت فَتْح إلى أصحابه وقال: لو قنع هذا بكامخه، لم يصر كلباً لصاحب العسل.

ولقي صاحب سلطان فيلسوفاً يلتقط الحشيش ويأكله فقال له: لو خدمت الملوك، لم تحتج إلى أكل الحشيش. فقال: وأنت لو أكلت الحشيش لم تحتج إلى خدمة الملوك! وقيل: يا عجباً من مسكين بقناعته سري ومن غنى بحرصه دنيء. قال عبد الصمد لأبي تمام:

لستَ تنفَكُّ طالباً لوصالِ مِنْ حبيبٍ أو راغباً في نوالِ

---

(١) ديوانه ص ١٥٧.

أي أخي ما لحرّ وجهك يبقى بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤالِ[(١)]؟

آخر:

أذلَّ الـحِـرْصُ أَعْـنـاقَ الـرِّجـالِ[(٢)]

أبو العتاهية:

الـحـرصُ داء قـد أضـرَّ بـمـن تـرى إلاَّ قـلـيـلاً

طالب الدنيا متحمل للذل:

علي بن الحسين رضي الله عنهما: إنما الدنيا جيفة حولها كلاب، فمن أحبها فليصبر على معاشرة الكلاب؛ ومن ذلك أخذ ابن حجاج:

تـركـتُ مـطـالـبَ الـدنـيـا لـقـومٍ دعـتـهـم لـلـمـخـازي فـاسـتـجـابُـوا
ولـيـسَ الـلـيـثُ مـن جـوعٍ بـغـادٍ عـلـى جـيـفٍ يـطـوفُ بـهـا كـلابُ

ومثله:

إنـمـا الـدنـيـا ومـن يـصـبـو مـن الـنـاسِ إلـيـهـا
جـيـفـةٌ بـيـن كـلابٍ قـاتـلـوا حـرصاً عـلـيـهـا

الحرص على فقر حاضر:

قيل في قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤] إنه الحرص.

الحرص فقر واليأس غنى.

[العيشُ لا عَيْشَ إلّا ما قنعت به] قَدْ يُكْثُرُ المَالُ والإنْسَانُ مُفْتَقرُ[(٣)]

وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سئل: أفلان غني؟ فقال: لا أدري غناه، ولكنه كثير المال. سأل النعمان ضمرة بن ضمرة عن الفقير فقال: الذي لا تشبع نفسه، وإنْ كان من ذهب حلسه[(٤)]. وحمل رجل إلى إبراهيم بن أدهم شيئاً فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: أتحب أكثر منه؟ قال: شديداً. قال: إنك فقير وأنا لا أقبل الصلة إلاَّ من غني؛ عنى بذلك ما روي: الغنى غنى النفس.

الحرص عماد كل شر:

قال الفضيل: جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل

---

(١) ديوانه ص ١٥٢ ـ ١٥٣.
(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في زهر الأكم ٢/ ١٤٠.
(٣) البيت للجوهري في نهاية الأرب ٣/ ٨٧.
(٤) الحِلْس: ما يُبْسَط في البيت تحت المتاع.

الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا. وقيل: الحرص رأس كل خطيئة. وفي الحديث: إن الصفاة الزلاء التي لا يثبت عليها قدم العلماء الطمع.

الحرص يمنع صاحبه التمتع بما خوله:

قيل: الحريص يشغله طلب ما أمل عن التمتع بما خول؛ ومن هذا أخذ كشاجم:

ومُسْتزيدٍ في طلابِ الغنى ... يجمعُ لحماً ما له طابخُ
ضيَّعَ أموالاً بما يرتجي ... والنار قد يطفئُها النافخُ[1]

الحرص سبب التلف:

الليث: يبعث حتفه كلبه. في كتاب كليلة: من لم يرض بما يكفيه وطلب الفضول، كان كالذباب الذي لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة، فتضربه بآذانها فترديه.

إنَّ المطامِعَ تَنْصبُ الشبكا

ابن أبي الأسود:

قد دعاه الطَّمَعُ الكا ... ذِبُ والحِرصُ اللجوجْ
صِيدَ بالحرصِ وقد يصطا ... دُ بالحرصِ الزُّنُوجْ

قدح الحرص في العقل:

قيل: أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع. وقال عمر رضي الله عنه: ما الخمر صرفاً أذهب لعقول الرجال من الطمع، ما أعمى النفس الطامعة عن العقبى الفاجعة. وقيل: الحرص والطمع إلٰهان معبودان.

عود حريص على نفسه باللائمة:

شاعر:

ولو أني رضيت مَقْسومَ أمري ... لَكَفاني من الكثيرِ القَليلُ

آخر:

نَسْعى وأيسرُ هذا السعي يكفينا ... لولا تَطَلُّبُنا ما ليس يعنينا

أبو العتاهية:

أَطَعْتُ مَطامِعي فاسْتَعْبَدَتْني ... ولو أنِّي قَنِعْتُ لَكُنتُ حرّاً[2]

(١) ديوانه ص ٧٦.
(٢) ديوانه ص ١٤١.

آخر:

رأيتُ مخيلةً فطمِعْتُ فيها ... وفي الطمعِ المذَلَّةُ للرِّقابِ

الحارثي:

حتى متى وإلى متى ... طول التمادي في اللعب؟

لا تَسْتفيقُ ولا تفيقُ ... ولا تملّ مِن الطلَبِ

وقال سابق البربري:

النَّفْسُ تكلفُ بالدنيا وقد علمَت ... أنّ السلامةَ منها تركُ ما فيها[1]

أبو جرير السلمي:

كَلَّفني حِرْصي على الدَّراهمِ ... خدمَةَ مَنْ لَسْتُ له بخادمِ

أحمد بن فارس:

أجيء به مِنْ حِلِّهِ وحرامِه ... إلى حامدٍ لي فيه أو غير حامِدِ

وأشقى به مِن بينِهم بحسابِه ... وحظِّيَ في إنفاقه حَظٌّ واحدِ

وأنشد عبد الله الخازن لنفسه:

يا نَفْسُ يا نَفْسُ ثقي ... باللَّهِ رَبّاً واتَّقي

لا تحسبي أنك إن ... لم تَتْعبي لم تُرْزقي

واقْتَصدي واقْتَصري ... فما أقلَّ ما بقي!

نهي المرء عن جمع ما عساه لا ينفعه:

قال النبي ﷺ: إنَّ لك في مالك شريكين: الحارث والوارث؛ فلا تكن أَخسّ الثلاثة نصيباً. وقال ﷺ: إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو تصدّقت فأمضيت، أو لبست فأبليت، وما سوى ذلك فهو للوارث. وقيل لبخيل: لم تحبس المال وتقاسي الشدة؟ فقال: خشية الفقر. فقيل: قد نزل بك الفقر بتضييقك على نفسك، ومن هنا أخذ المتنبي:

ومَنْ يُنْفِقِ السَّاعاتِ في جنبِ مالِهِ ... مَخافةَ فَقْرٍ فالذي فَعَلَ الفَقْرُ[2]

وقال العطوي:

جَمَعْتَ مالاً ففكِّر هل جمعتَ له ... يا جامِعَ المالِ أياماً تفرقُه

---

(١) البيت للإمام علي في ديوانه، ص ٢١٠.

(٢) ديوانه ١/ ٢٥٥.

أبو العتاهية:

نـرقّـع دُنـيـانـا بـتَـمْـزيـقِ ديـنِـنـا فـلا ديـنُـنـا يـبـقـى ولا مـا نـرقّـعُ[١]

آخر:

نـرقِّـعُ بـعـضَ دُنـيـانـا بـبـعـض ونـتـرك مـا نـرقِّـعـه ونـمـضـي

آخر:

ومـا تَـصْـنَـعُ بـالـدنـيـا وظـلّ الـمـيـلِ يَـكْـفـيـكَ

التزهيد في الادخار للوارث والتحسر على ذلك:

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا بُنَيّ، لا تخلف وراءك شيئاً من الدنيا، فإنك تخلفه على رجلين: رجل عمل بطاعة الله تعالى فسعد بما شقيت به، ورجل عمل بمعصيته، فكنت عوناً له على ذلك، وليس أحد بحقيق على أن تؤثره على نفسك، أغبن الغبن كدك فيما نفعه لغيرك. وقال أبي لأخيه وكان مثرياً بخيلاً: يا أخي إن مالك إن لم يكن لك كنت له، فلا تبق عليه فإنه لا يبقي عليك، وكله قبل أن يأكلك. قال الخليل: لم ير الرجل يجمع المال إلاَّ لثلاثة أنفس، وهم أبغض خلق الله إليه: لزوج امرأته، وامرأة ابنه، وزوج ابنته.

وقيل: المأكول للبدن والموهوب للشكر، والمدخر والمحفوظ للعدو. وقيل: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه. وقال جعفر بن يحيى: شَرّ مالك ما لزمك مكسبه، وحرمت أجر إنفاقه.

أبو الشيص:

يقول الفتى: ثَمَّرتُ مالي، وإنَّما لـوارثـه مـا ثَـمّـر الـمـال كـاسِـبُـه

يُـحـاسِـبُ فـيـه نـفـسَـه بـحـيـاتِـه ويتركه نَهْباً لمَنْ لا يُحاسِبُه[٢]

آخر:

بـقَّـيـتَ مـالـكَ مـيـراثـاً لـوارثِـه فليتَ شعري ما أبقى لك المال؟

الـقـومُ بَـعْـدَك فـي حـالٍ تـسـرُّهـم فكيف بَعْدَهُم حالتْ بك الحالُ؟

مَلُّوا البكاءَ فما يُبكيك مِنْ أحدٍ واسْتَحْكَمَ القيلُ في الميراثِ والقالُ

آخر:

هالوا عليه الترابَ ثم انثنَوا عَـنْـه وخـلُّـوه وأعـمـالَـهُ

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه. (٢) ديوانه ص ٣٢.

لم يَنْقَضِ النواحُ من دارهِ   عليهِ حتى اقتسموا مالَه

آخر:

إذا كنْتَ جمّاعاً لمالكَ مُمْسِكاً   فأنتَ عليه خازنٌ وأمينُ
تؤدِّيهِ مَذْموماً إلى غير حامدٍ   فيأكُلُه عفواً وأنتَ دفينَ

النمر بن تولب:

وذي إبلٍ يسعى ويَحْسِبُها لهُ   أخي نَصَبٍ في سقيها ودؤوبِ
غَدَتْ وغدا ربٌّ سواه يسوقُها   وبدَّل أحجاراً وحالَ قليبِ[١]

أبو العتاهية:

وَمِنَ الحَزْمِ أنْ أكونَ لِنَفْسِي   قَبْلَ مَوْتي فيما مَلَكتُ وَصِيًّا[٢]

أوصى رجل اكتبْ: ترك فلان ما يسوؤه وينوؤه مالاً يأكله وارثه ويبقي عليه وزره. وقيل لرجل أشرف وكان قد جمع مالاً ولم يكن له ولد، فقال: حصلت لغير الولد حسرة الأُبد. وكان هشام بن عبد الملك حبس عياض بن مسلم، كاتب الوليد بن يزيد، وضربه وألبسه المسوح، فلم يزل محبوساً مدة ولاية هشام، فلما ثقل هشام وصار في حد من لا يرجى أرسل عياض إلى الخزان أن احفظوا ما في أيديكم، فأفاق هشام وطلب شيئاً، فلم يؤت به، فقال: ترانا كنا خزاناً لغيرنا، فخرج عياض من الحبس فختم الباب، وأمر بهشام، فأنزل عن فراشه، ومنع أن يكفن من الخزانة، فاستعير قمقم أُغلي الماء فيه له فقال الناس: إن في هذا لعبرة لمن اعتبر.

الموسوي:

وما جمعي الأموالَ إلاّ غنيمةٌ   لِمن عاشَ بعدي واتهامٌ لرازقي

وفي الحديث: ما أعطى عبد شيئاً من عرض الدنيا إلاّ قيل له خذْه وضعفيه حرصاً. وقال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح كلما ازداد الإنسان منه شرباً ازداد عطشاً.

محمود الوراق:

أراك يَزيدُك الإثراءُ حِرصاً   على الدُّنيا كأنَّك لا تُموتُ
فهَل لكَ غايةٌ إنْ صِرْتَ يوماً   إليها قُلْتَ: حسبي قد غنيتُ[٣]!

(١) ديوانه ص ٣٣٥.
(٢) ديوانه ص ٣٣٢.
(٣) ديوانه ص ٨٩.

وقيل: مريد الدنيا كشارب الخمر قليلها يدعو إلى كثيرها. المستغني بالدنيا عن الدنيا كمطفىء النار بالتبن. وقال النبي ﷺ: لو أنَّ لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلاَّ التراب، ويتوب الله على مَن تاب. وقال أيضاً: منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا. وقال بعضهم:

غنى النفسِ ما يكفيك من سدِّ حاجةٍ فإن زاد شيئاً عادَ ذاك الغنى فَقْرا[1]

وقال ابن نباتة:

كلما يفضل الكفافَ فُضولُ

التحذير من طول الأمل وقرب الأجل:

كم من مستقبل يوماً ليس بمستكمله، ومنتظر غداً ليس من أجله، ولو رأيتم الأجل ومروره، لأبغضتم الأمل وغروره. وكان الحسن رضي الله عنه إذا نعي له دنيوي يقول: شقي والله ما بقيت له الدنيا ولا بقي لها. ولو ظهرت الآجال، لافتضحت الآمال. من جرى في عنان أمله، عثر لا شكَّ في أجله. كم منية جلبت منيَّة.

بقاء الأمل وازدياده مدة بقاء الأجل:

قيل:

الآمال لا تَنْتهي والحي لا يكتفي المرءُ ما دام حَيّاً خادِمَ الأَمَل

وفي الخبر: يهرم ابن آدم ويَشُبّ معه اثنان: الحرصُ والأمل؛ أخذه المتنبي فقال:

وفي الجسْمِ نفسٌ لا تشيبُ لشيبهِ ولو أن ما في الوَجْهِ منه حِرابُ
يغير مني الدهرُ ما شاء غيرها وأبلغُ أقصى العُمْر وهي كَعابُ[2]

وقيل للمسيح: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشبان؟ فقال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشبان.

حاجة الحي لا تنقطع:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البَلَد: الآية ٤]؛ قيل: معناه يكابد مضايق الدنيا ما دام حيّاً.

---

(١) البيت لسالم بن وابصة في معجم الأبيات الشهيرة، ص ٩٨.
(٢) ديوانه ١/ ٣١٦.

بعضهم:

وحاجة مَن عاشَ لا تنقضي

عبدة بن الطبيب:

والمرءُ ساعٍ لأَمْرٍ ليس يدركُه والعَيْشُ شُحٌّ وإشْفاقٌ وتَأْميلُ[(١)]

وأنشد ذلكَ عمر رضي الله عنه فأخذ يكرره، ويعجب من صحة تقسيمه.

آخر:

النَّفْسُ لا تنقضي مآربها

آخر:

والمَرْءُ تَوّاقٌ إلى ما لم يَنَلْ[(٢)]

الموصلي:

المرءُ ما عاشَ لا يزالُ له في نَفْسِه حاجةٌ يطالبها

لبيد:

إذا المرءُ أسرى ليلَهُ خالَ أنّه قضى عملاً والمرء، ما عاش، عامِلُ[(٣)]

قلة وجود الزهد:

سمع بعضهم رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة؟ فقال: اقلب وضع يدك على مَن شئت. قال:

وقَلَّمَا تجد الراضين بالقَسَم

وقيل: لم يقسم الله شيئاً بين العباد أقل من الزهد واليقين.

التخويف من النفس والشهوة والاستعاذة منهما:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الهوى إلٰه معبود. الخائف من يخاف نفسه أكثر مما يخاف عدوه. ابن مسعود رضي الله عنهما: اللهم إني أستعيذك على نفسي عدوّي ولا عقوبة فيها. وقال أعرابي لرجل: كبت الله كل عدو لك إلاَّ نفسك!.

وقال صوفي: من توهم أن له عدوّاً أعدى من نفسه قلّ علمه بنفسه. وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلاً وخصمي لا

---

(١) ديوانه ص ٧٥.

(٢) الرجز بلا نسبة في الأمثال والحِكم، ص ١٦٠.

(٣) ديوانه ص ٢٥٤.

عقل له، فقيل له: ومن خصمك؟ فقال: نفسي، فأي عقل لها، وهي تبيع الخلود في الجنة بشهوة ساعة؟ من سامح نفسه فيما تحب أتعب جوارحه، وفقد من الراحة حظه. من كثرت شهوته دامت هفوته.

شاعر:

ولـم تَـتَـغـالـبْ شَـهْـوةٌ ومروءةٌ ... فيفترقا إلاَّ ولِلشهوَةِ الغَلَبُ

آخر:

شَهَواتُ الإنسانِ تُكْسِبُه الذلَّ ... وتُـلـقـيـه فـي الـبـلاءِ الـطـويـلِ

الحث على قدع النفس:

ابن المقفع: أعظم الجهاد جهاد المرء نفسه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يُوسُف: الآية ٥٣]. قال عمر رضي الله عنه: جاهدوا أنفسكم كما تجاهدون أعداءكم. وكان الحجاج يقول على المنبر: اقدعوا هذه النفس فإنها طلعة. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا تسكن إلى نفسك وإن دامت طاعتها، فإن لها خدائع، ومتى سكنت إليها فأنت مخدوع. وسئل أنو شروان: أيّ الأشياء أحق بالاتقاء! قال: أعظمها مضرة. قال: فإن جهل قدر المضرة؟ قال: أعظمها من الهوى نصيباً، فالهوى للنفس البهيمية والرأي للنفس الإنسانية. قال بعض الحكماء: قبيح للرجل أن يركب الفرس فيكون الفرس هو الذي يدبر الفارس. وأقبح من ذلك أن تكون هذه النفس التي ألبسناها هي التي تدبرنا لا نحن ندبرها. قال شاعر:

إذا أنتَ لم تَعْصَ الهوى قادَك الهوى ... إلـى بَـعْـضِ مـا فـيـه عـلَـيك مـقـالُ[1]

أبو العتاهية:

إذا طـاوعْـتَ نَـفـسَـك كـنـتَ عَـبْـداً ... لِـكُـلِّ دنـيـئـةٍ تَـدْعـو إلـيـهـا[2]

عبيد العنبري:

يَـعُـدُّ الـفـتـى أعـداءَه وصـديـقَـه ... ونفسُ الفتى أعدى عدوٍّ يحاولُه

آخر:

إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يحبه ... ولم ينْه قلباً غاوياً حيث يَمَّما

(١) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم ص ٨١.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

قضى وَطَراً منه وغادر سبّة إذا ذُكرَتْ أمثالها تملأ الفَما

آخر:

وأنتَ إذا أعطيتَ فَرْجَك سؤلَه وبطنَك نالا منتهى الذمِّ أَجْمعا

وقد مضى بعض ذلك في موضع آخر.

النفس تنبسط إذا بسطت وتنقدع إذا قدعت:

منصور بن عمار: عوِّد نفسك الخير، فإن النفس عروف ألوف، واعتبر أنك إذا أصبحت مفطراً طمعت في الغداء، وإذا أصبحت صائماً يئست منه.

أبو ذؤيب:

والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ(١)

بعضهم: لا تحدث نفسك بالفقر وطول البقاء، ولكن حدثها بالكفاف والغناء.

أبو العتاهية:

اقنعْ لنفسِك ترضَها واملِك هواكَ وأنتَ حُرُّ(٢)

آخر:

وما النفسُ إلاَّ حيثُ يجعلها الفتى فإنْ طمعَتْ تاقَتْ وإلاَّ تَسَلَّتِ(٣)

مدح قادع نفسه عن الشهوات:

قد مدح الله قادع نفسه عن الشهوات فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النَّازعَات: الآيات ٤٠- ٤١]. قال أبو حازم: ما احتجت إلى شيء مما يستقرض إلاَّ استقرضته من نفسي. وقال ملك لعابد: ما منعك أن تخدمني وأنت عبدي؟ فقال: لو صدقت نفسك، فعلمتَ أنك عبد عبدي! فقال: كيف؟ قال: لأني ملكت الشهوة فهي عبدي، وقد ملكتك فأنت عبدها! فقال: صدقت.

أشجع:

تجافى عنِ الدنيا فَقَدْ فتقَتْ له خواصرَها واستَقْبلتْه أمورُها(٤)

---

(١) شرح أشعار الهذليين، ص ١١.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.
(٣) البيت للإمام علي في ديوانه، ص ٥٢.
(٤) ديوانه ص ٢١٨.

آخر:

وخلي عن الدنيا وقد فُرِشَتْ له محفلةً أخلافُها لم تصرَّمِ

مدح متظلف عن مال غيره متبرع بماله:

وصف أعرابي رجلاً فقال: هو بماله متبرع وعن مال غيره متورع.

شاعر:

أبو مالكٍ قاصِرٌ فَقْرَه على نَفْسِه ومشيعٌ غناه

آخر:

وإني لَعفُّ الفَقْرِ مُشْتَركُ الغِنى [سَريع إذا لم أرضَ داري انتقاليا][1]

وقال إبراهيم بن العباس:

يَعْرِفُ الأبعدُ إن أثرى ولا يعرفُ الأدنى إذا ما افتقرا[2]

آخر:

فتى إنْ هو استغنى تخرّق في الغنى وإنْ قَلَّ مالاً لم يُضِعْ سنَّةَ الفقرِ

قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: أما ترى هذا الحائك لا نفتي في مسألة إلاَّ خالفنا فيها؟ يعني أبا حنيفة رضي الله عنه. فقال ابن شبرمة: لا أدري حياكته، ولكني أعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها.

ذم إظهار الفقر والنهي عنه:

قيل: أشدّ الأشياء مؤونة الفاقة، وأشدّ من ذلك الاستكانة إلى من لا يجبرها. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: رضي بالذل من كشف ضره. وقال حكيم: استتر من الشامتين بحسن العزاء عند النوائب. وقال النبي ﷺ: من هداه الله للإسلام، وعلّمه القرآن، ثم شكا الفاقة، كتب الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يُونس: الآية ٥٨]. بزرجمهر: لم أر ظهيراً على تقلُّب الدول كالصبر: ولا مُذِلّا للحاسد كالتَّجَمُّل. وسئل: متى يفحش زوال النعمة؟ فقال: إذا زال معها حسن التجمل.

زيد الفوارس:

ألَمْ تعلمي أني إذا الدهر مَسَّني بنائبةٍ زلت ولم أتَتَرَّسِ

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ٨٠. (٢) ديوانه ص ١٣٣.

مدح صابر على فقره صائن لنفسه:

كثير:

إذا قلَّ مالي زاد عِرْضي كرامةً ... عليَّ ولم أتبعْ دِقاقَ المطامعِ[1]

خليفة بن مر:

إنا إذا حطمة حتَّتْ لنا وَرَقاً ... نكابدُ العيشَ حتى يَنْبتُ الورقُ

آخر:

وكم أزمةٍ للدهرِ ألقَتْ جرانها ... عليَّ فلم تَهْتكْ مذلتُها ستري

ابن هرمة:

وأصْرفُ عن بعضِ المياهِ مطيَّتي ... إذا أعجبَتْ بَعْضَ الرجالِ المشارِعُ[2]

المتسلي عما يذهب له من المال:

أصيب أعرابي بزرع لم يكن له غيره، وكان بفقر خلاء، فقال: يا رب، اصنع ما شئت فرزقي عليك. وقيل: إذا سلمت النفس، فالمال هَدَر. ودخل على علي بن الجهم صديق له وقد أخذ كل ماله، وهو يضحك، فقال له في ذلك، فقال: لأن يزول مالي وأبقى أحبُّ إليّ من أن أزول ويبقى مالي.

شاعر:

نعمةٌ كانَتْ على قو ... م زماناً ثم زالَتْ

هكذا النِّعْمَةُ والإنسان ... مذ كانَ وكانَتْ

تَسْلُبُ النعمةُ أو يخرجُ ... منها إن أقامتْ

البيت الأخير كالخبر المتقدم.

عف الفقر مشترك الغنى:

جرير:

وإنِّي لعفُّ الفقرِ مُشْتَرِكُ الغنى ... سَريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا[3]

عمرو بن سراقة:

ولَسْتُ بِولّاجِ البيوتِ لِفاقةٍ ... ولكِن إذا استَغْنَيْتُ عنها ولجتُها

ابن أبي فنن:

---

(١) ديوانه ص ٢٣٩.

(٢) ديوانه ص ١٤٠.

(٣) ديوانه ص ٨٠.

لـيـس لـي فـي الـعـلا شَـريـكٌ ولا　　الفقر ولي في الثَّراء ألفُ شريكِ[١]

ولهذا باب في الإخوانيات.

مدح صابر على الجوع:

قيل لبعضهم: إنك قد أطلت جوعك، فكيف ترى ذلك؟ فقال: نِعْمَ الغريمُ الجوع، كلما أعطى شيئاً رضي.

الخبزأرزي:

يَطوي إذا ما الشحُّ أبهم فعلَه　　بَطْناً مِن الزاد الخبيثِ خميصا

آخر:

إذا مـطـمـعـي كـان ذا غـصَّـةٍ　　غَسَلْتُ يدي منه قبل اكتفائي

آخر:

لأَكْلةٌ بجريش الملحِ تَأْكُلُه　　أَلذُّ مِن ثمرة تحشى بزنْبورِ[٢]

وذُكر بعض ذلك في فصل الأكل.

فقير عرض عليه مال فتزهد فيه:

لما رجع الرشيد عن الحج، كان قد نذر أن يتصدق بألف دينار على أحق من يجده، فدفع يوماً ألف دينار إلى بعض ثقاته، وأمره أن يطلب فقيراً مستحقاً فيعطيه، فأخذ يطوف في الأسواق، فإذا رأى فقيراً مستحقاً للإعطاء قال: لعلي أجد أفقر منه، فانتهى بالعشي إلى عريان محلوق الرأس في خربة، فقال في نفسه: لا أجد أفقر من هذا. فقال: يا فتى، خذْ هذا المال، واستغن به. فقال: لا حاجة لي فيه. قال: أُحبّ أن تأخذه. قال: إن كان ولا بد فثم حَجّام حلق رأسي، ولم يكن معي شيء فادفعه إليه. قال: فقصدت الحجام، فامتنع من أخذه، فقلت: هو ألف دينار! فقال: ما حلقت رأسه إلاَّ للثواب، فلا آخذ عليه أجرة. قال: فعدت وما وجدت أكرم منهما وأهون مني، فأخبرت الرشيد بأمرهما، فبعثني في طلبهما، فكأنَّ الأرض ابتلعتهما ولم أظفر بهما.

ولما حجّ الرشيد دخل على الفضيل، فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج، فقال: يا فضيل، هل عليك دين؟ فقال: نعم، دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل

---

(١) ديوانه ص ١٧٥.

(٢) ضرب من التين، يُسَمَّى الحَلْوانيّ، وثمر شَجَر يشبه الزيتون.

لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني. فقال الرشيد: إني أسألك عن دين العباد، فقال: عندنا بحمد الله خير كثير، لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس، قال: هذه ألف دينار، فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه، أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك، اسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بُنَيته، فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقال: إن مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بعير يكدونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه.

ومرّ الإسكندر ببلد كان ملكه سبعة ملوك من صلب واحد ففنوا، فقال لأهله: هل بقي من نسل الأملاك السبعة أحد؟ قالوا: نعم، رجل يكون في المقابر. فقصده وقال: ما دعاك إلى ملازمة المقابر؟ فقال: أردت أن أعزل عظام الملوك من عظام عبيدهم، فوجدت عظامهم سواء. قال: فهل لك أن تتبعني، فأحيي لك شرف آبائك، إن كان لك همة؟ قال: إنَّ همتي عظيمة إن كانت بغيتي عندك. قال: وما بغيتك؟ قال: حياة لا موت فيها، وشباب لا هرم معه، وغنى لا فقر بعده، وسرور لا يغيره مكروه. فقال: لا أقدر على ذلك. فقال: امض لشأنك، ودعني أطلب بغيتي ممن عنده ذلك. قال الإسكندر: هذا أحكم مَن رأيت.

وقف أعرابي على محمد بن معمر وكان محمد جواداً، فسأله، فخلع خاتمه ودفعه إليه، فلما ولى قال: يا أعرابي، لا تخدعن عن هذا الفص، فإنَّ شراءه عليَّ مائة دينار. فمضغ الأعرابي الخاتم وقلع فصه، وقال: دونكه، فالفضة تكفيني أياماً. فقال: هذا والله أجود مني.

التحذير من مخالطة الأغنياء:

أبو الدرداء عن النبي عليه الصلاة والسلام: إياكم ومجالسة الأموات. قالوا: ومَن الأموات؟ قال: الأغنياء. وقال الثوري: إياكم وجيران الأغنياء، وقرّاء الأسواق، وعلماء الأمراء. وقال خباب في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]: نزلت إلى الفقراء. وقال عمر رضي الله عنه: لا تدخلوا بيوت الأغنياء فإنها مسخطة للرزق.

وقال سوار لأولاده: لا تعاشروا المهالبة، فإنكم إذا رأيتم نعمتهم، تسخطتم ما قُسم لكم. وقيل: لا تصحب غنياً، فإنك إن ساويته في الإنفاق أضرّ بك، وإن تفضّل عليك استذلك. ووقف بعض المجانين على قوم لهم بعضُ يُسْر، فقال:

سلامةُ الدينِ والدنيا فِراقُكم وحُبُّكُم آفةُ الدنيا مَع الدينِ

وجاء أبو محمد السمرقندي إلى الفضيل ومعه أولاد البرامكة، وعليهم قمص لها جربانات عراض، فسألوه أن يحدثهم، فامتنع، فقام مغضباً، فقال الفضيل: ردوه. فردوه فقال: بلغنا أن عيسى صلوات الله عليه قال: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم. فقيل: يا روح الله، فمن نجالس؟ فقال: من تذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، وترغبكم في الآخرة مجالسته، قم فقد حدثتك.

متزهد اضطراراً لا اختياراً:

قيل لرجل: أزهدت؟ فقال: زهدي اضطراري.

الموسوي:

زَهِدْتُ وزهدي في الحياة لِعِلَّةٍ وحُجَّةُ مَنْ لا يبلغُ الأملَ الزهدُ

وله:

قالوا: أتقنعُ بالدونِ الخسيس؟ وما قَنِعْتُ بالدون بل قنَّعْتُ بالدونِ

أخي من باعَ دُنْياهُ وزُخْرفَها بصوفةٍ كان عندي غيرَ مغبونِ

ابن الرومي:

أنا الرجلُ المدعوّ عاشقَ فقرِهِ إذا لم تكارِمْني صُروفُ زماني[1]

بعضهم:

إذا المرءُ لم يَقْدِرْ له ما يريدهُ تَحَمَّلَ ما يُقضى له، شاء أم أبى

وهذا نحو: إذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون.

اعتبار ديانة المرء بزهده في المال وحرصه عليه:

روي في الخبر: لا تنظروا إلى صوم الرجل وصلاته، وانظروا إلى طمعه إذا أشرف. وفي عكس ذلك قيل لعمر بن عبد العزيز: فلان عفيف عن الدراهم. فقال: الشيطان أعف منه، لا يمس قط درهماً ولا ديناراً!.

* * *

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

الحد التاسع
في الاستعطاء والعطاء

فمما جاء في قصد أولي الآمال

المأمول مقصود. شكا الفضل بن سهل إلى الزبير بن بكار كثرة من يقتفي بابه للحوائج، فقال: لا عليك إن أحببت أن لا يلتقي ببابك اثنان، فاعتزلْ ما أنت فيه من عمل السلطان، فإنَّ نِعَم الله جاءت بهم إليك، ثم أنشده:

مَنْ لم يُواسِ الناسَ مِنْ فَضْلِه عَرَّضَ للإدْبارِ إقبالَه

فقال: صدقت وبررت. وسئل رجل عن فضل بعض الأكابر فقال: أما ترى ازدحام الناس على بابه، وكثرة قصاده وطلابه؟

أشجع:

على باب أبي مَنْصور علاماتٌ مِن البَذْلِ
جماعاتٌ وحَسْبُ البا بِ فَضْلًا كثرةُ الأَهْلِ[1]

بعضهم:

يَزْدَحِمُ الناسُ على بابِهِ والمَنْهَلُ العذبُ كثيرُ الزحامْ[2]

الممدوح بكثرة القصّاد:

زهير:

قد جعلَ المبتغونَ الخيرَ في هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابِهِ طُرُقا[3]

أبو نواس:

ترى الناس أفواجاً إلى باب دارِه كأنهم رَجْلا دبى وجَرادِ[4]

حسان:

---

(١) ديوانه ص ٥٤١.
(٢) البيت لبشار بن برد في ديوانه ص ٢١٣.
(٣) ديوانه ص ٤٩.
(٤) ديوانه ص ٣٧٦. والرَّجْل: الجماعة. والدَّبى: النحل الصَّغير.

يغشونَ حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يَسْأَلونَ عن السوادِ المقْبِلِ[١]

وقال أعرابي: قصدت فلاناً، فوجدت بابه كعرصة المحشر، يهوى إليه كل معشر، فداره مجمع العفاة ومربع المكرمات، حاضرة الجود والحسب.

وهب الهمداني:

فتى دارُه مَعْمورةٌ بعفاتِه ومَجْلِسُه بالمَكْرُماتِ مُنَجَّدُ

قال الجاحظ: كان العلماء يستجيدون بيت الأعشى:

لَعَمْري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضَوء نارٍ في يفاعٍ تُحَرَّقُ

تُشَبّ لمقرورَينِ يَصْطليانِها وباتَ على النار النَّدى والمحلَّقُ[٢]

حتى قال الحطيئة:

متى تأتِه تَعْشو إلى ضَوْء ناره تجدْ خيرَ نارٍ عِنْدَها خيرُ موقدِ[٣]

فحينئذ فضلوا هذا، وصار لحسنه ناسخاً لبيت الأعشى.

من دعا العفاة إليه كثرة الثناء عليه:

دخل رجل على أبان بن الوليد، فقال: أصلح الله الأمير، أحفيت إليك الركاب، وقطعت العقاب، وأُخلقت الثياب. فقال أبان: ما دعاك إلى ذلك؟ أقرابة، أم جوار، أم عشرة متقدمة، أم وصلة متأكدة؟ فقال: لم يكن من ذلك شيء، ولكني سمعت الناس ينشدون بيتاً قلته فيك، فعلمت فيك خيراً، وهو:

وما شيمَ لي بَرْقٌ وإنْ كانَ نازِحاً فيخلفْ إذْ بَعْضُ البوارِقِ خلَّبُ[٤]

فأمر له بجمال ومال. ولما قصد ذو الرمة بلال بن أبي بردة، وأنشده:

سَمِعْتُ الناسَ يَنْتَجعونَ غيثاً فَقُلْتُ لِصَيْدَح: انتَجعي بلالا[٥]!

وصيدح: اسم ناقته. قال: يا غلام اعلفها قتاً ونوى.

بشار:

دعاني إلى عَمْرٍ جودُهُ وقولُ العَشيرة: بَحْرٌ خِضَمّ!

ولولا الذي خبّروا لم يَكُنْ لأحمد ريحانه قبلَ شمّ[٦]

---

(١) ديوانه ص ١٢٣.

(٢) ديوانه ص ١٧٣ ـ ٢٧٤. واليفاع: الأرض المرتفعة.

(٣) ديوانه ص ٥١.

(٤) البوارق الخُلَّب: السحاب الذي لا يُمْطِر.

(٥) ديوانه ص ١٥٣٥. وصيدح: اسم ناقته. (٦) ديوانه ٤/ ١٥٩.

الموسوي:

دعاني إليك العِزُّ حَتّى أجبتُه ... ومَنْ طلبته جمةُ الماء أَوْردا

قصد من يتلقى زائره النجاح:

بعضهم:

أتينك لم يزجُرْنَ دونك سانحاً ... ولا بارحاً إلاَّ وهُنَّ سعودُ

المتنبي:

ولو سِرْنا إليه في طريقٍ ... مِن النيران لم نَخَفِ احتراقا[١]

القاضي علي بن عبد العزيز:

كُلُّ الزمانِ إذا أَفضى تَصَرُّفهُ ... إليكَ وَقْتَ نزولِ الشَّمْسِ في الحملِ

ابن أبي طاهر:

بَلَغْتُ مرادي واطمأنَّتْ بي النَّوى ... وقال لي الوراد: أعْشَبَتَ فانزِلِ!

أعرابي:

كُلُّ أيامه توالتْ علينا ... بِسعودٍ بَلَّغْننا ما نَوَيْنا

لم يكنْ دهرُه كما قيل في ... الأمثال: يومٌ لنا ويومٌ عَلَيْنا[٢]

من أطمع مخلفيه في نوال من يعتفيه:

قال أبو عثمان المازني: أشخصني الواثق، فلما دخلت عليه سألني عن اسمي، فقلت: بكر بن محمد، فقال: هل لك من ولد؟ قلت: نعم، بُنية. قال: فما قالت لك حين فارقتها؟ قال: أنشدتني بيت الأعشى:

فيا أبتا لا ترم عِنْدنا ... فإنّا بخيرٍ إذا لم تَرُمْ

أرانا إذا أضْمَرَتْكَ البِلا ... دُ نجفى ويُقْطَعُ مِنا الرحِمْ[٣]

قال: فبِمَ أجبتها؟ قلت: ببيت جرير:

ثقي بالله ليسَ له شريكُ ... ومَنْ عِنْد الخليفةِ بالنجاحِ[٤]

فقال: أعطوه ألف دينار. وقال أبو نواس:

تقول التي من بَيْتها خفَّ مَرْكَبي: ... عَزيزٌ علينا أنْ نراكَ تَسيرُ

---

(١) ديوانه ٣/ ٤٣.

(٢) ورد المثل: «يوم لنا ويوم علينا» في مجمع الأمثال ١/ ٣٧٠، ٢/ ٤٢٦.

(٣) ديوانه ص ٩١. (٤) ديوانه ص ٨٩.

أما دونَ مِصْرٍ للفتى مُتَطلبٍ؟ بلى إنَّ أسبابَ الغِنى لكثيرُ
دريني أكثِّر حاسديكِ برحْلةٍ إلى بلدٍ فيه الخصيبُ أميرُ
فَتًى يشتري حُسْنَ الثناءِ بمالِه ويَعْلَمُ أنَّ الدائراتِ تدورُ
فما جازَهُ جودٌ ولا حَلَّ دونه ولكن يسيرُ الجودُ حيثُ يسيرُ[(١)]

من يهين أو يكرم مركوبه إذا بلغ مطلوبه:

الشماخ:

إذا بلَّغتني وحملت رَحْلي عرابة فاشْرقي بدمِ الوتين[(٢)]

قد استقبح الناس هذا المعنى وقالوا: بئسما جازاها. وهذا مثلما قال النبي ﷺ للمرأة التي ركبت بعير النبي ﷺ وتخلصت به، فقالت: يا رسول الله إني نذرت إن خلصني الله به لأنحرنه. فقال ﷺ: «بئسما جازيته، لا نذر في مال غيرك!». وقال أبو نواس معارضاً للشماخ:

أقولُ لناقتي إذ بلَّغتني: لقد أصبحت عندي باليمينِ
فلم أجعلك للغربان نحلاً ولا قلت اشرقي بدمِ الوتينِ[(٣)]

آخر:

وإذا المطيُّ بنا بَلغنَ محمّدا فظهورُهُنَّ على الرجالِ حَرامُ
قربْننا مِن خير مَنْ وطيء الثّرى فلها عَلَيْنا حُرْمةٌ وذِمامُ

من ذكر أنه تحمل تعباً في قصد معتفاه:

دخل رجل على معاوية، فقال: هززت ذوائب الرِحال إليك، إذْ لم أجد معولاً إلاَّ عليك، أمتطي إليك بعد النهار واسم المجاهل بالآثار، يقودني نحوك رجاء، ويسوقني إليك بلاء، والنفس مستبطئة لي، والاجتهاد عاذر إذا بلغتك فقط. فقال: احطط رحالك، وقوّي آمالك وكنْ على ثقة بالإنصاف والإسعاف. وقدم وفد بني تميم على عبد الملك وفيهم عمرو بن عتبة، فقال: يا أمير المؤمنين، نحن من تعرف وحقنا لا ينكر، وجئناك من بعيد ونمت بقريب، وما تعطينا من خير فنحن أهله، وما ترى من جميل فأنت أصله. فضحك عبد الملك وقال: يا أهل

---

(١) ديوانه ص ٣٨٢.
(٢) ديوانه ص ٣٢٣. والوتين: شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها بالدم، إذا انقطع، مات صاحبه.
(٣) ديوانه ص ٤١.

الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم!.

الراغب عن كل نعمة دون بلوغ مجتداه:

طريح:

قَصَدْتُك عارياً مِن كُلِّ مَنٍّ ... لكلّ الخلق في كُلِّ المعاني

فلو دنياي قابلني غِناها ... بغيرِكَ ما ثَنَيْتُ لها عِناني[١]

سعد بن ضمضم:

أَظلُّ أدعو باسْمِه ودونَه ... قومٌ كِرامٌ رغبة تركتهمْ

تخيّروا فاخترتهُ عَلَيْهم ... وما بهم بأس ولا ذَمَمْتُهُم

ابن الرومي:

جَعَلْتُ على مُلوكِ الأرضِ طرّاً ... مَجازَ مَطِيَّتي وعليه حَبْسي[٢]

المتنبي:

قواصدُ كافور توارِكُ غَيره ... ومن ورد البحرَ استقلّ السواقيا

فجاءَتْ به إنسانَ عَينِ زَمانِه ... وخلَّتْ بياضاً خَلْفَها وأماميا[٣]

فتأتى له جود معنى بقوله: «إنسان عين زمانه» لجودة المعنى، ثم لموافقة كون ممدوحه أسود. وله يخاطب ناقته:

أُمِّي أبا الفضلِ المبرّ أَلِيَّتي ... لأُيَمِّمَنَّ أجلَّ بحرٍ جَوْهرا

تركتْ دخانَ الرمْثِ في أوطانِها ... طَلَباً لقوم يوقدون العَنْبَرا

ومثله للأسدي:

إليكَ أميرَ المؤمنينَ رحْلتها ... منَ الطَّلْحِ نَبْغي مَنْبتَ الزَّرْجونِ

الموسوي:

أَتيتُ وفي كَفِّي خِطامُ نَجيبةٍ ... مُدَفَّعةٍ في كُلِّ قُرْبٍ إلى بُعْدِ

فما خَدَعَتْها روضةٌ عَنْ مسيرها ... ولا لمعَ مَغْسولٍ تطلع مِنْ وَرْدِ

إذا لَحِظَتْ ماءً جذبتُ زمامَها ... وقلتَ: ارغبي بالقلِّ عن مَوْردٍ ثمدِ

آخر:

---

(١) ديوانه ص ٤٣٢.

(٢) ديوانه ٣/ ٢٥٣. ومجاز مطيّتي: طريق دابّتي.

(٣) ديوانه ٤/ ٤٢٣.

كرامٌ نَقَصْتُ الناسَ لَمّا بَلَغتُهم كأنهُم ما جَفَّ من زادِ قادمِ

قصد من طاب في فنائه الزمان والحياة:

ابن الرومي:

أُريد مكاناً مِن كريمٍ يصونُني وإلاَّ فلي رزقٌ بكلِّ مكانِ[(١)]

المتنبي:

وَمَا رَغْبَتِي في عَسْجَدٍ أَسْتَفِيدُهُ ولكنَّها في مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ[(٢)]

وله:

إذا نلتَ مِنْكَ الجاهَ فالمالُ هينٌ وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ[(٣)]

من قصد سلطاناً سائلاً لقومه:

أتى عبد العزيز بن زرارة باب معاوية، فلما أذن له، وقف بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، دخلت إليك بالأمل، واحتملت جفوتك بالصبر، ورأيت قوماً أدناهم منك الحظ، وآخرين باعدهم منك الحرمان، فليس للمقرب أن يأمن ولا للمبعد أن ييأس.

وقال زياد ابن أبيه: أشخصت قوماً إليك الرغبة، وأقعدت آخرين عنك المعاذير، وقد جعل الله في سعة فضلك ما يجبر المتخلف ويكافىء الشاخص، والخير دليل على أهله، والخصب منتجع في مظانه.

وقيل: أصاب القوم مجاعة في عهد هشام، فدخل إليه وجوه الناس من الأحياء، وفي جملتهم درواس بن حبيب العجلي، وعليه جبة صوف مشتمل عليها بشملة، قد اشتمل بها الصماء، فنظر هشام إلى حاجبه نظر لائم في دخول درواس إليه وقال: أيدخل عليَّ كل من أراد الدخول؟ وكان درواس مُفَوَّهاً، فعلم أنه عناه، فقال درواس: يا أمير المؤمنين، ما أخلَّ بك دخولي عليك، ولقد شرفني ورفع من قدري تمكني من مجلسك، وقد رأيت الناس دخلوا لأمر أعجموا عنه، فإن أذنت في الكلام تكلمت. فقال هشام: لله أبوك! تكلم فما أرى صاحب القوم غيرك. فقال: يا أمير المؤمنين، تتابعت علينا سنون ثلاث: أما الأولى فأذابت الشحم، وأما الثانية فأكلت اللحم، وأما الثالثة فانتقت المخ ومَصَّت العظم، ولله في أيديكم أموال، فإن تكن لله فاعطفوا بها على عباد الله، وإن تكن لهم، فعلامَ

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) ديوانه ٢/ ١٣٠.
(٣) ديوانه ١/ ٣٢٧.

تحبسونها عنهم؟ وإن تكن لكم، فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين. فقال هشام: لله أبوك! ما تركت واحدة ن ثلاث. وأمر بمائة ألف دينار، فقسمت في الناس، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، ألكلِّ رجل من المسلمين مثلها؟ قال: لا، ولا يقوم بذلك بيت المال. فقال: لا حاجة لي فيما يبعث على ذمِّك. فلما عاد إلى داره أمر بذلك، فبعث إليه، فقسم تسعين ألف درهم في تسعة من أحياء العرب، وحبس عشرة آلاف درهم، فبلغ ذلك هشاماً، فقال: لله دره، إنَّ صنيعة مثله تبعث على الاصطناع!.

من رغب في الإيناس والبسط منه:

قال العتابي: دخلت على المأمون فسلمت، فأجلسني وقال لي: تكلَّم. فقلت: يا أمير المؤمنين، الإيناس قبل الإبساس[1]. قال: إنَّ ذلك من أقل ما نوحيه. قال: ثم أقبل على أحمد بن هشام يحدثه، فلما اطمأن بي المجلس ذهبت لأتكلم، فقال المأمون: إنَّ أحبَّ شيء إلينا اليوم أن نبسطك بالحديث النادر، والكلام الطيب والعشرة الرضية، فوالله لقد أعطاني من نفسه ما لم يعط أحد ممن شاهدت وعاشرت.

من قصد سلطاناً فحثه على اصطناعه:

ابن الرومي:

زني القومَ حتى تعرفي عِنْدَ وزنِهم ... إذا رُفِعَ الميزانُ كَيْفَ أميلُ[2]

جرير، وهو من أبياته الرائقة وأشعاره الجيدة:

إذا سرّكم أن تَمْسَحوا وجهَ سابقٍ ... جَوادٍ فَمدوا وابْسطوا من عنانِيا

ألا لا تخافا نُبُوَّتي في مُلِمَّةٍ ... وخافا المنايا أنْ تفوتكما بيا[3]

المتنبي:

فكُنْ في اصطناعي مُحْسِناً ومُجَرِّباً ... يبنْ لك تَقْريبُ الجوادِ وشَدِّه

إذا كُنْتَ في شَكٍّ مِنَ السَّيْفِ فابْلُه ... فإما تَنْفيه وإمّا تعدّه

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ١٩٦؛ والمستقصى ١/ ٣٠٣؛ ومجمع الأمثال ١/ ٥٩. والإيناس: الإيقاع في الأنس. والإبساس: الرفق بالناقة عند الحَلْب، وهو أن يقال لها: بِسْ بِسْ. يُضرب في المداراة عند الطلب.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٨٠.

وما الصارِمُ الهندي إلاَّ كَغيرِهِ إذا لم يفارقْه النِّجادُ وغمدُه[١]

مَن عاتب صاحبه في قلّة معرفته بفضله:

ابن الرومي:

قَوَّمْتَني غَيْرَ قيمتي غَلَطاً شاور ذوي الرأي تَعْرفِ القيمَا[٢]

ابن نباتة:

اشدُدْ يديكَ بي الغدا ةُ فإنّني عِلْقُ المضنَّه

آخر:

ليسَ له ناقِدٌ فَيَنْقُده وآفة التِّبْرِ ضُعْفُ مُنْتَقِدِه

آخر:

ومِثْلُكَ ليسَ يجهلُ حقَّ مِثْلي ومثلي لا تَضيِّعُه الكِرامُ

* * *

ومما جاء في السؤال

الاستغناء بالله عن الناس:

قال أعرابي: اطلب الرزق من حيث كُفل لك، فالمتَكَفِّل به أمين، ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان لك عليه. وشكا رجل ضيقاً، فقال له الحسن: شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك. وقال هشام لرجل في بيت الله: سَلْني. فقال: لا أسأل في بيت الله غيره.

شاعر:

لا تَسَلِ الناسَ وسَلْ مَن أنتَ له

وسأل بعض الزهاد صديقاً له شيئاً لشدة الأمر به، فأعطاه صديقه وقال: يا أخي في ثقتك بحسن عائدة الله عليهم كفاية لهم. فقال: لا حاجة لي بالمال، فقد استغنيت بهذا المآل.

التحذير من سؤال الناس:

قال النبي ﷺ: المسألة كدوح أو خدوش أو خموش في وجه صاحبها. وقال ﷺ: إن أحدكم يخرج بمسألته من عندي متأبطاً وما هي إلاَّ النار. فقال عمر

---

(١) ديوانه ٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) ديوانه ٥/ ٣١٩.

رضي الله عنه: ولم تعطيه وهي له نار؟ فقال: يأبون إلاَّ أن يسألوا، ويأبى الله لي البخل. وقيل: إياك وطلب ما في أيدي الناس، فإنه فقر حاضر. ابن المقفع: السخاء سخاءانِ: سخاؤك بما في يدك، وسخاؤك بما في يد غيرك، وهو أمحض في الكرم وأبعد من الدنس، ومن جمعهما فقد استكمل الفضل. وقيل: من لم يستوحش من ذُلّ السؤال، لم يأنف من ذُلّ الرد. وقيل: جَلَّ في عينك من استغنى عنك. قال:

متى تَرْغَبْ إلى الناس تَكُنْ للناسِ مملوكا

آخر:

إنَّ الغنى عنْ لِئامِ الناس مَكْرمةٌ وعَنْ كرامهمُ أدنى إلى الكرمِ

عابدة المهلبية:

لا تسألَنَّ المرءَ ذاتَ يدَيْهِ فَيَحْقِرَنَّكَ مَن رغبتَ إليه

المرءُ ما لم ترزه لَكَ مكرِمٌ فإذا رزأت المرءَ هَنتَ عليهِ

آخر:

اسْتَغْنِ ما اسْتَطَعْتَ عن أخيك ولو أَعْشَبَ كُلُّ البلادِ عَنْ مَطَرِه

وقيل: إياك والمسألة، فإنها آخر كسب المرء. قال:

وذُقْتُ مرارةَ الأَشْياء جَمَعا فما طَعْمٌ أمرُّ مِنَ السُّؤالِ[1]!

آخر:

ذُلُّ السُّؤالِ وثقلُ الشُّكْرِ ما اجتمعا إلاَّ أضرّا بماء الوَجْهِ والبدَنِ

المخزومي:

ما أبعدَ المكْرماتِ عَنْ رَجُلٍ على نوالِ الرِّجالِ يتَّكلُ

آخر:

إنَّ السؤال يريدُ وجهَ حديدِ

ومما يدخل في هذا الباب قول النبي ﷺ: ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف عليه ولا سائل، فخذه، وما لا، فلا تتبعه نفسك.

النهي عن سؤال من تعوده:

شاعر:

---

(١) البيت للأفوه الأودي في ديوانه ص ٢٣.

فإنْ كنتَ لا بدّ مُسْتَطْعِماً فمنْ غير من كان يستطعمُ؟

آخر:

ولا تطلبَنّ المالَ ممن أفادَه حديثاً، ومن لم يورثِ المالَ وارثه

وقيل: إدخالك اليد في فم التنين أسهل من سؤال دنيء تَعَوَّدَ المسألة.

ولعابدة المهلبية:

إذا ما طَلَبْتَ نوالَ الفتى وقد نالكَ الدهرُ من شَدِّه

فلا تسألنَّ فتى كالحاً أصابَ الرياسة من كَدِّهِ

عذر من سأل سائلاً:

قال ابن بابك:

إنِّي إذا شئت أن أكدِّي حوشيت، كدَّيت مِنْ مكَدِّ

تشفعَتْ حُرمةُ التساوي وكان ردِّي مِنَ التعدِّي

أصْبَحْتُ لا عندَ لي، ولكن ما عندَ مولاي فهو عندي

آخر:

شاعر يطلبُ رزقاً من أخي شعر مكدِ

جعل الريح إلى الريح فتى يطلب رفدي

إن ذا عندي بديعٌ خاض فيه الناسُ بعدي

أبو تمام:

[ذَا ثَرْوَةٍ يَطْلُبُ مِنْ سائِلٍ] ومُفحَماً يأخُذُ مِن شَاعِرِ[(١)]

التحذير من سؤال اللئام:

قال أعرابي: أشدُّ الأشياء مؤونة إخفاء الفاقة، وأشد من ذلك السؤال إلى من لا يجبرها. قال أعرابي لصاحبه: نهيتك عن مسألة قوم أرزاقهم في ألسنة الموازين ورؤوس المكاييل، فمن جعل صرماله من الدوانيق[(٢)]، فعطيته لا تكون فوق القراريط[(٣)]. وقال آخر: نهيتك أن تريق ماء وجهك بسؤال من لا ماء في وجهه. لا شيء أوجع للأحرار من الاضطرار إلى مسألة الأشرار. وقيل لحيي

(١) ديوانه ١/ ٣١٦.

(٢) الدوانيق: جمع دانق، وهو سُدْس الدرهم.

(٣) القراريط: جمع قيراط، وهو نصف الدانق.

المدينية: ما الداء العياء؟ فقالت: حاجة الكريم إلى لئيم لا يجدي عليه. وقال خالد بن صفوان: أشد من فوت الحاجة طلبها إلى غير أهلها.

الأعشى:

حسبُ الكريمِ مَذَلَّةً ونقيصةً   أنْ لا يزالَ إلى لئيم يرغبُ[١]

آخر:

وإني لأرثي للكريم إذا غدا   على حاجةٍ عند اللئيمِ يطالبُه

البديهي:

ومِنَ الذلِّ والبلاء إذا   اضطرَّ كريمٌ إلى سؤالِ لَئيمِ

آخر:

ومَنْ طلبَ الحاجاتِ في دون أهلها   يَجِدْ دونها باباً مِن اللُّؤمِ مُغلَقا

وقيل: إذا سألت بخيلاً مؤونة أدركت الحرمان والعداوة.

تحمل المكاره تفادياً من السؤال:

قال أبو عمرو بن العلاء: اجتزت بكناس ينشد:

إذا أنتَ لم تعرف لِنَفْسِكَ قَدْرَها   هَواناً لها كانَتْ على الناسِ أهونا

فلا تَسْكُنَّنَ الدهرَ مَسْكنَ ذِلَّةٍ   تعدّ مسيئاً فيهِ إنْ كُنْتَ مُحْسِنا

فقلت: سبحان الله، أتنشد مثل هذا، وتتعاطى مثل هذا الفعل؟ فقال: إنَّ إنشادي لمثله أصارني إلى هذا فراراً من ذُلّ السؤال. وقال الأصمعي: مررت بكناس، وهو ينشد:

جَنِّباني ديارَ سُعْدى وليلى   ليس مثلي يحلُّ دارَ الهوانِ

فقلت: وأيُّ هوان فوق هذا؟ فقال: مهْ ذلُّ سؤال مثلك إنَّ كَنْسَ ألف كنيف أهون من وقوف على مثلك. وقيل لرجل كان يعمل في المعادن: ما أشدَّ عملك! فقال: استخراج الماء من الجبال أهون من إخراجه من أيدي الأنذال.

ذم قوم يجب تجنُّب سؤالهم:

قال سلم: لا تطلب حاجتك إلى كذاب، فلعل حاجتك قريبة فيبعدها أو بعيدة فيقربها، ولا إلى رجل له إلى صاحبك حاجة، فإنه يجعل حاجتك وقاية لحاجته، ولا إلى أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

وقال أبو عباس الكاتب: لا تنزل حوائجك مجيد اللسان ولا بالمتسرع إلى الضمان، فالعجز مقصور على المتسرع، ومن وثق بجودة لسانه ظنَّ أن فضل بيانه مما ينوب عن إفضاله. وقيل: إياك ومسألة الموقح الممرن وذي اللِّسان البين، وعليك بالحصر البكي وبذي الحياء الرضي، فمثقال من شدة الحياء والعي أنفع في الحاجة من قنطار من سليط، وعليك بالشمم الذي إذا عجز أيأس، وإن قدر أطمع. وقال عمر رضي الله عنه: لا تستعن على حاجتك إلاَّ بمن يحب نجاحها لك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تسألن حاجة بالليل، ولا تسألن أعمى، فإنّ الحياء في العينين.

الحث على الإجمال في الطلب:

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: لم يعد المرء ما قسم له، فأجملوا في الطلب، فإنَّ في القناعة سعة وكفّاً عن كلفة لا تحل. وقيل: اطلبوا الحاجات بعزة الأنفس، فإنَّ بيد الله قضاءها.

التزهيد في نوال يتوصل إليه بسؤال:

قيل: السؤال، وإنْ قلَّ، ثمن لكلِّ نوال وإنْ جَلَّ.

شاعر:

ما اعتاضَ باذلُ وجْهِهِ بسؤالِهِ عِوَضاً وإنْ نالَ الغنى بسُؤالِ

وإذا السُّؤالُ مَعَ النَّوالِ قَرَنْتَه رجحَ السؤالُ وخَفَّ كلُّ نوالِ

التزهيد في إحسان يتوصل إليه بهوان:

ابن الرومي:

إذا أنا نالَتْني فواضِلُ مفضلٍ فأهلاً بها ما لم تكُنْ بهوانِ

فأما إذا كانَ الهوانُ قرينَها فَبُعْداً لها ما ينقضي لأوانِ!

ومَن ذا الذي يلتذُّ شهداً بعَلْقمٍ أبتْ لهواتي ذاكَ والشَّفَتانِ

أُريدُ مكاناً مِنْ كَريمٍ يصونُني وإلاَّ فلي رِزْقٌ بكُلِّ مكانِ[1]

وكان يجري على أبي العيناء رزق، فتأخر عنه، فتقاضاه مراراً ثم تركه، وقال: لا حاجة لي فيه، فهو رق لا رزق، وبلاء لا عطاء، ومحنة لا منحة.

(١) لم أقع على هذه الأبيات في ديوانه.

ذم الإلحاح:

قال النبي ﷺ: «إنَّ الله يبغض من عباده البذي الفاحش السائل الملحف». وفي كتاب الهند: لا يكثرن الرجل على أخيه المسألة، فإنَّ العِجْل إذا أفرط من مَصّ أمه نطحته ونحته. وقيل: كل إلحاف شين إلاَّ مسألة رب العالمين. ودخل علوي على أبي السائب، فنظر إلى إبريق فقال: هبه لي، فقال: لستُ أستغني عنه. فقال: هبْ لي هذا الآخر، فقال: هو من جهاز أمي، أتبرك به. فقال: هبْ لي تلك المنارة، فقال أبو السائب: صلى الله على المسيح حيث لم يترك على أُمته ولداً يؤذيهم.

جلس بعض أصحاب الحديث إلى رجل فقال: تفضّل بقلم، فناوله، قال: وورقة، فأعطاه. قال: قدم لي المحبرة، فأولاه، فقال: يا فتى، أتنشط للتزوج فإن أمي فارغة؟.

الحث على رد الملحّ:

من ثقل عليك بنفسه وعمل بسؤاله، فولّه أذناً صماء وعيناً عمياء. من ألحَّ في السؤال رُزق الحرمان.

بشار:

[الحُرُّ يُوصَى والعَصَا للعَبْدِ] ولَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَدِّ[1]

ووقع بعض الكبار في قصة مُلحّ مكثر للسؤال: دعْ هذا الضرع، يدرّ لغيرك كما درّ لك.

إعطاء الملحّ للتبرم به:

قال أعرابي لمعاوية وقد أضجره: قد تحلب الناقة العلبة وهي ضجور، فقال معاوية: وقد تكسر الإناء وتدقّ أنف حالبها؛ فقال الأعرابي: وقد تثني أهلها رقبتها فتدرّ لبنها. فضحك وأعطاه. استماح أعرابي خالد بن عبد الله فألحف وأبرم، فقال خالد: أعطوه بدرة[2] يدخلها في حِرِ أُمه! فقال: وأُخرى لأستها يا سيدي، لا تبقى فارغة! فضحك وقال: أُخرى لأُستها. وسأل الأصمعي حاجة ألحّ فيها، فقال:

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٢٤.

(٢) البدرة: كيس توضع فيه كميَّة من الدراهم.

أرِحْني واسترحْ مني فإنّي ثَقيلٌ مَحْمَلي ذَرِبٌ لساني[١]

أبو سعيد الموسوي في معناه:

أرِحْ علّتي واصْرِفْ إلى النارِ طَلْعتي فما كُلُّ وقْت رؤيتي بمري

الحث على ترك تجاوز الحد في السؤال:

من سأل فوق قدره، فقد استوجب الرد، ومن لم يرج إلاَّ ما هو مستحق له، فإلى الرفد. قيل: إذا أردتَ أن تُطاع، فاسأل ما يُستطاع[٢]. قال الشاعر:

إنَّكَ إنْ كلفتني ما لم أطِقْ ساءك ما سَرَّك مني مِنْ خُلُقْ

الترغيب في سؤال السلاطين:

قيل: مسألة الرجل السلطان، ومسألة الابن أباه لا تنقصه ولا تشينه. وقال شاعر:

وإذا ابتَلَيْتَ ببَذْلِ وَجْهِك سائلاً فابذلهُ للمتُكَرِّمِ المِفْضالِ

الترغيب في سؤال الصباح دون القباح:

قال النبي ﷺ: «اعتمدْ لحوائجك الصِباح الوجوه، فإنَّ حُسْنَ الصورة أول نعمة تلقاك من الرجل». وروي عنه عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الحوائج عند حِسان الوجوه». وسئل ابن عائشة عن هذا الحديث فقال: معناه اطلبوها من الوجوه التي تحسن بالإنسان أن يطلب منها. ونظر ابن عباس إلى رجل حسن الوجه فقال:

أنت شَرْطُ النبي إذ قالَ يوماً: اطلبوا الخيرَ مِنْ حِسانِ الوُجوهِ

البحتري:

مَنْ حسَّن الله وجهَه وسَجا إياهُ وأعطاهُ كلفَ الكلفا[٣]

سؤال الشبان دون الشيوخ:

قال حكيم: طلب الحوائج عند الشبان أسهل منها عند الشيوخ، ألا ترى أن يعقوب عليه السلام لما سأله بنوه أن يستغفر لهم، قال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يُوسُف: الآية ٩٨]. وقال يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يُوسُف:

---

(١) اللسان الذَّرِب: السَّليط.

(٢) هذا القول من الأمثال المُوَلّدة، وقد ورد في مجمع الأمثال ١/ ٨٨.

(٣) لم أقع عليه في ديوانه.

الآية ٩٢]. قال يحيى بن خالد: إذا كرهتم الرجل من غير سوء أتاه إليكم فاحذروه، وإذا أحببتموه من غير خير سبق منه إليكم فارجوه.

تفضيل سؤال كريم فقير على غني لئيم:

الرفاء:

صَرَفْتُ عن الكثيرِ الوفرِ طرفي ... وها أنا للقليلِ الوَفْر راج
وكم مِنْ نُطفةٍ عذبَتْ وكانَت ... أحبَّ إليَّ من بَحْرٍ أُجاجِ[١]

عيّ من سأل لنفسه شيئاً:

كلَّم أعرابي خالد بن عبد الله وتلجلج في كلامه، فقال: لا تلمني على الاختلاط، فإن معي ذل الحاجة، ومعك عز الاستغناء. وقال سعيد بن العاص: موطنان لا أعتذر من العيّ فيهما: إذا سألت حاجة لنفسي، وإذا كلَّمت جاهلاً. وقيل: سار الفضيل بن الربيع إلى أبي عباد في نكبته يسأله حاجة، فأُرتج عليه[٢]، فقال له: يا أبا العباس، بهذا اللسان خدمت خليفتين؟ فقال: إنا تعودنا أن نُسأل لا أن نَسأل.

الحث على ترك الاستنكاف من السؤال:

قال رجل لآخر: قد وضع منك سؤلك. فقال: لقد سأل موسى والخضر عليهما السلام أهل قرية، فأبوا أن يضيفوهما، فوالله ما وضع هذا من نبي الله وعالمه، فكيف يضع مني؟ قيل لزرعة: متى تعلمت الكدية والسؤال؟ قال: يوم ولدت منعت الثدي، فصحت وبكيت، فأُعطيت الثدي فسكتّ.

الحث على استعمال الوقاحة:

قال بعض المكدين: مكتوب على باب الجنة: مَن صَبَرَ عَبَرَ. وقيل: الهيبة خيبة[٣].

شاعر:

هَيْبة الإخوانِ مقطعة ... لأخي الحاجاتِ عن طلبِه
فإذا ما هِبْتَ ذا أملٍ ... ماتَ ما أَمَّلْتَ من سببِه

---

(١) ديوانه ص ٦٨. والأُجاج: الشديد الملوحة.
(٢) أي: لم يستطع الكلام.
(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٤٨٨؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٠٧، ٤٠٢.

وكان مكتوباً على عصى ساسان: الكسل شؤم والمتميز مذموم، والحركة بركة والتواني هلكة، وكلب طائف خير من أسد رابض.

أشجع السّلميّ:

لـيـسَ لـلـحـاجـات إلاَّ مَـن لـهُ وجـهٌ وقـاحُ[١]

سلم الخاسر:

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ غمّاً وفازَ بالـلَّـذةِ الـجَسورُ[٢]

الحث على المطالبة:

أبو تمام:

وخُذْهُمْ بالرّقَى إنَّ المَهَاري يُهيِّجُها على السَّيْرِ الحُدَاءُ[٣]

آخر:

حَرِّكْهُ فالأشجارُ في تحريكِها تجني جَناها والقلوبُ تَقَلَّبُ

وقال ابن الرومي:

نُـذَكّـر بـالـرقـاع إذا نَـسـيـنـا ونَـذْكُرُ حين تمطلُنا الكِرامُ

فـإنَّ الأمَّ لـم تُـرضِـعْ صَـبـيـاً مع الإشفاقِ لو سَكَتَ الغلامُ[٤]

الحث على معاودة السؤال:

قال عمر رضي الله عنه: إذا سألتمونا حاجة فعاودونا فيها، فإنما سميت القلوب لتقَلُّبها. وقال عبد الملك في خطبته: لا يمنعن رجلاً سأل اليوم شيئاً فمنعته أن يسأل غداً، فإن الأمور بيد الله لا بيدي. ودخل بعض الطالبيين على إسحاق بن إبراهيم فسأله حاجة فمنعه. فأنشد الطالبي:

لا يُـيْـئِـسـنَّـكَ مِـنْ كَـريـم نَـبْـوَةٌ يَنْبو الفتى وهو الجوادُ الخضْرمُ

فـإذا نـبـا فـاسْـتَـبْـقِـه وتَـأنَّـه حتى يفيء بها الطِّباعُ الأكْرمُ

وقيل: إذا سألت كريماً حاجة، فدعه وسوم نفسه، فإنه لا يفكر إلاَّ في خير، وإذا سألت لئيماً حاجة، فعافصْه ولا تدعه يتفكر فيتغير. وقال بعضهم في ضد ذلك: إذا سألت لئيماً حاجة فاجله حتى يروض نفسه ويطابق ما قاله قول الشاعر:

يُعالجُ نَفْساً بينَ جنْبَيهِ كعزَّة إذا هَمَّ بالمعروفِ قالَتْ له: مَهْلا!

---

(١) ديوانه ص ١٩٧.
(٢) ديوانه ص ١٠٤.
(٣) ديوانه ٢/ ٣٧٩.
(٤) لم أقع عليهما في ديوانه.

الاعتذار لتأكيد السؤال:

أبو تمام:

لو رَأَيْنا التَّوكِيدَ خُطَّةَ عَجْزٍ ... ما شَفعْنا الآذانَ بالتَّثْوِيبِ[١]

ابن الرومي:

قد يُحَثُّ الجواد غيرَ بطيءٍ ... ويُهَزُّ الحسامُ غيرَ كَهامِ[٢]

بشار:

هَزَزْتُك لا أني وجدتُك ناسياً ... لأمري ولا أني أردتُ التقاضِيا

ولكن رأيتُ السَّيْفَ من بَعْدِ سلِّهِ ... إلى الهزِّ مُحْتاجاً وإن كان ماضِيا[٣]

عذر من سأل لئيماً وأخذ منه:

قيل للأعمش: كيف تصنع إذا كان لك إلى لئيم حاجة؟ قال: آتيه كما آتي الحشّ[٤]؛ ومنه قال الشاعر:

وعِنْدَ الضرورةِ آتي الكَنيفا[٥]

المتنبي:

غَيْرَ اختيارٍ قبِلْتَ بِرَّكَ بي ... والجوعُ يُرضي الأسُودَ بالجِيَفِ[٦]

أبو تمام:

وخذِ القليلَ مِنَ اللئيمِ ... إذا أبى أهلُ الكَرَمْ

فاللَّيث يفترسُ الكِلا ... ب إذا تعذرتِ الغَنَمْ[٧]

قال ابن شاذان: دخلت مع جماعة من الصوفية على الشبلي، رحمه الله، فبعث إلى بعض المياسير يسأله ما ينفقه عليهم، فقال للرسول: قلْ له: يا أبا بكر، أنت تعرف الحق، فلم لا تطلب منه؟ فقال الشبلي: عد إليه، وقل له: الدنيا سفلة، أطلبها من سفلة مثلك، واطلب من الحق الحق، فوجه إليه بمائة دينار.

وفي المثل: خذ مِنْ جِذْعٍ ما أعطاك[٨].

---

(١) ديوانه ١/ ٧٧. والتَّثويب: الدعوة إلى إقامة الصلاة.

(٢) ديوانه ٦/ ١٣١. والحسام: السيف. الكهام: الذي لا يقطع.

(٣) ديوانه ٤/ ٢٢٨.

(٤) الحُشّ: الكنيف، المِرْحاض.

(٥) الكنيف: المِرْحاض.

(٦) ديوانه ٣/ ٢٣.

(٧) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٨) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٤٢١؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٣١؛ والمستقصى ٢/ ٧٢. وجذع هو جذع بن عمرو الغسّاني. يُضرب في اغتنام ما يجود به البخيل.

اللطافة في المسألة:

قيل: اللطافة في المسألة أجدى من الوسيلة. قال:

احلبْ لبونَك إبْساساً وتَمْريةً ... لا يقطعُ الدرَّ إلاّ عُنْفُ مُحْتَلِبهِ[(١)]

مثله:

وإذا جَفَوْتَ قطعتُ عنكَ وسائلي ... والدَرُّ يَقْطَعُهُ جَفاءُ الحالبِ

تواطأ أبو دلامة مع أم دلامة على أن يأتي هو المهدي فينعيها، وتأتي على الخيزران فتنعيه. فأتى أبو دلامة المهدي وهو يبكي وأنشد:

وكنَّا كَزَوْجٍ من قطاً في مَفازةٍ ... لدى خفْضِ عيشٍ مورقٍ ناضرٍ رغدِ

فأفردَنا ريبُ الزمانِ بطرفهِ ... ولم نرَ شيئاً قطُّ أوحشَ مِن فرْدِ[(٢)]

فقال له: ما بالك؟ فقال: ماتت أم دلامة، وإني لأحتاج إلى تجهيزها، فأطلق له مالاً. وأتت أم دلامة الخيزران، وقالت: إن أبا دلامة مضى لسبيله، فاغتمت، وأمرت لها بمال، وأعطتها ثياباً وطيباً. ثم لما دخل المهدي على الخيزران، قالت له: يا أمير المؤمنين إن أبا دلامة مضى لسبيله، أبقى الله أمير المؤمنين، وأم دلامة كانت عندي الساعة، فأعطيتها التجهيز لزوجها. فقال المهدي: إن أم دلامة مضت لسبيلها، وكان عندي أبو دلامة الساعة، وأعطيته نفقة تجهيزها. فعلما أنهما احتالا، فضحكا واستدعياهما وخولاهما شيئاً وضحكا منهما. وقال رجل لآخر: لو مت أنا ما كنت تفعل؟ قال: كنت أكفنك وأدفنك. قال: فاكسني الساعة ما تكفنني به، وإذا متُّ فادفني عرياناً.

من عرض بسؤاله أو تلطف فيه:

أكل شعبة مع زياد وهو يتأمله، وكان يأكل أكْلاً ذريعاً، فقال له زياد: كم لك من الولد؟ فقال: تسع بنات، أنا أجمل منهنّ وهنّ آكل مني، فقال: ما أحسن ما استعطيت لهنّ، فأثبتهنّ في العطاء. ساير رجل بعض الولاة، فقال له الوالي: ما أهزل برذونك[(٣)]! فقال: يده مع أيدينا فَوَصله.

عرض عمرو بن الليث عسكره، فمر به رجل تحته دابة مهزولة، فقال:

---

(١) الإبساس: التمهُّل والرِّفق في الحَلْب. التمرية: مسْح ضَرْع الناقة لتدرَّ.

(٢) ديوانه ص ٥٣.

(٣) البرذون: دابّة دون الفرس غليظة الأعضاء، ضخمة، تُتَّخذ للحَمْل بخاصّة.

أتأخذون المال، وتسمنون به فِقاح[١] نسائكم؟ فقال: أيها الأمير، لو نظرت إلى فقحة امرأتي لوجدتها أهزل من كفل دابتي! فضحك منه وأمر له بزيادة عطائه.

وكان لأبي الأسود جبة خز قد تقطعت، فقال له معاوية: ما تملّ لبسها؟ فقال: رُبَّ مملولٍ لا يُستطاع فراقه! فأمر له بمال. قال أبو جعفر الوراق للصاحب: إن جرذان داري يمشين بالعصا هزالاً، فقال: بشرهنّ بمجيء الحنطة. وكان أبو الحسن الوراق قصد سيف الدولة في جملة الشعراء، فناوله درجاً يوهم أنه شِعر له، فنشره سيف الدولة، فقال: ليس فيه شيء مكتوب. فقال: سيدُنا يكتبُ فيه لعبده! فضحك وأمر له بمال.

وقسم عبد الله بن عبيد مالاً بين بنيه فقال له عبد صغير: فأعطني أوّلاً، فقال له: ولمه؟ قال لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: الآية ٤٦]، فبدأ بالمال وأنا مالك. فأعطاه وقدَّمه. وسأل أعرابي عبد الملك فقال له: سل الله. فقال: سألته فأحالني عليك. فضحك منه، وأعطاه.

المستغني بالسلام عن السؤال:

أُمية بن أبي الصلت:

أَأَذْكُرُ حاجتي أَمْ قَدْ كفاني ... حَياؤك؟ إنَّ شيمَتك الحياءُ
إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً ... كفاهُ مِنْ تَعَرُّضِه الثَّنَاءُ[٢]

ابن الرومي:

يا مَنْ إذا التَّعريضُ صافَحَ نفسَه ... أغنى العفاةَ به عَنِ التَّصريحِ[٣]

آخر:

وإذا طلبتَ إلى كريم حاجةً ... فلقاؤهُ يكفيكَ والتسليمُ
وإذا رآكَ مُسَلّماً عرفَ الذي ... حملتَه وكأنَّه ملزومُ

الرياشي:

وحَسْبُك من تقاضي المرء يوماً ... لحاجتهِ الزيارةُ والحديثُ

آخر:

وإذا المجدُ كانَ عوني على المر ... ء تقاضيتُه بتَرْكِ التقاضي

---

(١) الفِقاح: جمع فقحة، وهي حلْقة الدُّبُر.
(٢) ديوانه ص ١٧، ١٩.
(٣) ديوانه ٢/٦٨.

المتنبي:

أخفّ سلامي حب ما خفَّ عنكُمُ ... وأسكتُ كيما لا يكون جوابُ
وفي النفْس حاجاتٌ وفيك فطانة ... سكوتي بيانٌ عندها وخِطابُ[١]

المتوصل بسؤال حاجة إلى أخرى:

في المثل: أعَنْ صَبوحٍ تُرَقِّق[٢].

شاعر:

وحاجة دون أخرى قد سَجَحْتُ بها ... جعلتُها للذي أخفَيْتُ عُنْوانا

آخر:

وأُرضعُ حاجةً بلبان أُخرى ... كذاك الحاجُ ترْضعُ باللَّبانِ

وقيل: سرين في خريزة لحاجتين في حاجة. وخيّر رجل بين شيئين فقال: كلاهما وتمراً[٣]. وقال بعض الخلفاء لأبي دلامة: سل. فقال: كلباً أصيد به. فقال: أعطوه. قال: ودابة أركبها إذا خرجت أصطاد. فقال: أعطوه. قال: وغلاماً يخرج معي إذا ركبت يمسك كلبي. قال: أعطوه. قال: وجارية تصلح ما أصيده. قال: أعطوه. فقال: كلب ودابة وغلام وجارية لا بد لهم من دارٍ تؤويهم، ولا بد لهم مما يمونهم. فقال: تُقْطع له ضيعة. فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني يدك أُقبِّلها، فقال: دع هذا، فقال: ما منعت عيالي شيئاً أشد فَقْداً عليهم من هذا.

النهي عن رد الراغب إليك:

قال شريح: من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإنْ قضاها المسؤول استعبده بها، وإن رده رَجَع حرّاً، وهما ذليلان، وهذا بَذَلَ اللؤم وهذا

---

(١) ديوانه ١/ ٣٢٤.

(٢) في المطبوع «تفرقوا» وهذا تصحيف. والمثل ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٢٩؛ والمستقصى ١/ ٢٥٥؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢١. والصّبوح: شراب الصَّباح. ترقّق: ترقِّق كلامَك وتُحَسِّنه. أصله أنَّ رجلاً نزل بقوم ليلاً، فأضافوه، فلمّا فرغَ، قال: أين أغدو إذا صبَّحْتَموني؟ أي: سقيتموني الصَّبوح. فقيل له: أعَنْ صَبوحٍ تُرَقِّق؟ يُضرب للرجل يُريد الشَّيءَ، فيُعَرِّض به، ولا يُصَرِّح بذكره.

(٣) ورد المثل في جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٧؛ والمستقصى ٢/ ٢٣١؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٥١، ٢٨٧. والمثل قاله رجل مَرّ بإنسان وبين يديه زُبْد وسنام وتَمْر، فقال له الرجل: أَنِلْني مِمّا بين يديك، قال: أيّهما أحَبُّ إليك: زُبْد أم سنام؟ فقال الرجل: كِلاهما وتَمْراً، أي: كِلاهما أريد، وأريد تمراً، يُضرب في كلّ موضع خُيِّر فيه الرجل بين شيئين، وهو يريدهما معاً.

بذل السؤال. وقال سعيد بن العاص: ما رددت أحداً عن حاجة إلاَّ تبينتُ العز في قفاه، والذل في وجهي. وقيل: من قضى حاجة سائله اجتمع معه في العز، وإنْ حرمه اجتمع معه في الذلّ.

النهي عن خيبة من أراق ماء وجهه لسؤالك:

من انتجعك مُؤَمِّلاً فقد أسلفك حسن الظن بك. وأدخل ابن السماك رجلاً إلى الفضل بن الربيع فقال: إن هذا بذل لك ماء وجهه، فأكرمْ وجْهَك عن رده.

أبو تمام:

ما ماءُ كَفِّكَ إنْ جادَتْ وإنْ بَخِلَتْ ... مِنْ ماءِ وَجْهِي إذا أَفْنيتُه عِوَضُ[1]

الحث على استرقاق الأحرار:

العجب لمن يشتري العبيد بالأموال، ولا يشتري الأحرار بالنوال والإفضال. وقيل: ليس للأحرار ثمن إلاَّ الإكرام، فأكرمهم تملكهم.

الحث على اصطناع المعروف وإن لم يشكر:

ابن عباس رضي الله عنهما: لا يزهدنَّك في المعروف كفر من كفر، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه.

الحث على اصطناع المعروف وإن لم يُسأل:

قيل: لا تُلجىء الآمل إلى كد المسألة، ولا تكلفه خشوع التضرع. وسُئل خالد بن يزيد: ما الجود؟ قال: أن تعطي من سألك. فقال ابنه: يا أبت هذا هو الكد، إنما الجود أن تعطي من سألك ومن لم يسألك. وقيل لرجل: سَلْ. فقال: إني أكره أنْ أعطى ثمن السؤال.

محمد بن أبي عمران:

أَجِرْني مِن ذلّ السؤالِ وآعفني ... فكُلُّ عزيزٍ في السؤال ذليلُ

العماني:

أنت تَسْقي والربيعُ يَنْتَظِرْ ... وخَيْرُ أنوارِ الربيعِ ما ابْتَكَرْ[2]

أنْتَ رَبِيْعي والرَّبيعُ يَنْتَظِرْ ... وخَيْرُ أنْواءِ الرَّبيعِ ما بَكَرْ

الحث على تعجيل السؤال:

بعضهم:

(١) ديوانه ٢/ ٣٩١.

(٢) ديوانه ص ٩٢.

جُعِلْتُ فِداكَ لم أسألْك ... ذاكَ الثوبَ للكفَنِ
سألتُكَهُ لألبسَهُ ... وروحي بَعْدُ في البدنِ

وقيل: أهنأ المعروف أَعْجَلُه[١]. وقال بعض الناس: إذا أوليتني نعمةً فَعَجِّلها، فإنّ النفس مولعة بحبِّ العاجل، وإن الله تعالى قد أخبر عما في نفوسنا، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ [القِيَامَة: الآية ٢٠]. وقال مروان بن أبي حفصة:

فما نحنُ نَخْشَى أنْ يَخِيبَ دُعاؤُنا ... لديكَ ولكِنْ أَهْنأَ العُرْفِ عاجلُه[٢]

الحث على تعجيل الرفد أو الرد:

من الظفر تعجيل اليأس من الحاجة إذا أخطأك قضاؤها. وقيل: السَّراح من النجاح[٣]. وقال بعضهم: أنت ذو أناة أعجز عن الصبر عليها، فوعد نجيح أو يأس مريح. وسأل رجل طائيّاً فمنعه، فقال له: لم تجد جواداً حاتمياً، فقال: إن لم أجدْ جوده فقد منعت منعه، حيث يقول:

أماريَّ فإمّا مانِعٌ فمبين ... وإمّا عَطاءٌ لا يُنَهْنِهُه الزَّجْرُ

آخر:

أرِحْني بيأسٍ أو بتَعْجيلِ حاجةٍ ... فكِلتاهما للمَرْءِ روحُ مُنْعِمُ
ولا تكُ كالعَذْراء يومَ نكاحِها ... إذا استُؤْذِنَتْ في نفْسِها لم تكلَّمِ

وقيل: إن بعض الناس أقام بباب بعض الملوك مدة، فلم يحظ منه بشيء، فكتب أربعة أسطر في رقعة، الأول: الأملُ والضرورةُ أقدماني عليك. الثاني: ليس على العدم صبر. الثالث: الرجوع بلا فائدة شماتة الأعداء. والرابع: إما نِعَم مثمرة وآمالاً ميئسة، فكتب تحت كل سطر: زه! يعطى لكل منها أربعة آلاف درهم.

مَن سأل وذكر أن النعمة لا تغني في غير وقتها:

البحتري:

(١) في مجمع الأمثال ٢/ ٣٩٢: «أهْنى المعروف أوحاه»، أي: أعْجَله.
(٢) ديوانه ص ٩٤.
(٣) هذا القول من أمثال العرب؛ وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٥٤٧؛ والمستقصى ١/ ٣٢٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ٣٢٩. والسَّراح: اسم من التسريح، وهو التطليق. والمعنى أنَّ التسريح بغير قضاء الحاجة خير من التعليق بوعْد كاذب.

واعْلَمْ بأنَّ الغيثَ ليسَ بِنَافِعٍ ... للمرءِ ما لَمْ يَأْتِ في إبَّانِهِ[(١)]

وله:

وإذا العَلِيلُ أَبَلَّ مِمَّا يَشْتَكِي ... لَمْ يُرْجُ منه مَثُوبَةُ العُوَّادِ[(٢)]

وله:

يُرجى الطبيبُ لساعةِ الأوصابِ[(٣)]

سؤال مَن بعدت داره عن مسؤوله:

ابن الرومي:

لا تجشِمَنْ أهلي إليكَ وفادةً ... لِيَعِدْ إليهم برُّك الوفادُ

يُسْري السَّحابُ إلى البعيدِ يُغِيثُه ... فَيُضَلُّ منهُ وادِعاً ويُجادُ

ولأَنْتَ أَوْلَى أن تجودَ لمجْدبٍ ... عفواً، ولم تُشدَد له أقتادُ[(٤)]

سؤال من قرب ارتحاله:

بعضهم:

جُعلتُ فداك قد وَجَبَ الذمامُ ... وطال بيَ التَّلَبُّثُ والمقامُ

وقدْ أَزِفَ الرحيلُ إلى بلادي ... فرأيُك لا عَدِمْتُكَ والسَّلامُ

وقال المتنبي:

لقد نَظَرْتُكَ حَتَّى حَانَ مُرْتَحلِي ... وذا الوَدَاعُ، فكن أهلًا لِما شِيتَا[(٥)]

من استزاد:

المتنبي:

أبا المِسْكِ هَلْ في الكَأسِ فَضْلٌ أَنَالُهُ ... فإنِّي أُغَنِّي مُنْذُ حينٍ وتَشْرَبُ؟

وَهَبْتَ على مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمانِنا ... ونَفْسي على مِقْدَار كفَّيكَ تَطْلُبُ

إذا لَمْ تَنُطْ بي ضَيعَةً أو وِلَايةً ... فَجُودُكَ يَكْسُوني وشُغْلُكَ يَسْلُبُ[(٦)]

من سأل وذكر أن مسؤوله أهل لذلك:

أحمد بن أبي طاهر:

أتيتُكَ لم أطمعْ إلى غير مَطْمَعٍ ... كريم ولم أفزعْ إلى غير مَفْزَعِ

---

(١) ديوانه ص ٢٢٦٤.
(٢) ديوانه ص ٥٥٣.
(٣) الأوصاب: جمع وَصَب، وهو المَرَض.
(٤) ديوانه ٢/ ٢٢٧.
(٥) ديوانه ١/ ٣٤٦.
(٦) ديوانه ١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

علقمة:

وفي كلّ شيءٍ قد خبَطْت بنِعْمةٍ فَحَقٌّ لِناسٍ مِنْ نَداك ذنوبُ

الحث على إتمام النعمة:

العرف إذا لم يَسْتتم كالبرد ما لم يعلم، ولا يحسن العرف إلاّ بتمامه، ولا يروق الهلال إلاّ بتمامه. وقيل: اتبع الدلو الرشاء والفرس لجامه[١]. وقيل: تمام الربيع الصيف[٢].

أبو تمام:

إنَّ ابتداءَ العُرْفِ مَجدٌ باسِقٌ والمجدُ كلُّ المَجْدِ في استِتْمامهِ
هذا الهِلالُ يَروقُ أَبصَارَ الوَرَى حُسْناً ولَيْسَ كَحُسنهِ لتمامِهِ[٣]

ابن الرومي:

لا تَصْنَعَنَّ صَنيعةً مَبْتورةً فإذا اصْطنعْتَ إلى الرجالِ فتَمِّم
لا تُطعِمَنَّهُم فتقطعَ عنهمُ أَشبعْ إذا أطعمْتَ أو لا تُطْعم[٤]

وأمر المنتصر وهو أمير الحجاز بشيء، فهمَّ الوكيل بمصارَفته[٥]، فقال: والله لصرفي أحسن من مصارفتي. فلم يصارفه. واستُحْسن في المطالبة بأمر تأخر فاختلت به الحال قول المتنبي:

فإنْ فَارَقَتْني أَمْطارُه فَأَكْثَرُ غُدْرَانِها قد نَضَبْ[٦]

تربية النعمة عند المصطنع إليه:

قال حكيم: ما ربيت غير رجلين: رجل له عندي يد فأخاف كفرانه، ورجل لي عنده يد فأخاف إفساده. وقيل: رب المعروف أشد من ابتدائه. وقيل: الابتداء بالصنيعة نافلة، وربها فريضة. وقيل: من لم يرب معروفه فكأنما لم يصطنعه.

---

(١) ورد المثل «اتبع الدلو الرِّشاءَ» في فصل المقال ص ٣٤٦؛ والمستقصى ١/ ٣٢، وورد المثل «أتبع الفرسَ لجامَها» في جمهرة الأمثال ١/ ٩٢؛ والمستقصى ١/ ٣٢؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٣٤. يُضرب للرجل قضى حاجةً ولم يُتِمَّها.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٢٦٤؛ والمستقصى ٢/ ٣٢؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٢٢. والمعنى: الحاجة بكمالها، كما أنَّ الربيع لا يكون تمامُه إلاّ بالصّيف.

(٣) ديوانه ٢/ ١٣٦.

(٤) ديوانه ٦/ ٣٢.

(٥) أي: بمبادلته.

(٦) ديوانه ١/ ٢٢٨.

من رغب إلى مسؤوله في الجري على العادة في إعطائه:

ابن الحجاج:

نَفْسي تقي نفسَك ما تَشْتكي ... لـمـثْـلِ هـذا الـيـومِ أعْـدَدتُـكـا

فـاجْـرِ عـلـى الـعـادةِ فـي بِـرٍّ مـن ... يجري على العادةِ في شُكْرِكا(١)

وقال أحمد بن أبي طاهر:

جَعَلْتُ فدَاك قد أُنسيتَ ذِكري ... وقـد أُسـقـطـتُ مِنْ ديـوان بِـرّك

قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما أحسن الحسنة في أثر السيئة، وأقبح السيئة في أثر الحسنة! وأحسن من هذا وأقبح من ذاك الحسنة في أثر الحسنة، والسيئة في أثر السيئة.

من سأل وذكر أنه يعذر مسؤوله إن لم يعطه:

وقف قيس بن خفاف البرجمي على حاتم فقال: إني حملت دماء وعولت فيها على مال وآمال، فقدمت مالي وكنت من أكبر آمالي، فكم من حق قضيت وكم من همٍّ كفيت، وإن حال دونك حائل لم أذمم يومك ولم أيأس من غدك.

وكتب أبو العيناء إلى ابن أبي دؤاد: مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا المودة والشكر، فإن تعطنا فأنت أهل لذلك، وإن لم تعطنا فلسنا ممن يلمزك في الصدقات، فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذاً هم يسخطون.

أبو نواس:

فإنْ تُولِني منكَ الجميلَ فأهْلُه ... وإلا فـإنِّـي عَـاذرٌ وشَـكـورُ

ابن الرومي:

وإن عـاقَ القضاءُ نَداكَ عني ... فَلَسْتُ أراكَ في مَنْعِي مُليما

ومـا غَـيْـثٌ إذ يـجـتـاز أرضـاً ... إلى أُخرى بمُعْتَدٍّ لئيما(٢)

من سأل وذكر أنه غير عاذل:

لما دخل الحجاج مكة قال لأهلها: أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا. فقال رجل: لا عذر الله من عذرك، وأنت أمير المصرين وابن عظيم القريتين. فقال: صدقت؟ واستقرض مالاً من التجار ففرقه فيهم.

أبو تمام:

---

(١) ديوانه ص ٣٨٤.

(٢) ديوانه ٦/ ٨٠.

فلو حارَدَتْ شَوْلٌ عَذرتُ لِقَاحَها ولَكِنْ حُرِمْتُ الدَّرَّ والضَّرْعُ حافِلُ[(١)]

ابن الرومي:

أنَّى يكونُ ربيعي مُمْرَعاً غَدِقاً إنْ لم يَكُنْ هكذا، والشَّمسُ في الحَمَل[(٢)]؟

البسامي:

ولَسْتُ أقول إنْ قصرتَ فيما أُؤمِّله: عذرتَ، فذاكَ كَذِبُ!

فكم مِن مرّةٍ قد ضاقَ رزقي فأنكبني المنى والربُّ ربُّ؟

النهي عن الاعتذار بالشغل:

اعتذر رئيس إلى سائل بقلّة فراغه، فقال: لا بَلَغني الله يوم فراغك! فقضى حاجته في الوقت.

أبو علي البصير:

لا تُصيِّر شُغلَك اليو مَ اعتذاراً لمطالِك

إنَّما يُحمَدُ أنْ تَفْرِغَ في وَقتِ اشتِغالِك

لو تَفرَّغْتَ مِن الشُّغْلِ استَوَيْنا في المَسَالِكْ[(٣)]

من سأل وذكر أن إعطاءه ومنعه يظهران في الورى:

شاعر:

بأيِّ الخُصْلَتَين عليكَ أُثني؟ فإني عِنْدَ مُنْصَرفي سؤولُ

أبالحسنى وليسَ لها ضِياءٌ عليّ فمن يُصدِّق ما أقول؟

أم السوآى ولَسْتُ لها بأهلٍ وأنتَ لِكُلِّ مَكْرُمةٍ فَعولُ

آخر:

ماذا أقولُ إذا انصرفتُ وقيل لي: ماذا أفدتَ مِن الجوادِ المفضلِ؟

فاخترْ لِنَفْسِكَ ما أقولُ فإنّني لا بُدَّ مُخبِرُهم وإنْ لم أُسْألِ

الراضي بأخذ الطفيف بعد سؤال الكثير:

قال أعرابي لمعاوية: استعملني على البصرة. قال: ما أريد بعاملها بدلاً. قال: أقطعني البحرين. قال: ما لي إلى ذلك سبيل. قال: فمر لي بألف درهم.

---

(١) ديوانه ٢/ ٦٠.

(٢) ديوانه ٥/ ٢٣١.

(٣) ديوانه ص ٢٧٨.

فأمر له، فقيل له: قد أشططت أولاً ثم انحططت آخراً. فقال: لولا طلبي كثيراً، ما أعطاني قليلاً. وقال خالد بن عبد الله لأعرابي قال فيه:

أخالدُ بينَ الحمدِ والأَجْرِ حاجتي فَأَيـهـمـا تـأتـي وأنـتَ جَـوادُ؟

سلْ ما بدا لك. فقال: مائة ألف درهم. قال: أسرفت. قال: ألف درهم. قال خالد: ما أدري أمن إسرافِكَ أتعجب، أم من حطك؟ فقال: إني سألتك على قدرك، فلما أبيتَ، سألت على قدري. فقال: إذاً والله لا تغلبني على معروفي.

ذم طالب كثيراً بعد أن حرم صغيراً:

سأل رجل معاوية شيئاً فمنعه، فسأله ما هو أكبر منه، فقال معاوية: طلب الأبلق العقوق[١]، فلما لم ينله أراد بيض الأنوق[٢]. وقال:

شَــرُّ مــا رام امــرؤٌ مــا لَــمْ يَــنَــل[٣]

ويقاربه:

تَــسْــأَلُــنــي بــرامَــتَــيــنِ سَــلْــجــمــا[٤]

الحث على أخذ القليل عند تعذر الكثير:

خذْ ما طفَّ لك واستطفَّ[٥]. خُذ مِنْ جذع ما أعطاك[٦]. صَيْدَكَ لا

---

(١) في أمثال العرب: «طلب الأبلق العقوق» (مجمع الأمثال ١/ ٤٣١). والأبلق: الفرس الذَّكَر الذي في لونه سواد وبياض. والعقوق: الفرس الأنثى الحامِل.

(٢) وفي أمثال العرب أيضاً: «أبعد من بَيْض الأنوق» (جمهرة الأمثال ١/ ٢٣٨؛ والمستقصى ١/ ٢٤؛ ومجمع الأمثال ١/ ١١٥). والأنوق: ذكَر الرَّخَم (طائر غزير الريش). والذَّكَر لا بَيْضَ له.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ١/ ٣٥٨؛ والمستقصى ٢/ ١٣١.

(٤) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ١/ ١٢٤؛ والمستقصى ١/ ٢٧. ورامة موضع قَفْر بقرب البصرة. وضَمَّ قائل هذا المثل إلى الرامة مكاناً يقرب منها، فثنَّى، كما يقولون «القمران» للشمس والقمر. يُضرب لمن يطلب شيئاً في غير موضعه.
أي: ما بدا وأمكَن أخذه. والقول من أمثال العرب، وقد ورد في فصل المقال ص ٣٤٣؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٣٢.

(٥) أي: خُذْ من الإبل ما كان قويّاً يستطيع أن يقطع البطحاء، وهي المسيل فيه دقاق الحصى. والقول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٤٢١؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٣١؛ والمستقصى ٢/ ٧٣.

(٦) هو جذْع بن عمرو الشيباني. والقول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٤٢١؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٣١؛ والمستقصى ٢/ ٧٢. يُضرب في اغتنام ما يجود به البخيل.

تُحْرَمُهُ[١]. الجحشَ لما بَذلَ الأعيارَ[٢].

الحثّ على إعطاء القليل:

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزّلزلة: الآية ٧]. وقال النبي ﷺ: «لا يمنعكم من معروف صغره». قال ابن عباس: مَن حَقَّرَ حُرِم. قال:

ما استَغْرَبَ الناسُ إفضالاً ولا شهروا ... من حاتم غير جودٍ بالذي يَجِدُ

وقال عبد الله بن جعفر: لا تستحي من إعطاء القَليل، فإنَّ المَنع أقلُّ منه.

لا تَحقِرَنَّ صغيرَ الخير تَفْعله ... فَقْدَ يروي غليلَ الحائِم الثَّمَدُ[٣]

وقيل: زَوْجٌ من عُودٍ خيرٌ مِنْ قُعُودٍ[٤].

مَن خُيِّر فتلطف في الاختيار:

مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة، فقال له: إنْ شئتَ أجزناك، وإنْ شئت مَدَحناك. فاستحيا أن يختار الثواب وكره العدول إلى المدح، فقال:

ثَناءٌ من أميرٍ خيرُ كَسْبٍ ... لصاحِبِ مَغْنمٍ وأخي ثَراءِ

ولكنَّ الزمانَ أطال دائي ... وما مِثْلُ الدراهمِ مِن دَواءِ[٥]

وقال بعض الخلفاء لعافٍ[٦]: احتكمْ. فقال: يد أمير المؤمنين أبسط من لساني بالمسألة. فأجزل له العطية.

المتنبي:

مَا لَنا في النَّدَى علَيْكَ ٱخْتِيارٌ ... كُلُّ ما يَمْنَحُ الشَّرِيفُ شَرِيفُ[٧]

ودخل أشعري على الرشيد، وسأله فقال: احتكمْ. فقال: أشْعريٌّ يحتكم بعد أبي موسى. فضحك منه وأجازه.

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٥٧٦؛ ومجمع الأمثال ١/ ٣٩٤؛ والمستقصى ٢/ ١٤٤. والمعنى: إذا أمكنك الصَّيد، فلا تغفَلْ عنه. يُضرب في انتهاز الفُرصة.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٣٠٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٦٥؛ والمستقصى ١/ ٣٠٩. والجحْش: ولد الحمار. والأعيار: جمع عَيْر، وهو الحمار. والمعنى: خُذِ القليل إذا فاتك الكثير.

(٣) الثَّمَد: الماء القليل.

(٤) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ١/ ٣٢٠؛ والمستقصى ٢/ ١١١.

(٥) ديوانه ص ٣٠.

(٦) العافي: السائِل.

(٧) ديوانه ٣/ ٢٢.

مَن سأل وذكر أنه أُمر بذلك في المنام:

كتب بعضهم إلى أبي سليمان:

رأيتُ في النومِ أني مالِكٌ فرساً ولي وصيفٌ وفي كُمي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم فَهْمٌ ومعرفةٌ: خَيْراً رأيتَ وللمال التَّياسيرُ
اقصُصْ منامكَ في دار الأمير تجدْ تفسيرَ ذاك، وللأحلام تَفْسيرُ!

فوقَّع أبو سليمان: أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين!

ودخل أعرابي على تَمّار بالكوفة فقال:

رأيتُكَ في النومِ أطْعَمْتَني قواصِرَ مِنْ تَمرِكَ البارحه
فَقُلْتُ لصبياننا: أبشروا برؤيا رأيتُ لكم صالحه!
قواصِرُ تأتيكم بكرةً وإلا فتأتيكم رائِحَه
فقلْ لي: نعم إنَّها حلوة ودعْ عنك لا أنها مالحه

فأعطاه قوصرة تمر، وقال: أحبّ أن تتركني من هذه الرؤيا، فإن رؤيا يوسف صدقت بعد أربعين سنة.

السائل حاجة يزعمها صغيرة:

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أتيتك في حاجة صغيرة. فقال: هاتها، فالحر لا يصغر عن كبير أخيه، ولا يكبر عن صغيره. وقال رجل لعمارة: أتيتك في حويجة. فقال: اطلب لها رُجيلاً. وقال آخر مثله فقال: دعها حتى تكبر.

تأسُّف مَن حرمه رزاق:

البحتري:

سَحابٌ خطَاني جودُهُ وهو مُسْبِلٌ وبَحْرٌ عَدَاني فَيْضُهُ وهو مُفْعَمُ
وبَدْرٌ أضاءَ الأرضَ شرقاً ومَغْرِباً وموضعُ رِجْلِي مِنْهُ أغبرُ مُظْلِمُ
أَأَشكُو نداه بعد أن وسَع الورى ومَنْ ذا يَذُمُّ الغيْثَ إلاَّ مُذَمَّمُ[1]؟

منقذ الهلالي:

علامَ أرى مِنْ ضُروبِ الغيو ث حولي وأُحْرَمُ أمطارَها؟

الحسين الخليع:

(١) ديوانه ص ١٩٨٠.

أنا في ذِمّةِ السحابِ وأظما إنَّ هذا لوَصْمةٌ في السحابِ

آخر:

أيا عَجَباً لِبَحْرٍ ظَلَّ يسقي جميعَ الناسِ لم يبلُل لهاتي[١]

مَن سأل أن لا يؤذى إن لم يعط:

العجاج:

يا ليت حَظي مِن نداك الصافي والحظُّ إنْ تتركني كفافي[٢]

آخر:

فإن زوى عني الجمارُ طلعتَه فلا تصبني بخدي شوكة السَّعَفِ

المتنبي:

ليتَ العَهادَ الذي عِنْدي صَوَاعِقُه يُزيلهنّ إلى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ[٣]

معاتبة مَن يقول: نذرت أو حلفت أن لا أعطي:

بعضهم:

فقلْ لأبي عمرو: متى تَبْلُغُ العلا؟ وفي كُلِّ مَعْروفٍ عليك يمينُ

البحتري:

فإنْ قُلْتَ نَذْرٌ أو يَمينٌ تقدَّمَتْ فأَيُّ جَوَادٍ حَلَّ في مالِهِ النَّذْرُ[٤]؟

تعويض السائل بمن خيّبه:

كتب أبو السائب إلى صديق يستميحه، فاعتلَّ بأنه فقير: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت محجوجاً فجعلك الله معذوراً. وتعرّضت امرأة للمنصور في طريق مكة فحرمها، فأنشدت:

إذا لم يكنْ فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنًى فأبعدَكنَّ الله مِنْ سَمُراتِ[٥]

وسأل أعرابي على باب، فقال له صبي من الدار: بورك فيك! فقال له: قبَّح الله هذا الفم، فقد تعلم الشر صغيراً! ووقف سائل على قوم فقال أحدهم: صناعتنا واحدة. فقال القائل: فأنا قوّاد[٦]، فهل أنتم قوادان؟

---

(١) ديوانه ص ٢٧.

(٢) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٣) ديوانه ٤/ ٨٨.

(٤) ديوانه ص ١٠٦٩.

(٥) السَّمُرات: جَمْعٌ لسَمُرة، واحدة السَّمُر، وهو شجر كبير جَيِّد الخَشَب.

(٦) القوّاد: سمسار الزنّى.

وكان أبو الأسود يأكل على باب داره تمراً، فوقف عليه أعرابي، فقال: شيخ هم غابر ماضين ووافد محتاجين، أكله الفقر وتداوله الدهر. فناوله تمرة فزج بها الأعرابي في وجهه وقال: جعلها الله حظك عنده، وألجأك إليَّ كما ألجأني إليك، ليبلوك بي كما بلاني بك!.

وقف فقير على باب المافروحي بالأهواز فأعطوه لقمة صغيرة، فقال: هذا الدواء كيف يشرب؟ وأُعطي سائل مبطنة صغيرة، فقال: رحم الله من تَمَّمها جُبَّة. وينشد في مَن ينسى حاجتك قول الشاعر:

إذا لم تكنْ حاجاتنا في نفوسنا ... لإخوانِنا لم تُغْنِ عنها الرتائمُ[١]

ونحوه: إنّ المُوصَّين بنو سهوان[٢]. اجتمع يحيى بن زياد وحماد وبشار على طعام، فوقف سائل بالباب فقال: يا مسلمين. فقال يحيى: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠١]. فقال: ارحموني. فقال حماد: قد رحمناك! فقال: اسمعوا كلامي. فقال بشار:

لقد أسمَعتَ لو ناديتَ حيّاً ... ولكن لا حياةَ لمن تُنادي[٣]

سأل مُتَكَفِّف[٤] الأصمعي، فقال: لا أرتضي لك ما يحضرني. فقال: أنا أرتضيه. فقال: هو بورك فيك. قال:

ألم ترني أبغَضْتُ ليلى وذكرَها ... كما أبغضَ المسكينُ: بورِكَ فيكا؟

وقال سائل لعبادة: ارحمني. فقال: قد رحمتك. فقال: تصدّق عليَّ. فقال: حاجتين في حاجة لا يكون. سأل رجل متكَفِّفاً فقال: الصنعة واحدة. فقال: أنا أقود على بنتي، وأحمل الكلاب على أمي، لا شك أن الصنعة واحدة.

حكايات عن متكفِّف فصيح:

قال المازني: وقف علينا أعرابي فقال: رحم الله امرأً يمج أذنه كلامي، وقدم معذرة لسوء مقامي، فإنَّ الفقر يدعوني إلى إخرابكم، والحياء يمنعني من

---

(١) الرتائم: جمع رتيمة، وهي خيط يُشَدّ في الإصْبَع للتَّذَكُّر.

(٢) في المطبوع: «إذ الموصوفون»، وهذا تحريف. والقول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ١/ ٨٣؛ والمستقصىٰ ١/ ٤١٠؛ ومجمع الأمثال ١/ ٩. والسَّهْوان: السَّهْو. والمعنى: إنَّما يحتاج إلى الوصيَّة من يَسْهو ويغْفل. فأمّا أنت فقير محتاج إليها، لأنك لا تَسْهو. يقوله الرجل للرجل إذا أوصاه، فخاف أن ينسى.

(٣) ديوانه ص ٩٥ (طبعة دار الثقافة).

(٤) المتكَفِّف: السائل، المُسْتَعْطي.

سؤالكم. فقلت له: ممن الفتى؟ فقال: إنّ سوء الاكتساب يمنع من الانتساب.

وقف أعرابي على حلقة الحسن البصري فقال: رحم الله امرأً أعطى من سَعة، وواسى من كفاف، وآثر من قوت. فقال الحسن: ما ترك أحداً منكم حتى سأله.

وقال الأصمعي: وقفت علينا أعرابية فقالت: أتأذنون في الكلام، فإنه فرج من وساوس الهموم ودليل على ضمائر القلوب؟ فقال بعضنا: أما بما يحسن به الاستماع في العاجل وتخف به المؤونة في الآجل فنعم. فقالت: اللهم غفراً، فإن هذه شريطة لا يتعلق بها الوفاء. قال: فناولتها درهماً، فرفعته إلى السماء بين أنملها وقالت: اللهم إنه قد كان في كيسه متمهداً، وفي معاشه متصرفاً، فاتجر به إليك، اللهمَّ فلا تجزه على قدر البضاعة، ولكن على قدر الصبر على مكروه السؤال.

وقالت أعرابية تتكفف: يا قوم، طرائد زمان وفرائد حدثان ولحمان وضم، بذتنا الرجال وانتشر منا الحال، فهل من مكتسب للأجر أو راغب في الذخر؟ وقالت أعرابية: سنة جردت، وحال أجهدت، وأيد جمدت، فرحم الله من رحم. وكان آخر يقول: من حملني على نعلين، فكأنما حملني على ناقة.

* * *

ومما جاء في الوعد والإنجاز والمطل

ما يحد به الوعد والوعيد والإنجاز والخلف:

قيل: الوعد قول الرجل: افعل كذا. ويقال في الخير والشر. يقال وعدته خيراً وشراً. وإطلاقه بالخير أولى وإلاَّ يعاد في الشر لا غير. وقيل: يقال: أوعدت فلاناً. ومتى ذكرت الشر معه، قلت: وعدته بلا ألف. والإنجاز مطابقة الفعل ما سبق منك من القول، والخلف هو أن تعد بخير ثم لا تفعل. وقال محمد ابن الحسين رضي الله عنه: الخلف أن تعدو من نيتك أن لا تفعل، فأما إذا وعدت ومن نيتك أن تفعل، فليس بخلف. وقال عمر بن عبد العزيز: أربع إذا قلتها متى وعدت ثم لا تفعل لم تكن مخلفاً: إن شاء الله، ولعل، وأنظر، وأرجو.

النهي عن التسرع إلى الوعد:

قال المهلب: يا بني، إياك والسرعة عند المسألة بنعم، فمدخلها سهل

ومخرجها وعر، واعلم أن «لا» وإن قبحت فربما أروحت، فإذا سئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب، وإذا علمت معذرة فاعتذر، فالإتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل. وسأل رجل الفضل بن الربيع فقال: أكره أن أقول نعم، فأكون ضامناً، وأن أقول لا، فأكون ميئساً، ولكن ننظر، فسيسهل الله تعالى.

النهي عن تكثير الوعد:

قيل: من كثر وعده ووعيده اجترأ عليه صديقه وعدوه. وقيل للمهلب: بِمَ سدت؟ فقال: بإيثاري فِعْل ما أحمد به على بذل الوعد.

الحث على الإنجاز أو ترك الوعد:

المثقب العبدي:

لا تَقُولَنَّ إذاً ما لَمْ تُرِدْ ... أَنْ تُتِمَّ الوَعْدَ في شَيءٍ: نَعَمْ
فإذَا قُلْتَ نَعَمْ فاصْبِرْ لهَا ... بِنَجَاحِ الوَعْدِ إنَّ الخُلْفَ ذَمّ
إنَّ لا بَعْدَ نعم فاحِشَةٌ ... فَبِلا فَابْدَأْ، إذَا خِفْتَ النَّدمْ[1]

الموسوي: إيَّاك أنْ تَسْخُو بوعدٍ ليس عزمُك أن تفي به.

عتب مَن يعد ويمطل:

لا خير في وعد مبسوط وإنجاز مربوط، وفي وعد يقظان وإنجاز وسنان. ذكَرَ أعرابي رجلاً فقال: أوله طَمَع، وآخره يأس، وما هو إلاَّ كالسراب يخلف من رجاه ويغمّ مَن رآه. وقال حكيم: مَطْل السائل أقبحُ مِنْ مَطْل الغريم، لأن الغريم إنما يسلف بفضل، والكريم لا يسأل إلاَّ من جهد. الحر يتقاضي بالوعد نفسه، واللئيم يجتهد أن يطيل حبسه.

أبو تمام:

إنِّي أخافُ وأرتجي عقباك أن ... تدعى بموعدِك المطولِ الملْحِفا
هَبَّتْ رياحُك لي جنوباً سَهْوة ... حتى إذا أَورقْتَ صارت حَرْجَفا
ما عُذْرُ من كان النوالُ طبيعةً ... في راحَتَيهِ أن يجودَ تكلُّفا[2]؟

أبو مسهر الرملي:

فيَّ احتشامٌ وفيكَ تَقْصيرُ ... والصبرُ ما بين ذاك تعذيرُ
تُقَدّمُ القولَ حين تُسأل في الحا ... جةِ والفِعْلُ فيه تأخيرُ

---

(١) ديوانه ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.
(٢) ديوانه ٢/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦.

العتابي:

لَحُسْنُ اعتذار المرءِ أوقى لِعِرْضِه مِنَ الذمّ مِنْ تَوْكيدِ وعدٍ يُماطِلُه[١]

ذم من يماطل ثم يخلف:

أعرابي: يفتح مواعده بالمطل ثم يختمها بالخلف.

أبو تمام:

عِداتٌ كَرَيْعان السَّراب إذا بَدَتْ تُبَشِّرُ عَنْ مَيْنٍ وتُطْوَى على مَطْلِ[٢]

آخر:

وقد كانَ منَّاني ثلاثةَ أشهرٍ بوعَدٍ ووافَتْ بَعْدَ ذاك معاذِرُهْ

من يحلف على وعده ثم يخلف:

قال بعضهم: فلان يحلف على وعده ثم يخلف، ويؤلي لك ثم لا يوليك، أي: يحلف لك ثم لا يعطيك.

شاعر:

وليتَكَ لم تحلِفْ لنا حينَ تَخْلفُ

عبد الرحمٰن بن معاوية:

ألا لا تحلفَنَّ لنا يميناً فأَكْذَبُ ما تكون إذا حلفتا

المتنبي:

وفي اليمينِ على ما أنتَ واعِدُه ما دَلَّ أنَّك في الميعادِ مُتَّهَمُ[٣]

مطل يتبعه هبة خسيسة:

ابن الرومي:

فلا يكُ ما تُجديه كالبَقْلِ خِسَّةً وكالنَّخْلِ تأخيراً فما ذاك بالعَدْلِ

آخر:

مِنَ الحيفِ تخفيفُ النوالِ ومطلُه فَعَجلٌ حسيساً أو فأَجْلٌ موفَرا

وكن نخلةً تلوي وتسني عطاءَها وإلاَّ فكنْ عَفْصاً أقلَّ وأيسرَا

من لا يتناهى مطله:

وعد أبو الصقر أبا العيناء بشيء، فتقاضاه، فقال: غداً. فقال له: إن الدهر

---

(١) ديوانه ص ٧٧.
(٢) ديوانه ٢/ ٤٢٢.
(٣) ديوانه ٤/ ١٣٠.

كله غد، فهل عندك وعد يخلو من المعاريض؟ فقال رجل حاضر: قد استعمل المعاريض قوم صالحون حدثنا فلان عن فلان. فقال أبو العيناء: من هذا الذي يحدث في حرماننا بالأسانيد؟

ابن الرومي:

أَرْفَهُ ما أَرْفَهُ في التقاضي — وليسَ لديكَ غيرَ المطلِ نَقْدُ
إذا إنجازُ وَعْدِكَ كانَ وَعْداً — فيكفيني مِنَ الوَعْدَينِ وَعْدُ[١]

وله:

فَعَلامَ أمنعُ واجباً — وعَلامَ أمطلُ سَرْمَدا[٢]

ابن وهب:

كانَ ميعادُه الخميسَ وقد — مَرَّ خميسٌ لوعدِه وخميسُ

آخر:

إلى كَمْ تمنيني بعودٍ وإنَّما — خرابُ بيوتِ المُمْلقين بعودِ

ابن أبي فنن:

يقولُ لنا في الجمعة: السّبْتُ مَوْعِد — وهلْ جمعةٌ إلاَّ ومِنْ بَعْدِها سَبْتُ[٣]؟

الخوارزمي:

إذا أضحى فموعِدُهُ مساءٌ — وإن أمسى فموعدُه ضَحاءُ

من خاف أن يموت قبل قضاء حاجته لفرط مطله:

قيل لمزبد: اصبرْ، فالفرج قريب. فقال: أخاف أن يجيء الفرج، فلا يراني.

معاوية بن أبي أيوب:

أعلى الصِّراطِ تريدُ رعيةَ حرمتي — أمْ في الحِسابِ تمنّ بالإنعام؟

ابن الرومي:

طالَ المطالُ متى الوفاءُ فلا خلو — دَ فَحاجةٌ أو بردُ يأسٍ يَنْقَعُ
واعلمْ بأني لا أُسَرُّ بحاجةٍ — إلاَّ وفي عمري بها مُسْتَمتَعُ[٤]

آخر:

---

(١) ديوانه ٥/ ١٧٠.
(٢) ديوانه ٢/ ٢٧٧.
(٣) ديوانه ٢/ ١٨٣.
(٤) ديوانه ص ١٥٠.

مواعِدٌ منك لا يقضي القضاءُ لها أخافُ أنْ ينْقضي من قبلها أجلي

ووعد رجل أبا العيناء دابة، فأخَّرها. فكتب إليه: إن كانت الدابة التي وعدتني بها دابة الأرض فقد مضى خبرها مع مَنْسأة سليمان، وإن كانت دابة الصفا، انتظرنا خبرها مع سابق الحاج، وإن كانت من دواب الدنيا، فقد جاز عمر وعدك عمر الدواب، فهيِّئ لي غيرها، وإن كانت دابة تدفعها إليّ في الآخرة، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: الآية ٣٧].

ذم من يعد ولا يفي:

قيل: من بذل لك حلو مقاله ومرّ نواله، فهو العدو بعينه، أحسن العدة وأطال المدة. وقيل: لسانه عامر بالوعد، وكفه غامر عن الرفد. وأنشد:

عَلامَ قلتَ نَعَمْ حتى إذا وجَبَتْ أَتبَعْتَ لا بنَعَم؟ ما هكذا الجودُ

وقيل لأبي العيناء: كيف تركتَ فلاناً مع قومه؟ قال: يعدهم ويمنيهم ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النِّساء: الآية ١٢٠]. وقال أعرابي: أما الكلام، فما أوسع له فمكم، وأما الفعال فرجلي معه في است أمكم.

أبو الشمقمق:

الصِّدْقُ في أفواههم عَلْقَمٌ والإفْكُ مِثْلُ العَسَل الماذي

وكُلُّهم في بخلِه صادِقٌ وفي النَّدى ليسَ بأستاذِ[1]

وقال أعرابي ليزيد بن مزيد:

عداتك ريحٌ يا يزيدُ بن مزيدٍ وأنتَ على اسم الله فاختَةُ البلد

آخر:

بَذْل الوعد للأخِلّاء سَمْحاً وأبى بعد ذاك بذْلَ العطاء

فغدا كالخلافِ يورقُ للعينِ ويأبى الإثمارَ كلَّ الإباءِ

آخر:

يا مَنْ إذا ما سألناهُ استَهَلّ لنا وإن سَكَتْنا يُخلي علّة الطلبِ

لولا الثمارُ التي تركو مَنافعُها ما فضَّل الناسُ تفاحاً على غربِ

آخر:

يَعدُ الوعدَ ولكن دونه لمعُ السَّراب

(١) ديوانه ٤/ ١٠٥.

آخر:

يُباري الرياحَ بمثْل الريا ... حِ مِنْ كاذباتِ مواعيدِه

تقبُّل الإنجاز:

الصاحب: سأنجز الوعد حتى ترى الطلَّ وابلاً، والهلال بدراً كاملاً.

ولو عَلِمَتْ أبناءُ تَغْلبَ ما الذي ... أريدُ لها ما استعظمَتْ ما أنيلُها

الحث على إنجاز الوعد السابق:

بعضهم: حقيق على من أزهر بقول أن يثمر بفعل. وقف بعضهم على أبي دؤاد فقال:

حتى متى أنا موقوفٌ على وجلٍ ... بين السَّبيلَين لا وَرْدٌ ولا صَدَرُ؟

فقضى حاجته. أورقتْ نِعَمك فليثمر كرمك. ومما فيه جفوة وغلظة ما أنشده الصاحب عن بعض مجَّان بغداد:

أبا أحْمدٍ لَسْتَ بالمنصفِ ... ومثلُكَ إن قال قولاً يفي

فأَنْجِزْ، فديتك، ما قد وعدْتَ ... وإلاَّ هجوتُ وأَدْخلْتُ في

النعمة المطولة في حكم الممنوعة:

الكندي:

كلُّ بر يشوبه كَدَرُ المطل ... حقيقٌ بأن يكون عُقوقا

آخر:

لا تَقْضينْ حاجة أثخنتَ صاحبَها ... بالمطْلِ منك فتَضْحى غيرَ محمودِ

آخر:

ليسَ يَسْتَوجِبُ شكْراً رجلٌ ... نِلْتَ منه الخيرَ مِنْ بَعْدِ سنه

استقباح مطل قادر:

ابن الرومي:

ألا ليتَ شِعْري لِمْ مطَلْتَ مثوبتي ... ولم تؤتَ من بُخْلٍ ولم تؤتَ مِنْ عُسْرِ[١]؟

آخر:

ما أقبحَ المطلَ من أخي كَرمٍ ... وعَيبُ مَنْ قَلَّ عيبُه شَنعُ

جحظة البرمكي:

---

(١) ديوانه ص ٤٢.

إذا كـانَـتْ صـلاتُـكـمُ رقـاعـاً تـخـطَّـط بـالأنـامـلِ والأَكُـفِّ[١]
ولـم تَكُـنِ الـرقـاعُ تـجرّ نَـفْـعـاً فـهـا خَـطِّي خُـذوهُ بـألـفِ ألـفِ

العطوي:

هـذي رِقـاعُـكـم بـالـرفْـدِ وافِـدةٌ ولـيـسَ فـيـهـا بـحَـمْـدِ الله تـوفـيـرُ
أمْضَيْتَ عَزْمكَ في تَضْييعِ حُرْمتنا فليسَ عِنْدَكَ في التَّقْصيرِ تَقْصيرُ

الحامد مطل واعده:

ابن الرومي:

ولـم يـمـطـلْ جـوادٌ قَـطُّ إلاَّ أتـاك جـداؤُه ضـخـمَ الـسَّـوادِ
إذا مـا حـامـلٌ جـرت بـحـمـلٍ أجلَّت شخصه عند الولادِ[٢]

المتنبي:

ومِـنَ الـخـيـرِ بُـطْءُ سـيـبـك عـنـي أسْرَعُ السُّحُبِ في المسيرِ الجهامُ[٣]

وله:

وإنْ تـأَخَّـرَ عـنـي بَـعْـضُ مَـوْعـدِه فـمـا تـأخـرُ آمـالـي ولا تـهـنُ
هـو الـوفـي ولـكـنـي ذكـرتُ لـه مودةً فهو يبلوها ويمتحنُ[٤]

الممدوح بإنجاز الوعد:

فلان يعد وعد من يخلف، وينجز إنجاز من يحلف.

أبو تمام:

يقـولُ قـولَ الـذي لـيـسَ الـوفـاءُ لـه عَزْماً ويُنْجِزُ إنْجازَ الذي حَلَفا[٥]

وفي المثل: أنجز حر ما وعد. وعد لم يشنه مطل، ورفد لم يشبه مَنّ، وبر لم يمازجه ملق، وودّ لم يخالطه مذق.

أعـمـارُ مـوعـدِه قـصـارٌ تـنـقـضـي مـثـلَ الـعـطـايـا فـي أكـفِّ عـداتِـه

بشار:

كأنَّ حقُوقَ الناسِ حينَ ضَمنتَها قذى في حُقوق العَيْن مني أواربُه[٦]

آخر:

---

(١) ديوانه ٣/ ٣٧.
(٢) ديوانه ص ١٢٧.
(٣) ديوانه ٢/ ٢٥٣.
(٤) ديوانه ٤/ ٢٢٤.
(٥) ديوانه ٤/ ٣٧٠.
(٦) ديوانه ١/ ٤٢١.

أعمارُ أَعدائِهم إذا قصدوا ... أقصرُ من وعدِهم إذا سُئِلوا

الممدوح بإنجاز الوعد دون الوعيد:

قيل: إن وعد وفى، وإن أوعد استثنى.

شاعر:

وإنّي وإن أوعدته أو وعدتُه ... لمخلفُ إيعادي ومنجزُ موعدي

آخر:

وعيدٌ عقيمٌ ... ووعدٌ ولود

ابن الرومي:

إنَّ خَلْفَ الوعيدِ ليسَ بعارٍ ... إنما العارُ كلُّه خلفُ وعدِك[1]

الممدوح بإنجازهما:

ابن هرمة:

إذا ما أبى شَيْئاً مضى كالذي أبى ... وما قال إني فاعلٌ فهو فاعلُ[2]

أبو تمام:

قومٌ إذا وَعَدوا أو أوعدوا غمروا ... صِدْقاً ذوائبَ ما قالوا بما فعلوا[3]

وقيل: وعد الكريم نَقْد وتعجيل، ووعد اللئيم مَطْل وتعليل.

الموفي بوعيده دون وعده:

يخلف الوعد ويوفي بالوعيد.

ابن طباطبا:

وفى بما أوعدني ... وما وفى بما وَعَدْ

وقال آخر:

لها كُلَّ يوم موعدٌ غيرُ ناجزٍ ... ووَعْدٌ إذا ما رَأْسُ حَوْلٍ تخرّما

فإنْ أَوْعَدتْ شَرّاً أتى دونَ وَقْته ... وإنْ وَعَدْتَ خَيْراً أراثَ وأَعْتما

المظهر رضاه بالوعد وإن لم يتبعه إنجاز:

العباس بن الأحنف:

---

(١) ملحق ديوانه ٤/ ١١.

(٢) ديوانه ٥/ ٢١.

(٣) ديوانه ص ١٦٧.

وإنّي ليرضيني الذي غيرُه الرضا وتَقْنعُ نفسي بالمواعيدِ والمَطْلِ[١]

آخر:

هلا تُعَلِّلني بوعْدٍ كاذبٍ

كشاجم:

ألا لا أرى شَيْئاً أَلذَّ من الوَعْدِ ومِنْ أملٍ فيه وإنْ كان لا يُجدي[٢]

الموسوي:

وما ضَرَّهم إن لم يجودوا بمُقْنع من النَّيل، لو منُّوا قليلاً وسَوَّفوا

وقال النظام: كنا نلهو بالأماني ونتمثل في هذا الباب بقول المتنبي:

أَرِدْ لي جميلاً جُدْتَ أو لم تجُدْ به فإنَّك ما أَحْبَبْتَ فِيَّ أتاني[٣]

وقال بعضهم: كان الناس يفعلون ولا يقولون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، والآن ليسوا يقولون ولا يفعلون.

عذر من أخلف وعداً:

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء حاجة، فوعده، ثم لم ينجزه، فقال: أخلفت! فقال أبو عمرو: فمن أولى بالغم؟ قال الرجل: أنا. فقال: بل أنا لأني وعدتك فأبتَ بفرح الوعد، وأبتُ بهم الإنجاز، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة، فلقيتني مُدِلًّا ولقيتك محتشماً.

أحمد بن أبي طاهر:

قد كُنْتَ أنجُزُ دهراً ما وعدتُ إلى أن أتلفَ الدهرُ ما جمّعتُ مِنْ نَشَبِ
فإنْ أكُنْ صِرتُ في وعدي أخا كَذِبٍ فَنُصْرَةُ الصِّدقِ أوفَتْ بي إلى الكذبِ

الحث على المطل:

أحمد بن علويه:

إذا شِئْتَ أن تُبلي امرأً ببليَّةٍ وتَحْرمَه سيبَ العطايا السوابغِ
فعِدْه وماطِلْه فإنك بالغٌ به في الأذى والضرّ أقصى المبالغِ

سهل بن هارون:

إنَّ الضميرَ إذا سألْتُكَ حاجَةً لأبي الهذيل خلافَ ما أبدي

---

(١) ديوانه ٢/ ١١.
(٢) ديوانه ص ٢٣٦.
(٣) لم أقع عليه في ديوانه.

فامْنَحْه روحَ اليأسِ ثم امدُدْ له حبلَ الرجاء بمخْلفِ الوعدِ
حتى إذا طالَتْ شقاوة جَدّهِ بتَردُّدٍ فاجْبَهْهُ بالرَّدِّ

المتبجح بالمطل وخلف الوعد:

أبو نواس:

وأَشْمَطَ دَلّاج إليّ ورائح رجاءَ نَوالٍ لو أعانَ بجودِ
وإنّي وإيَّاك القِرْنانِ نَصْطلي من المطلِ ناراً غيرَ ذاتِ خمودِ
فإنْ كنتَ لا عَنْ سوء رأيك مُقْلعاً فدونَكَ فاستظهِرْ بنَعْلٍ حديدِ
فعنديَ مطلٌ لا يطيرُ غرابُه عتيدٌ ولا يُدعى له بوليدِ[1]

الصاحب:

والله ما وافى بحقٍّ قاضِياً بل جاءني لمبرتي متقاضيا
والمالُ في يومي تعذَّر وردهُ فليحضرني إن أرادَ القاضيا[2]

كان محمد بن بشير ولي فارس، فأتاه شاعر، فمدحه فقال: أحسنت! وأقبل على كاتبه وقال: أعطه عشرة آلاف درهم، ففرح الشاعر فقال: أراك قد طار بك الفرح بما أمرت لك، يا غلام، اجعله عشرين ألفاً. فلما خرج قال الكاتب: جُعلت فداك، هذا كان يرضيه اليسير، فكيف أمرت له بهذا المال؟ فقال: ويحك وتريد أن تعطيه ذلك؟ إنما قال لنا كذباً سَرَّنا، وقلنا له كذباً سَرَّه، فما نعني بذل المال؟ أما قول بقول فنعم، وأما بذل بقول فمحال.

كثرة مسألة مماطل:

العباس بن الأحنف:

ومتى لا تملّ مَطْلي فإني مُغْرَمٌ لا أَملُّ طولَ التقاضي[3]

محمد بن بشير:

اصبرْ لمرِّ قَضاءِ الحقِ مُعْتَرفاً فقَدْ صَبرْنا لطولِ الحقّ مذْ حينِ[4]

آخر:

أناجزُ ليَ في ذا العام مَوْعِدَكم أمْ موعِدٌ هو منظورٌ إلى قابلِ

---

(١) ديوانه ٤/ ٣٧٨.

(٢) ديوانه ص ٤٨١. وقوله: لا يطير غرابه، أي: ثابت راسخ. وقوله: «لا يدعى له بوليد» يعني: أنه عظيم لا يُدعى فيه الصّغار، وإنّما يُدعى فيه الكبار.

(٣) لم أقع عليه في ديوانه.

(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

وقيل: أنفق ما يكون التعب إذا وعد كذاب حريصاً:

إنْ كـانَ يَـنْـفَـعُ رُقْـيـةٌ أو رُقْـعـةٌ فلسوْفَ أَملؤكم رُقًى ورِقاعا

ومن نوادر هذا الفصل: قيل لبعضهم: كيف حالك مع فلان؟ فقال: لا أحصل منه إلاَّ على دق الصدر والجبهة! فقيل: كيف؟ قال: إذا سألته، دق صدره ويقول: أفعلُ، وإذا عاودته وتقاضيته دق جبهته ويقول لا قوة إلاَّ بالله، نسيت! ويقارب هذا ما حكي عن الفضل عن مرداس فإنه قيل له: قد تقطع صدر قميصك وركبتك دون الباقي. قال: نعم، إني أقعد بالباب فيمر بي المارّ فيقول: سل السلطان لي كذا وافعل كذا، فأدق صدري إيجاباً. ويأتي آخر، فيقول: مات فلان أو حدث كذا، فأدق ركبتي اغتماماً.

* * *

ومما جاء في الشفاعات

حث ذي الجاه على الشفاعة لذي الحاجة:

قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النِّساء: الآية ٨٥]. وقال ﷺ: «إن الله يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن ماله وعمره، فيقول: جعلت لك جاهاً، فهل نصرت به مظلوماً، أو قمعت به ظالماً، أو أغثت به مكروباً؟». وقال ﷺ: «أفضل الصداقة أن تعين بجاهك من لا جاه له». وقال: «الشفاعة زكاة ونصرة اللسان فوق نصرة السنان». وكان زياد يقول لأصحابه: اشفعوا لمن وراءكم، فليس كل من أراد السلطان وصل إليه، ولا كل من وصل استطاع أن يكلمه.

أبو تمام:

وإذا امرؤٌ أَسْدى إلَيَّ صَنيعةً مِن جاهِهِ فكَأنها من مالهِ[1]

آخر:

فُرضَتْ عليّ زكاةُ ما مَلَكَتْ يدي وزكـاةُ جـاهـي أنْ أعـيـنَ فـأشـفـعـا

مَن سأل غيره يشفع له:

سأل رجل آخر أن يشفع له فقال: صِلْ جناحي فالشفيع جناح الطالب.

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

ابن الرومي:

لَيسَ مَن كنت ريحَهُ ببعيد مِن سماءٍ يتَبُلُّه ببلالِ
وكذاكَ الكريمُ سائل حاجا ت سواه، وليس بالتسآل[1]

ابن الحجاج:

يا سَيِّدي كَمْ مُنْيةٍ نلتها مِنْكَ كما أَهوى، وأُخرى بِكا؟
لولاهما أصْبَحْتُ مُسْتَضْعَفاً في قَبْضة الدهرِ ومُسْتَهلكا
فامننْ بإصلاحِ اختلالي الذي إليك مِن شدته المشتَكى[2]

وقال أحمد بن المعدل: قلت لبعض أصدقائي: كن شفيعي إلى فلان. فقال: أنت لا تحتاج إلى شفيع، معك من الحذاء والسقاء ما تروى بهما الماء، وتأكل من لب الشجر.

مدح متشفع معط:

مدح أعرابي رجلاً، فقال: تهب لي من مالك، وتستوهب لي بجاهك، فأنت قليب مرة ورشاء مرة. ومنه أخذ أبو تمام، فقال:

ممطولي بالمال والجاهِ لا ألقاك إلاَّ مُستَوْهِباً أو وَهوبا
فإذا ما أردتَ كنتَ رشاءً وإذا ما أردتَ كنتَ قليبا[3]

وقيل لشعبة: أفنيت مالك وأخلفت جاهك في حوائج الناس! فقال: أصونهما للتراب.

الخبزأرزي:

خرقٌ يجودُ بمالهِ وبجاهِه والجودُ كُلُّ الجودِ بذلُ الجاهِ

شفيع مشفع:

الخبزأرزي:

شَفيعُكَ لو في الروحِ والمال كُلِّهِ يَشْفَعُ لم يكبرْ له أن يُشفِّعا

آخر:

ما تبالي وذا شَفيعك لو كُنْتَ كعاد في غِيِّها وثمودِ
ذاكَ لو كانَ في المعادِ شَفيعاً رضيَ اللّهُ عن جميعِ العبيدِ

---

(١) ديوانه ٢/ ٣٠. (٢) ديوانه ٥/ ٢٥٠.
(٣) ديوانه ١/ ٩٩. والرشاء: حَبْل الدَّلْو. القليب: البئر.

مدح شفيع لم يشفع:

إذا الشافعُ استقصى لكَ الجهدَ كُلَّه وإنْ لم يَنَلْ نُجْحاً فقد وجبَ الشُّكْرُ[(١)]

نفي العار عمن يعطي بشفاعة:

ابن الرومي:

لن يعيبَ السَّحابَ أن تَتَولّى منه أيدي الرياحِ حلّ العزالى[(٢)]

المتشفع بكرم مسؤوله:

قال عبد الله بن جعفر: إنّ أحقّ من تشفعه من توسل إليك بالأمل.

شاعر:

ما لي سِواكَ شَفيعٌ أستعينُ به إلاَّ رجائي وإفراديكَ بالأملِ

آخر:

ولو أنَّ لي في حاجةٍ ألفَ شافعٍ لما كان فيهم مِثْلَ جودِك شافعُ

جحظة:

وما ليَ حَقّ واجبٌ غيرَ أنني إليكم بكم في حاجتي أتوسّلُ[(٣)]

أبو سعيد الأصبهاني:

قَصَدْتك عارياً مِنْ كُلِّ منٍّ لِكُلّ الخلقِ في كلّ المعاني

وقال رجل لجعفر بن يحيى: أمتّ إليك بذمام الأمل، وحسن الظن، وأدل بقرابة العلم. فقال: ما ذكرت موجب حقاً وعاقد فرضاً، ورحم العلم أمسّ قرابة وألطف ظؤرة[(٤)].

المتشفع بامرأة:

كان لعبد الله بن الزبير حاجة إلى معاوية فلم يجبه، فاستعان ببعض نسائه فقضى حاجته، فعيِّر بذلك فقال: إذا تعذرت الأمور من أعاليها، طلبناها من أسافلها.

البحتري:

إذا ما أعالي الأمر لم تعطك المنى فلا بأسَ باسْتِنْجاجِها بالأسافلِ[(٥)]

---

(١) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحكم ص ٨١.

(٢) ديوانه ٥/ ٢٥٠.

(٣) ديوانه ص ١٤٥.

(٤) الظُّؤرة: المُرضِعة.

(٥) ديوانه ص ١٩٠٤.

الهذلي:

إذا جِئْتَه في حاجةٍ فارْشُ عرسَه وأرضِ ابنَه تَسْتَغْنِ عَنْ كُلِّ شافعِ[١]

الفرزدق:

أما البنونُ فقد رُدّتْ شفاعتُهم وشفَّعت بنتُ منظور بنِ زبّانا

ليسَ الشَّفيعُ الذي يأتيكَ مؤتزِراً مثلَ الشفيعِ الذي يأتيكَ عُريانا[٢]

كون المحسن محبباً إلى المحسن إليه:

فزاري:

ولم أَرَ كالمعْروفِ أما مَذاقُه فَحُلوٌ، وأما وَجْهُهُ فَجَميلُ[٣]

المتنبي:

وأحسنُ وجهٍ في الورى وجهُ محسنٍ وأيمنُ كفٍّ في الورى كفُّ منعمِ[٤]

إسحاق الموصلي:

أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليلُ[٥]

كون المحسن إليه محبباً إلى المحسن:

قيل لبعضهم: أيُّ الناس أحبّ إليك؟ قال: مَن أولاني معروفاً. قيل: فإنْ لم يكن؟ قال: مَن أوليته معروفاً. وقيل: أكرم الناس من كثرت أياديّ إليه. وقام رجل من مجلس خالد بن عبد الله، فقال خالد: إني لأبغض هذا الرجل وما له إليّ ذنب. فقال رجل: أَوْلِهِ خيراً تحببه. فأولاه معروفاً، فما لبث أن كان من المحظيين عنده.

وقال رجل لهشام: إن الله تعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضة، فأعنِّي على حبك. وقيل للفرزدق: إنك لتمدح آل المهلب وتحبهم بعد أن لم تكن على ذلك، فقال: أما علمت أنّ إعطاء اللها[٦] يفتح اللها ويغرس الهوى؟

حث من آتاه الله نعمة على حفظها بإسداء الصنيعة:

قال النبي ﷺ: «من اتصلت نِعَم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن لم

(١) لم أقع عليه في شرح أشعار الهذليين.

(٢) ديوانه ٢/ ٨٧٣ (طبعة الصاوي).

(٣) البيت لهذيل بن ميسر الفزاري في أمالي القالي ١/ ٣٨.

(٤) ديوانه ٤/ ٢٧٠.

(٥) ديوان إسحاق الموصلي ص ١٦٣.

(٦) اللَّها: جمع لهاة، وهي لحمة مُشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

يحتمل تلك المؤن عرض لزوال تلك النِعم»؛ أخذه الشاعر فقال:

مَنْ لم يُواسِ الناسَ مِنْ فَضْلِه عَرَّضَ للإدبارِ إقبالَه

وقيل: اجعل معروفك حرزاً من بداية الغرر وبوادر الغيرَ. وقال خالد بن عبد الله: حوائج الناس إليكم نِعم من الله عليكم، فلا تملُّوا النعم فتتحوَّل نقماً، وأفضل الأموال ما أكسب أجراً وأورث ذِكْراً.

دعبل:

قال العواذِلُ: أودى المال؟ قُلْتَ: نَعَمْ ما بين أَجْرٍ أُلقَّاه ومُحَمَدَةٍ

أرزاقُ ربٍّ لِأَقوامٍ يُقَدِّرها من حيثُ شاءَ فيجريهنّ في هبةِ[1]

صعوبة الجود في النفوس:

قيل لحاتم: كيف تجد الجود في قلبك؟ فقال: إني لأجده كما يجده الناس، ولكن أحمل نفسي على خطط الكرام.

البحتري:

وأشقُّ الأفعالِ أن تهبَ الأنفسُ ما أغلقَتْ عليه الأكُفُّ[2]

الخريمي[3]:

ودونَ النَّدى في كلِّ قَلْبٍ ثَنِيةٌ لها مَصْعَدُ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سهلُ[4]

كون السماحة كالشجاعة:

قيل: مَن جاد بماله فقد جاد بنفسه، وإن لم يجد بها فقد جاد بما لا قِوام لها إلاَّ به. ووصف رجل خالد بن عبد الله القسري بالشجاعة، فقال بعض مَن حضره: إن خالداً لم يلق حرباً قط. فقال: الصبر على السخاء أشدّ من الصبر في الهيجاء. وقال ابن أبي خالد: لا تعدنَّ نفسك شجاعاً حتى تكون جواداً، فإنك إنْ لم تقوَ على أن تقاتل نفسك على البخل، لا تقدر على عدوك بالقتل.

إنَّ الجوادَ على بَذْلِ الندى البَطَلُ

وقيل: السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه. وقال أبو تمام:

وإذا رأيت أبا يزيدٍ في نَدًى ووغًى ومُبْدِىءَ غارةٍ ومُعيدا

---

(١) ديوانه ص ١٥٣.

(٢) ديوانه ص ١٣٧٨.

(٣) في المطبوع «الجريمي»، وهذا تصحيف.

(٤) ديوانه ص ٥٠. وفي المطبوع «خزن»، وهذا خطأ. والحَزْن: الأرض الغليظة مع ارتفاع.

أيقنت أنَّ مِن السَّماحِ شجاعةً تُدْمي، وإنَّ مِن الشَّجَاعةِ جُودَا[1]

البديهي:

وإذا اختبرت علمت غير مدافع أنَّ السماحَ سجيةُ الأَبطالِ

كون البخيل منافياً للخصال المحمودة:

قال النبي ﷺ: «شرّ ما في الإنسان شحّ هالع وجبن خالع». وروي عنه ﷺ: «أي داء أدوى من البخل؟»، وسمع رجل يقول: الشحيح أغدر من الظالم. فقال: لعن الله الشحيح ولعن الظالم، فإن خصلتين خيرهما الظلم لخصلتا سوء.

وقال كسرى لجلسائه: أي شيء أضر؟ فأجمعوا على الفقر. فقال: الشح أضرّ منه، لأن الفقر قد ينفرج والشحّ لا يفارق. وقيل: من أيقن بالخلف جاد بالنَّشَب[2]؛ وذلك من قول النبي ﷺ: «منع الموجود سوء الظن بالمعبود»؛ ومن هذا أخذ الفضل بن سهل فيما حكي عنه أنه قال: رأيت جملة البخل سوء الظن بالله، وجملة السخاء حسن الظن بالله. وقال بعضهم:

ذَريني فإنَّ البُخْلَ يا أمَّ هَيْثمٍ لصالحِ أخلاقِ الرجالِ سَروقُ

حث القادر على مبادرة اصطناع المعروف:

شاعر:

بادِرْ بمعروفِك آفاتِه فبنية الدنيا على القلعه

وازرعْ زَروعاً ترتضي ريعَها يَوْماً فكلٌّ حاصدٌ زرعَه

أحمد بن أبي بكر صاحب خراسان:

أحْسِنْ فقد أَحْسَنَ الزمان وصَحَّ منه لَكَ الضَّمانُ

بادِرْ بإحْسانِك الليالي فليسَ مِنْ غَدْرِها أمانُ

محمد بن غالب:

وما اسْطَعْتَ مِنْ بَذْلِ أكرومةٍ فلا يَمْنَعَنَّك عنها التواني

فإنكَ في زمَنٍ دَهْرُه كَيَومٍ ودولتُه ساعتانِ

---

(١) ديوانه ١/ ٢٢٣. ورواية عجز البيت الأول في المطبوع «ويداه تبدي غارةً وتعيدا»، وهذا تحريف والتصحيح عن ديوانه.

(٢) النَّشب: المال الأصيل من نقود وماشية.

الحث على الإعطاء في العسر واليسر:

قالت امرأة لابنها: إذا رأيت المال مقبلاً فأنفق فإنه يحتمل، وإذا رأيته مدبراً فأنفقْ، فذهابه فيما تريد أجدى من ذهابه في ما لا تريد. قال الشاعر:

لا تَبْخَلَنَّ بدنيا وهي مُقْبلةٌ ... فليسَ ينقصُها التبذيرُ والسرفُ

فإنْ تولّت فأحرى أن تجودَ بها ... فالشكرُ منها إذا ما أدبرَت خلفُ

آخر:

لا ينفعُ البخلُ مع دنيا مولّيةٍ ... ولا يَضُرُّ مَعَ الإقبالِ إنفاقُ[١]

الحث على إعطاء فقير يرجى غناه:

عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إنْ مَنَعْته ... من اليومِ سؤلاً أن يكونَ له غدُ

آخر:

ارفَعْ ضعيفَك لا يَسوؤك ضعفُه ... يوماً فَتُدْرِكَه العواقب قد غني

وقال وهب بن منبه: اتخذوا عند المساكين يداً، فإنَّ لهم دولة يوم القيامة.

الحث على سبق الوارث في إعطاء المال وإنفاقه:

في الخبر: إن لك في مالك شريكين: الحارث والوارث، فلا تكن أعجز الثلاثة؛ أخذه الشاعر فقال:

مالُك للدهرِ غير شَكٍّ ... إنْ لم تبادرْ به استكاثَه

أو لنسيبٍ قريبِ رَحم ... إنْ مُتَّ أضحى له وراثه

أنفِقْهُ من قبلِ ذينِ تَغْنَمْ ... ولا تكن أعجزَ الثلاثَه!

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: يا بُني، لا تخلُف وراءك شيئاً، فإنما تخلفه لأحد رجلين: رجل عمل فيه بطاعة الله فيسعد بما شقيت به، ورجل عمل بمعصيته فكنت عوناً له، وليس أحد هذين حقيقاً على أن تؤثره على نفسك.

أبو الشيص الخزاعي:

يقولُ الفتى ثَمَّرْتُ مالي وإنما ... لوارثه ما ثَمَّرَ المالَ كاسبُه

يحاسِبُ فيه نفسَهُ في حياتِه ... ويَتْركه نَهْباً لمن لا يحاسبُه[٢]

آخر:

إنَّما ماليَ ما أَنْفَقْتهُ ... والذي أتركه للورثَه

(١) البيت بلا نسبة في الأمثال والحِكم، ص ٥٦.

(٢) ديوانه ص ٣٢.

آخر:

أبقيتَ مالكَ ميراثاً لوارثِه فليت شِعْري ما أبقى لكَ المالُ؟
القومُ بَعْدَكَ في حالٍ تسرّهم فكيفَ بعدهمُ حالت بِكَ الحالُ؟

أبو العتاهية:

ومِن الحَزْمِ أنْ أكونَ لِنَفْسِي قَبْلَ مَوْتي فيما مَلَكتُ وصيًّا[(١)]

النهي عن ادخار المال للأعقاب:

قيل لعمر بن عبد العزيز: أوصِ بابنك. فقال: أوصيت به إلى من أنزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. وكان محمد بن كعب أصاب مالاً، فقيل له: ادخره لولدك من بعدك. فقال: لا والله أدخره لنفسي، وأدخر ربي لولدي؛ أخذه محمود فقال:

وقالوا ادَّخِرْ ما حزتَه وجمعتَه لعقبكَ إنَّ الحزمَ أدنى مِنَ الرشدِ
فقلتُ سأُمضيه لنفسي ذخيرةً وأجعلُ ربِّي الذُّخرَ للأهل والولدِ[(٢)]

الحث على إنفاق المال وأنه لا يبقى:

حاتم:

أماوِيَّ إنَّ المال غادٍ ورائحُ ويبقى من المالِ الأقاويلُ والذِّكْرُ[(٣)]

توبة بن الحمير:

ومنْ يُبقِ مالاً عِزَّةً وصيانةً فلا الشُّحُّ مُبْقيهِ ولا الدهرُ وافِره[(٤)]

بشار:

أخالدُ إنَّ الجودَ يبقى لأهلهِ جمالاً ولا تَبْقى الكنوزُ على الكَدّ[(٥)]

آخر:

رأى المال لا يبقى فأبقى بهِ حَمْدا

قلّة الاعتداد بموت من لا ينتفع به:

قيل: من لا يعتد بحياته لم يتوجع لمماته.

ابن مقبل:

---

(١) ديوانه ص ٤٣٢.
(٢) ديوانه ص ١٠٧.
(٣) ديوانه ص ١٩٩.
(٤) ديوانه ص ٤٦.
(٥) ديوانه ٣/١٢٦.

وأيسرُ مَفْقودٍ وأهونُ هالكٍ   على الحيّ مَن لا يبلغ الحيَّ نائِلُه[١]

طيب عيش من عاش غيره في فنائه:

قيل للمغيرة بن شعبة: من أحسن الناس عيشاً؟ فقال: مَن عاش غيره في خير عيشة. وقال آخر: أفضل الناس عيشاً من عاشت الرجال في فضله.

المال لا ينفع من خلفه:

أبو كدوا:

ليسَتْ بباكية إبلي إذا فَقَدَتْ   صوتي، ولا وارثي في الحي يُبْكيني

ضمرة:

هل تخمَشنْ إبلي عليّ وجوهها   أم تَعْصَبَنَّ رؤوسها بسلابِ؟

حاتم الطائي:

أماوي ما يغني الثراءُ عنِ الفتى   إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصَّدْرُ[٢]

المال لا يقي من الموت:

حاتم:

أعاذِلُ إنَّ الجودَ ليسَ بمهْلِكي   ولا يخلدُ النَّفْسَ الشَّحيحةَ لؤمُها[٣]

وقال سوادة:

ذَريني فإنَّ البخلَ لا يخلِد الفتى   ولا يهلِكُ المعروفُ من هو فاعلُه

المخبل:

إنـي وَجَدِّكَ ما تَخلِّدني   مائة يطير عفاؤها أدمُ[٤]

قلّة نفع المال ما لم ينفق:

هبيرة السلولي:

وما الفَرْقُ بينَ المالِ لولا امْتِهانهُ   وبين الحصى المَجْموعِ أو كُثُبِ الرَّمْلِ؟

المتبجح بإنفاق ماله لتصور مماته:

بعضهم:

ولَقَدْ عَلِمتُ لَتَأْتينّ عشيةٌ   لا بعْدَها خَوْفٌ عليّ ولا عَدَمْ

---

(١) ديوانه ص ٢٤٤.
(٢) ديوانه ص ١٩٩.
(٣) زيادات ديوانه ص ٢٨٨.
(٤) ديوانه ص ٣١٥. والعِفاء: وبْر الجَمَل. أُدْم: جمع أدماء، وهي السمراء.

وأزور بيتَ الحقّ زورةَ ماكثٍ فعلامَ أحفل ما تقوّضَ وانهدَمْ؟
فلأتركَنَّ السامليين حياضَهم ولأحبسَنَّ على مكارميَ النعمْ

وكتب روح إلى خالد بن عبد الله القسري يحثه على الإمساك، فأجابه وقال: خوفتني مما يجوز كونه والسلامة منه، ونهيتني عن فعل ما أوجب الحق، وما أنا ممن يترك ما أوجبه الحق لما خوف منه ظن.

من لا يكفُّه قول العذال عن إنفاق المال:

أبو أسد:

أرادَتْ لِتُثْنِي الفَيْض عَنْ عادةِ الندى ومن ذا الذي يُثْني السحابَ عن القطرِ؟

المتنبي:

وما ثناكَ كلامُ الناس عَنْ كَرمٍ ومَنْ يَسدُّ طريقَ العارضِ الهَطِلِ[1]

آخر:

فَنَفْسَكِ ولّي اللومَ عاذلَ وانطحي برأسِك إنْ كان الصفا وذريني

من عادته البذل:

يقال أنه لما مات حاتم تشبَّه به أخوه، فقالت له أمه: لا تَتْعَبَن فيما لا تناله. فقال: وما يمنعني وقد كان شقيقي وأخي من أمي وأبي؟ فقالت: أني لما ولدته، كنت كلما أرضعته أبى أن يرضع حتى آتيه بمن يشاركه فيرضع الثدي الآخر، وكنتَ إذا أرضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج.

شاعر:

يُلام أبو الفضلِ في جودهِ وهل يملكُ البَحْرُ أن لا يفيضا

آخر:

باتَتْ تلومُ وتَلْحاني على خُلُقٍ عودته عادةً والخيرُ تعويدُ

آخر:

وإني امرؤٌ عَوَّدْتُ نفسي عادةً وكُلُّ امرىء جارٍ على ما تَعَوّدا

الموسوي:

دعي عُذْلي فليس العَذْلُ يجنى به ما أثمرَت شِيَمي وعادي

آخر:

---

(١) ديوانه ٣/ ٢١١.

إذا كُنْتَ شمساً نورُها من طباعِها ... فكَيْفَ بأن تلقاكَ غيرَ منيرِ؟

من لا يترك عادته في الجود وإن دفع إلى ضيق:

كانت أخت حاتم سخية لا تبقي شيئاً، فحظر عليها إخوتها وحبسوها حتى ذاقت طعم الجوع والفقر، فظنوا أنها قد وجدت ألم الضيق والفقر، فأطلقوها ودفعوا إليها صرمة(١)، فأتتها سائلة فقالت: دونك الصرمة لقد عَضّني من الجوع ما لا أمنع بعده سائلاً أبداً، ثم أنشأت:

لَعَمْري لقِدْماً عَضّني الدهرُ عَضَّةً ... فآليتُ أن لا أمنَعَ الدهرَ جائِعا

آخر:

وإنْ مسَّه الأقواءُ والجهدُ زاده ... سماحاً وإتلافاً لما كان في اليد

ولما أسنّ ابن جذعان، أخذ بنو تميم على يده، فكان إذا أتاه سائل يقول: ادنُ مني! فيلطمه ويقول: اطلب من قومي قصاص لطمتي، ولا ترضى بدون كذا. فيفعل فترضيه بنو تميم.

سلم الخاسر:

وكُلُّ فَخْرٍ إذا فاخَرْتَ مطرحٌ ... وكُلُّ جودٍ إذا ما جُدْتَ مَغمورُ(٢)

المتنبي:

يَغْمُرَ ضَحْضاحُه غمراتِ الأجواد ... وتَسْتُر نفحاتُه بحورَ الأمجاد(٣)

وله:

وهبَ الملوكَ وسدتَهم بمواهبٍ ... دَرُّ الملوكِ لِدرِّها أغبارُ(٤)

وله:

وإنْ جادَ قبلَك قومٌ مضوا ... فإنَّكَ في الكرمِ الأولُ(٥)

من فضل في الجود على الورى:

قال الشاعر:

لو أدركَ العصرُ مِنْ كَعْبٍ ومِنْ هَرَمٍ ... وحاتم جودَ كَفّيه لما ذُكروا

الغساني:

لو أن عينَ زهيرٍ أبْصَرَتْ حسناً، ... وكيف يَصْنَع في أمواله الكرمُ؟

---

(١) الصرمة: القطعة من الشَّيء.

(٢) ديوانه ص ١٠٣ (طبعة مكتبة الحياة).

(٣) لم أقع عليه في ديوانه.

(٤) ديوانه ٢/ ١٩١.

(٥) ديوانه ٣/ ١٩٦.

إذاً لقالَ زهير حين يُبصرُه: هذا الجوادُ على العِلّات لا هَرَمُ!

الفرزدق:

لو أنّ كَعْباً أو حاتماً نُشرا كانا جميعاً في بَعْض ما يهبُ[١]!

من لو قسط جوده على الورى لجادوا:

منصور بن الفقيه:

لو أنَّ ما فيه من جودٍ يُوَزِّعُه على الخلائقِ عادوا كلُّهم سُمَحا

ابن الرومي:

خلائقُ لو فُضّتْ على الناسِ كُلِّهم محاسنها لم يبقَ في الأرض مَشْتَمُ[٢]

من يحاكي بعطائه القطر والبحر:

كأنَّ فيضَ يديه قبلَ مَسْألة بابُ السماء إذا ما بالحيا انفتَحا

ابن الرومي:

وأنتَ كالبَحْر لا كفاءَ له في بُعْدِ غورٍ وقربِ مُغْترِفِ[٣]

آخر:

وما الغيثُ إلاَّ مثلَ كفِّكَ في المحل

آخر:

أغنيتَ ما أغنى المطر

الغساني:

مطرَتْ أناملُ راحتيه فوائداً هانَتْ علينا بَعْدَها الأمطارُ

بشار:

إذا القطرُ لم يغزرْ علينا سماؤه بأرضٍ وثقنا مِنْ سمائِك بالغزرِ[٤]

من سماؤه تقطر المال:

أبو نواس:

كُلّ يومٍ له عليّ سماءٌ ثَرَّةٌ أَسْتَهِلُّ بالعِقْيانِ[٥]

سلم الخاسر:

---

(١) كعب: هو كعب بن مامة. وهَرَم هو هرم بن سنان، وحاتم هو حاتم الطائي. ويُضرب المثل بهم في الكَرَم.

(٢) ديوانه ١/ ١٢٤ (طبعة الصاوي).

(٣) ديوانه ٥/ ٢٨٤.

(٤) ديوانه ٤/ ٢١٠.

(٥) ديوانه ٣/ ٢٨٥.

وفي يَديه سماء غير مُقْلعةٍ بالجودِ صَوْبُ عزاليها الدنانيرُ[١]

من فضل على البحار والسحاب:

الغساني:

قوم إذا مطرتْ سماءُ نوالِهم ذَمَّ الأنامُ سحائبَ الأمطارِ

آخر:

البَحْرُ يغرقُ في بحور سخائه

علي بن الجهم:

ولو قُرِنَتْ بالبَحْرِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ لَمَا بَلَغَتْ جَدْوى أناملِهِ العَشْرِ[٢]

المتنبي:

ولَمَّا تَلقَّاكَ السَّحابُ بِصَوْبِهِ تَلَقَّاهُ أَعْلَى مِنْهُ كَعْباً وأَكْرَمُ[٣]

من يستحي منه السحاب ويحسده:

الأموي:

يجود فتَسْتَحي السحابُ إذا رأت نَداه، وتخطيه الغيوثُ المواطِرُ

التنوخي:

إذا انبسَطَتْ بالمكرماتِ أكفُّهم رأيتَ الحيا من سيبِهن قد استَحْيا

آخر:

ويَحْسُدُ كَفَّيهِ ثِقالُ الغمائِمِ

الباذل لماله:

ابن هرمة:

يَدَاهُ يَمينَانِ لَمْ تَجْمَدا ولم تَأْخُذَا عَادَةَ الأَشْمُلِ[٤]

آخر:

أنا الرجلُ الذي كلتا يديه يمينٌ في صُروفِ النائبات

المهين بكلتا يديه:

ابن الرومي:

ولم أَرَ مالاً جاره مثل عزِّهم يروح ويغدو وهوَ نَهْبٌ مُقَسَّمُ[٥]

---

(١) ديوانه ص ٣٧٩.
(٢) ديوانه ص ١٠٣.
(٣) ديوانه ص ١٤٧.
(٤) ديوانه ٤/ ٧٤.
(٥) ديوانه ص ١٨٣.

آخر:

وليسَ لمالي دون حقّ كريمة يَعزُّ وما فيه عليّ كريمُ[١]

المتنبي:

ويَحْتَقِرُ الدُّنْيا احْتِقَارَ مُجَرِّبٍ يَرَى كُلَّ ما فيها وحَاشَاكَ فَانِيا[٢]

بكر بن النطاح:

فتًى شَقِيَتْ أموالُه بسماحِهِ كما شَقِيتْ قيسٌ بأرماحِ تَغْلبِ[٣]

من لا يرى الإعطاء حتماً:

بشار:

كأنَّ لهم ديناً عليه وما لهم سِوى جُودِ كفَّيهِ عليه حُقُوقُ[٤]

أبو تمام:

ثَوَى مالُهُ نَصْبَ المعاليَ فأَوْجَبَتْ عليه زَكاةُ الجودِ ما ليس واجبا[٥]

من يبسط الآمال:

أبو تمام:

أَلبسْتَني حلُلَ الغنى فلبستُها وجَعَلْتُ آمالي لهنّ ذيولا[٦]

وله:

[تَردُ الظُّنُونُ بهِ على تَصْدِيقها] ويُحَكِّمُ الآمالَ في الأَمْوَالِ[٧]

البحتري:

ثنى أملي فاخْتَارَهُ عن مَعَاشِرٍ يَبِيتُونَ، والآمالُ فِيْهِمْ مَطَامِعُ[٨]

المتلقي سؤاله بطلاقة وجهه:

قيل: بسط الوجه يقوم مقام البذل. وقال النبي ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق». وفي كتب الفرس: لأن تلقى الأحرار بالبشاشة ويحرموا أحسن من أن يلقوا بالفظاظة ويعطوا، فانظر إلى خلة أفسدت مثل الجود فاجتنبها، وإلى خلة عفت عن مثل البخل فالزمها.

أحمد بن أبي فنن:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) ديوانه ٤/ ٤٢٧.
(٣) ديوانه ص ٢٢١.
(٤) ديوانه ٤/ ١٢١.
(٥) ديوانه ١/ ٨٥.
(٦) لم أقع عليه في ديوانه.
(٧) ديوانه ٢/ ٣٨.
(٨) ديوانه ص ١٣٠٣.

بَسَطْتُ له وجهاً طليقاً إلى النّدى وشَرُّ الوجوهِ ما يُعبِّسُهُ البُخْلُ[١]

وقال كاتب: لما سألته تهلل واهتز هز المهند، وابتسم ابتسام الروض عن زهره.

بشار:

وتأخذهُ عِندَ المكارمِ هَزةٌ كما اهتز تحت البارحِ الغصنُ الرطبُ[٢]

آخر:

وليس بسعَّالٍ إذا سيل حاجةً ولا بمكبّ في ثرى الأرض يَنْكُتُ

وقال أعرابي: سألت فلاناً فما عَبَس ولا خَنَس[٣] ولا حَبَس. وقيل لآخر: أحسن من أريحية الباذل.

من آثار آلائه ظاهرة:

سلم الخاسر:

لنعمانَ آثارٌ علينا مُبينَةٌ كما بَيَّنَتْ آثار غَيْبٍ مَسائلُه[٤]

أبو تمام:

وصَنِيعَةٍ لكَ قَدْ كَتَمْتَ جَزيلَها فأَبَى تَضَوُّعُها الَّذي لا يُكْتَمُ[٥]

مثله لأبي نواس:

نحنُ نُخفيها ويأبى طيبُ ريح فيفوحُ[٦]

من أخذ مواهبه بزين:

بعضهم:

لذا أعطَى القليلَ فتى شريفٌ فإنَّ قليلَ ما يعطيه زَيْنُ

وإنْ تكنِ العطيةُ مِنْ دنيء فإنَّ كثيرها عارٌ وشَيْنُ

أحمد بن ثور:

فَضَعِ الزيارةَ حيثُ لا يزري بها كَرَمُ المزورِ ولا يخيبُ الزورُ

من هو هش العود:

ورَيِّقُ عودِهم أبداً رَطيبٌ إذا ما اغبرَّ عيدانُ اللِّئامِ

(١) ديوانه ص ١٧٧.
(٢) ديوانه ص ٢٣ (طبعة دار الثقافة).
(٣) خَنس: انقبض.
(٤) ديوانه ص ١١٢ (طبعة مكتبة الحياة).
(٥) ديوانه ٢/ ١٠٠.
(٦) ديوانه ص ٣٤٨.

آخر:

أَلَم يكُ رَطْباً يَعْصُرُ القومُ ماءَه   وما عودُه للكاسِرين بيابِسِ

الخصيب الفناء:

قال بعضهم لعاف: نزلت بواد ممطور وفناء معمور، فحط رحلك فقد صادفت أهلك.

الحطيئة:

إذا نزلوا بمَحْلٍ رَوَّضوه   بآثارٍ كآثارِ الغُيومِ[1]

ابن الرومي:

أَنَخْتُ بحيث تبيضُّ الأيادي   وتسوَدُّ المطابخُ والبِرامُ[2]

من علم الناس الجود وأعداهم حسن صنيعه:

قال بعض الأعراب: قدم علينا الحكم بن المخزومي ولا مال لنا، فأغنانا عن آخرنا، فقلت له: كيف؟ فقال: عَلّمنا مكارم الأخلاق، فعاد أغنياؤنا على فقرائنا، فصرنا كلنا أجواداً. وكان عبد الله بن العباس يُسمّى معلم الجود لسخائه، وحثه على ذلك قولاً وفعلاً قال شاعر متمثلاً معاتباً لصاحبه:

فلو كُنْتَ تطلبُ شأوَ الكِرام   فَعَلْتَ كفعل أبي البُخْتري

تَتَبَّعَ إخوانه في البلاد   فأغنى المقِلَّ عنِ المُكْثرِ

ابن الرومي:

حَبَّبَتْ كفُّه النوالَ إلى النا   س جميعاً، وكانَ غيرَ حبيبِ[3]

وقصد أبو العريان بعض الأكابر فكساه وأولاده مالاً، فخرج ووزع على أصحابه، وقال:

لمستُ بكفِّي كفَّه أبتغِي الغنى   ولم أدر أنَّ الجودَ من كفِّه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى   أفدت وأعداني فأفسَدَ ما عِندي

من الجود عبده ورقيقه:

قصد أعرابي خالد بن يزيد فقال: إني امتدحتك ببيتين فهل تسمعهما؟ فقال: إن أحسنت فنعم ولك ثواب، فأنشد:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) ديوانه ٦/ ٥٥.

(٣) ديوانه ١/ ١٢٨.

سألتُ النَّدى والجودَ: حُرّان أنتما؟ فقالا جميعاً: إنّنا لَعبيدُ
فقلت: ومن مولاكما؟ فتطاولا جميعاً وقالا: خالِدٌ ويزيدُ!

فاهتز طرباً لهما، وأمر له بصلة سنية.

دعبل:

الجُودُ يَعْلَمُ أني مُنذُ عاهَدَني ما خُنْتُهُ وقت مَيْسُوري ومَعْسُورِي[1]

من سكن الجود كفيه:

وصف رجل آخر فقال: الجود معتكف عليه، والفضل مقترن بكفيه. وقال آخر:

كَفُّهُ بالجودِ سائلةْ وبالمعروفِ شائِلةْ[2]

مسلم:

هانتِ الدنيا عليهِ فهي نَهْب في يَدَيه
يُصْبِحُ الجودُ ويمسي عاكفاً في راحتَيهِ[3]

من حلّ بحلوله الجود:

أبو نواس:

فما جازَه جودٌ ولا حَلَّ دونَه ولكنْ يَسير الجودُ حيث يسيرُ[4]

نصيب:

وإنَّ خليلَيْك السماحةَ والندى مُقيمان بالمعروفِ ما كُنْتَ توجدُ[5]

أشجع:

وإنّ وجودَ الجودِ في كُلِّ بلدةٍ إذا لم يكنْ يحيى بها لغريبُ[6]

المعطي قبل أن يسأل:

قيل: أكرم الناس معطي من لا يرجوه ولا يعفوه. وقيل: فلان دواء الفقر، إن سئل أعطى وإن لم يسأل ابتدأ. وقال خالد بن يزيد لابنه: السخاء أن تعطي كل من سأل. فقال: يا أبت، هذا هو الكد، السخاء أن تعطي قبل أن تُسأل. وقال مسلم بن قتيبة: إني لأعجز عن مكافأة من رآني لحاجته أهلاً، فقال أبو عطاء:

(١) ديوانه ص ٢٠٨.
(٢) شائلة: راجحة.
(٣) لم أقع عليه في ديوانه.
(٤) ديوانه ص ٣٨٢.
(٥) ديوانه ص ٧٩.
(٦) ديوانه ص ١٩٢.

أيها الأمير فاجعل فضلك ابتداء حتى ترفع عن نفسك ثقل المكافأة.

مسلم بن الوليد:

أعطاكَ قبلَ سؤالهِ فكفاكَ مَكْروهَ السؤالِ[١]

أبو علي البصير:

كَفاني ولم أَسْتكفِهِ مُتَبرِّعاً فتًى غيرُ ممنونِ العطاء ولا نَزْرُ[٢]

البلاذري:

نالني معروفُه مُبْتَدئاً وكفاني جودُه أنْ أَسْأَله

البحتري:

مَوَاهِبٌ ما تَجَشَّمْنَا السُّؤَالَ لها إنَّ الغَمَامَ قَلِيبٌ ليس يحتفرُ[٣]

أبو تمام:

أعطى ونطفة وجهي في قرارتِها تصونُها الوجنات الغضةُ القُشُبُ

لا يكرم الظفر المعطى وإنْ حَصَلَتْ به الرغائبُ حتى يكرمَ الطَّلَبُ[٤]

من يكتفي في سؤاله بالتعريض:

ابن الرومي:

يا مَنْ إذا التَّعْريضُ صافَحَ سَمْعَهُ أغنى العُفّاةُ به عَن التَّصْرِيحِ[٥]

المتنبي:

ومِثْلُكَ مَنْ كانَ الوَسِيطَ فُؤَادُهُ فَكَلّمهُ عنِّي ولم أتكَلَّمِ[٦]

المغني سائله عن سؤال غيره:

سئل بعض الأدباء عن جعفر بن يحيى بعدما قتل، فقال: تركني مقطوع الآمال، زاهداً بعده في طلب الأموال.

ابن الرومي في معناه:

سألتك إغنائي عن الناسِ كُلِّهمْ فأغنيتَني عنهم وعنكَ جميعا[٧]

أبو تمام:

لم يدَعْني وفي يميني فضلٌ لندى غيرِه ولا في شمالي[٨]

---

(١) ذيل ديوانه ص ٣٣٦.

(٢) ديوانه ص ٢٤٧.

(٣) ديوانه ص ٩٥٦.

(٤) ديوانه ١/ ١٣٣.

(٥) ديوانه ٢/ ٦٨.

(٦) ديوانه ٤/ ٢٧٢.

(٧) ديوانه ٤/ ١٨٣.

(٨) لم أقع عليه في ديوانه.

ابن نباتة:

لم يُبْقِ جودُك لي شَيْئاً أُؤملهُ تَركْتَني أصْحَبُ الدنيا بلا أملِ

عابدة المهلبية:

بحَمْدِكِ لا بحمد الناس أضحى وكيلي ليس يُقْنعُه وكيلُ

وكانوا كلَّما كالوا وَزَناً فصاروا كلَّما وزنوا نكيلُ

وكنْتُ وناقصَ وزني فأضحى مَفاعيلن مفاعيلنْ فعولُ

من يصير سائله مسؤولاً بما يعطيه:

مدح أعرابي رجلاً فقال: يعود عليه المجتدي مجدياً، ومستعطي رفده معطياً، والمنتجع منه منتجعاً.

أبو تمام:

وكَمْ لَحْظَةٍ أهدَيْتَها لابن نَكْبَةٍ فأصبَحَ مِنها ذا عفاةٍ ونائلِ[1]

وله:

وما يَلْحَظُ العافي جَدَاكَ مؤمِّلاً سِوَى لحظةٍ حَتَّى يؤوب مُؤَمَّلا[2]

من لا يرد سائله:

قال أعرابي في مدح رجل: لم ينظر قط إلى محروم. قال ابن خارجة: لا أرد سائلاً، فإنما هو كريم أسدي خلته، أو لئيم أشتري عرضي منه.

أبو علي البصير:

فتًى لا يُفيدُ المال إلاَّ لِبَذْلهِ ولا يَتلقَّى صَفْحَة الحقِّ بالعُذْرِ[3]

حاتم:

أماوِيَّ إنِّي لا أقولُ لِسائِل إذا جاءَ يَوماً: حَلَّ في مالنا نَذْرُ[4]

وقال النمر بن تولب:

ولا رَحْلي بمخزونٍ عليه إذا جاري استعارَ، ولا ردائي[5]

المحقق رجاء آمليه:

قضى رجل حاجة أعرابي فقال: وضعتني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك.

---

(١) ديوانه ٢/ ٣٩.

(٢) ديوانه ٢/ ٤٧.

(٣) ديوانه ص ٢٤٧.

(٤) ديوانه ص ١٩٩.

(٥) ديوانه ص ٣٢٩.

أبو تمام:

رَجَعْتَ المنَى خُضْراً تَشني غُصُونُها عَلَيْنا وأطلَقْتَ الرَّجاءَ المُكَبَّلا[١]

وله:

همّ سرى ثم أضحى همّه أمما راجت رجاء، وباتت وهي في نَشَبِ[٢]

الخوارزمي:

كُنا وردْنا وكلنا أملٌ ثم صدرْنا وكلنا نِعمُ

البحتري:

ولَئِنْ كُفِيتُ مُهِمَّها فَلِمِثْلَها أَعْدَدْتُ مِثْلَكْ[٣]

من لا يقطع نواله عمن غضب عليه:

كان العباس بن محمد يجري على رجل شيئاً، فغضب عليه، وكان ابنه كتب إطلاقات رفعت إليه، فترك اسم المغضوب عليه، فقال: فأين ذكر رزق فلان؟ فقال: إنك قد كنت غضبت عليه! فقال: يا بني، غضبي لا يسقط هبتي، إن أباك لا يغضب في النوال. وسئل بعض الصوفيين: لم وصف الله تعالى بخير الرازقين؟ فقال: لأنه إذا كفر لا يقطع رزقه. وكان محمد بن سليمان يجري على رجل شيئاً، فغضب عليه فقطعه، ثم رضي عنه فرده، فأبى الرجل أن يقبله، وقال: إني كنت أظن أنّ إعطاءه مكرمة، فأما وقد صار غضبه يقطعه، فلا حاجة لي فيه.

من عطاؤه لا ينقطع:

الأعشى:

[لهُ صَدَقاتٌ ما تُغِبُّ ونَائِلٌ] ولَيْسَ عَطاءُ اليَوْمِ مانِعَهُ غَدا[٤]

ابن الرومي:

كالسيلِ المُسهِّل بعضُه لبعضٍ طريق الجري في السهلِ والوعْرِ[٥]

آخر:

كُلَّما عُدْنا لنائِلهِ افترزْنا جودَه جَذَعا

آخر:

وما كان نَفْعُك لي مرةً ولا مَرَّتَين، ولكن مِرارا

---

(١) ديوانه ٢/ ٤٧.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ١٥٧٤.

(٤) ديوانه ص ١٨٧.

(٥) ديوانه ٣/ ١٧٩.

الحطيئة:

وما أجمُ المعروفَ من طولِ كُرُهِ وأمري بأفعالِ النَّدى وافتعالِها[١]

المتجنب لفظ المنع:

قال بعضهم: فلان خُلقتْ نَعَمْ للسانه قبل أن خلق لسانه، فاجتنبَ «لا» ولزم نعم!.

لبيد:

وبنو الديانِ أعداء لِلَا وعلى أَلْسنهم ذلّتْ نَعَمْ[٢]

وأنشد عبد الرحمٰن الكندي:

لو قيل للعباس: يا ابنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لا وأنتَ مخلَّدٌ، ما قالها[٣]!

فقال: ليس يجب أن يقول الإنسان في كل شيء نعم، وكان الوجه أن يستثنى ثم قال:

هَجَرْتُ في القولِ لا، إلا لنائبةٍ تكونُ أولى بلا في اللفْظ لا بنَعَمِ

ويستحسن قول الآخر:

لا فَرْقَ في ناطقٍ بالشِّرْكِ عِنْدهم وناطقٍ في جواب السائلينَ بلا

العتبي:

ما قالَ لا إلاَّ لعُذّالهِ وهو بها عن سائلٍ أعْجَمُ

من هو مقصد العفاة:

قيل: أطيب الناس عيشاً من كثرت عفاته، وعاش الناس في كنفه. وقيل: فلان داره مجمع عفاته ومربع عطياته.

أبو نواس:

ترى الناسَ أفواجاً على بابِ دارِهِ كأنّهم رَجْلا دَبًى وجَرادِ[٤]

وهب الهمداني:

فتى دارُه مَعْمورةٌ بعفاتِه ومَجْلسهُ بالمكرماتِ مُنَجَّدُ

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه. (٢) ديوانه ص ٣٥٢.

(٣) البيت لربيعة الرقي في ديوانه ص ١١٣؛ ولأبي العتاهية في تكملة ديوانه ص ٦١٣.

(٤) ديوانه ص ٣٧٦.

أشجع:

علـى بـابِ ابـن مـنـصـور عـلامـاتٌ مِـنَ الـبَـذْلِ
جـمـاعـاتٌ وحَـسْـبُ الـبـا ب فـضـلاً كـثـرةُ الأهـلِ[1]!

بشار:

يَـطـوفُ الـعُـفـاةُ بـأبـوابِـه كَطَوْفِ الحجيجِ ببَيْتِ الحرَمِ[2]

البديهي:

وللجودِ حسنٌ أيَّ وَقْتٍ بذلتَه وأحْسَنُه ما كان في زَمنِ المحلِ

باعث رفده إلى تارك قصده:

قال الحجاج يوماً: قلَّ عفاتنا. فقال رجل: أصلح الله الأمير! إنك أكثرت خير البيوت فاستغنى الناس بما يصل إليهم عن الترحال. فسر الحجاج وقال: بارك الله فيك، وأحسن إليه. أُنشد مروان بن أبي حفصة قول الشاعر:

إذا جئتُ أعطاني وإنْ أنا لم أجىء أتانيَ من جدواه ما كنتُ أرتجي

فقال مروان: قد قلت أحسن من هذا. بعث إليّ عبد الله بن طاهر عشرين ألفاً فقلت فيه:

لعمري لنعمَ الغيثُ غيثٌ أصابَنا ببغداد من أرضِ الجزيرة وابلُه
ونِعْمَ الفتى والبيدُ بيني وبينَه بعشرينَ ألفاً صبحَتْنا رسائلُه[3]

ابن الرومي:

ويشركُ أدنى الأَرض في صوبهِ القصوى

آخر:

لا أشتكى البَدْرَ على بُعْدِهِ لقد أضاءَت ليَ آفاقُه

عمارة:

لَعَمْركَ ما النائي البعيدُ بنازح إذا قربتْ ألطافه ونوائِلُه
وما ضَرَّنا إنَّ السماكَ محلَّقٌ بعيدٌ إذا جادت علينا هواطِلُه[4]

مَن أعطى الغني والفقير:

روي في الخبر: أعطوا السائل ولو جاء على فرس. وقال ﷺ: «كلُّ معروف

(١) ديوانه ص ٢٤١.
(٢) ملحق ديوانه ٤/ ١٦٢. والعفاة: السائلون، الطالبون.
(٣) ديوانه ص ١١٨.
(٤) ديوان عمارة بن عقيل ص ٦٩.

صدقة لغني أو فقير». وقيل لبعضهم: ما الجود؟ فقال: أن تعطي الغني والفقير ولا تخص. ولأحمد بن أبي طاهر:

ونداه مِثْلُ الغيثِ جادَ لمجدبٍ ... وَعْرٍ وحَلَّ على المحل الممرعِ

المتنبي:

ويَدٌ لها كَرَمُ الغَمامِ لأنها ... تَسْقِي العِمارَةَ والمَكَانَ البلقَعا[١]

المستشهد على فرط جوده بعفاته وزمانه:

الحطيم:

وإن تَلْقَ ندماني تخبرْك أنني ... وكاء لكيسٍ لم أعد منه بالفقرِ

ديك الجن:

سلا، هل كمجدي أو كَفَخْري لفاخِرٍ ... وعندكما من قبل أنْ تَسأَلا خبْرُ[٢]؟

المتوكل الليثي:

فإنْ يَسْأَلِ اللَّهُ الشهودَ شهادَةً ... تُنَبِّىء جُمادَى عنكمُ والمحرَّمُ

بأنَّكما خيرُ الحجازِ وأهلِهِ ... إذا جَعلَ المُعْطِي يَمَلُّ ويَسْأَمُ[٣]

من يباري الرياح:

عبد الله بن أبي السمط:

أعطى أبو دلفٍ والريحُ عاصِفةٌ ... حتى إذا وقفَتْ أعطى ولم يَقِفِ

آخر:

يَكِلون الرياحَ إذا تبارت ... ويمتثلونَ أفعالَ السَّحابِ

المعطي بلا شفاعة:

ابن الرومي:

النائلُ المُعْطى بغَيرِ وسيلةٍ ... كالماءِ مُغتَرفاً بغيرِ رِشاءِ[٤]

آخر:

أفردته برجائي أن يشارِكَني ... فيه الوسائل أو ألقاه بالكتبِ

من شارك في ماله عفاته:

ابن الرومي:

---

(١) ديوانه ٣/ ٧.
(٢) ديوانه ص ٧٣.
(٣) ديوانه ص ٢٦٤.
(٤) ديوانه ١/ ٣٥.

وامدحْ فتى حَظُّه منٌّ ومأثرةٌ   كَحَظِّ ناظرنا مِن وجهِه الحسنِ[(١)]

أبو تمام:

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ بذلِه لشهِدتَه   لعداتِه أو شِرْكَةٍ في مَالِهِ[(٢)]

من لا يبقي مالاً:

كأنّ عليه أن يفرِّقَ مالَه   أليَّة مبرورِ الأَليَّةِ محترز

المتنبي:

عَجَباً له حفظَ العنانَ بأنملٍ   ما حِفْظُها الأشياءَ من عاداتِها[(٣)]

وله:

لَوْ كَانَ ضَوْءُ الشمسِ في يَدِهِ   أضاعهُ جُودُه وأَفْنَاهُ[(٤)]

آخر:

يقولُ أُناسٌ: لو جَمَعْتَ دراهماً   وكيفَ ولم أُخلقْ لجمع الدراهمِ؟

أبى اللَّه إلاَّ أن تكونَ دراهمي   مدى الدَهْر نهبى بين عافٍ وغانمِ

أعرابي:

حَسَنُ الحديث ضعيفُ خيطِ الدرْهمِ

من لا تجب عليه زكاة لإنفاقه ماله:

قال بكر بن النطاح:

وما وجبَتْ عليَّ زكاةُ مالٍ   وهل تجبُ الزكاةُ على الفقيرِ[(٥)]؟

رجل من بني عذرة:

واللَّهِ ما بلغَتْ للجودِ ماشِيَتي   حدَّ الزكاةِ ولا إبلي ولا مالي

من ماله معد للبذل:

البحتري:

فَتًى لا يُريدُ الوَفْرَ إلاَّ ذَخِيرَةً   لِمأْثَرَةٍ تزدَادُ أو مَغْرَمٍ يَعْرُو[(٦)]

علي بن الجهم:

ولا يجمعُ الأموالَ إلاَّ لبذلِها   كما لا يساقُ الهدي إلاَّ إلى النَّحْرِ[(٧)]

---

(١) ديوانه ٦/ ٣٠٩.

(٢) ديوانه ٢/ ١٦.

(٣) ديوانه ١/ ٣٥٣.

(٤) ديوانه ٤/ ٤٠٠.

(٥) لم أقع عليه في ديوانه.

(٦) ديوانه ص ٨٧٤.

(٧) تكملة ديوانه ص ١٤٧.

من لا يبخل بروحه ولا ماله لو سئل:

مدح رجل آخر فقال: كيسه محلول وماله مبذول، يطعمك نفسه إن أكلتها، ويسقيك روحه إن شربتها؛ ومنه أخذ بعض بني غطفان:

ولو لم أجِدْ لنزيلي قرى قطعتُ له بعضَ أطرافِيَهْ

بكر بن النطاح:

ولو لم يكنْ في كفهِ غيرُ روحِه لجادَ بها فليتقِ الله سائلُه[١]!

الكميت:

وتبتذلُ النفسَ المصونةَ نفسُه إذا ما رأى حقاً عليهِ ابتذالَها[٢]

وقال أبو هفان في معناه، وإن كان في وصف الضيافة:

ولو نزلَ الأضيافُ ليلةَ لا قرى لأَطعمتُهم لحمي وأسقيتُهم دمي

ابن نباتة:

وحَكَّمني حتَّى لو أني سألتُه شبابي، وقد ولّى به الشيبُ، ردَّه

المنخدع المتباله في ابتذال ماله:

قيل: الكريم هو المنخدع عن ماله حتى يحكم فيه الطمع، ويستعمل في ماله الخدع. وقيل لبعضهم: ما الشرف؟ قال: الانخداع عن المال. ولا تجد أحداً يتغافل عن ماله إلاَّ وجدت له في قلبه فضيلة لا تقدر على دفعها، وقد أدَّبنا نبينا ﷺ بقوله: «رحم الله سهل البيع سهل الشراء»، وهذا خلاف قول الناس: «المغبون غير محمود ولا مأجور». وقد قال ﷺ: «ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: التغابن للضعيف».

شاعر:

ممنْ يغر على الثناءِ فَيَمْدحه

البحتري:

وإذا خادعتَه عن مالِه عرفَ المسلكَ فيه فانخَدَعَ[٣]

وله:

وقد يتغابى المرءُ في عظمِ مالِه ومن تحت بردَيه المغيرةُ أو عمرُو[٤]

وله:

(١) ديوانه ص ٢٦٠.

(٢) ديوانه ٢/ ٧٨.

(٣) ملحق ديوانه ص ٢٦٠٠.

(٤) ديوانه ص ١٠٦٨.

إذا معشرٌ صانوا السماحَ تعسفَتْ ... بهِ همةٌ مجنونةٌ في ابتذالِه[(١)]

وتخطى أبو تمام ذلك حتى استقبح قوله، فقال:

ما زال يهذي بالمكارم والعُلى ... حتى ظنَنَّا أنه محمومُ[(٢)]

والهذيان والحمى مستقبح ذكرهما في المدح. المنذر الغساني يوصي ابنه: آمرك بالذل في نفسك والانخداع في مالك.

من عَيبُه إفراطه في الجود:

فتى كمُلت أخلاقُه غيرَ أنهُ ... جوادٌ فلا يُبقي من المالِ باقيا

كشاجم:

ما فيهمُ عيبٌ سوى ... الإفراط في الجودِ فقط[(٣)]

أبو هفان:

عَيبُ بني مخلدٍ سماحتهم ... وأنهم يتلفونَ ما مَلكوا

وقيل للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤه على اختلاف حاله: ليس في السرف خير. فقال: ليس في الخير سرف! وقال المأمون لمحمد بن عباد: إنك متلاف. فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود. وفي الزهد أخبار من ذلك.

الساتر عطيته:

روي أن علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه، مَلِكَ أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية، فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٤] الآية.

المتنبي:

ستروا النَّدى سترَ الغرابِ سفادَهُ ... فَبَدا، وهل يخفى الربابُ الهاطِلُ[(٤)]؟

ووصف أعرابي رجلاً فقال: إذا أُعطي شكر، وإذا أعطى سَتَر.

المسرور بما يعطيه:

لما دخل الفضل بن يحيى الرقة، قال لوكلائه: أحصوا منزل من يغنيه ألف درهم. فأحصوا ثلاثمائة منزل، فوجه إليهم ثلاثمائة ألف درهم، ثم وضع له

---

(١) ديوانه ص ١٦٢٤.

(٢) ديوانه ٢/ ١٤٧.

(٣) ديوانه ص ٢٠٥.

(٤) ديوانه ٣/ ٣٧٥.

الطعام، فقال: ما أكلت طعاماً أهنأ منه اليوم، وقد علمت أني أغنيت ثلاثمائة بيت.

أبو تمام:

لو يعلمُ العافون كم لكَ في الندى   من لذةٍ وقريحةٍ لم تحمدِ[١]

زهير:

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً   كأنَّكَ تعطيه الذي أنتَ سائلُه[٢]

الأعشى:

يرى البخلَ مرّاً والعطاء كأنما   يلذّ به عذباً من الماءِ باردا[٣]

أبو تمام:

ونغمة مُعْتَفٍ يرجوه أَحْلى   على أُذُنَيهِ من نغمِ السَّماعِ[٤]

وقال معاوية يوماً لجلسائه: ما بقي من لذاتكم؟ فقالوا: ضروب من القول. فقال ذلك لوردان مولى عمر. فقال: النظر في وجه كريم أصابته من دهره جائحة، فاصطنعت إليه. فقال معاوية: أنا أحق بهذه منك. فقال: أحق بها من سبق إليها، وأنت أقدر عليها، فافعل.

ودخل هشام بن عروة على المنصور فشكا إليه ديناً، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فقال: يا أمير المؤمنين، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أعطى عطية وهو طيب النفس، بورك للمعطي والمعطى منها»، أفنفسك طيبة بها؟ قال: نعم.

مَن اشتغاله بالعطاء:

بعضهم:

فتى لا تراه الدهرَ إلاَّ ونَفْسُه   تجودُ بخيرٍ أو تَهُمُّ بخيرِ

آخر:

لا يعدَ المال إلاَّ وهبا

دعبل:

يَعدّ ما أنفقَ مِن مالِه   غنماً وما وفَّره غُرْما[٥]

وله:

(١) ديوانه ١/ ٢٦٠.

(٢) ديوانه ص ١٤٢.

(٣) ديوانه ص ١١٥.

(٤) ديوانه ١/ ٤٠٧.

(٥) ديوانه ص ٢٧٩.

فتى لا يرى المالَ إلاَّ العطاء ولا الكنزَ إلاَّ اعتقالَ المِنَنْ[(١)]

مَن لا يعد ماله إلاَّ ما وهبه:

قال النبي ﷺ: «أفضل الصدقة جهد من مقل». وقال بعض الصوفيَّة: ليس السخاء أن تعطي الواجد العادم، إنما السخاء أن تعطي العادِمِ الواجِد.

شاعر:

إذا تكرمْتَ أن تعطي القليلَ ولم تقدرْ على سعةٍ لم يظهرِ الجودُ
بثَّ النوالَ ولا يمنْعك قلتُه فكلّ ما سدّ فقراً فهو محمودُ[(٢)]

آخر:

ليس العطاءُ مِنَ الفضول سماحةً حتى تجودَ وما لدَيكَ قليلُ[(٣)]

وقيل: لم يحرم من قصد له.

مَن يكثر العطاء وإن قلّ ماله:

ابن هرمة:

وينالُ بالمالِ القليلِ تبرعي فخماً يضيقُ بها ذراعُ المُكثرِ[(٤)]

العرندس:

ولم يكُ أكْثَرُ الفتيانِ مالاً ولكنْ كان أرحبَهم ذِراعا

آخر:

ما كان عاراً إذا ضَيْفٌ تضيَّفني ما كان عندي إذا أعطيتُ مجهودي
جهدُ المقلِّ إذا أعطاك نائلهُ ومُكثِرٍ مِنْ غِنى سِيّانِ في الجودِ

وقال معن بن زائدة: طلبني المنصور فهربت منه متنكراً، فلقيني أسود، فتعلق بي وقال: أنت طلبة أمير المؤمنين؟ فقلت: اتقِ الله، فإني غريب. فقال: دعني من هذا. فقلت: إنك إن أتيته بي لا تنتفع منه بكثير نفع، فدونك هذه الجواهر فقيمتها ألوف دنانير. فقال: دعني من ذا، أنت موصوف بالجود هل أعطيت مالك كله أو نصفه أو ثلثه؟ فقلت: لا. فقال: أنا مشاهرتي كل شهر عشرون درهماً، وما لي على ظهر الأرض ما قيمته مائة درهم، وها أنا قد وهبت

---

(١) ديوانه ص ٣٠٤.
(٢) البيتان لبشار بن برد في ديوانه ٣/ ١٢٨ ـ ١٢٩؛ وللعتّابي في ملحق ديوانه ص ٨٤.
(٣) البيت للمقنع الكندي ص ٢٠١.
(٤) ديوانه ص ١٢٦.

لك هذه الجواهر، ووهبتك لنفسك لتعلم أن لله عباداً أسخى منك! ففارقته، وأنا بعد في طلبه.

من أعطى الكثير لمن يرضيه القليل:

سَوَّى حجَّامٌ شارب الحسن، فأعطاه درهمين، فقيل: إنه كان يكتفي بدانق. فقال: لا تدنقوا يدنق عليكم. ومر يزيد بن المهلب بأعرابي في خروجه من السجن، فسأله شيئاً، فقال لغلامه: ما معك؟ قال: مائة دينار. فقال: أعطه. فقال الغلام: هذا يرضيه اليسير. فقال: أنا لا يرضيني إلاَّ الكثير. قال: إنه لا يعرفك. قال: أنا أعرف نفسي. وأثنى أعرابي على رجل فقال: ما زال يعطيني حتى ظننت أنه يودعني، وما ضاع مالٌ أورث حمداً.

المحكم سائله في ماله:

التنوخي:

إنْ جاءَهُمْ سائلٌ يبغي نوالهمُ ... أعطَوه من مالِهم ما شاءَ واقترحا

ابن نباتة:

وحكّمني حتى لو أني سألتُه ... شبابي، وقد ولّى به الشيب، رَدَّهُ

ودخل الغافري على الحسن بن علي، رضي الله عنهما، فقال: إني عصيت رسول الله ﷺ. قال: بئس ما صنعت! كيف؟ قال: لأن النبي ﷺ قال: «لا يفلح قوم ملكت أمرهم امرأة»، وقد ملكت عليَّ امرأتي، أمرتني أن أشتري عبداً فاشتريته فأبِقَ مني. فقال: اختر إحدى ثلاث إن شئت فثمن عبد، فقال: قف ها هنا ولا تتجاوزه، فقد اخترته، فأعطاه ذلك.

مَن جاد بالعرض دون العرض:

أبو شراعة:

عِرْضٌ مصونٌ وتُراثٌ مُنْتَهَبُ

ابن الرومي:

قريب النوال بعيدُ المنال ... ومَسْكَنهُ شرفٌ ممتنعْ

كَمِثْلِ السَّحاب نأى شَخْصُه ... ولم يَنْأَ مِنْهُ صَبيبٌ هَمَعْ[1]

يعقوب النمار:

---

(١) ديوانه ٤/ ١٤٥.

حمى أعراضَه ضنّاً وشحّاً وصيّر مالَهُ نهباً مُباحا

الصائن عرضه بماله:

قيل: فلان منع الناس من عِرْضه بما نشر عليهم من فضله.

آخر:

خيرُ العروض وقايةُ الأعراضِ

آخر:

ومَن أنالَ المالَ صان الجاها

أحمد بن أبي طاهر:

العرضُ ليس يصونُه مالٌ إذا ما المالُ عند حقوقِه لم يبذلِ

آخر:

لا يقي بالإحسانِ مالاً ولكن يجعلُ المالَ جُنَّةَ الإحسانِ

المبتاع الحمد بالمال:

ذهابُ المالِ في حَمْدٍ وأجْرٍ ذَهابٌ لا يقالُ له ذهابُ

مجنون:

وما اشتريتُ بمالٍ قطُّ مكرَمةً إلاَّ تيقنتُ أني غيرُ مغبونِ[1]

وفَرَّقَ علي بن موسى الرضى ماله بخراسان كله في يوم عرفة، فقال له الفضل به سهل: ما هذا المَغْرم؟ فقال: بل هو المغنم، لا تعدن مغرماً ما ابتعت به أجراً وكرماً!.

مَن يعطي طوعاً ويتأبى خَسفاً:

خبر الدهقان الذي طالبه بالمال قد تقدم في خبر السلاطين. وقيل: فلان لا يسمع بالغلب، ولا يدر على الغضب.

معن بن أوس:

ونأبى فلا نعطي على الخسف درةً مبسّاً ولكنْ بالتودُّدِ تُخْبلُ[2]

البحتري:

حَرُونٌ إذا عازَرْتَهُ في مُلِمَّةٍ وإن جِئْتَهُ مِن جانبِ الذُّلِّ أصْحَبَا

المتنبي:

---

(١) لم أقع عليه في ديوان مجنون ليلى. (٢) ديوانه ص ٥١.

وأنتمُ فئةٌ تَسْخُو نُفُوسُكُمُ بما يَهَبْنَ ولا تَسْخُونَ بالسَّلبِ[(١)]

إعطاء المستحق وغيره والشاكر والكافر:

قيل: لأن أُخطىء باذلاً أحبُّ إليَّ من أن أُصيب مانِعاً. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يزهدنك في المعروف كفر من كفر؛ فإنه يشكرك عليه من لم يصطنع إليه. قال بعضهم:

يدُ المعروفِ غنمٌ حيثُ كانت تضمَّنها كفورٌ أو شكورُ
فعِندَ الشاكرينَ له جزاءٌ وعند اللَّهِ ما كفرَ الكفورُ

محمود:

سأمنَحُ مالي كلّ مَن جاء عافِياً وأجعلُه فرضاً على الفرضِ والفَرضِ
فإمَّا كريمٌ صُنتُ بالجُودِ عِرضَهُ وإمَّا لئيمٌ صُنتُ عن لؤمِه عِرضي[(٢)]

آخر:

[مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازيَه] لا يَذْهَبُ العُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ والنَّاسِ[(٣)]

الحث على منع اللئام ومن يستضر بإعطائه:

قيل في التوراة مكتوب: من صنع معروفاً إلى غير أهله كتب له خطيئة. وقال بزرجمهر: المصطنع إلى اللئيم كمن طوق الخنزير تبراً، وقرط الكلب داراً، وألبس الحمار وشياً؛ وألقم الحية شهداً. وقيل: من أشبع لئيماً، فقد ضرى عدواً عاتياً، وسبعاً عادياً. وقيل: اللئيم يزداد بالعرف خبالاً كما يزداد المريض من كثرة الطعام وِبالاً.

أبو بجيلة:

متى تَسْدُ معروفاً إلى غيرِ أهلِه رُزِئتَ ولم تظفر بحمدٍ ولا أجرِ

آخر:

ومَنْ يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِه يلاقي كما لاقى مجيرُ أمّ عامِرِ[(٤)]

آخر:

همٌ سمَّنوا كلباً فأتلف بعضَهم ولو أخذوا بالحزم ما سمَّنوا كلبا

آخر:

ليس في مَنْعِ غير ذي الحقِّ بُخْلُ

---

(١) ديوانه ص ١٩٨.
(٢) ديوانه ١/ ٢٢٣.
(٣) ملحق ديوانه ص ٢٥٣.
(٤) ديوانه ص ١٠٩.

من لا يبخل في حق يلزمه ولا يسرف فيما يخوله:

قيل للمنبوذ: إنك بخيل. فقال: ما أجمدُ في حق ولا أذوب في باطل. وقيل لفيلسوف: متى يكون قليل النوال موفياً على الكثير؟ فقال: إذا كان قليله في الحقوق وكثيره في الإسراف. وقيل لمعاوية: ما الجود؟ فقال: إصابة موضع البذل والمنع. وقيل: السخاء أن تأخذ الشيء من حل وتضعه في حقّ.

الراعي:

فَلَسْتُ إنْ نَابَني حَقٌّ بِمُنْتَكِرٍ ... فِيهِ ولا بَرَمٌ يَعْيَى بِهِ السُّبُلُ[1]

الممدوح بمنع العطاء غير مستحقه:

إذا المالُ لم يوجبْ عَليك عطاؤه ... صنيعةَ تقوى أو خليلٍ تُخالقُه

مَنَعْتَ، وبعضُ المَنْعِ عَزْمٌ وقوةٌ ... ولم يبتذِلْكَ المالَ إلاَّ حقائقُه

المشارك ذويه في ما يملكه ويحويه:

صادف رجل موسراً يصحبه معسر، فسأل الموسر عن صاحبه، فقال: هو أخي. فقال له: ولم أنت غني وهو فقير، أما سمعتَ قول عبد الله بن معاوية:

وإذا أَصبتَ مِن النوافلِ رغبةً ... فامنحْ عَشيرتك الأَداني فضلَها[2]

وأحسن بقول الآخر:

بدا حين أثرى بإخوانه ... فقلَّلَ منهم شياةَ العدَمْ

وعرَّفَه الحزمَ صرفُ الدهور ... فبادر بالعرفِ قبلَ الندَمْ

عمرو بن الإطنابة:

كريمٌ رأى الإقلال عاراً فلم يزلْ ... أخا طَلَبٍ للمال حتى تموَّلا

فلما أفادَ المال عادَ بفضلِه ... على كلِّ مَنْ يرجو جداهُ مؤمِّلا

أبو عمر القاضي:

وتركي مُواساةَ الأخلاءَ بالذي ... تحوزُ يدي ظلمٌ لهم وعقوقُ

وقيل: لا تعدنَّ غنياً من لم يكن غناه مشتركاً.

الإعطاء في حال السكر والصحو:

لما كان السكر قد يَذَر البخيل كريماً، كرهوا مدح المرء بأنه يسخو في حال

---

(١) البيت لأعرابيّ في مجمع الأمثال ١/ ١٤٤.

(٢) ديوانه ص ٢٠٠.

السكر، فغضوا من قول عمرو بن كلثوم:

[مُشَعْشَعَةً كأنّ الحُصَّ فيها] إذا ما الماءُ خَالطَها سَخِينا[١]

واستجادوا قول امرىء القيس:

يُنال جودُكَ في صَحْوٍ وفي سَكَرٍ[٢]

وقد استجيد قول زهير:

أخو ثقةٍ لا يُهْلكُ الخمرُ مالَه ولكنَّه قد يُهْلِكُ المالَ نائلُهْ[٣]

أي: ليس ممن يعطي لسكره، ولكن يعطي لسخائه. وقيل: ليس ينفق ماله في شرب الخمر ولكنه في البذل.

البحتري:

تَكرَّمْتَ مِن قَبْلِ الكُؤُوس عَلَيهمُ فما اسْطَعْنَ أَنْ يُحْدِثْنَ فِيكَ تكرُّما[٤]

المتنبي:

لا تَجِدُ الخَمْرُ في مَكَارِمِه إذَا ٱنْتَشَى خَلَّةً تَلافَاها[٥]

عذر سخي بخل في بعض الأحوال:

قال الحسن بن علي، رضي الله عنهما، لرجل سأله شيئاً فلم يمكنه: لو أمكنني، لكان الحظ فيه لنا دونك، فإن حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك.

قصد رجل الحسن بن سهل في حالة عسره، فاستماحه فلم ينل منه مطلبه، فعاتبه فقال الحسن:

الجود طبعي ولكنْ ليس لي مالُ وكيفَ يَسْمَحُ مَن بالدّينِ يحتالُ؟

وشيمتي في العطايا لا تُزايلني وليسَ ما أشتهي يأتي به المالُ

واستبطأ دعبل أبا دلف، فبعث إليه دنانير، وكتب معها:

أعجلتَنا فأتاكَ عاجلُ برِّنا قلًّا ولو أمهلتَنا لم نقللِ

فَخُذِ القليلَ وكنْ كأنك لم تَسَلْ ونكونُ نحن كأننا لم نُسْأَلِ

ومدح البحتري طاهر بن محمد، فبعث إليه دنانير، وكتب معها بأبيات منها:

والشَّريفُ الظَّرِيفُ يَسْمحُ بالعُذْ رِ إذا قَصَّر الصَّدِيقُ المُقِلُّ[٦]

---

(١) ديوانه ص ٧٦.
(٢) ديوانه ص ٦٤.
(٣) لم أقع عليه في ديوانه.
(٤) ديوانه ص ١٤١.
(٥) ديوانه ص ٢٠٩٢.
(٦) ديوانه ٤/ ٤١١.

فكتب إليه البحتري:

وإذا ما جَزَيْتَ شِعْراً بشِعْرٍ يَبْلُغُ الحَقّ فالدَّنانِيرُ فَضْلُ[١]

دخل بعض الطالبيين على إسحق الموصلي، فأطال الجلوس، فلما خف الناس، كلّمه في حاجة، فقال: ما إلى ذلك سبيل. فسكت قليلاً ثم عاوده، فقال له كذلك، فقال:

لا يُيئِسنَّك مِن كريمٍ نَبْوةٌ يَنْبو الفتى، وهو الجواد الخضرمُ
فإذا أبى فاسْتَبقِه وتأنَّه حتى يفيء به الطباعُ الأكرمُ[٢]

فاهتز لكلامه وقال: قد عاد الطباع الأكرم، وخوله. وفي المثل: بيتي يبخل لا أنا[٣]. وقال والٍ لرجل كان يكثر سؤاله: دع الضرع يدر لغيرك كما دَرّ لك. ووقع عبد الحميد في رقعة مستميح كان قد بره مراراً: قد نفد ما عندنا لمثلك، فارغب إلى مَن لا ينفد ما عنده.

عذر من أعطى قليلاً:

أتى رجل زياد بن أبي سفيان سائلاً، فأعطاه درهماً فقال: صاحب العراقين يعطيني درهماً؟ فقال: إن من بيده خزائن السماوات والأرض ربما رزق أخص عبيده التمرة واللقمة، وما يكثر عندي أن أصِلَ رجلاً بمائة ألف درهم، ولا يصغر أن أعطي سائلاً رغيفاً إذا كان ربّ العالمين يفعل ذلك. ورفع حشم جعفر بن يحيى إليه قصة يستزيدونه أرزاقهم، فقال لعمرو بن مسعدة فكتب إليه: قليل دائم خير من كثير منقطع. فقال جعفر: أيُّ وزير بين جنبيه؟.

عذر من أفقره الجود:

قصد جماعة ابن هرمة فخرجت بنية له، فاعتذرت، فقالوا: أليس أبوكِ الذي يقول:

لا أُمْنِعُ العُوذَ بالفِصَالِ، وَلَا أَبْتَاعُ إلاَّ قَرِيبَةَ الأَجْلِ[٤]

فقالت: نعم، هذه العادة منه، تركتكم بلا قرى.

جحظة:

---

(١) ديوانه ص ١٦٦٧. (٢) ديوانه ص ١٦٦٧.

(٣) ورد المثل في جمهرة الأمثال ١/ ٢١٥؛ والمستقصى ١٦/٢؛ ومجمع الأمثال ١/ ٩٢. قالته امرأة سُئلت شيئاً تعَذّرَ وجودُه عندها.

(٤) ديوانه ص ١٨٥.

جاءَ الشِّتاءُ وما عندي له وَرقٌ ... فيما عددتُ ولا عندي له خِلعُ
كانَتْ فَبَدَّدها جودٌ ولِعْتُ به ... وللمساكينِ أيضاً بالنَّدى وَلَعُ[1]

أبو الشمقمق:

الجودُ أفْلَسَهُم وغَيَّر حالَهم ... واليومَ إن سُئِلوا النوالَ تَمحَّلوا[2]

وسأل رجل آخر شيئاً، فاعتذر إليه، فقال السائل: العذر الصادق مع النيَّة الجميلة يقومان مقام النجح.

أنواع مختلفة من باب الجود:

ابن الرومي:

يُعْطِي ويُنْمِي اللَّهُ أموالَهُ ... والبحْرُ لا يُنْضِبُهُ النَّزْحُ[3]

ومما روي في الخبر: إنَّ لله ملائكة تنادي كل صباح ومساء: اللهم اجعل لمنفِق خلفاً ولمُمْسِك تلفاً.

البحتري فيمن سامحه بخراجه:

وكنتُ إذا ما رُمْتُ عنْدَكَ حاجةً ... على كندِ الأيام هانَ علاجُها
فلِم لا أُغالي بالضِّياع وقد دنا ... عليَّ مَدَاها واستقامَ اعْوِجَاجُها
إذا كان لي تَرْبِيعُها واغْتِلالُها ... وكانَ عليه عُشْرُها وخَرَاجُها[4]؟

وقال شرحبيل للبيد: أعطني عطية تشبهك أو تشبهني. فقال: فوقك ودوني؛ فأولاه مالاً. والعطايا تختلف أسماؤها: فالحذياء للمبشر، والحذية للعدل، والبسلة للراقي، والحلوان للكاهن، والنشوع للساحر، والزبد للدلال، والشبر للنكاح، والعزيز ثمن المرعى، والجعل للشرط.

* * *

ومما جاء في البخل بالأموال

حقيقة البخل:

سئل الحسن، رضي الله عنه، عن البخل، فقال: هو أن يرى الرجل ما أنفقه

---

(١) ديوانه ص ١٢٣.

(٢) ديوانه ص ٨٢. والرواية فيه:
الجودُ أفْلَسَهم وغَيَّرَ حالَهم ... فاليومَ إنْ راموا السَّماحةَ يبخلوا

(٣) ديوانه ٢/ ٦٢.

(٤) ديوانه ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨.

سرفاً وما أمسكه شرفاً. وقال آخر: البخل جلباب المسكنة. وقيل للأحنف: ما اللؤم؟ فقال: الاستفضال على الملهوف. فقيل: وما الجود؟ فقال: الاحتيال للمعروف.

ذَمّ البخل وتعظيمه على كل الذنوب:

قيل لإبليس: من أحب الناس إليك؟ فقال: عابد بخيل. قيل: فمن أبغض الناس إليك؟ قال: فاسِق سخي فينجيه سخاؤه. وقيل: من بخل بمال في واجب ذهب ضعفه في باطل. وقيل: السخي حرّ لأنه يملك بماله، والبخيل لا يستحق اسم الحرية؛ لأنه يملكه ماله. وقال بشر بن مروان: لو أن أهل البخل لم ينلهم من بخلهم إلاَّ سوء ظنهم بربهم في الخلف، لكان عجيباً. وقيل: أعجب ما في البخيل أنه يعيش عيش الفقراء، ويحاسب حساب الأغنياء.

شاعر:

إنَّ البخيلَ فقيرٌ غير مأجورِ

الديسق اليربوعي:

إذا ذو المالِ ضنَّ بما لديهِ ... وأشفقَ فهو محتاجٌ فقيرُ

كثرة البخل وقلّة الجود في الناس:

لما قال أبو العتاهية:

اطرحْ بطرفِكَ حَيْثُ شِئت ... فلن ترى إلاَّ بخيلا[1]

قيل له: بَخَّلْتَ الناس كلَّهم. فقال: كَذِّبوني بواحد!

كشاجم:

اجتنب الناسُ طريقَ النَّدى ... كأنَّما قد أنبتَ العوسَجا[2]

وهذا مأخوذ من قول بعضهم وقد سمع رجلاً يقول: تجنب الناس طريق الندى؛ فقال: ذاك طريق نبت فيه العوسج.

ببغا:

أَكُلُّ وميضِ بارقةٍ كذوبُ ... أما في الدهر شَيءٌ لا يريبُ؟

وشاعَ البخلُ في الأشياء حتى ... يكادُ يشحُّ بالريحِ الهبوبُ

فكيفَ أخصّ باسمِ العيبِ شيئاً ... وأكثرُ ما أُشاهده معيبُ؟

---

(١) ديوانه ١/ ٣١٣.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

ابن نباتة:

كيفَ السبيلُ إلى الغِنى ... والبخلُ عند الناسِ فِطنَةْ؟

معاتبة من يرجو لئيماً:

قيل: مَن أمِلَ فاجراً، فأدنى عقوبته أن يحرمه. وسأل أعرابي رجلاً فحرمه، فقال له أخوه: نزلت بواد غير ممطور ورجل غير ميسور. فارتحلْ بندَم أو أقم بعدم. ذم العباس بن الحسين بعض الوزراء، فقال: الذليل من اعتز بك، والخائف من اعتزى إليك، والفقير من أمّلك. وقيل: كَدَمْتَ غيرَ مَكْدَم[1]، نفخْتَ لو تنفخُ في فَحْم[2]، هيهات تضرب في حديد بارد[3]. وقال رجل: إنِّي أقصد فلاناً راجياً ندَاه، فقال له صاحبه:

ترجو النَّدى مِن إناءٍ قلَّما ارتشحا ... كالمُسْتذيبِ لِشَحْمِ الكلبِ مِنْ ذنبهِ

أبو العتاهية:

وإنَّ مَن يرتجي نَداك كمَن ... يحلبُ تيساً من شهوةِ اللبنِ[4]

بعضهم:

أمِنْ دارِ الكلابِ ترومُ عظْماً؟ ... لَقَدْ حدّثْتَ نفسَك بالمحالِ[5]

إسماعيل القراطيسي:

لقد أحللتُ حاجاتي ... بوادٍ غيرِ ذِي زَرْعِ

وقال أبو تمام:

وما ليَ مِن ذَنْبٍ إلى الرِّزْقِ خِلْتُهُ ... سِوَى أمَلي إيَّاكُم للعَظَائِمِ[6]

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ٢/ ١٤٩؛ والمستقصى ٢/ ٢١٧؛ ومجمع الأمثال ٢/ ١٣٩. والكَدْم: العضّ. والمَكْدَم: موضع العضّ. يُضرب لمن طلبَ شيئاً في غير موضعه.

(٢) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في جمهرة الأمثال ٢/ ٣٠٥. يُضرب مثلاً للحاجة تُطلب في غير موضعها، أو مِمَّنْ لا يرى لك قضاءَها.

(٣) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في مجمع الأمثال ٢/ ٣٨٦. وهو من قول الشاعر:

يا خادِعَ البُخَلاءِ عنْ أموالِهِمْ ... هيهاتَ تَضْرِبُ في حديدٍ باردِ

(مجمع الأمثال ٢/ ٣٨٦).

(٤) ملحق ديوانه ص ٦٥٦؛ وهو لوالبة بن الحباب في ديوانه ص ٢٩.

(٥) البيت بلا نسبة في كتاب الأمثال والحِكم، ص ١٣١.

(٦) ديوانه ٢/ ١٠٩.

ونحوه:

سَجَدْنا للقرودِ رجاءَ دنيا حوتْها دوننا أيدي القرود

فما بلَّتْ أناملُنا بشيءٍ علمناه سوى ذلِّ السجودِ

المتنبي:

تَظُنُّ ابْتِساماتي رَجاءً وغِبْطةً وما أنا إلاَّ ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِيا[1]

من لا ينال خيره ولا يرجى فضله:

قال الصاحب بن زرارة في أخيه صاعد: هو والله ليس برطب فيعصر، ولا بيابس فيكسر، ما عنده خَلّ ولا خمر، سواء هو والعدم. وكان عبد الملك يقال له: «رَشْح الحجر» لبخله. وشاتم أعرابي رجلاً، فقال: إنكم لتقصرون العطاء، وتعيرون النساء، وتبيعون الماء! ما عنده فائدة ولا عائدة ولا رأي جميل ولا إكرام دخيل. وقالت امرأة لزوجها: والله ما يقيم الفأر في دارك إلاَّ حب الوطن. وقيل في رجل: بئسَ منتجع المجدِب.

شاعر:

وبحر السرابِ يفوتُ الطلاب فقلْ في طلابِك جئنا بِه

المتنبي:

[رَأَيْتُكُمْ لا يَصُونُ العِرْضَ جَارُكُمْ] وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرْعَاكُمُ اللَّبَنُ[2]

أبو هفان:

سواءٌ إذا ما زُرْتَهم في مُلِمَّةٍ أزرْتهمُ أم زرتَ مَنْ في المقابر!

وقيل لأبي العيناء: كيف وجدت فلاناً لما قصدتَه؟ قال: وجدته لا يعود إليه حُرّ! وقصد رجل سلطاناً، فلما رجع، قيل له: ما ولاك؟ فقال: ولاني قفاه، وأولاني منعه، وحماني نفعه.

من تأبى نفسه السماحة:

شاعر:

يُعالج نفساً بينَ جَنْبيهِ كَزةً إذا همَّ بالمعروفِ قالت له: مهلا!

آخر:

كأنما يُعْطيك مِنْ بَصَره

---

(١) ديوانه ٢/ ٤٣٣.

(٢) ديوانه ٤/ ٣٦٧.

سعيد بن عبد الرحمٰن:

أبى لك فعلَ الخيرِ رأيٌ مُقَصِّرٌ ... ونَفْسٌ أضاق اللّه بالخير باعَها

إذا هي حَثَّتْه على الخيرِ مرةً ... عصاها، وإن همَّتْ بِشَرٍّ أطاعَها

المتلقي سائله بلفظ المنع:

قيل: فلان مشْجب من أي النواحي أتيته وجدت لا. وقال عمرو بن عبيد لرجل قد أكثر من «لا»: أيها الرجل أقِل من «لا» فليس في الجنة «لا». قال أعرابي: وجدت فلاناً أخرس بنعم فصيحاً بلا.

بخيل متكبّر:

قال النبي ﷺ: «خصْلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق». قال خلف الأحمر:

إنـاسٌ تـائِـهـون لـهـم رواءٌ ... تغيم سماؤهم من غيرِ وبْلِ

وقيل: رب صلف تحته راعدة.

وقال:

أتـجـمـعُ بُـخْـلاً فـاحـشـاً وتَـكَـبُّـراً ... ومـا جرَّ ذماً كـالـتَّـكَـبُّـرِ والـبـخـلِ

فلـو كـان عفـى البـخلَ منك تَواضعٌ ... أو الكبرَ جودٌ كنت مِن ذاك في وَغْلِ

وقد تقدم بعض ذلك في الكبر.

من عادته البخل:

قيل لثمامة: أي الناس أبخل؟ فقال: لم أر الديكة في بلد إلاَّ وتأخذ بمناقيرها ما تلتقطه فتلقيه قدام الدجاج، إلاَّ ديكة مرو، فإنها تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبوب، فعلمت أن البخل في طباعهم. وقال بعضهم: مَن لم يأت الخير صغيراً، لم يأته كبيراً. أما سمعت قول الشاعر:

إذا المرءُ أعْيَتْهُ المُروءَةُ ناشِئاً ... فمطلبُها كَهْلاً عَلَيْهِ شَدِيدُ[1]

ابن العميد:

البُخْلُ مُسْتَحْسَنٌ في شيمَة الخوز

ذم من لا يعطي إلاَّ على الخسف:

قال أبو نعامة: جُلُّ الناس لا ترشح أناملهم إلاَّ بعسْف وعنْف. هذا محمد

(١) البيت للمخبّل السعديّ في ملحق ديوانه ص ٣٢٤.

ابن علي بن عصمة صرت إليه أطواراً أقتضيه، فكان يعد ويماطل، فأتيته يوماً فقلت: أتسمع بيتاً حضر؟ قال: هات، فقلت:

محمد بن علي   بن عصمة بن عصام

فقال: هذه نسبتنا. فقلت:

جليل فضلٍ كريم   من أهل بيتٍ كِرام

فقال: أحسنت! فقلت: أتسمع بيتاً أم تنجز الوعد؟ فقال: غداً، فقلت: فاسمع:

لكنه مُستهامٌ   بأخذ أيرِ الغلامِ!

فقال: آه آه! ويلك يا غلام، أعطه، وأرحنا منه.

بعضهم:

العبد لا يَطْلبُ العلاء ولا   يُعطيك شيئاً إلاَّ إذا رَهبا

مثل الحمارِ الموقع الظهرِ لا   يحسنُ مَشْياً إلاَّ إذا ضُرِبا

آخر:

رأيتك مثل الجوزِ يمنعُ خيره   صَحيحاً ويُعطي نفعَه حين يكسرُ

شاعر:

صاحبٌ لي ليس فيه   خَصْلةٌ أشكرها له

سَمجاً شخصاً ومخبو   راً وتَفْصيلاً وجملَهْ

ومُريداً مَن جفاه   ومهيناً مَن أذلَّه!

بخيل أعطى عطية لطمع:

قيل لأعرابي: أعطاك فلان؟ فقال: نعم، أعطاني طلب الثواب، وصانع المعروف لعاجل الجزاء كملقي الحب للطير ليصيده به لا لينفعه، ومن هنا أخذ المتنبي تعريضاً بكافور:

ومَنْ قد ظنَّ نَشْرَ الحبِّ جُوداً   ويَنْصِبُ تَحْتَ ما نَثَرَ الشِّبَاكا[1]

المصطنع للأنذال دون الأفاضل:

ابن الرومي:

تنبهَ للأنذال يرفعُ أمرهم   وأصْبَحَ عن أهل المروءَةِ ساهيا[2]

---

(١) ديوانه ٣/ ١٢٥.

(٢) ديوانه ٦/ ٣٧٦.

آخر:

صنائعهُ لدى الأنذا ... لِ تُنبي أنه سفلّه

آخر:

وابنُ اللئيمةِ للئامِ وهوبُ

بخيل متشبه بالأسخياء:

كان لبعض الموسرين أخ لا يواسيه، فقيل له: لو واسيت أخاك، كان أشبه بك من هذا البخل الذي استشعرته، فقال: والله ما أنا ببخيل، لو ملكت ألف ألف، لوهبت له الساعة خمسمائة درهم، ثم التفت إلى القوم فقال: يا قوم، رجل يهب لأخيه في مجلس واحد خمسمائة درهم، يقال له بخيل؟ قالوا: لا، والله أنت أجود من يمشي على قدم!.

جحظة:

ومُمَخْرقٍ يصف السما ... ح ونفسُه نفسٌ بخيلَهْ[1]

وقيل للماجشون: كيف رأيت أهل العراق؟ فقال:

ما شئتَ مِن رَجلٍ بخيلٍ ... يأوي إلى عِرْضٍ دخيلِ

يأتي الجميلَ بقولِه ... وفِعالُه غيرُ الجميلِ

المتعجب من بخيل سمح وقتاً بطفيف:

تَعَجَّبْتُ لما ابتدا بالجميل ... وما كانَ يَعْرِفُ فعلَ الجميلْ

فأطلع لي كوكباً كالسُّهى ... قليلَ الضِّياءِ سريعَ الأفولْ

وما كان إعطاؤُهُ سُؤدُداً ... ولكنها غَلْطةٌ من بخيل

قال الخليل بن أحمد في سليمان وقد ذكر له إنسان أنه جاءه، فأعطاه شيئاً:

وخصلةٍ يكثرُ الشيطانُ إن ذُكرت ... منها التعجبَ جاءت مِن سليمانا

لا تعجبن لخيرٍ جاءَ من يدهِ ... فكوكبُ النحس يَسْقي الأرضَ أحيانا

أبو تمام:

[وهيَ كالظَّبْيَةِ النَّوَارِ ولكنْ] ... رُبَّما أَمْكَنَتْ جَنَاها السَّحُوقِ[2]

الموسوي:

ومبخل أعطى القليلَ وربما ... سَمَحت حروفُ التاء للتمامِ

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) ديوانه ١/ ٤٥٣.

من أعطى للتهور:

شاعر:

لا تمدحَنْ حسناً في الجودِ إن مطرَت ... كفاهُ يوماً ولا تذممه إنْ رَزَما

فليسَ يبخلُ إبقاءً على نشبٍ ... ولن يجود بفضل المالِ معتزما

لكنها خَطَراتٌ مِنْ وَساوسه ... يُعطي ويمنعُ لا بُخْلاً ولا كرما

رد عطية خسيسة:

قصد أعرابي أبا الغمر فسأله، فأعطاه درهمين، فردهما إليه، ثم قال:

رَدَدْتُ لبحرٍ درهميه ولم يكُنْ ... ليَدْفَع عني فاقتي دِرْهمَا عمرو

فقلت لبحر: خُذْهما واصطرفهما ... وأنفِقْهما في غير حَمْدٍ ولا أجر!

أتمنع سؤَّالَ العشيرةَ بعدما ... تسميتَ بحراً، واكتنيت أبا الغَمرُ

وكان ربيعة الرقي مدح العباس بن محمد بقوله:

لو قيلَ للعباس: يا ابن محمد ... قلْ لا، وأنت مخلَّدٌ، ما قالها[1]

فأعطاه بعد مَطْل كثير دينارين، فوهب ربيعة ذلك لصاحب دواته، وقال: خذ هذه الرقعة وأوصلها، وكتب فيها:

مَدَحتُكَ مِدْحةَ السَّيْف المحلَّى ... لِتَجْري في الكلامِ كما جَرَيتُ

فَهَبْها مدحةً ذهبَتْ ضياعاً ... كذبتُ عليك فيها وافتريتُ

وصف غني لا يعطي ولا ينفق:

قيل: فلان سمين المال مهزول النوال. وقيل: بطر الدعة بخيل السعة. وقيل لجعفر بن محمد: إن منصوراً لا يلبس منذ صارت الخلافة إليه إلاَّ الخشن، ولا يأكل إلاَّ الخشن. فقال: ويحه مع ما يكون له من السلطان وجبي له من الأموال؟ قالوا: إنما يفعل ذلك بخلاً. فرفع يده إلى السماء فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك من أجله دينه. وقيل: إنه كان أعد اثني عشر ألف عدل من الثياب، فأخرج يوماً ثوب خز وقال: يا ربيع، اقطع منه جبة لي وقلنسوة، وبخل أن يأتي بثوب آخر. فلما أفضت الخلافة إلى المهدي أنهبها الغلمان.

البسامي:

لقد أُوتيتَ مِنْ مَلِكٍ عظيمٍ ... فما آتيتَ إنساناً فقيرا[2]

(١) ديوانه ص ١١٣.

(٢) ديوانه ص ٨٥.

آخر:

ولو يكون على الخزان يملكهُ لم يسق ذا غلةٍ من مائه الجاري

آخر:

ألا ليتَ شِعري آل خاقانَ هل لكم إذا ما سَلَبتم نعمةَ الله ذاكرُ؟

فأمّا وأنتم لابسونَ ثيابَها فما لكُمْ، والحمد لله، شاكِرُ!

المزداد بالثراء بخلاً:

أحسن ابن الرومي في قوله:

إذا غَمَرَ المالُ البخيل وَجدْتَه يَزيدُ به يُبساً، وإن ظُنَّ يَرْطُبُ

وليسَ عجيباً ذاك منه فإنهُ إذا غمر الماءُ الحجارةَ تَصلبُ[1]

وكان ذلك مما روي في الخبر أن الله إذا سأله عبد شيئاً يقول: خذه وضعفيه حرصاً.

ابن الحجاج:

أُناسٌ كلما ازدادُوا علاءً تناهوا في نُفوسِهم استِفالا

فلان لا تندى أنامله، ولا ترجى فواضله، ألين من كفيه الحجر، هو نزر العرف جامد الكف:

كأنما خلقَتْ كفاهُ مِنْ حَجَرٍ فليس بين يديهِ والنَّدى عملُ

آخر:

وهَلْ للصفا العادي ماء إذا عُصِر

هو نكد الحظيرة، أي: مانع لما في يديه.

شاعر:

لو عبرَ البحرَ بأمواجِه في ليلةٍ مُظْلِمةٍ باردَه

وكَفُّه مملوءَةٌ خردلاً ما سَقَطَت مِن كفِّه واحدَة

البحتري:

جدَةٌ يَذُودُ البُخلُ عن أطْرَافِها كالبَحْرِ يَدْفَعُ مِلْحُهُ عن مائه[2]

الفرزدق:

---

(١) ديوانه ١/ ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) ديوانه ص ٢٩.

فتى مالَه كالبحرِ يمنعُ صادَياً ... من الري منه وكدره أجاجه[١]

الزبرقان:

طوى كل معروفٍ وأحْضَرَ دونَهُ ... عَقارِبَ أخشى لَسْعَها وأفاعِيا[٢]

الراجع في هبته والقاطع لصلته:

قال النبي ﷺ: «الراجع في هبته كالعائد في قيئه». وهذا مما يستدل به على تحريم الرجوع في الهبة بأنه حرام، كما أن أكل المتقيأ حرام.

ابن الرومي:

لا تكنْ كالدهرِ في أفعاله ... كُلَّما أعطى عطاياه رجَعْ[٣]

البحتري:

أعطى القليلَ وذاك مبلغُ قدرِه ... ثم استردَّ وذاك مبلغُ رأيهِ[٤]

وأجرى بعض الكبار على أعرابي شيئاً، ثم قطعه عنه، فقال فيه:

إن الذي شَقَّ فمي ضامِنٌ ... لي الرزقَ حتى يتوفاني

حرمتَني نفعاً قليلاً فما ... زادك في نَفْعِك حرماني

ابن هرمة:

كَمُمْكِنَةٍ مِنْ دُرِّها كَفَّ حالبٍ ... ودَافِقَةٍ من بَعْدِ ذَلِكَ ما حَلَبْ[٥]

السالب مستعطيه:

قيل في المثل: طلب القرن فجذعت أنفه[٦].

بشار:

فَصِرْتُ كالهبتي غَدا يبتغي ... قَرْناً فلم يَرْجِعْ بأُذُنَينِ[٧]

وقيل:

[أَبْلِغْ نَصِيحَةَ أنَّ راعي إبْلِها] ... سَقَطَ العَشاءُ بهِ عَلَى سِرْحان[٨]

آخر:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه، وعجزُه مُخْتَلّ.
(٢) ديوانه ص ٥٥.
(٣) ديوانه ٤/ ١٢٥.
(٤) لم أقع عليه في ديوانه.
(٥) ديوانه ص ٦٤.
(٦) لم أقع عليه فيما عدتُ إليه من كتب الأمثال.
(٧) ديوانه ٤/ ٢٠١.
(٨) البيت لسرحان بن هزلة في المستقصى ٢/ ١١٩.

[يا طَيِّئَ السَّهْلِ والأَجْيالِ مُوعِدُكُمْ] كمبتغي الصيد في عريسَة الأَسدِ[1]

الصائن ماله بعرضه والممنوع من سؤاله:

قيل: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. من صان نفسه أهان فلسه. وقيل: كان جحا إذا جلس كشف استه، ورفع عنه ثوبه، فقيل له في ذلك فقال: جلدة الاست أبقى من الثوب. وهذا نحو المثل: ابق نعليك وابذل قدميك[2].

أبو تمام:

أَضْحُو بمُسْتَنٍّ سَيلِ الذَّمّ فارتَفَعَتْ أموَالُهم في هِضَابِ المطَلِ والعِلَلِ[3]

ابن الرومي:

لا تطالبْه بالثوابِ فما رِز ءُ ثوابٍ مِن مثلهِ بحلالِ[4]

المقتر على نفسه والتارك لشهوته:

قال الشاعر:

ولو يَسْتطِيعُ لتقتيرهِ تنفَّسَ مِن منخرٍ واحدِ[5]

آخر:

يحبّ المديحَ أبو خالِدٍ ويفزعُ من صلةِ المادح

كبِكْرٍ تَوَدُّ لذيذَ النِّكاحِ وتخْشَعُ من صولةِ الناكحِ[6]

الضنين بمال غيره والسمح به:

قيل: فلان يمنع دَرّهَ ودَرّ غيره. الحر يعطي والنذل يألم قلبه. وقيل: البخيل يمنع ماله ويغضب على الجواد إذا رأى ابتذاله.

أبو تمام:

وإنّ امرأً ضَنَّت يداهُ على امرئٍ بنَيْلِ يدٍ مِنْ غيرِه لبخيلُ[7]

آخر:

سبطُ البنانِ بما في رحلِ صاحبِهِ جعدُ البنانِ بما في رحلِه قطَطُ

---

(1) البيت للطرماح في ديوانه ص ١٥٨؛ وهو لعديّ بن الرقاع في ديوانه ص ٧٢، ورواية الصدر فيه:

* فأنتَ والشعرُ ذو تُزجي قوافيه *

(2) لم أقع عليه فيما عدتُ إليه من كتب الأمثال.

(3) ديوانه ٢/ ٤٣.

(4) ديوانه ٤/ ٢٤٦.

(5) البيت لابن الرومي في ديوانه ٢/ ١٦٠.

(6) البيتان لبشار بن برد في ديوانه ٣/ ٣٢.

(7) ديوانه ٢/ ٤٠٢.

الموصوف بالسكوت عند السؤال:

قال بعضهم: فلان مرتزّ نَكِد كَزّ.

بعضهم:

كـأنـهـم عـنـد الـسـؤالِ جـلامـدُ

آخر:

إنَّ اللئيمَ إذا سألتَ بهرتَه عِند السُّؤالِ وقلَّ منه المنطقُ

وأتى بعض الشعراء رجلاً فسأله، فما زاده على التنحنح والتحوقل، فقال:

فلا حولَ إلاَّ بالإلٰه وقوّةً إذا قلتَها دلَّت على طرقِ البخلِ

وإني لأرجو أن أفوز بأجرِها كما قلتَها بعدَ التنَحْنُحِ من أجلي

الحزين الهارب مخافة أن يسأل:

بعضهم:

مـخـافـةَ أن يُـرجـى نَـداه حـزيـنُ

جحظة:

إذا ذَكَرَ الناسُ التطوّل أرعدَتْ فرائصه خوفاً لذكرِ التطوّلِ[1]

بشار:

إذا سلم المسكينُ طار فؤادُه مخافةَ سؤلٍ واعتراهُ جنونُ[2]

قيل: فلان يبغض نعمة الله عليه مخافة أن يستماح.

المتلقي عافيَهُ بقطوب وجهه:

ذَمَّ أعرابي رجلاً فقال: رآني فخالني في نداه راغباً ولجدواه طالباً، فقرب من حاجب حاجباً.

كـأنـمـا وجـهُـه بـالـخـلِّ مَـنْـضـوحُ

وقيل لامرأة: كيف وجدت فلاناً لما اعتفيته؟ فقالت:

تـلـقَّـانـي بـوَجْـهٍ مُـكْـفَـهِـرٍّ كـأن عـلـيـهِ أرزاقَ الـعـبـادِ

آخر:

وعـنـون لـي إطـراقـه عـن قـطـوبـهِ

آخر:

(١) ديوانه ص ١٥٣. (٢) ديوانه ٤/ ٢١٢.

طـعـمُ الـنـدى عِـنْـدهـمُ حـامِـضُ

شاعر:

كالحُ الوجهِ كأنْ مَصَّ حماضاً وسـمـا تـعـبـيـسَـه ذوقُ حـمـاضِ

أصل ذلك من قول الأعشى:

يـزيـدُ بـغَـضّ الـطـرفِ دونـي كـأنـمـا زوى بين عينيهِ عليَّ المحاجِمُ(١)

المتلقي عافيه ببشاشة من غير جدوى:

قيل لرجل: ما رأيت من فلان؟ فقال: برقاً بلا مطر، وورقاً بلا ثمر، وجه كريم وفعل لئيم! وقال أبو العيناء لعبيد الله بن سليمان: أيد الله الوزير! لي منك قربُ الولي وحرمان العدو.

ابن الرومي في معاتبة بعض الرؤساء:

لولا الثمارُ التي تُرجى منافعُها ما فضلَ الناس تُفاحاً على غربِ(٢)

ولجحظة:

[قولُهُ: إنْ شدوتُ: أَحْسَنْتَ زدني] وبـأحـسـنـتَ لا يُـبـاعُ الـدَّقِـيـقُ(٣)

أبو العتاهية:

إنَّ الـســلامَ وإن الـردَّ مِـنْ رَجُـلٍ في مثل ما أنتَ فيه ليس يكفيني(٤)

المعتذر إلى سائله ببشاشة من غير جدوى:

سأل أبو العيناء رجلاً شيئاً، فاعتذر إليه، وحلف أنه صادق في اعتذاره، فقال: من كان الصدق حرمان صديقه، ماذا يكون كذبه؟ وسأل رجل آخر فاعتذر بأحسن اعتذار، فقال: يعبر عن اللئيم لسانه وعن الكريم فعاله. واعتذر آخر، فقال السائل: إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً، وإن كنت معتذراً فجعلك الله معذوراً، وهذا مأخوذ من قول الآخر: لا جعل الله حظ السائل منك عذرة صادقة.

الجريمي:

لا يَنْهَضُونَ إلى مَجْدٍ ولا كَرَمٍ ولا يـجـودونَ إلاَّ بـالـمـعـاذيـرِ

الملحِف إذا سأل الحارم إذا سئل:

قال أعرابي: فلان إذا سأل أَلْحَفَ، وإذا سُئل سَوَّف، وإذا حدَّث حَلَف، وإذا وعد أَخْلف، ينظر نظرة الحقود، ويعتذر اعتذار الحسود. وقيل: إذا سئل

(١) ديوانه ص ١٢٩.
(٢) ديوانه ١/ ١٩٨.
(٣) ديوانه ص ١٣٢.
(٤) ديوانه ص ٣٧٧.

أَقْنط، وإذا سأل أَفْرط. آخر: لم أر أحْصَر يداً منه بالنوال، ولا أطول لساناً منه بالسؤال، إن سئل فجحد، وإن سأل فحرب، إن سئل أرز، وإن سأل انتَهَز، هو بالإنجاح إذا سأل واثق، وبالرد إذا سئل حاذق.

شاعر:

وأَخٍ إنْ جاءني في حاجة ... كان بالإنجاحِ مني واثقا
وإذاً ما جئتُه في مثله ... كان بالردّ بصيراً حاذقا
يُعْمِلُ الفكرةَ في ردي بها ... قبل أن أفرغِ منها ناطقا

وممن تلطف لرد سائل: كان لسعيد بن خالد قَصر بأزاء قصر عبد الملك، فقال له عبد الملك: إن لي إليك حاجة. فقال: مَقْضية. قال: اجعل لي قصرك. قال: هو لك. فقال عبد الملك: فلك خمس حاجات مقضية. فقال سعيد: أولها أن ترد عليّ قصري! قال: فعلت، فما بعد ذلك؟ قال: أنت في حلٍّ من الأربع. وقال رجل لآخر: إن لي إليك حاجة. قال: بشرط أن تقضي قبلها لي حاجة. فقال: لك ذلك! قال: حاجتي أن لا تسألني حاجة. قال: قد فعلت.

من رد سائله بشتم أو سفاهة:

سأل أعرابي شيخاً من بني أُمية وحوله مشايخ، فقال: أصابتنا سنة ولي بضعة عشر بنتاً، فقال الشيخ: وددت أن الله ضرب بينكم وبين السماء صفائح حديد، فلا تقطر عليك قطرة وأضعف بناتك أضعافاً، وجعلك بينهن مقطوع اليد والرِجل ما لهن كاسب سواك، ثم صفر بكلب له فشد عليه وقطع ثيابه، فقال السائل: ما أدري ما أقول لك! إنك لقبيح المنظر سخيف المخبر، فأعضك الله ببظور أُمهات مَن حولك.

ودخل رجل إلى محمد بن عبد الملك فقال: لي بك سببان: الجوار وسوء الحال، وذلك داعٍ إلى الرحمة. فقال: أما الجوار فبين الحيطان، والرحمة من أخلاق الصبيان، أُخرج عني! فما مضى عليه أسبوع حتى نكب.

ذم من ينسب بخل نفسه إلى القدر:

خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحِجر: الآية ٢١]، فلم نلام نحن؟ فقام إليه الأحنف فقال: إنا والله، ما نلومك على ما في خزائن الله تعالى، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه، فأغلقت بابك دونه، فسكت معاوية. وقال بعض الشعراء:

إذا أعطاك قصَّرَ حين يُعطي — وإنْ لم يعطِ قال: أَبى القَضاءُ!
يُبَخّل ربّه سَفَهاً وَجَهلاً — ويَعْذُرُ نفسَه فيما يشاءُ

المحسن للبخل المحتج له:

قيل لخالد بن صفوان: ما لك لا تنفق، ومالك عريض؟ قال: الدهر أعرض منه. قيل له: كأنك تؤمل أن تعيش أبداً. قال: لا، ولا أخاف أن أموت في أوله. قال الجاحظ: قلت لبعض الأغنياء البخلاء: أرضيت أن يقال لك أنك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله هذا الاسم، لأنه لا يقال بخيل إلاّ لذي مال، وادعني بما شئت من الأسماء. من وهب ماله في عمله فهو أحمق، ومن وهبه في عزله فهو مجنون.

وقيل لأبي الأسود: أنت ظرف علم ووعاء حلم، غير أنك بخيل! فقال: وما خير ظرف لا يمسك ما فيه؟ وقيل: من لم يمنع لم يكن له ما يعطي. قال: ولَلْبُخلُ خيرٌ من سؤال بخيلٍ. وقيل: الشحيح أعذر من الظالم. وقال المنصور: الناس يزعمون أني بخيل، وما أنا ببخيل، ولكني رأيت الناس عبيد المال، فحظرت ذلك عليهم، ليكونوا عبيدي. وعمل سهل بن هارون كتاباً في مدح البخل، وأهداه إلى الحسن بن سهل، وطلب منه ثواباً، فوقع على ظهره: قد جعلنا ثوابك ما حَسَّنته وأمرت به.

الموسوي في عذر فاضل بخيل:

لا غروَ إنْ كُنْتَ حرّاً لا تفيض ندى — فالبحرُ غَمْرٌ ولكن ليسَ بالجاري

ذم ممتن بالإعطاء:

قيل: المِنّة تهدم الصنيعة[1]. وقيل لأعرابي: فلان يزعم أنه كساك. فقال: المعروف إذا منَّ به كدر، ومن ضاق قلبه اتسع لسانه. وقيل لآخر في المعروف إذا أحصى. قال:

إن الذينَ يسوغَ في أعناقهم — طعمٌ يمنّ عليهم لَلِئامُ

آخر:

أَفسدتَ بالمنّ ما قدَّمتَ مِنْ حَسَنٍ — ليس الجوادُ إذا أسدى بمنَّانِ

وقيل لرجل: هل لك في ندى فلان؟ فقال: لا خير في تمرة مقترنة بزُنْبور:

ومن ذا الذي يَلْتَذُّ شَهْداً بِعَلْقم — أَبتْ لهواتي ذاك والشفتان

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ١/ ٣٥٠؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢٨٧.

وقيل: شوى أخوك حتى إذا أنضج رَمَّد[1]. وقول الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: الآيات ٨- ٩]. قال: فتقديره يقولون إنما نطعمكم، قال مجاهد: لم يكن ذلك منهم مقالاً، وإنما أخبر عما كان لهم اعتقاداً.

دعا المنصور طبيباً للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، فقال: إن هذه في عينها شوكة سنبل، فانتزع من عينها، فإذا هو شيء طار من السنبل ولصق بعينها، وتراكبت الأكحال التي تعالج بها، فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم، فأوصاه، فقال: احفظها فإنها مال له خطر. فقال: نعم، وفارقه، فاسترده وقال: إياك أن تنفق منها شيئاً حتى تتفق ضيعة تشتريها بها. فقال: نعم. وفارقه ثم استرده، فأوصاه فقال: إن رأيت يا أمير المؤمنين فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم القيامة على الصراط بختمك. فضحك وخلاه.

النهي عن الامتنان:

قال النبي ﷺ: «إياكم والامتنان بالمعروف، فإنّ ذلك يُبطل الشكر ويمحق الأجر»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٤]. وقيل: تمام البذل ترك المن. وقال بعضهم: لا تمنن بالمعروف، فالمعروف إذا ذكر كدر، وإذا أُنسِيَ أمر. تعداد المنة من ضعف المنة. وقيل: المنة تهدم الصنيعة وتسترد النعمة، فَنَزِّه مِنَّتك عن الامتنان. وسأل رجل آخر حاجة، فجعل يؤنبه، فقال: أترى أن تقيم ترك التأنيب مقام قضاء الحاجة؟.

أنواع منه:

المتنبي:

وما كلٌّ بمعْذورٍ ببخْلٍ ... ولا كلٌّ على بُخلٍ يُلامُ

نُصيب الصغير:

متى يَجْتَمع يوماً حَريصٌ ومانِعٌ ... فليس إلى حمدٍ هناك سبيلُ

آخر:

ولو عليك اتكالي في الطعام إذاً ... لكُنْتُ أولَ مَدْفونٍ من الجوعِ!

أحقر الناس البخيل لكي يستغنوا عن ماله. وسأل ابن عباس إنساناً حاجة،

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ٢/ ١٣٦؛ ومجمع الأمثال ١/ ٣٦٠. والترميد: الإلقاء في الرَّماد. يُضرب لمن يبتدىء بالإحسان، ثمّ يختتم بالإساءة.

فرده، فقال: أبوك لم يرد حاجة أحد جواداً، كان قد أتاه قوم يستعيرون كلباً لينزوه على كلبتهم، فقال: لا ينزو عليها غيري إيجاباً لكم! وقيل: أتاك ريان بلبنه[١]، إذا أعطى ما يفضل منه.

أبو علي المحمودي:

أَعَزُّ عليَّ من أبويَّ عندي ... ومِنْ نَفْسِي أَعَزُّ عليَّ فِلْسي

فلولا الفِلْسُ هنتُ على صديقي ... ولم تكرمْ على الأطماع نفسي

وله:

ومتُّ على الدرهم المنقوشِ موتَ فتى ... يرى المماتَ عليهِ أكْرَمَ الكرَمِ

لولا غناكَ لكُنْتَ الكلبَ عندهمُ ... فإنْ أبيتَ فجَرِّبْ واْشقَ بالندمِ

آخر:

لا لومَ في القَصْد على ذي حبا ... يكرم ما يكرم مِن أجلِه

آخر:

لا أَحْسبنَّك بعد الموتِ تنفعْني ... وفي حياتيَ ما زَوَّدْتني زادي[٢]

ومن أمثالهم:

لأيِّ يومٍ يَخْبأ المرْءُ السَّعه[٣]

آخر:

إذا فاتَ في الدنيا الذي بك أرتجي ... فَنَفْعُك عني في المعادِ قليلُ

محمد بن يزيد كتبه إلى مَن استعان به في أمر، فلم يجد عليه:

أترضى لي بأنْ أرضى ... بتَقْصيرك في أمري؟

لَعَلَّ اللّهَ أن يُصَنَعَ لي ... من حيثُ لا تدري

فألقاكَ بلا شُكْرٍ ... وتلقاني بلا أَجْرِ

* * *

---

(١) ورد هذا القول برواية: «أتاك ريّان بِعَقْب من لبنٍ (أو بلبنه)» في جمهرة الأمثال ١/ ٧٢؛ والمستقصى ١/ ٣٧؛ ومجمع الأمثال ١/ ٤٢.

(٢) البيت بلا نسبة في مجمع الأمثال ٢/ ٢٤٨.

(٣) لم أقع عليه فيما عدت إليه من كتب الأمثال.

الحد العاشر
في الأَطعمة

فمما جاء في أوصاف الأطعمة

الخبز:

قيل: الخبز يسمى جابر أو عاصم بن حبة. كما قيل: التمر بنت نخيلة. وقال أعرابي عُيِّرَ بعمل تعاطاه:

فلا تلوماني ولوما جابرا　　　فجابِرُ كَلَّفني الهواجِرا

وقيل لأعرابي: الخبز أحبُّ إليك أم التمر؟ فقال: التمر طيب وما عن الخبز صبر. وقيل لبعضهم: ما طعم الخبز؟ قال: طعم إدامة. وقال النبي ﷺ: «أكرموا الخبز، فإن الله تعالى سَخَّرَ له ما في السماوات والأرض».

السويق:

عاب عائب السويق عند الطفاوية، وكانت امرأة أدركت أصحاب النبي ﷺ فقالت: لا تفعل فإن السويق طعام المسافر والعجلان والحزين والسمنة والنفساء والمريض. وقيل: هو يرفو الضعيف ويشد فؤاد السقيم وفقاره، ويجلو البلغم ومسمونه يصفي الدم، إن شئت كان ثريداً، وإن شئت كان خبيصاً.

حمد اللحم وذمه:

قيل: أطيب اللحم عوده، أي: ما عاد منه بالعظم. وقيل: اللحم أقلُّ الطعام نجواً. وقيل: مَن لم يأكل اللحم أربعين يوماً نقص عقله. وقيل: مَن تركه أربعين يوماً ساء خلقه. وقال بعض الأطباء: عجباً لمن أكْلُه الخبز واللحم، وشرْبُه ماء الكرم، ثم اقتصد في تناولها كيف يموت؟ واستقبل عمر رجلاً ثلاثة أيام على الولاء، وقد اشترى لحماً، فعلاه بالدرة، وقال: إن الله تعالى يبغض قوماً لحميين، عاقب بين اللحم وغيره. وقيل: إياكم وهذه المجازر فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. وقال المسيح: ألحم تأكل لحماً؟ أُفٍّ لهذا عملاً! وسئل بعض الرهبان عن تركه أكل اللحم، فقال: إنّا رأينا الغوائل تتولد من أكل اللحم، ألا

ترى أن أكلة اللحم من السباع هي أشد ضرراً من أكلة الحشيش؟.

السكباج والزيرباج[1]:

يقال للسكباج الخلية والمخللة والشمقمقة، والصفصاف لغة ثقيف، وسموه أم القرى. ولم يكن يطلق السكباج أن يطبخ في أيام الفرس إلاَّ بخاتم من الملك. وسئل بعضهم عنه فقال: إنه يشفي العرم ويفتق الشهوة، ويقدم في الثرائد، وتزين به الموائد، تجيدها الخاصة، ولا تغلط فيها العامة. قال الحجاج لطباخه: اتّخذ لنا صفصافة، وأكثرْ فيجنها. فلم يدر الطباخ ما عناه، فسأل ابن القرية فقال: اتخذ سكباجة وأكثر سدابها. وقال المنصور يوماً لحظية له: إلى كم نأكل السكباج؟ يعرض بها. فقالت: يا أمير المؤمنين هو مخ الأطعمة، لا يمل حارها، ولا يكره باردها. فاستحيا منها.

عبد الملك بن محمد بن إسماعيل:

وسِكْباجةٍ تشفي السقامَ بطيبها ... على أنها جاءتْ بلَونٍ سقيمِ
إذا زارها أيدي الرجالِ تزاحَمَتْ ... كأيدي نِساءٍ في ظلال نعيمِ

بعضهم:

فَتَنَتْنا بريحها السّكْباجه ... فتركنا من أجلها ألفَ حاجه

وأكل أعرابي القريش فقيل له: ما أكلت؟ فقال: الفالوذج، إلاَّ أنكم هضمتموه بعده.

بعضهم:

قَدَّمَ طاهيكَ زيرباجه ... وهي على الدهر خيرُ باجه
صبيغةُ الزعفرانِ تحوي ... أطايبَ الفرخِ والدجاجَه

وقدم إلى طفيلي سكباجة بلا زعفران، فقال: ما لها خرجت متفضلة بلا لباس.

الثريد[2]:

قيل لأعرابي: أي الطعام أطيب؟ فقال: ثريدة دكناء من الفلفل رقطاء من الحمص، ذات حفافين من الصبغ، لها جناحان من العراق، أضرب فيها ضرب الولي السوء في مال اليتيم!

---

(١) السِّكباج: مَرَق يُتَّخَذ من اللحم والخَل. ولم أقع على ما هو الزيرباج.
(٢) الثَّريد: طعام من خُبْز مُفَتَّت مبلول بالمرَق.

حسان:

ثريدٌ كأنَّ السمنَ في جنباتِه نجومُ الثريّا أو عيونُ الضَّياونِ[١]

قال الأصمعي: قلت لأعرابي: هل لك في ثريدة؟ قال: نعم.

ثريدةٌ محمومه في صَحْفة مكمومَه

قد ألحفتْ رقاقا وكلّلتْ عراقا

المرق:

قيل: المرق أحد اللحمين[٢]. وقال النبي ﷺ: «إذا طبخ أحدكم اللحم فليستكثر من المرق، فمن عدم اللحم أكل المرق فهو أحد اللحمين». قال: وأكثرِ الشرب إن لم يكثر اللبن.

وأهدى صالح بن عميرة إلى سعيد بن سلم جوذابة[٣]، فكتب إليه:

بَعَثْتَ إليّ بجُوذابة فأين التي جاءَ جوذابها؟

فقال لابن أخيه: أجبه، فكتب إليه:

بَعَثْنا إليك بجُوذابة وحاز الإوزّة أصحابُها

الشواء:

ابن الرومي:

وسميطةٍ صفراءَ ديناريةٍ ثمناً ولوناً زَفَّها لك حِزْوَرُ

ظلْنا نقشِّر جلدها عن لحمها فكأن تِبْراً عن لجينٍ يقْشرُ[٤]

ويقاربه في صفته:

شديد اصفرارِ الكُشْيتين كأنما يُطلى بوَرْسٍ بَطْنهُ وشواكِله[٥]

ابن طباطبا:

إن أنسَ قبل الحشْرِ مائدةً ظلنا لديكَ بها في أَشْغَل الشغُلِ

إذا أقبلَ الجديُ مكشوفاً ترائبه كأنه مُتَمَطٍّ دائِمَ الكَسَلِ

---

(١) ديوانه ص ٣٩٦.

(٢) الدرّة الفاخرة ٢/ ٥١٣.

(٣) الجوذاب: طعام يُصْنَع بسُكّر وأرزّ ولحم.

(٤) ديوانه ٣/ ٥٦. والسميطة: الدجاجة المنتوفة المشويّة. الحَزْور: الغلام إذا اشتَدَّ وقويّ. والتِّبْر: الذَّهب. واللُّجَيْن: الفِضّة.

(٥) الكُشْية: شحمة البطْن. الورس: نبات كالسِّمْسِم يُصْبَغ به. الشَّواكِل: جمع شاكلة، وهي الخاصرة.

قد مَدَّ كلتا يديه لي فأذكرني بيتاً تَمَثَّلتُه من أحسن المثلِ
كأنه عاشق قد مدَّ بسطتَه يومَ الفِراق إلى توديعِ مُرْتَحِلِ

وقدم إلى بعضهم جدي خشب لم ينضج، فقال: كأنه شريحة من قصب.

ابن طباطبا يذمه:

قد أتينا به عواري ضلوعٍ هي في الوصفِ والمدارِ سواءُ؟
حارَ فهمي فلَستُ أدري أمِذْراً ةٌ بدت أم شريحةٌ أم شَواءُ؟

وقُدِّم لأبي علي القسري مرةً شواءٌ غير نضيج، فقال: هذا لا تعمل فيه العوامل. وقال بعض القدماء في سفود عليه لحم:

وذي شُعَبٍ شتَّى كسوتُ فروجَه بغاشيةٍ يوماً مُقَطَّعةٍ حمرا

وينشد في غير النضيج عبدة بن الطبيب:

لما نزلْنا رفَعْنا ظِلَّ أَخْبيةٍ وفازَ للحم بالقومِ المراجيلُ
وَرْداً وأشقر لم ينهبه طالبُه ما غير القلي منه فهو مأكولُ[1]

القديد:

حمل إلى أعرابي لحم مُقَدَّد صلب، فقال: ما هذا لحم مُقَدَّد، بل حبل مُمَدَّد.

البيض والعجة:

ابن أبي البغل:

وصُفَّ على الكانون بيضٌ كأنّه فرائدُ دُرٍّ سُلَّ من صدفِ البحرِ
كما اصطفَّ أرجاءَ الندي وصائفٌ على دستبيد قد تملى من الخمرِ

أكل بعضهم بيضاً مع سلطان يأكل الصفرة ويؤثره بالبياض، فقال الرجل: سقى الله العجة ما أعدلها. وكتب منصور الفقيه إلى جار له يستدعي منه بيضاً لابنه:

لأبي الفَضْل إذا همَّ بما يهوَى لجاجَه
فَلَهُ عِنْدك مطلوبٌ ومأمولٌ وحاجه
دُرَّةٌ ليستْ من البحر ولكن مِن دجاجَه

(١) ديوانه ص ٧٣.

البرزماورد:

قيل: البرزماورد نرجس الموائد. وقد أحدثته الفرس في بعض الحروب واستخفوا حمله في المعازل وسموه رزماورداي. هو طعام أفاده الحرب، ثم قيل بزم أورد، وقيل سمي زماورد، وسمي المهيأ والميسر. قال الشاعر:

كلِ الميسرَ من راسين ياسكني لا يستطاعُ ولا سيفان في غمد

البَقْل:

قال أبو نواس: مائدة بلا بقل كَشَيخ بلا عقل، ومجلس بلا ريحان كشجرة بلا أغصان.

الخل:

قال النبي ﷺ: «نِعْم الإدام الخل». وقال: «ما أفْقَرَ بيت فيه خل».

الأرز:

كان الحسن بن سويد يأكل مع المأمون، فقدم الأرز، فقال: الأرز يزيد في العمر. فقال المأمون: كيف؟ فقال: ذكر أطباء الهند أنَّ الأرز يري المنامات الحسنة، ومن رأى مناماً حسناً كان في نهارين، فاستحسن المأمون منه ذلك.

وجرى ذكر البهطة في مجلس إبراهيم التيمي القاضي فقال رجل حضر لإقامة شهادة: ما هو؟ فقيل: الأرز باللبن. فقال: لا أشتهيه. فسكت ثم قال: وما أظن عاقلاً يشتهيه. فقال إبراهيم: أما الأولى فقد احتملناها، وأما الثانية فلا محتمل عليها، فأَخَّر شهادته. وكان بعض شعراء الزمان عند عضد الدولة، فقدم البهطة، فقال: صفها. فعجز عن ذلك، فقال عضد الدولة:

وبَهْطةٍ تَعْجُزُ عن وصفِها يا مُدَّعي الأوصاف بالزورِ
كأنها في الجامِ مَجْلوة لآلىء في ماءِ كافور

آخر:

ولستُ أحبُّ الرز إن قلَّ طبخه فكَيفَ أُحبُّ الرزَّ وهو مُسْخَنُ؟

الطباهجة:

ابن الرومي:

طباهجةٌ كَأَعْرافِ الديوكِ تروقُ العينَ من شرطِ الملُوكِ
هَلُمّ إلى مُساعدتي عليها فلسْتُ لِمِثْل ذلك بالتَّروكِ[1]

---

(١) ديوانه ٥/ ٧٧.

الهريسة:

روي عن النبي ﷺ: «أنَّ نبيّاً من أنبياء الله تعالى شكا ضعفاً في بدنه، ووجعاً في صلبه، فأوحى الله تعالى إليه أن اطبخ اللحم بالبر وكلْ، فإني قد جعلت القوة فيهما».

ابن الرومي:

هلمَّ إلى مَن عُذِّبَتْ طولَ ليلها ... بأضيقِ حبسٍ في وطيسٍ يسعَّرُ
وقد ضُرِبَتْ حدّين وهي بريئةٌ ... فقوموا إلى دفن الشهيدة تؤجروا[١]

وقيل: الهريسة أوطأ فراش هُيِّيءَ لنبيذ.

وللخوارزمي:

هل تَنْشُطون لتنُّورية خُنِقَتْ ... من أولِ الليل حتى قلبُها يجفُ
كأنها وهي فوقَ الجام قد غَرَقَتْ ... في دفنها قمرٌ بالشَّمْسِ مُلْتَحِفُ
أو درهمٌ فوقَه الدينارُ مُنْطَبِقٌ ... أو لوحُ عاجٍ على الزدياب مُكْتَنِفُ

أبو طاهر المأموني:

دُرٌّ نثيرٌ أسلاكه قِطَعٌ ... في ماءِ وَرْدٍ وصَنْدَلٍ نُقعا

الرؤوس:

كان الثوري يعجب بالرؤوس، ويسميها مرة عرساً لما تجمع من الألوان المختلفة الطيبة، ومرة الجامع ومرة الكامل، ويقول: هو شيء واحد ذو ألوان عجيبة وأطعمة مختلفة. وقيل لأعرابي: تحسن أكل الرؤوس؟ فقال: نعم، أبخص عينيه وأقلع أذنيه، وأفك لحييه، وأشج شدقيه، وأرمي بالعظم إلى مَن هو أحوج إليه مني. ودعا بعضهم آخر إلى دعوته، وقال: عندي رغف خوارة ورؤوس فوارة. ودُعي رجل إلى أكل الرؤوس، فلما قام قال: أطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة.

وقال ابن الرومي:

هامٌ وأرغفةٌ وضاءٌ ضَخْمةٌ ... قد أخرجا من فاحِم فوارِ
كوجوه أهلِ الجنةِ ابتسمَتْ لنا ... مقرونةً بوجوهِ أهلِ النارِ[٢]

---

(١) ديوانه ٣/ ٢٢٦: ورواية عجز البيت الأول في المطبوع: «بأضيقِ حبسٍ في تنور تعذب»، وهذا تحريف.

(٢) ديوانه ٣/ ٨٠.

الدماغ والمخ:

قيل: أضَرُّ الأطعمة للبدن الدماغ، فإنه يعلق بالمعدة، ويتغرى ما بين غضونها، فلا يدخلها غذاء ولا دواء إلاَّ زلق عنها، والعرب تكره أكل المخ وتتعير به، وذلك قول الشاعر:

ولا نَنْتَقي المخَّ الذي في الجماجمِ

قال الأصمعي: كان أعرابي في يده عظم وعنده ثلاثة بنين، فقال للأكبر: إنْ أعطيتك هذا العظم ما تصنع به؟ قال: أَتَعَرَّقه حتى لا أدع لِذَرٍّ فيه مقيلاً. قال الأوسط: أَتَعَرَّقه حتى لا يدري أهُو لعامنا أم لعام أوّل. فقال الأصغر: أَتَعَرَّقه ثم أتمششه ثم أدقه فاستفه. فقال: خذه، فأنت صاحبه! وقال في صفة جَدْب: وبات شيخ العيال يصلب: أي يطبخ العظم فيخرج الدسم، ويسمى ذلك الصلب.

المضيرة[(١)]:

قيل: شكا نبي من الأنبياء إلى الله تعالى ضعفه، فأوحى إليه أن اطبخ اللحم باللبن وكله تَقْوَ.

بعض الشعراء:

مضيرةٌ تنتمي في طيب نكهتِها وفي الصفاءِ إلى مسكٍ وكافورِ
كأنما البصلُ الثاوي بصفحتِها فرائدُ فُرِشَتْ في صحن بلورِ

المصلية[(٢)]:

ومَصَليةٍ أما مجالُ وشاحِها فقرعٌ وأما خَصْرُها فثريدُ
كأنَّ هبيرَ اللحمِ في جَنَباتها قطا جُثَّمٌ وَسْطَ الفلاةِ ركودُ

الشيراز[(٣)]:

لا أحمد المر أقْصى ما يبيض به إذا اعتَصَرناه أصناف الشواريزِ
ما متعةُ العين في خدٍ توردهُ يزهي إليك بخالٍ فيه مركوزِ
أشهى إليكَ من الشيراز قد وضحت في صَحْن وَجْنَتهِ خيلان شونيزِ[(٤)]

---

(١) المضيرة: طعام يُطْبَخ باللَّبَن المضير الحامض، ويُتَّخَذ من عجين ولحم وأبزار وما إلى ذلك.
(٢) المصليّة: المشْويَّة.
(٣) الشيراز: لَبَن رائب مستَخْرَج ماؤه.
(٤) الشونيز: الحبَّة السوداء.

الكشك:

بعضهم:

أُمُّ ذا الـكـشـكِ زانـيَـه　　إنْ طَـبَـخْـنـاه ثـانـيَـه

وقيل: مَنْ حمَّ يوماً واحداً، فلا يأكلنّ الكشك سنة. ونزل رجل بأعرابي، فكان كل يوم يقول لامرأته: قومي ائتيني بخبز وما رزق الله. فكانت تأتيه بالخبز والكشك؛ فقال يوماً ذلك فقال لها الضيف: هاتي الخبز ودعي ما رزق الله.

الكامَخ[1]:

دفع إلى أعرابيين رغيفان بينهما كامخ فقال أحدهما: خَرْء ورب الكعبة! فذاقه الآخر واستطابه فقال: نعم، ولكنه خرء الأمير. وقال الآخر: لا يفرق بين الكامخ والخرء إلاَّ بالذوق. وأضيف أعرابي، فأطعم الكوامخ مراراً، فاستفتح الصلاة خلف الإمام، فقرأ الإمام: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المَائدة: الآية ٣]، فقال الأعرابي: والكوامخ فلا تنسها.

النيختي:

أتـتـنـي سُـكـرّجـةٌ[2] لـونُـهـا　　يـرفّ كـبـلُّـورةٍ صـافـيَـه
مُـضَـمَّـنَـة مِـن وضـيءِ الـطـعـام　　لـمـا يـذكـرُ الـعـيشـةَ الـراضيَـه
فـلـم أدرِ هـل ضـمـنَـت كـامـخـاً　　من الطيبِ أم ضُمِّنَتْ غاليَه[3]

آخر ضده:

شيَّبَ رأسي وحنا أعظمي　　طول ائتدامي الخبزَ بالكامخ
فهو إلى نفسي من بغضِه　　يعدلُ سمَّ الأسود السالخِ[4]

اللبن:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ﴾ [محَمَّد: الآية ١٥] ﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ [محَمَّد: الآية ١٥]. وقال: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النّحل: الآية ٦٦]. وقيل: اللبن أحد اللحمين[5]، وسموه شحماً لما كان من الشحم يتولد. وقيل

(١) الكامَخ: ما يُجْعَل مع الخبز فيُطيِّبه.
(٢) السُكُرُجَّة والسُّكْرجة: إناء صغير يُؤكل فيه الشيء.
(٣) الغالية: أخلاط من الطيب.
(٤) الأسود السالخ: الحيَّة السامَّة.
(٥) زهر الأكم ٢/ ٢١٣.

لرجل: الخل أحب إليك أم الرائب؟ فقال: الرائب، فإنه على كل حال بات مع اللحم ليلة. وقيل: ما غص أحد باللبن قط لقوله تعالى: ﴿لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النّحل: الآية ٦٦]. وفي الحديث: أن البقر لحومها داء وألبانها شفاء. وقال ﷺ: «عليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل الشجر». وقيل: ما رغي من اللبن أطيب من المصرح. وقيل: إن الرثيئة مما يَغْثأ الغضب. قال ذو الرمة: كان إذا نزل بنا نزيل قلنا له: الحليب أحب إليك أم المخيض؟ فإن قال المخيض، قلنا: عبد من أنت؟ وإن قال الحليب، قلنا: ابن من أنت؟.

شاعر:

إذا شئت عنّاني على رَحْل فتيةٍ … حَضَجَّرٌ يداوي بالبدور كبيرُ

يعني أنه يمخض له. وقيل لبعضهم: الحليب أحب إليك أم الرائب؟ فقال: هو أكرم وأطيب من أن ينفى له حال.

الجبن:

قال خالد بن صفوان لجاريته: أطعمينا جبناً، فإنه يشهّي الطعام، ويدبغ المعدة، ويهيج الشهوة. فقالت: ما عندنا. فقال: ما عليكِ، فإنه يقدح في الأسنان ويلين البطن، وهو من طعام أهل الذمة. فقال بعض أصحابه: بأي القولين نأخذ؟ فقال: إذا حضر فبالأول، وإذا غاب فبالثاني. وكتب كسرى إلى واليه: ابعث إليّ بشرّ إنسان على شرّ دابة مع شرّ طعام! فبعث إليه بخوذي على خنزير معه جبن.

شاعر:

إنما الجبنُ آفةُ الجسم سُقْما … وعلى القلبِ كربةُ الأوهام

بدلوها بلقمتي سِكْباج … أو شواءٍ مَفْصِل منْ عِظام[1]

السمك:

قال أعرابي: كلْ من السمك القَذال[2] ودع منه المَبال. وقال آخر: كل ما تفلس ودع ما تملس. وقدم إلى جعفر بن يحيى سمك، فقال: هذا إن لم يكفن بخبيص، ويقبر بنبيذ، فالحذر منه. وقال طبيب الهند: اجتنبوا ما يخرج من الضرع والبحر.

---

(١) السكباج: مَرَق يُتّخذ من اللحم والخلّ.

(٢) القذال: ما بين الأذنين من مُؤخّر الرأس.

أبو طالب المأموني:

ماويةٌ فضيةٌ لحمها ... ألَذّ ما يأكله الآكِلُ
يضمُّها من جلدِها جَوْشَن ... مُدَبَّل فهو لها شامِلُ
تعيشها اللجة ما خيمَتْ ... بها كما يتلفُها الساحلُ
لو نلت من فضتِها عَسْجداً ... بقلْيها ما ضافني نازِلُ

الباذنجان:

في الخبر: كلوا القرع، واجتنبوا الباذجان. قيل لأعرابي: ما تقول في الباذنجان؟ قال: لونه لون بطون العقارب، وأذنابه كأذناب المحاجم، وطعمه طعم الزقوم! فقيل: إنه يحشى باللحم ويقلى بالزيت، فيكون طيباً. فقال: لو حشي بالتقوى، وقلي بالمغفرة، وطبخته الحور العين، وحملته الملائكة ما كان إلاّ بغيضي.

وقيل لآخر: ما تقول في باذنجان عملته بوران؟ فقال: إن شققته مريم، وطبخته سارة، وقدمته فاطمة، لا رغبة لي فيه! وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقيل له: إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان، فأريد أن أمر عليه فأخاصمه.

الوأواء الدمشقي:

أتانا بمقليّ بورانه ... وشيرازُه من لبانِ الغنمْ
وقد شَنَجَ القليُ منهُ الجلود ... كتشنيجِ أوجه سودِ الخدَمْ

آخر:

كرةٌ من المسكِ الذكي تضَمَّنَتْ ... من تحتِ مسكٍ لؤلؤاً مقشورا

عبد العزيز:

وسودٍ تروَّت بالدهانِ فأبدلَتْ ... بتوريدها لوناً من النار أكلفا
كأفواه زِنجٍ تُبصر الجلدَ أسوداً ... وتُبصر إن فرت لجيناً مؤلفا
كخَلْقِ حبيبٍ خافَ إكثارَ حاسِدٍ ... فأظهر صرماً وهو يعتقدُ ألوفا

المزور:

قال أحمد بن حمدون:

قلت: الطعام! فقالوا: من مُزَوَّرة! ... فقلت: زور وليس الزور من وطري
هاتوا أطايبَ ثورٍ فائقٍ سمناً ... كالفيل قَدّاً وإنْ عَدُّوه في البقر

وسَكْبَجوها ووفُّوها توابلها وزعفروها وصفُّوها عن الغيرِ
وقَدَّموها على بيضاءَ صافيةٍ كأنما خرطتْ من دارة القَمَرِ
فمَن نجا فدفاعُ الله سلَّمه ومن مضى فإلى الفردوس أو سَقَرِ!

وقال ابن سكرة:

قد صرت كالزور في أكلي مُزَوَّرَةً فإنّها كاسمِها بين الورى زورُ[1]
خذِ الحقائقَ واترك ما تزوّره فالحقّ متبعٌ والزورُ مهجورُ
ولا تؤخِّرْ لذيذ الأكل خوفَ أذى فليس في الموت تقديمٌ وتأخيرُ

طعام يُعاد على مائدة واحدة:

ابن طباطبا:

أَرزٌّ جاءَ يتبعه أَرُزٌّ هو الإيطاء يُتَّخَذُ اتخاذا
فإيطاءُ القريضِ كما عَلِمنا وإيطاءُ الطعامِ كمثلِ هذا[2]

الملح:

قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: مَن ابتدأ غداءه بالملح أذهَبَ الله عنه سبعين نوعاً من الداء، منها الجذام والبرص.

الخوارزمي:

فهو بقلٌ وروضةٌ وجوارشن وأدمٌ وزاد حامل زاد

المأموني:

لا تدن مني الملح إن شبتهُ من الأبازيرِ بألوانِ
فَوَجْهُه أبرصُ ذو نمشةٍ بين ثآليلٍ وخيلانِ
وهاتِه من غير خلطٍ له أدام زهارٍ ورهبانِ

العسل:

قيل: أجود العسل الذهبي الذي إذا قطرت منه على الأرض قطرة استدارت استدارة الزئبق، ولم يتغبش ولم يختلط بالتراب. وقيل: أجوده ما يلطخ على الفتيلة ثم توقد فيها النار فتعلق. وكتب هشام إلى عامله أن ابعث إليّ بعسل من عسل خدار، من النحل الأبكار، من المستشار الذي لم تقربه نار. وقيل لرجل:

---

(١) المزوّرة: من الزور، وهو لحمة الصّدر.
(٢) الإيطاء في علم العروض: تكرار كلمة الروي بلفظها وغيرها من غير فاصل أقلّه سبعة أبيات.

ما تشتهي؟ فقال: جنى النحل وجنى النخل. فقيل له: أيهما أحب إليك؟ قال: أشفاهما وأنقاهما، وأبعدهما من الداء، وأدناهما من الشفاء. وجعله الله تعالى في الجنان اللطيف بلا تفل، الخفيف بلا ثقل. وقال ديمقراطيس وقد سئل عما يزيد في العمر فقال: من أدام أكل العسل ودهن جسمه زاد الله في عمره.

الحلواء:

قال بختيشوع: الحلواء كلها حقها أن تؤكل بعد الطعام، لأن للمعدة ثوراناً عقيب الامتلاء كثوران الفقاع، فإذا صادفت الحلاوة سكنت. وقول الناس: إن في المعدة زاوية لا يسدها إلاَّ الحلاوة على أصله. قال: والآكل إذا اشتهى الحلاوة ثم فقدها، وجد في حواسه نقصاً.

الفالوذج والخبيص[١]:

قال سفيان: لا بد للعاقل في كل أربعين يوماً من خبيصة تحفظ عليه قوته. كل طعام بلا حلو فهو خداج. وقال رجل في مجلس الأحنف: ما شيء أبغض إليَّ من الحلواء. فقال: رُبَّ ملوم لا ذنب له، وسمع الحسن قائلاً يعيب الفالوذج فقال: لباب البر بلعاب النحل بسمن الماعز، ما عاب هذا مسلم قط.

وقال أعرابي: وددت أن الموت والفالوذج اعتلجا في صدري! وبعث رجل إلى مزبد فالوذجاً قليل الحلاوة، فقال: ينبغي أن يكون هذا عمل قبل أن يوحي ربك إلى النحل. وقيل: ذهبت بهجة الخبيص منذ عمل من عسل. وأتي يزيد بن الوليد بفالوذج، فجعل الغاضري يأكل ويسرع، فقال يزيد: ارفق فالإكثار منه يقتل. فقال الغاضري: منزلي على طريق المقابر، وما رأيت جنازة قيل أن صاحبها مات من أكل الفالوذج.

اللوزينج[٢]:

قيل لبعض الناس: إن التمر يسبح في البطن! فقال: إذا كان التمر يسبح في البطن فإن اللوزينج يُصَلِّي فيها التراويح! وقيل: اللوزينج قاضي قضاة الحلاوات. شاعر في وصفه:

مستكشفُ الحشوِ ولكنَّه ... أرقّ جسماً من نسيم الصبا

---

(١) الفالوذج: نوع من الحلواء تُعمل من الطحين والماء والعَسَل. والخبيص: حَلواء تُتَّخَذ من تَمْر وسَمْن يُخْلطان ويُخْبَصان.

(٢) اللَّوْزِينَج: نوع من الحلوى يُشبه القطائف يُخْلَط بدهن اللوز.

يـخـال مـن رقـةِ خـرشـائِـه ... شارك في الأجنحة الجندبا
لـو أنـه صُـوِّر مـن خـبـزِه ... ثـغـرٌ لـكـان الـباردَ الأشـنـبا

وقيل لآخر: ما تقول في لوزينجة قد رقَّ قشرها، وغرقت في سكَّرها ودهن لوزها؟ فقال: فما أشدَّ الوصف إذا عدم الموصوف.

العصيدة(١):

بعض الأغفال:

وقُدِّمَ من قبل الخبيصِ عصيدةٌ ... مغشَّى أعاليها بمنثورِ سُكَّرِ
ترى الجمرَ أثناءَ العصيدة كامناً ... فتَحْسَبُ مسكاً بين أقطاعِ عنبرِ

ورُئي مخارق وهو يدور حول قِدْر يتخذ فيها عصيدة، ويقول بلحن عجيب:

أنـت يـا ذات الأثـافـي ... أسـمـعـيـنـا غـلـيـانـك
فـبـنـشِّـك ونـشـيـشـك ... طـاب عـنـبـرك وبـابـك
إنـمـا قـتـلـي لـنـفـسـي ... واجـتـهـادي لـمـكـانـك

القطائف:

كشاجم:

قـطـائفٌ مثلَ أضابيرِ الكتُبْ ... كـأنـهـا إذا تـبـدَّت مـن كـثَـبْ
كـوائِـرُ الـنـحـلِ بـيـاضـاً وثـقـبْ(٢)

آخر:

ألـذّ شـيءٍ عـلـى الـصـيـامِ ... مـن الـحـلاوات فـي الـطـعـامِ
قـطـائـفٌ نـضـدت فـحـاكـتْ ... فـرائـدَ الـدرّ فـي الـنـظـامِ
مـنـومـات عـلـى جـنـوبٍ ... في الجامِ كـالـصِـبْـيَـةِ الـنِـيـامِ

التمر:

قال النبي ﷺ: «من تَصَبَّح بسبع تمرات عجوة، لم يصبه يومه ذلك سم ولا سحر». وقال ﷺ: «أول ما يفطر به الرطب والتمر، وأول ما تأكل النفساء الرطب والتمر، لأن الله سبحانه وتعالى قال لمريم: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا﴾ [مريَم: الآية ٢٥]». وقال شيخ: ما وضع الناس في أفواههم شيئاً أطيب من

---

(١) العصيدة: طحين يُلَتُّ بالسَّمْن ويُطبخ.
(٢) ديوانه ص ٢٦ ـ ٢٧.

عجوة. وصف أعرابي تمراً فقال: تمرات جرد فطس، يغيب فيهن الضرس، كأن نواها ألسن الطير، تضع التمرة في فمك، فتجد حلاوتها في كعبك. وقال أعرابي: ضفنا فلاناً، فأتى بتمر كأعنان الوردان، يوحل فيه الضرس! وقيل: خير التمر ما غلظ لحاه، ورقّ سحاه، ودقّ نواه. قال النابغة يصفه:

صِغارُ النَّوَى مَكْنُوزَةٌ ليسَ قِشْرُها ... إذا طار قِشْرُ التَّمرِ عنها بطائرِ[1]

آخر:

وكنتُ إذا ما قُرِّبَ الزادُ مولعاً ... بكلِّ كُمَيْتٍ جلدهُ لم يؤسّفِ

مَداخله الأقراب غيرُ ضئيلةٍ ... كُمَيْت إذا خفت مزادة مخلفِ

آخر:

يا حَبَّذَا التمرةُ ما أحلاها! ... تدمن الفقحة مِن ذكراها

وقال الحجاج يوماً لجلسائه: ليكتب كل واحد منكم أطيب طعام، وليدفعه إليّ. فكتب كلهم التمر والزبد. وقال سوار لرجل حضر لشهادة: بم تشهد؟ فقال:

شهدتُ بأنَّ التمرَ بالزبدِ طيبٌ ... وأنَّ الحبارى خالةُ الكروانِ[2]

فقال: أما الأول، فإني أشهد به أيضاً.

أكل التمر:

قال بعضهم: لم أنتفع بأكل التمر إلاَّ مع الزنج وأهل أصفهان، فالزنج لا تختار وأنا أختار، وأهل أصفهان يأخذون قبضة فإلى أن يفرغوا من أكلها، لم يأخذوا من غيرها، وأنا أختار كما أحب. وقيل: فلان بَرِم قرون، أي: لا يخرج مع أصحابه ويأكل تمرتين تمرتين.

الرطب:

قال ابن هبيرة: أي لقمة مخلوقة غير مصنوعة وصرف غير ممزوجة أطيب؟ فقال بعضهم: البيضة، وقال بعضهم: التمرة. فقال: هلا قلتم رطبة؟ قال المتوكل يوماً للفتح: الحلواء أطيب أم الرطب؟ فقال: يد الله أصنع. وقال الثوري: ما أعنف رجلاً يبيع ثيابه أيام الرطب فيشتريه بها.

ذاكرَ الرشيد عيسى بن جعفر: أي الرطب أطيب؟ فقال الرشيد: القريتا.

---

(١) ديوانه ص ٩٩.

(٢) البيت بلا نسبة في مجمع الأمثال ١/ ٣٦٢.

وقال عيسى: السكر. فأرسلوا إلى الأصمعي، فسأل الأصمعي الرسول عما دعي له، فقال الرسول: كان كذا، فلما دخل سألاه فقال: هذا لا يخفى أن القريتا أجود، إنا كنا بالبصرة صبياناً نلعب بالنوى، فنجعل نوى القريتا دنانير، ونوى السكر دراهم، فنعطي نواة من قريتا ونأخذ عشرين من سائر النورى! فضحك الرشيد وأمر له بصلة.

العنب:

قيل: أجود العنب ما غلظ أعمده، وأخضرّ عوده، وسبط عنقوده. وقال أبو حنيفة الدينوري عن بعض أهل دمشق: أنه وزن حبة عنب مجلوبة من قرية يقال لها قرية العنب، فكان وزنها عشرة دراهم، وإنّ العنقود منها يملأ السلة.

ابن الرومي:

ورازقيٍّ مخطَّف الخصورِ ... كأنهُ مخازنُ البلورِ
قد ضَمنَتْ مسكاً إلى السطورِ ... وفي الأعالي ماء ورد جوري
لم يبقِ منه وهجُ الحرورِ ... إلاّ ضياءً في ظروفِ نورِ
لو أنه يبقى على الدهورِ ... قرط آذانِ الحسانِ الحورِ(١)

الصاحب:

وحبةٍ من العنب ... مِن المنى مُتَّخَذَه
كأنها لؤلؤة ... في وسطها زمرده(٢)

وله:

حَسِبْتها من بعد تمييزي لها ... لؤلؤةً قد ثُقِبَتْ من جانبِ(٣)

الخوخ:

الطيلساني:

وخوخةٍ أُعطيتُها هَشَّةٍ ... بيضاءَ مثل اللبنِ المخضِ
كأنَّها كفُّ امرئٍ شدها ... قبضاً لضَرْبٍ منه أو عَضِّ

آخر:

كأنَّه الزبدَ إذا ما التوى ... بالعسل الماذيِّ في صحنه

---

(١) ديوانه ٣/ ٨٦.
(٢) ديوانه ص ٢١٩.
(٣) ديوانه ص ١٩٢.

الصنوبري:

كَوَجْنَة أُلبِسَتْ خلوقاً فزال عن بعضها الخلوق(١)

الرمان:

قال النبي ﷺ: «نِعْم الشيء الرمان! ما من رمانة إلاَّ وفيها حبة من الجنة، من أكلها نورت قلبه، وأذهبت عنه الوسواس». وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: كلوا الرمان بشحمه، فإنه دباغ المعدة. وقال الواسطي:

رأيت رمانةً من فوقِ دوحتِها ولونُها ببديعِ الحسنِ منعوتُ

فالقشرُ حقّ لماضٍ ضمّ رائحةً والشحمُ قطنٌ له والحبُّ ياقوتُ

أبو طالب المأموني:

حقٌّ خليعٌ ناصِعٌ دهنُه مُسْتَوْدَعٌ حمرَ اليواقيتِ

وله في وصفه عند تفتيته:

الجام أرضٌ وبناني حيا تُمَطِر منه برداً أحمرا

ابن شاه:

ورمانةٍ شَبَّهْتُها إذ رأيتها بثدي كعابٍ أو بحقَّةِ مرمرِ

مُنَمْنَمةٍ صفراءَ نُضِّدَ حولَها يواقيتُ حمرٌ في ملاءٍ مُعَصْفَرِ

لها قِشْرُ عِقْيانٍ ورأسٌ مُشْرِقٌ وأغصانُ خيريٍ وأوراقُ عبهري

التين:

كشاجم:

أهلاً بتينٍ جاءنا مُبْتَسماً على طبق

كسفرةٍ مضمومةٍ قد جُمعت بلا حلَق(٢)

البحتري:

وتين كأطراف الثدي مُعَسَّلٍ

كشاجم:

[يحكى إذا ما صُفَّ في أَطْبَاقِهِ] سفر جمعنُ مِن الحريرِ الأصفرِ(٣)

---

(١) ديوانه ص ٤٢٦.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ١٥٤.

الزبيب:

خطب أعرابي امرأة، فطلب سكراً للنثار فرآه غالياً، فاشترى زبيباً فنثره، وقال:

ولما رأيتُ السكَّر العامَ قد غلا ... وأيقنتُ أني لا محالة ناكِحُ
نثرتُ على رأسي زبيباً وصُحْبتي ... وقلتُ كلوا كلُّ الحلاواتِ صالحُ

بعضهم:

حوى زقينِ من عَسَلٍ مصفًّى ... نسينا عند طيبتِه الرَّضابا
وهابَ الاغتصابَ عليهِ منا ... فانشأ فيه تدبيراً عجابا
أرانا فوقَ عاتِقِه سِناناً ... وأودعَ بينها خَشَباً صلابا

وله:

خذْ عَسَلًا في زبرجدٍ جعلوا ... له صِماخاً يصونُ ما فيه

المأموني:

وذاتِ احمرارٍ صادقِ اللونِ خلتها ... أرتنا بأعكانٍ لها شطبَ النصلِ
قد انتحلتْ لوناً من النحل ناصعاً ... ليعلم ما تحويه من عسلِ النحلِ

القشمش[1]:

وقشمشٍ كخرزٍ ... للنظمُ لم يُثْقَبِ
تتلى بها الكاس لما ... بينَهما من نسبِ
كأنهُ أوعيةٌ ... يَحْملنَ ذوبَ الضربِ
أو لؤلؤ حُلِّي أعلاهُ بماءِ الذَّهَبِ

الطين:

سئل بعض الفقهاء عن أكل الطين فقال: لا يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُوا مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٨]، ولم يقل كلوا الأرض. وقيل لرجل: كل من هذا الطين، فقال: أَوَبلغك أن في بطني ركناً أو ثلمة يجب سدها؟ وكان المأمون مولعاً بأكله، فسأل ابن بختيشوع عن دوائه فقال: عزمة من عزمات الرجل! فآلى على نفسه أن لا يعاود تناوله.

(١) القشمِش والكِشْمش: عِنَب صغار لا عَجَمَ له.

الموز:

ابن الرومي:

إنـمـا الـمـوزُ حـيـن يـمـكـنُ مـنـه — كـاسْـمـهِ مُـبْـدلاً مـن الـمـيـم فـاء

وكـذا فـقـدهُ الـعـزيـزُ عـلـيـنـا — كـاسـمـه مـبـدلاً مـن الـزاي تـاء

فـلـهـذا الـتـأويـل سـمَّـاه مـوزاً — مـن أفـاد الـمـعـانـي الأسـمـاء[1]

وله مثله في طيب الطعم:

يكادُ من موقعِه المحبوبِ — يدفعُه البلعُ إلى القلوبِ[2]

الجوز واللوز:

ابن الواسطي في وصفه:

قطعُ العاجِ لُفِّفت في حرير — أحمرٍ في مداهنٍ من ساجِ

المأموني:

ومـحـقـق الـتـدويـر يُـبْـعـدُ نـفـعـهُ — مَن كفّ من يجنيه ما لم يكسرِ

دِرعٌ يـسـوغُ لآكـلـيـه بـضـمّـه — صدفٌ تكوّن جسمُه من عرعرِ

مُـتَـدَرِّعٌ فـي الـسِّـلـم فـوقَ غـلالـةٍ — درعـاً مـظـاهـرة بـثـوب أخـضـرِ

وله في اللوز:

ومُـسْـتَـجـنٌّ عـن الـجـانـيـنَ مُـمْـتَـنـعٍ — بـجـنـةٍ لـم يـحـكّـهـا كـفُّ نـسَّـاجِ

درّ تـكـوَّنَ مـن عـاجٍ تـضـمـنـه — في البرّ لا البحر أصدافٌ مِن العاجِ

الفستق:

الصنوبري:

من الفُسْتُقِ الشاميّ كلّ مصونةٍ — تُصانُ عنِ الأحداثِ في بطن تابوتِ

زَبَـرْجَـدةٌ مـلـفـوفـةٌ فـي حـريـرة — مُـضَـمَّـنـة درّاً مـغـشَّـى بـيـاقـوتِ[3]

ابن الواسطي:

مـثـل الـزمـرُّدِ فـي حـريـرٍ أخـضـرٍ — قد ضمَّه صَدَفٌ من العاجِ الحسَنْ

الشاهبلوط:

ببغا:

---

(١) ديوانه ١/ ٣٦.

(٢) ديوانه ١/ ٢١٥.

(٣) تكملة ديوانه ص ٤٦٤.

وشاهبلوطٍ تناهى واستَتَمْ ... كخرز من سُبَح لم ينتظمْ
كأنه لما تراءى مِن أمم ... في صحة التشبيهِ أظلافُ الغنم

العناب:

بنادقٌ قد خرطتْ ... من العقيق الأحمرِ

الإجاص:

بندار:

إجاصة تحكي إذا حدّ النظرْ ... في شكلها سودٌ صغيراتُ الأكرْ
محزوزة ولا يرى فيها أثرْ

المشمش:

قال رجل طبيب لرجل يغرس مشمشاً: ما تصنع؟ فقال: أغرس شجرة تثمر لي ولك. فأخذ هذا المعنى ابن الرومي فقال:

إذا ما رأيت الدهر بستانَ مِشْمشٍ ... تَعْلَم يقيناً أنهُ لطبيب
يغلّ له ما لا يغلّ لأهلِه ... يغل مريضاً حمل كل قضيب[(١)]

آخر:

كأنها بوتقةٌ أحمَيتْ ... يجولُ فيها ذهبٌ ذائِبُ

الفرصاد:

بعضهم:

وجَنْي فِرصاد كأن متونَه ... برشٌ على ياقوتةٍ حمراءِ

السفرجل:

أبو علي بن أبي العلاء في وصفه:

نِصْفُ السفرجلِ ثديٌ ... والنصفُ يُحسَبُ سره
فمن أحبَّ رآه ... فما يغادرُ ذرَّه

آخر:

إنَّ السَّفَرْجلَ ريحانٌ وفاكهةٌ ... يحظى المشمّ بها والذوقُ والنظرُ
يحكى وديكةَ تِبْر بل لهيبَ لظًى ... شبَّتْ ضحى وشعاعُ الشمسِ منتشرُ

ابن طباطبا:

---

(١) ديوانه ١/ ٣٦٢.

سَفَرْجلَةٌ حذفوا راءَها تجمّ الفؤادَ لقولِ النبي

وقد ذكر ما يضارع ذلك مع ذكر الأشجار والنبات في حده.

جهل العرب بطيبات الأطعمة:

كانت العرب لا تعرف طيبات الأطعمة، إنما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتى أدرك معاوية رضي الله عنه الإمارة، فاتخذ ألوان الأطعمة. قال أبو بردة: كانوا يقولون من أكل الخبز الحواري سمن، فلما فتحنا خيبر أجهضناهم عن خبزهم، فقعدت عليه آكل وأنظر في أعطافي هل سمنت؟ وقال خالد بن عمير العطوي: شهدت فتح الأيلة فوجدنا سفينة مملوءة جوزاً، فقال رجل: ما هذه الحجارة؟ ثم كسروا واحدة فقالوا: طعام طيب. وقال بعضهم: أصابوا أجربة من الكافور فقالوا هاء الملح، فذاقوه وقالوا لا ملوحة لهذا الملح، ففطن ناس من أهل الخبرة، فجعلوا يعطونهم جراباً من الملح، ويأخذون جراباً من الكافور. وقدم إلى أعرابي خبز عليه لحم، فأكل اللحم وترك الخبز وقال: خذوا الطبق. وقدم فالوذج إلى أعرابي فقيل له: ما هذا؟ قال: الرمان المعلق.

قاذورات أطعمة العرب:

كانت بنو أسد يأكلون الكلاب، ولذلك قال الفرزدق:

إذا أَسَديّ جاعَ يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه[1]

ويأكلون الهبيد، وهو الحنظل المالح. وقال بعضهم: نزلت برجل، فأضافني فأتى بحية فشواها فأطعمنيها، ثم أتى بماء منتن فسقانيه، فلما أردت الارتحال قال: ألا أقمت؟ طعام طيب وماء نمير! وكانوا يأكلون في الجدب العلهز، وهو الحلم الكبار يدق مع الوبر. وقيل: هو العَلْهز بالفتح. وكان أحدهم يتناول الشعر المحلوق فيجعله في حفنة من الدقيق ثم يأكله مع ما فيه من القمل، ولذلك قال شاعرهم:

بني أسدٍ جاءَت بكَمْ قملية بها باطنٌ من داءِ سوءٍ وظاهرِ

ومن طعامهم الفظ، وهو ماء الكرش. وقيل لأعرابي: ما تأكلون؟ فقال: نأكل ما دبَّ ودرج إلاَّ أم حبين. فقال: لتهنَ أم حبين العافية.

أبو نواس:

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

ولا تأخذْ عن الأعرابِ طعماً ولا عيشاً فعيشُهمُ جديبُ[١]

وكان رؤبة يأكل الفأر، فقيل له: ألا تستقذره؟ فقال: هو والله ما يأكل إلاَّ فاخرات متاعنا. وبنو تميم يعيرون بأكل الضب؛ قال أبو نواس:

إذا ما تـمِيـمِـيٌّ أَتـاكَ مُـفـاخِـراً فقل: عَدِّ عن ذا كيف أَكْلُكَ للضَّبِّ[٢]؟

أكل قاذورات على غلط:

قال الأصمعي: دنوت من بعض الأخبية في البادية، فسُقيت لبناً في إناء، فلما شربته، قلت: هل كان هذا الإناء نظيفاً؟ فقيل: نعم، إنَّا نأكل منه بالنهار، ونبول فيه بالليل، فإذا أصبحنا سقينا الكلب فيه فلحسه ونقاه! فقلت: لعن الله هذه النظافة، ولعنكم من قوم متقذرين! قال: ونزلت على امرأة فنظرت إلى قطع من القديد منظومة في خيط، فأمعنت في أكله، فأقبلت المرأة فقالت: يا هذا، ليس ما أكلت مما يؤكل! فقلت: ما هو؟ قالت: إني امرأة خاتنة أختن جواري الحي، فكلما خفضت واحدة، نظمت خافضتها في هذا الخيط لأعرف عددهن، فتقيأت استبشاعاً.

وقعد رجل في سفينة، وركب معه يهودي قد احتضن سلة قديد، فاستولى عليها الرجل، وأخذ يأكلها حتى لم يبق إلاَّ عظيمات، فلما أراد الخروج إلى البر، رأى اليهودي السلة فارغة، فسأل عنها فقيل: إن هذا الرجل أكل ما فيها. فولول وقال: أكلت أبي! فسئل عن ذلك فقال: كان أبي أوصى أن يدفن ببيت المقدس، فلما مات قددناه ليسهل حمله، فأكله هذا.

الموصوف بالطيب:

يقال: أَلَذُّ مِنْ زبدٍ بنرسيان[٣]، وأحلى من الشهد[٤]، وأزكى من الورد[٥]، وأشهى من إنجاز الوعد[٦]. أحلى من المن والسلوى[٧]. ألذ من نظر المعشوق في وجه عاشق بابتسام[٨].

---

(١) ديوانه ص ٢٦. (٢) ديوانه ص ٤٠٥.

(٣) جمهرة الأمثال ٢/ ١٨٠؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٢٥٤. والنرسيان: تمر من تمور الكوفة.

(٤) جمهرة الأمثال ١/ ٤٠٤؛ والمستقصى ١/ ٧١.

(٥) لم أقع عليه في كتب الأمثال.

(٦) ورد برواية «أشهر من الوعد» في الدرة الفاخرة ٢/ ٤٤٤.

(٧) ورد برواية «ألذُّ من السَّلوى» في المستقصى ١/ ٣٢٠. والسَّلوى: العسل.

(٨) لم أقع عليه في كتب الأمثال.

آخر:

وألَذُّ مِن أَنغام خلة عاشقٍ زارته بعد تَمَنُّع وشِماسِ

أعذب من الماء الزلال[١]. أطيب من قبلة الحبيب على غفلة الرقيب[٢].

طعام تضن به العين عن الفم. وقال رقبة بن مصقلة في صفة دعوة: جاؤنا بخوان كالقاع في بياض الفضة، وعليه رقاق كقباطي مصر، ورغف كدارة القمر وبقول كوشي السندس، وخل كذوب العقيق، ثم جاؤوا بفالوذج كأن الزئبق الجاري ينبع من خلله للجريان على وجهه، ترى نقش الدرهم من تحته ظاهراً، يذوب قبل التطعم، ويبتلع قبل التينع.

الموصوف بالنتن:

أنتن من الجيفة ومن ريح الجورب[٣] ومن العذراء[٤]، ومن مَرْقات النعجة[٥]، أي: ما تمرق من شعرها، أي: وما ينتف.

كنى الأطعمة وأسماؤها الأعلام عند الصوفية:

قد أكثر الناس من ذلك، وذكرت منه طرفاً هو أقرب: الخبز أبو جابر، والسكباج أم القدور، والقلية زلزل المغني، والطباهج الزرزر الصناج، والمضيرة الشيخ اليهودي، أبو الزئبق البقل، أبو زحام بلا منفعة الخل، أبو عامر الغضبان. الخيار أبو الأخضر. البندق القثاء. أبو القرون البصل. أبو قمصان الدجاج، أم حفص الفروج. بنات المؤذن السكر. أبو شيبة الخوزي.

أنواع من ذكر الأطعمة:

كان النظام إذا خلط كلامه في ذكر الأطعمة ببعض الفاكهة يقول: الزيت نصراني والخل يهودي، واللبن والزبيبان نصرانيان راهبان، وعلى لون صبغهما صبغوا ثيابهم. وقيل: الصحناة والتفشيل يهوديان والسمن مسلم، من تعود أكل الطعام وإن كان ضاراً لم يضره بل ينفعه، حتى أن السم من تعوَّد أكله لم يضره،

---

(١) الدرّة الفاخرة ٢/ ٤٤٤.

(٢) ورد برواية: «ألذُّ من قبلة على عجل» في جمهرة الأمثال ٢/ ١٨٠؛ والدرّة الفاخرة ٢/ ٣٦٩.

(٣) المستقصى ١/ ٣٨١؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٥٤.

(٤) المستقصى ١/ ٣٨١؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٥٤. والعذِراء والعذِرة: الخُرْء.

(٥) جمهرة الأمثال ٢/ ٣١٧؛ والمستقصى ١/ ٣٨٢؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٥١ برواية: «أنتَنُ من مَرْقات الغنم».

والطعام الجيد النافع للعامة إذا أكله مَن كان مستغرباً له غير عاهده يضره.

وقد ذمّ الأطباء ما يخرج من الضرع، وقريش تعودت أكلها. وانظر كيف كرمها وسخاؤها وعقولها ودهاؤها. ومر جالينوس مع تلامذته ببقلة، فسألوه عنها، فقال: هي سم ساعة. فإذا رجل يأكلها ولا تضره، فسألوه فقال: هذا غذاء لنا، فقال جالينوس: هل لك في مصاحبتي، فأحسنَ إليك؟ فقال الرجل: بلى. فصاحبه زماناً يأكل ما يأكلونه، ثم عرض عليه ذلك البقل، فأكله فمات لوقته. أبو طالب المأموني في السكنجبين:

ومُسْتَنْتَج ما بين خَلّ وسكَّر ... دوائيَ مِن دائي به وشفائي

رأيتُ به في الكاسِ أعجبَ مَنْظَرٍ ... مذاب عقيقٍ فيه جامِدُ ماءِ

* * *

ومما جاء في أحوال الأكل والأكلة والتطفل

الرخصة في تناول المباحات:

قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ [المائدة: الآية ٨٧]. وقال: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: الآية ٣١]. وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: الآية ٣٢]. وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٢]. وقال النبي ﷺ: «اعمل صالحاً وكُل طيباً والبس ليِّناً». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كلْ ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطاك إسراف ومخيلة. ورغب الله تعالى آدم في الخلود في الجنة فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩﴾ [طه: الآية ١١٩]. فبدأ باشتراط الشبع. ومر عمر رضي الله عنه بشاب، فاستسقاه ماء، فخاض له عسلاً، فلم يشرب وقال: إني سمعت الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: الآية ٢٠]. فشربها عمر رضي الله عنه وقال: إنها والله ليست لك، اقرأ ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٠]. فشربها عمر رضي الله عنه وقال: كل الناس أفقه من عمر.

واجتمع فرقد السبخي والحسن على مائدة، فأُتي بجام خبيص[١] فأبى فرقد

---

(١) الخبيص: حَلْواء تُتَّخذ من تَمْر وسَمْن يُخْلطان ويُخْبَصان.

أن يأكل وقال: أخاف أن لا أؤدي شكر الله تعالى عليه. فقال الحسن: كُلْ، فلنعمة الله عليك في الماء البارد أعظم منها في الخبيص. قال الشيخ أبو القاسم رحمه الله: فانظر إلى فقه الحسن وفهمه وإلى ضعف رأي فرقد مع إسلامه. واعتبر بهما قول النبي ﷺ: «فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

غسل اليدين قبل الطعام:

دعي سلمان رضي الله عنه إلى طعام، فلما دخل، توضأ للصلاة فصلى، ثم قدم الطعام فاستدعى الماء وغسل يده، فقيل: ألم تغسلها آنفاً؟ فقال: نعم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من غسل يده قبل الطعام وبعده أكل في سعة من رزقه». وقال الحسن رضي الله عنه: غَسْل اليد قبل الطعام ينفي الفقر، وبعده ينفي اللمم[1].

وامتنع رجل من غسل اليد للطعام عند موسى الرضا فقال: اغسلها، فالغسلة الأولى لنا، والثانية لك، فإن شئت فاتركها. وغسل رجل يده عند المأمون ومد يده إلى رأسه، فأمره بإعادة غسلها، ثم مدها إلى لحيته، فأمره بإعادته، وقال: لا يلي غسل اليد للطعام إلاّ الطعام. وقدم إلى مالك بن أنس رضي الله عنه حيث يراه المهدي الماء ليغسل يده للطعام فقال: هذا بدعة. فقال المهدي: يا أبا عبد الله البدعة تعتبر في الشر، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنّة.

وغَسَلَ رجل يده مراراً فلم تذهب عنها الدسومة، فقال: كاد هذا الدسم أن يكون لنا نسباً وصهرا. وامتنع أعرابي من غسل اليد بعد الطعام، فسُئل عنه فقال: فقد رائحته كفقده. وكان أعرابي عند سعيد بن مسلم فقعد للطعام، فقتل قملة، فقيل له: اغسلْ يدك، فقال: لا ضير ما بقي على يدي إلاّ خِرْشاؤها[2]. وكان أعرابي يفلي ثوبه ويأكل ويحبق، فقيل له: أما تستحي ويحك! فقال: وما أنكرت؟ أَدخل حديثاً، وأخرج عتيقاً، وأقتل عدواً. وكان عبد الله بن سلمان يبطىء في غسل اليدين ويقول: يجب أن تكون مدته مدة زمان الأكل.

ذكر الله على الطعام:

قيل: إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل إذا كان حلالاً، وكثرت عليه الأيدي، وسمى الله في أوله وحمد في آخره. وقال طاوس: من سمى الله على طعامه، لم

---

(١) اللَّمم: مقاربة الذَّنب قبل أن يقع. (٢) الخِرشاء: الجلْد، والقشرة.

يسأله عن نعيمه. وقيل: ذكر الله على الطعام شفاء يبرىء من الداء، وذكر الناس داء لا يقبل الشفاء. وقيل: إذا أكلتم، فسموا وأدنوا، أي: اذكروا الله، وكلوا مما بين أيديكم. وكان ابن عباس إذا وضع الطعام، يقول: بسم الله عني وعن كل آكل معي. وكان سعيد بن جبير إذا فرغ من الطعام يقول: اللهم قد أشبعت وأرويت وطيّبت، فهنئنا برحمتك. وقال بعض القصاد: يا معشر الناس، إن الشيطان إذا سمى الإنسان على الطعام والشراب، لم يأكل معه، فكلوا خبز الذرة والمالح، ولا تسموا ليأكل معكم، ثم اشربوا الماء وسموا الله حتى تقتلوه عطشاً.

حمد الأكل من جانب الصحفة وعُذْر ذلك:

قال النبي ﷺ: «إن البركة تنزل في وسط الصحفة، فكلوا من جوانبها، ولا تأكلوا من وسطها». وقال أنس بن مالك: كلْ بيمينك وتناول مما يليك. وأكل أعرابي مع بعض السلاطين، فقال: كلْ مما يليك. فقال: رأيت جانبك أمرع، ومن أجْدَبَ انتجَعَ(١). وأكل أعرابيان على مائدة فمد أحدهما يده فقال له الآخر: كف يدك! فإن لك في ما بين يديك مقنعاً. فقال: إني من قوم إذا أجدبوا انتجعوا. فقال له: ويلك! وهل على مائدة أمير المؤمنين جدب؟ ثم مد الآخر يده فقال له: كفَّ يدك! فقال: إني من قوم إذا أخصبوا تخيروا. فاستحسَنَ عبد الملك كلامه، وأمر له بصلة. وأكل أعرابي من بني عذرة مع معاوية، فمدَّ يده إلى ثريدة بين يدي معاوية، فقال معاوية: أخرقتها لتغرق أهلها؟ فقال الأعرابي: ولكن سقناه إلى بلد ميت. فضحك معاوية وأمر له بجائزة. وكان أبو علي بن حمدون في مجلس وعند القوم نقل، فمد يده إلى ما بين يدي صديق له، فقيل له: ما تفعل؟ فأنشد:

وأحياناً على بَكْرٍ أخينا إذا ما لم نجد إلاَّ أخانا

وكان الهائم الشاعر على مائدة عليها جدي، فجعل يجر الجدي الذي كان يليه ولم ينجر، وكان الجانب الذي عليه اللحم يلي قوماً آخرين فقال:

قفينا غواشيها وفيهم صدورها

أوقات الطعام المحمودة والمذمومة:

سئل طبيب: أيّ أوقات الطعام أحمد؟ قال: أما من قدر فإذا جاع، ومن لم يقدر فإذا وجد.

---

(١) هذا القول من أمثال العرب، وقد ورد في المستقصى ٢/ ٣٥٢؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٣٢١. ويُضرب في طَلَب المال عند الافتقاد.

الغداء والعشاء:

قيل: العشاء مَتْخمة وتركه مَهْرمة. وقال بقراط: من تعود العشاء ثم تركه، التبس عليه طبعه. وقال عمر رضي الله عنه لابنه: لا تخرج يا بني من منزلك حتى تأخذ حلمك. يعني حتى تتغدى. دعا الحجاج رجلاً إلى غدائه فقال: قد أكلت. فقال له الحجاج: إنك لتباكر الغداء. فقال الرجل: لخلال ثلاث: إن نوجيت لم يوجد من فمي خلوف، وإن شربت شربت على ثفل، وإن حضرت قوماً أكلت ومعي بقية من عرضي.

وقيل: خير الغداء بواكره[١]. فقيل: أمحمود ذلك في كل وقت؟ فقال: نعم إذا كان شتاء فلطول الليل، وإذا كان صيفاً فلبرد الماء وقلة الذباب. واستدعى رجل الغداءَ، فقيل له: اصبر حتى تطلع الشمس، فقال: أنتظر بغدائي قادماً من وراء خراسان. وقيل: خير الغداء بواكره، وخير العشاء بواصره[٢]. وقيل: خير الغداء بواكره وخير العشاء سوافره[٣]، أي: أن تأكل وعليك ضوء. وسأل رجل الحسن عمن يأكل مرة، فقال: أكل الصالحين. فقيل: مرتين، فقال: غداء وعشاء أكل التجار، فقيل: ثلاث مرات، فقال: ذاك حمار يُبنى له آريّ[٤].

ذم الشبع والإكثار من الأكل وحمد الإقلال منه:

قال النبي ﷺ: «إياكم والبِطنة، فإنها مَفْسَدة للبدن مُورثة للسقم، مَكْسلة عن العبادة». وقال ﷺ: «الرغب شؤم». وقيل: الموت جوعاً خير من الحياة شبعاً. وقال ذو الرياستين: ما عجبت لاتفاق الأطباء على ثلاث كلمات. قال طبيب الروم: كلْ قليلاً ولا تكن عليلاً، وقال طبيب فارس: كل قصداً لا تلقَ من الكظة جهداً، وقال طبيب الهند: كلْ قدراً لا تضيق به صدراً. وقيل: صحة الجسم قلّة الطعام وصحة الروح اجتناب الإثم.

وجاء رجل إلى أبي مسلم فقال: أُعطيك دواء تأكل معه ما شئت، فلا يضرك. فقال: لا حاجة لي فيه، فقبيح بالإنسان أن يدخل المستراح في كل يوم أكثر من مرة، وقبيح به أن يحن في الشهر أكثر من مرة.

وقال الخليل: أثقل ساعاتي ساعة آكل فيها. وقال مالك بن دينار: وددت

---

(١) الدرّة الفاخرة ٢/ ٤٥٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٤٤.
(٢) الدرّة الفاخرة ٢/ ٤٥٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٤٤.
(٣) الدرّة الفاخرة ٢/ ٤٥٥؛ ومجمع الأمثال ١/ ٢٤٤.
(٤) الآريّ: محبسُ الدابّة.

أن رزقي حصاة أمصّها، فقد ضجرت من كثرة ترددادي إلى الخلاء. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: الآية ١٢]. وقال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرّاً من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بد فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنفس». وفي كتاب كليلة ودمنة: ليعدّ من البهائم من همته بطنه وفرجه. وكانت العرب تسمّي الشَّبَع أبا الكفر. وقيل: إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. البطنة تذهب الفطنة[1]. قيل: لا تسكن الحكمة بطناً ملىء طعاماً. من الكرم تنزيه القرم. وقيل: الشبع داعية البشم، والبشم داعية السقم، والسقم داعية الموت، ومن مات هذه الميتة، مات ميتة لئيمة. قال الحسن: مسكين ابن آدم صريع الشبع أسير الجوع.

شاعر:

وإنَّ امتلاءَ البطنِ في جَسَدِ الفتى ... قليلُ غناء وهو في الجسمِ صالحُ[2]

وقال طرفة في عمرو بن هند:

ويَشْرَبُ حتى يَغْمُرَ المحضُ قلبَهُ ... وإن أُعْطَهُ أترُكْ لِقَلبي مَجثَما[3]

وباع مالك بن دينار جارية، فزارته يوماً، فقال: كيف ترين مواليكِ؟ فقالت: ما أكثر خير بيوتهم! فقال: أخبرتني عن عمران حشوشهم. وقال يحيى بن معاذ: من أكل حتى شبع عوقب بثلاث: يلقي الغطاء على قلبه، والنعاس على عينيه، والكسل على جسمه. وقال بشر الحافي: مَن ضبط بطنه فقد ضبط الأعمال الصالحة كلها. وقال بشر بن الحارث: لا تعوِّد نفسك الشبع من الحلال، فتدعوك إلى الحرام. وسأله رجل عن غُسْل الجمعة، فقال: اغسلْ بطنك يكفيك عن غسل بدنك.

واشتهى أبو مسلم الهريسة فقال لطباخه: اشتهيت هريسة، فاتخذها أجود ما يكون. فلما قدمت إليه، أمر بأن تُرفع ولم يأكل، ثم قال له مِن بعد: اتخذ هريسة. فاتخذها، وقدمها إليه، فلم يأكل. وتقدم إليه ثالثاً، فعملها، وقدَّمها، فلم يأكل، فقال الطباخ: أيها الأمير، لقد أجدت حتى لا غاية، فما الذي يحجزك

(١) المستقصى ١/ ٣٠٤؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٠٦.
(٢) ديوانه ص ٨٣.
(٣) أي أكل حتى شبع، وشرب وارتوى.

عنها؟ قال: رأيت نفسي قد شرهت إلى تناولها، فكرهت أن تغلبني شهوتي. وقيل: لا تجعلوا بطونكم خزائن الشيطان يضع فيها ما أحب.

حد الشبع:

قيل لأعرابي: ما حد الشبع؟ هو الامتلاء من الطعام حتى لا تشتهيه. فقال: وهل يكون ذلك إلاَّ في الجنة؟ أعرابي: اللهم إني أسألك ميتة كميتة عرفجة. فقيل: كيف مات؟ قال: أكل بزجاً، وشرب مشعلاً، والتف في كسائه ومات، فلقي الله شبعان ريان دفآن.

حمد الطوى وذمه:

المغيرة بن شعبة: علِّموا أولادكم الخفاف، احملوهم على الطوى، لأن من اتبع أمراً لزمه، ومن أكثر من تركه أجمَه[1]. الحارث بن كلدة: خير الدواء الأزم، وشر الدواء إدخال الطعام على الطعام. قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وأنت على خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائع. وقيل: تَرْك الأكل يُضيِّق الأمعاء.

الصابر على الجوع:

قال:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظله حتى أنالَ به لذيذَ المطعمِ

وخرج أبو خراش في سفر، فعدم الطعام أياماً، فمر بامرأة، فقال: هل من طعام، فأتته بعُمْروس[2] فقالت: اذبحه، فذبحه، وسلخه ثم شواه، فلما وجد رائحة الشواء، قرقر بطنه، فقال: أتَقَرقر من رائحة الشواء، يا ربة البيت هل من صبر؟ فأتته بصَبْر، فاقتحمه، وأتبعه بماء، ثم ارتحل ولم يأكل، وقال:

وإني لأثوي الجوعَ حتى يملَّني فيذهب لم تدنسْ ثيابي ولا عرضي

آخر:

وأَغْتَبِقُ الماءَ القَراحَ وأنتهي إذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعمِ

مخافةَ أن أحيا برغمٍ وذِلَّةٍ ولَلْموت خيرٌ من حياةٍ على رغمِ

الصائن بطنه عما يلزم عنه منة أو مذمة:

قيل: أحسن بيت في هذا المعنى قول نهشل:

---

(١) أي: تركه.

(٢) العمروس: الخروف.

أَغَرُّ كـمـصـبـاح الـدُّجـنَّـةِ يـتَّـقـى ... قَذَى الزادِ حتى يُستفادَ أطايبُه[١]

وقال:

إذا مَـطْـعـمـي كـان ذا غَـصَّـةٍ ... غسلتُ يدي منه قبل اكتفائي[٢]

آخر:

أَلبـانُ إبِـلِ تَـعِـلَـة بـن مـسـاور ... مـا دام يـمـلُـكـهـا عـلـيَّ حـرامُ

وطعام عمران بن أوفى مِثلها ... ما دام يسلك في البطون طعامُ

إنَّ الـذيـنَ يـسـوغُ فـي أعـنـاقـهـم ... زادٌ يـمـنّ عـلـيـهـمُ لَـلِـئـامُ

قال بعضهم: اكتريت من جمال، فكان يحدو بنا بقول الشاعر:

أَبـلـج بـيـن حـاجـبـيـه نـوره

فلما بلغ قوله:

إذَا تـغـدى رُفـعـت سـتـوره

أمسك حتى بلغنا المنزل، فقلنا: لمَ لم تكن تنشد قبل هذا؟ فقال: تفادياً من أن تحسبوني أعرض بزادكم.

حمد الرضا بما يتسهل:

قال النبي ﷺ: «كفى بالمرء عيباً أن يتسخط ما قرب إليه». وقيل: كلْ في شهوة أهلك. قال الأصمعي: رأيت أعرابية تأكل قشور الرمان، فقلت: ما هذا؟ قالت: أدفع به الجوع، فإنّ الجوع إذا دفعته بشيء اندفع.

شاعر:

تُنافِسُ في طِيبِ الطَّعامِ وكُلُّهُ ... سَواءٌ إذا ما جَاوَزَ اللَّهَوَاتِ[٣]

ابن الرومي:

ومـتـى شَـرِهْـتَ فـإنَّ أيـسـر لَـذّةٍ ... لك إن نظرتَ مع السلامةِ كافيَه[٤]

آخر:

وما هي إلاَّ جوعةٌ إنْ سَدَدتَها ... فكلّ طعامٍ بين جنبيكَ واحدُ

آخر:

وما أَكْلةٌ إن نلتَها بغنيمةٍ ... ولا جوعةٌ إنْ جُعتَها بغرامِ

---

(١) ديوانه ص ٨٦.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٦٤.

(٤) ديوانه ٦/ ٣٦٦.

وقال بعضهم: لقيت أعرابياً فقلت: من أين؟ فقال: من البادية من جبل ضرية، أرض لا نبتغي بها بدلاً ولا عنها حولاً، في أرغد عيش وأنعم معيشة، فالحمد لله على ما بسط من السعة ورزق من حسن الدعة، أَوَما سمعت قول قائلنا:

إذا ما أَصَبْنا كلَّ يوم مذيقةً وخمسَ تُمَيْراتٍ صغار هوامزِ
فَنَحْنُ ملوكُ الناسِ خِصْباً ونِعْمةً ونحنُ أُسودُ الغابِ وقتَ الهزاهزِ
وكَمْ مُتَمَنٍّ عيشةً لا ينالها ولو نالها أضحى بها جدَّ فائزِ

الشاكي عدم المأكل:

قيل لرجل: بِمَ تسَحَّرت البارحة؟ فقال: باليأس عن الفطور الليلة. وقيل لرجل: ما تأكل؟ قال: الخبز والزيت. فقيل: أتصبر عليهما؟ فقال: ليتهما صَبرا عليَّ.

جرير:

تُكَلِّفني مَعِيشةَ آل زيدٍ ومَن لي بالمرقَّقِ والصِّنابِ[1]

وقال أعرابي لامرأته: لو كان عندنا تمر وسمن لطلبنا دقيقاً، واستعرنا طنجيراً، واتخذنا عصيدة. والعرب تسمي الجوع: أبا عمرة. قيل لأعرابي: أتعرف أبا عمرة؟ قال: كيف لا أعرفه وكبدي مخيمة على أمعائه والصفر. وقيل: هو حية في البطن تعضّ إذا جاعت صاحبها. قال أعرابي: ما لي عهد بعضاض ولا مضاغ ولا لماج ولا شماج منذ زمان. وقيل: نزل به أبو عمرة؛ وهو كناية عن الجوع. وقال:

حل أبو عَمْرةَ وسْطَ حجرتي

استطابة الجائع الطعام:

قيل لأبي العملس: أي طعام أطيب؟ فقال: طعام لقي الجوع بطعم وافق الشهوة. قيل: فما ألذّ الأشربة؟ قال: شربة ماء تضيع بها غلتك. وقال محمد بن جعفر: العين طليعة المعدة. وكان مكتوباً على مائدة أنوشروان: ما طعمته وأنت تشتهيه فقد أكلته، وما طعمته وأنت لا تشتهيه فقد أَكَلَك. وقيل: أَحدّ شيء ضِرْس جائعة.

---

(١) ديوانه ص ٨١٢. والصِّناب: الخَردَل المضروب بالزَّبيب.

مَن جسمه ينبىء عن جودة أكله:

في المثل: أفواهه مجاشه[١]. قيل: يريك بَشَرٌ ما أحار مِشْفرٌ[٢]. وقيل لرجل: ما أسمنك! فقال: أكلي الحار وشربي القار والاتكاء على الشمال. وقيل لآخر فقال: قلة الفكرة، وطول الدعة، والنوم على الكظة.

وصف الأكلة:

من الأَكَلة سعد القراقر الذي قيل فيه: أجوع من كلبة حومل[٣]، ودرواس الذي يقول: الغداء غذاء، والغبوق دواء، والقيل حمض، والجاشرية خفض. وزهمان الذي قيل فيه: في بطن زهمان زاده[٤]. أكل سليمان بن عبد الملك أربعين دجاجة، وثمانين كلية بشحومها، وثمانين جردقة، وأحضر الإجاص فأحصى له ثمانمائة نواة. وكان هلال بن مشعر التيمي أكل فصيلاً، وأكلت امرأته فصيلاً، فلما تضاجعا لم يصل إليها، فقالت: تصل إليّ وبيننا جَملان؟ وقال سالم ابن قتيبة: عددت للحجاج أربعاً وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف فيه ملء كف من سمك طري. وكان معاوية يأكل حتى يتربع، ثم يقول: ارفع، ما شبعت حتى مللت.

ابن أبي الأسود:

كأنما في فِيهِ أحجارُ الرحا وكأنما في جوفِه تنُّورُ

آخر:

أقلُّ ما يأكُلُه أقلُّه لا يحملُ النيلَ ولا يقلُّه

ووصف أعرابي رجلاً فقال: هو أَكلة وُكلة وتُكلة.

آخر:

---

(١) في المَطْبوع: «أفواهه هجّاسة»، وهذا تحريف. وهذا القول برواية: «أفواهها مجاسُّها» في المستقصى ١/ ٢٧٥؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٧١. يُضرب مثلاً لأمر يدلُّ ظاهره على باطنه. وأصله أنَّ الإبل، إذا أحسنتِ الأكل، اكتُفِيَ بذلك في معرفة صحّتها وصلاحها عن جَسِّها.

(٢) جمهرة الأمثال ٢/ ٤٣٤؛ والمستقصى ١/ ١٣٧؛ ومجمع الأمثال ١/ ٦٧، ٢٩٠. البَشَر: جمع بَشَرة، وهي ظاهر الجلد. أحارُ: ردَّ، وهو كناية عن الأكل. المِشْفَر: شفة البعير. والمعنى أنك تعرف صحّة البعير من بشرته.

(٣) جمهرة الأمثال ١/ ٣٣١؛ والمستقصى ١/ ٥٧؛ ومجمع الأمثال ١/ ١٨٦. وفي المطبوع: «كلب»، وهذا تحريف.

(٤) جمهرة الأمثال ٢/ ١٠٠؛ والمستقصى ٢/ ١٨٢؛ ومجمع الأمثال ٢/ ٦٨. أصله أنَّ زَهمان أتى قوماً، وقد غروا له جزوراً، فاستطعمهم منها، فأطعموه، ثمّ عاودهم، فقالوا ذلك. يُضرب لكلّ من أخذَ حظَّه من الشيء، ثمّ جاء، بعد ذلك، يطلبه.

كــــأنــــه بــــرذونــــة رغــــوثُ

آخر:

قـرضـابـة طـرفـاه الـدهـر فـي تَـعَـبٍ ضرسٌ طحونٌ وفرجٌ يفسدُ الدينا

آخر:

خِبٌّ جبانٌ، وإذا جاع بكى ولا يواري فرجَه إذا اصطلى
ويأكل التَّمر ولا يُلقي النوى كـأنـه غـرارة مـلأَى خـنـا

آخر:

أَيــا آكــلُ مِــن نــارٍ ويـا أشْـرَبُ مِـن رمْـلِ

وكان بلال بن أبي بردة أكولاً، وفيه يقول الحسن رضي الله عنه: يتكي على شماله، ويأكل غير ماله حتى إذا كظه الطعام، يقول: ابغوا لي هاضوماً. وقيل: وهل تهضم إلاَّ دينك؟ وقيل لرجل: كيف أكل فلان؟ فقال: كما لا يحبه لبخيل. ويتمثل في هذا الباب بقول جرير:

كالحوتِ لا يلهيه شيءٌ يُلْهِمُه يصبحُ ظمآنَ وفي البحر فمُه[1]

وفي الجشاء لابن عيينة:

وتُصْبحُ تقلس عن تخمةٍ كـان جشـاءَكَ عـن فـجـلـه

المسرع اللقم:

شاعر:

ما بينَ لُقمتهِ الأولى إذا ازدردَتْ وبين أخرى تليها قيسُ أظفورِ

آخر:

يُدارِكُ اللقم ولا يخشى الغَصَصْ تـلَـقُّـمـاً يـقـطـعُ أزرارَ الـقـمـصْ

وقال آخر: فلان إذا أكل شدق وعلق وحملق، أي لقمة في فمه، وأخرى في يده، وأخرى يرمقها بعينه. وقيل: فلان برم قرون لمن لا يدخل في الميسر، ثم يأكل تمرتين تمرتين. وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً، فرفع إلى فِيهِ لقمة، لم يأخذ غيرها حتى ينقي فاه منها.

المعظم اللقم:

شاعر:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

أعددت للقمِ بناناً مجرفا وضرس نابٍ كالرحا محرّفا
ومعدة تغليِ وبطناً أكنفا حولاً دكيكاً ما يذوقُ علَفا

أعرابي:

يحشو زوايا بطنِه إذا اضطرَمْ لقماً كأمثال جلاميد الأَكم

البحتري:

وكأَنَّ الفَتَى يَطُمُّ رَكَاياً قد تَهَوَّرْنَ أو يَسُدُّ بُثُوقَا(١)

آخر:

يَلْقُم لقماً ويغدي زاده يرمي بأمثال القطا فؤادَه

آخر:

ترى كلَّ محلولِ الإزارِ كأنما يطينُ سطحاً أو يلقّمُ ناضِحا

وقيل: فلان إنْ أكل لف، وإن شرب اشتفّ.

شاعر:

وكأنما صوتُ التطعمِ منهمُ قُبَلٌ يفوهُ بهِنّ صوتُ شفاهِ

آخر:

كأنَّ دويَّه في الحلقِ لمَّا يُهَمْهِمُ صوتُ رعدٍ في سحابِ

الأكل بالملعقة:

أكل أعرابي بملعقة شيئاً، فاحترق فمه، فقال: أبعدني الله أن أحكم على فمي غير يدي، فإنها رائد حق ونذير صدق. وكره الأكل بالملعقة مع الغير، فإن إدخالها في الفم وإعادتها إلى الصحفة مستقبح. وكان بعض أهل المروءات يضع بين يديه ملاعق، فإذا التقم بواحدة لم يعد إليها.

المملوء فمه من الطعام:

سلم رجل على أعرابي وكان في فمه لقمة، فلما بلعها قال: حَيَّاكَ من خلا فوه! وقال حميد الأرقط:

أَتانا وما داناه سَحْبانُ وائلٍ بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زال عَنْه اللقم حتى كأنه من العِيِّ لما أنْ تكلَّم باقلُ

---

(١) ديوانه ص ١٥٤٢.

من أكل ما اشتهاه ولم يخف عقباه:

حضر أعرابي طعام أمير، فأكل معه، فأحضر الفالوذج، فقال الأمير: إنْ أكلتَ هذا، حززتُ رأسك! فنظر ملياً، ثم رأى تركه خسراناً، فمد إليه يده، وقال: أوصيك بصبيتي خيراً! مر أعرابي بقوم وعندهم طعام فقال: ما هذا؟ قالوا: زقوم. قال: طيب والله، لأساعدنّكم على أكله.

استدعاء الطعام:

قال الأصمعي: أضفتُ أعرابياً، فلما أكلنا، قلت: يا جارية، أطعمينا تيناً، فنسيته، فقلت له بعد ساعة: أتحسن شيئاً من القرآن؟ قال: نعم. فقلت: اقرأ، فقرأ: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين: الآيتان ١ ـ ٢]، فقلت: وأين التين؟ فقال: نسيته أنت وجاريتك من ذلك الوقت. دخل رجل على قوم يشربون، فناولوه أقداحاً، وكان جائعاً، فقال للمغني غنِّ:

خَليليَّ داويتُما ظاهراً ... فمن ذا يُداوي جوًى باطِنا

فعلم صاحب الدار أنه جائع، فقال: غَنِّ له:

مَنْ يَسْأَلُ النّاسَ يَحْرُمُوهُ ... وَسَائِلُ اللَّهِ ما يَخِيبُ[1]

ودخل آخر على قوم، فقالوا له: أيُّ صوت أحَبُّ إليك؟ فقال: صوت المقلى! ودعي ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة، فتأخر عنهم الطعام، فقال لصاحب الدعوة:

يا ذاهباً في دارِهِ آتياً ... من غيرِ ما معنى ولا فائِده

قد جُنّ أضيافُكَ من جوعِهم ... فاقرأْ عليه سُورةَ المائِده

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعوة، فاستبطأ الطعام، فقال: ائتونا بالخوان، نأنسُ به إلى أن يحضر الطعام. وقال النبي ﷺ: «إن الملائكة لا تزال تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة». ودخل أعرابي على رجل بين يديه سلة فيها طعام، فقال: ما هذا؟ قال: بظر أمك. فقال: اعضضنَّ به. ودخل الشعبي على أبي عمرو فتطاولا، ثم قال الشعبي: أعندك تحفة؟ فقال: نعم، أي التحفتين أحبُّ إليك: أتحفة إبراهيم أم تحفة مريم؟ فقال: تحفة إبراهيم عهدي بها الساعة، يعني اللحم، ولكن ائتني بتحفة مريم، فأتاه بالرطب. وقيل لأعرابي: ما تشتهي؟ فقال: حرف جردق وعرق مرق. وقال بعض أهل الكوفة: دخل علي

(١) البيت لعبيد بن الأبرص في ديوانه ص ١٥.

جعيفران، فقال: هل من طعام؟ فقلت: سلق بخردل. فقال: فاشتر بطيخاً. فقلت للجارية: قدمي الطعام، واذهبي فاشتري بطيخاً، فقدمت الطعام وذهبت وتباطأت، فقال جعيفران:

سلقَتْنا وخَرْدَلَتْ ثمَّ ولّتْ وهَرْوَلَتْ
وأَراها بواحدٍ وافرِ الأيرِ قد خَلَتْ

فخرجت في طلبها، فإذا بالسائس قد خلا بها في الدهليز كما وصف.

الاحتجاج للتطفل والتبجح به:

عوتب طفيلي فقال: كلكم طفيليون لكنكم تجهلون أنكم تؤدون الأعمال من غير أن تدعوا إليها، وسواء تطفل على طعام أو على تمنية. وقال طفيلي وقد عوتب: قد تطفل بنو إسرائيل على الله، فقالوا: ربَّنا أَنزلْ علينا مائدة من السماء. وقيل لطفيلي: لا يحل لك أن تأكل من طعام لم تدع إليه، فقال: هذا خلاف قول الله تعالى حيث قال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النُّور: الآية ٦١] إلى قوله: ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ﴾ [النُّور: الآية ٦١]. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: الآية ١٠]. وقال طفيلي: إن لم أدع ولم أجيء وقعت وحشة، ثم أنشد:

نزورُكم لا نُكافئكم بِجَفْوتكم إنّ المحبَّ إذا لم يُسْتَزَرْ زارا

آخر:

لا أرى التطفيلَ إلّا في فتى حرٍّ كريمِ

وقال علي البصري:

أحسنُ الإخوانِ إن خِفْتَ مِن الإخوانِ جَفْوَه
طرحُك الحشمةَ عنهم وتجي من غير دَعْوَه

آخر:

قد أتيناكَ زائرينَ خِفافاً وعلمنا بأنَّ عندَك فَضْله
إنْ تجِدنا كما تُحب وإلا فاحتملنا، فإنما هي أكْله!

المهجو بالتطفل وذمه:

قيل: فلان أطفل من ليل على نهار، وألزم للخِوان من منديل الغمر، يأكل لمّاً ويوسع الحي ذمّاً.

ابن طباطبا:

ولو نُشِرَ النبيُّ لكنتُ منه مكانَ أبي هريرةَ غير مينِ
ألحَّ زيارةً ليلفَّ زاداً معدّاً لابنِ فاطمةَ الحسينِ

آخر:

لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شربةٍ بعمانَ أُمسى جَمْعهم بعُمَانِ

وقال النبي ﷺ: «من مشى إلى طعام لم يُدع إليه، مشى فاسقاً وأكَل حراماً». وكان أبو دلف العجلي كتب من الكرخ إلى محمد بن فاخر بأصبهان: إني أريد أن ألمّ بك يوماً، فأضيفك وأرى أصبهان. فهيأ ابن فاخر، وأنفق مالاً جمّاً، وكان بأصبهان شويعر بينه وبين ابن فاخر عداوة، فكتب رقعة ودفعها إلى من تصدّى لأبي دلف لما قرب من أصبهان، فقرأها، فإذا فيها:

جئتُ في ألف فارسٍ لغداءٍ من الكرَجْ
ما على المرءِ بعد ذا في دنا النفسِ مِن حَرَجْ

فانصرف أبو دلف راجعاً، وأفسد على محمد ما كان هيّأه.

ابن بشير فيمن أكل وحمل:

أكَلوا حتى إذا شَبعوا حملوا الفضل الذي تركُوا

احتمال المشقة فيه:

قال أبو الجهم:

كم لَطْمةٍ في حُرِّ وجهكَ صلبةٍ من كَفِّ بَوّابٍ سَفيهٍ ضابطِ
حتى وصلت فنلتَ أكلةَ ضيغمٍ مُتَضَمِّخٍ بدمٍ وأنفٍ ساقطِ

فسمعها طفيلي قال: نعم، من طلب عظيماً خاطر بعظيم.

الشديد الطمع:

قيل: هو أطمع من أشعب[1]. وكان قيل لأشعب: ما بلغ من طَمَعك؟ فقال: ما زفت عروس إلاّ كنستُ بابي ورششته طمعاً أن تُحمل إلى داري، وما سارر أحد أحداً إلاّ ظننته يأمر لي بشيء. وقيل لطفيلي: ما بلغ من طَمَعك؟ فقال: ما سألتني عن هذا إلاّ وفي نيّتك أن تعطيني شيئاً.

حثّ المتطفل على الوقاحة:

رأى طفيلي آخر، فقال له: هلّا حضرت دعوة فلان؟ فقال: لا يجتمع

---

(١) المستقصى ١/ ٢٢٤؛ ومجمع الأمثال ١/ ٤٣٩.

التطفيل والحياء، أما سمعت قول الشاعر:

لا تَسْتحينَ من القريبِ ولا منَ الفظِّ البعيدِ
وَدَعِ الحياءَ فإنما وجه المطفَّل مِن حديدِ

نوادر المتطفلين:

سمع طفيلي خشخشة الإبريق، فأمسك عن الطعام، فقيل له في ذلك، فقال: حتى يسكن هذا الإرجاف. وقيل لآخر: ما بال وجهك أصفر؟ فقال: للفترة بين القصعتين أخاف أن يكون الطعام انقطع. وقيل لآخر: ما تحفظ من القرآن؟ قال قوله تعالى: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: الآية ٦٢].

وقيل لآخر: اشتر لنا لحماً، فقال: لا أُحسن الشراء. فقيل له: أوقد النار. قال: أنا كسلان. فقيل له: اطبخ. قال: لا أحسن الطبخ. فلما غرف الطعام، قيل له: تقدَّمْ فكُلْ، فقال: أكره أن أُكثر مخالفتكم. وحضر طفيلي باب دعوة فمنعه البواب، فقام ينظر من صير الباب إلى الأطعمة، وأنشد:

وما لكَ منها غير أَنَّكَ نائلٌ بعينيك عينيها، وهل ذاك نافِعُ؟

وأكل أعرابي عند قوم، فلما أراد الخروج قيل له: هل تعود إلينا؟ فقال: ليس مثل السوء لي، ولكن الكلب لا يدع حائطاً شبع منه. وقال طفيلي لقوم يحضرون دعوة: اجعلوني لحقاً بين سطرين.

أكل فضالة المائدة:

روي عن النبي ﷺ: «من أكل من فضالة ما يسقط من المائدة، لم يزل في سعة من الرزق ما كان، ووقي هو وولده وولد ولده الحمق». وقيل: مهور الحور العين أكل فُتاة المائدة.

الخِلال:

قال جعفر بن سليمان: لا بد من الخلال وهو مخربة للأسنان. ودخل رستاقي على قوم يأكلون فأطعموه، فلما فرغوا أعطوه، فأخذ يتأملهم ظنّاً منه أنهم يريدون قلع أسنانهم، فأخرج مسلة معه، فقلع ضواحكه، والتفت إليهم وقال: أنتم بعد في حفر أصل واحدة، وها أنا قد نزعت أربعاً.

وأكل طبري مع قوم، فلما فرغوا، دفعوا إليه خلالاً فظنه مما يؤكل فأكله، فنظر الغلام إليه، فلم ير الخلال معه، فدفع إليه آخر، فقال الطبري: قد أكلت واحداً، ولا أشتهي غيره.

أنواع من هذا الفصل:

قال النبي ﷺ: «إذا صنع خادم أحدكم طعاماً، فليجلسه معه أو يناوله». وقال: «لا تأكلوا في غربال ولا منخل، فإنه يمحق البركة ولا يشبع». وأُتي ﷺ بطعام شديد الحرارة، فقال: «ما كان الله ليطعمنا النار أقرُّوه حتى يبرد، فإن الطعام الحار ممحوق البركة وللشيطان فيه شرك».

البحتري:

تَنَازَعْنا المُدَامَةَ وهي صِرْفٌ وأَعْجَلْنا الطَّبائِخَ وهي نَارُ[1]

* * *

ومما جاء في الدعاء إلى الدعوات

أسماء الدعوات:

المأدُبة والمأدَبة: الدعوة والوليمة عند الإملاك، والعرس عند البناء بالأهل، والخرس للولادة، والإعذار للختان، والنقيعة للقدوم من سفر، وكذلك السفرة والوكيرة والحيرة للبناء، والوضيمة للمأتم، والعقيقة لأول ما يؤخذ من شعر الولد، والنقرى التخصيص في الدعوة، والجفلى التعميم فيها. قال بعض الأدباء العارفين بالفارسية: ليس في اللغة الفارسية شيء من أسماء هذه الدعوات.

الحثّ على اتخاذ الدعوة والإجابة إليها:

قال النبي ﷺ لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: «أَوْلِمْ ولو بشاة». وقال ﷺ: «لو دعيت إلى كُراع لأجبت، ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت». ورُوي أن أصحاب النبي ﷺ كانوا إذا اجتمعوا لم يتفرقوا إلاَّ عن ذواق. وقال ﷺ: «إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجبْ، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك». وفي حديث آخر: «فإن كان مفطراً فليأكل، وإن كان صائماً فليصلِّ»، أي: ليدع لهم بالبركة. وكان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما إذا دعي إلى طعام يحضر، فإن كان مفطراً أكل، وإلاَّ قال: كُلوا بسم الله. ويذكر أن النبي ﷺ قال: «الصائم إذا أُكل عنده سَبَّحَتْ أعضاؤه».

المستدعي صاحبه زاعماً أن به يتم السرور:

كتب أبو الفرج الدمشقي إلى صديق له:

---

(١) ديوانه ص ٩٦٠.

شَهِدَ اللَّهُ أنَّ كل سرورٍ ... غِبْتَ عنه فليسَ لي بسرورِ

آخر:

نحن في أطيبِ الحبورِ ولكنْ ... ليس إلاَّ بكُم يتمّ السرورُ
عَيْبُ ما نحن فيهِ يا أهلَ ودّي ... أنكم غبتمُ ونحنُ حضورُ
فأَعدُّوا المسيرَ بل إنْ قَدرْتم ... أن تطيروا معَ الرياحِ فطيروا

الصولي:

حضَرَ السرورَ وعيبُه ... أنْ لستَ مسعدَنا عليهِ

آخر:

ائتنا إنَّ عندنا بعضَ مَن أنتَ ... له وامِقٌ مِن الأصحابِ
وأُناس فيهم وفيهم ولكن ... ليس بدّ مِن القذى في الشرابِ

مَن دعا صديقه ووصف له طعامه وشرابه:

كتب جحظة إلى صديق له:

لنا يا أخي فَرْحةٌ وافرَه ... وقدرٌ موفّرةٌ حاضره
وراحٌ تريكَ إذا صُفِّفت ... سنا البرقِ في الليلةِ الماطِره
ومسمعةٌ لم يخنْها الصواب ... وزامرةٌ أيما زامِره
وما شئتَ من خبرٍ نادرٍ ... ونادِرةٍ بعدها نادِره
فوافِ وإن كنتَ يا ابنَ الكِرام ... وحاشاكَ في الساعةِ الآخِرهْ[1]

وكتب الوزير العباس إلى نديم لَه:

أيها الكوفي شيخي ... قمْ بنا نحو الدُّوَيْره
فلنا فضلةُ سكبا ... جٍ لدينا في قُدَيْره
ومُدامٌ من دمِ الكر ... مةِ باتتْ في ذُكَيْره
وإذا ما ارتاحتِ النفسُ ... من الراحِ قُطَيْره
فضجيعي ساعِدا عمرو ... وشيخي مع عميرَه

ودعا رجل صديقاً له فقال: ما عندك؟ قال: مرقة طيبة ونفس تستطيب أكلها، فقال: مثلك يجاب! وكتب أبو سعد بن نوقة إلى أبي مسلم بن بحر وراسله برسول يكنى أبا بكر:

---

(١) ديوانه ص ٨٥.

إنْ كنتَ تأكلُ ما حَضَر فاحضُرْ فإنك منتَظَرْ
والساعةُ اقتربَتْ لفر طِ الجوعِ وانشَقّ القَمَرْ
ورسولُنا بكتابنا هذا الظريفُ أبو بكرْ
وبإذنهِ حركْتُ منه الكافَ كيلَا يَنْكَسِر

محمد بن باج:

عِندنا قِدْرٌ لذيذٌ ليسَ للقِدْرِ شريكْ
ونبيذٌ مِن زَبيبٍ وغزالٌ يستَنيكْ
فائتِنا نأكلْ ونشربْ ثم نخلُو فنَنيكْ!

آخر:

وماذا ترى في برمةٍ بقريَّةٍ وأخذٍ بأطرافِ الحديث المنمَّقِ

كتب ابن مكرم إلى أبي العيناء: عندنا سكباج يرعف المجنون، وحديث يطرب المحزون، وإخوانك الملحدون، فلا تعلوا عليّ وائتون. فكتب إليه أبو العيناء: اخسأوا فيها، ولا تكلمون.

مَن دعا أصحابه ووصف لهم من الأطعمة ما لم يف به:

قال الأعمش لجليس له: أتشتهي جدياً سميناً وأرغفة باردة وخلاً حاذقاً؟ فقال: إي والله. قال: فانهض معي. فحمله إلى داره، وقدم إليه خبزاً يابساً وبقلاً وخلاً. قال: فأين الجدي والأرغفة؟ قال: لم أقل لك هما عندي، وإنما قلت تشتهيه. والمسمى بابن العباس الأبله قال لبعض من استقبله: هل لك في قديدٍ هشٍّ وخبز لبن وخبيص ملبق؟ قال: إي والله! قال: اذهبْ إلى السوق، فاشترها، فإني قد أشتهيها، وها أنا أعود إلى دارك لآكلها. قال العطوي: دخلت على أبي سعيد المخزومي وهو بين بابين وعلى أحدهما:

نِعْمَ النديمُ نديمٌ لا يُكَلِّفني ذبحَ الدجاجِ ولا ذبحَ الفراريجِ
يرضى بقِدْرين من برٍّ ومن عَدَسٍ وإن تَشهّى فزيتونٌ بطيبوجِ

فقلت: قد رضيتُ بزيتون، وأعفيتك من القدرين. فقال: اقرأ على الحائط الآخر، فإذا عليه:

اشربْ على الخيرِ والريقِ لعبدِنا الآنَ مِن السوقِ
لا تطلبنّ الخبزَ مِن بيتِنا فإنما تَنْفَخُ في البوقِ

مَن دعا أخاه فاستعجله:

كشاجم في أبيات كتب بها إلى صديق له يدعوه:

فكنْ جوابي ولا تركنْ إلى عُذرٍ فإنْ رَكَنْتَ إلى شيءٍ أَتيناهُ
فقد تيقَّنْتُ أني ما التمست أخاً مُساعداً قط إلاَّ كنتَ إياهُ[1]

كتب أبو مسلم بن بحر إلى أبي سعيد بن نوقة:

تلقَّاكَ يومُكَ بالأسعدِ وأعطيتَ سؤلَك في أحمدِ
فبادِرْ إليّ وُقِيتَ الرّدى وهَبْ لي صلاتَك في المسجدِ

آخر:

جُعلتُ فِداكَ قد حَضَر الطعامُ وصاحَتْ مِن تَأَخُّرِك المُدامُ
فإمّا جئتَنا عَجِلاً وإلا أخَذْنا في اغتيابك والسلامُ

منصور:

كَتَبْتُ والكاسُ في يُمنايَ مُتْرَعةٌ وأَحسنُ الناس يُلهينا ويَسقينا
ونحنُ في مجلسٍ حلّ السرورُ بهِ خلوين من ثالثٍ حتى توافينا
فكن جوابَ كتابي والسلام فما أراك تدركُنا إلاَّ مجانينا

آخر:

كنْ جوابي إذا قرأتَ كتابي لا تردّنَّ للكتابِ جوابا
اعْفنِي مِنْ نعَمْ وسوفَ ولي شغلٌ وكُنْ سيِّداً دُعي فأجابا

معاتبة متباطىء:

قال بعض الناس: دعاني رجل إلى وليمة في يوم جمعة، فمضيت إلى الجامع وتشاغلت، فجئته مع العتمة، فقال لي: يا هذا، عصيت الله في هذا اليوم ثلاث مرات: مضيت إلى الصلاة قبل النداء وقد قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ٩]، وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ١٠] فأقمت إلى العتمة، وعصيت الرسول حيث قال: «الداعي مستغيث فأغيثوه»، فأخجلني.

كشاجم:

تأخرتَ حتى كَدَدْتُ الرسولَ وحتى سئمتُ مِن الانتِظار

---

(١) ديوانه ص ٣١١.

وأَوحشْتَ إخوانَك المسعدين وفجعتهم بشبابِ النَهار
وأَضرمْتَ بالجوعِ أحشاءَهم فنارٍ تزيدُ على كلِّ نار
فإن كنتَ تأملُ أن لا تُذَمّ فأنتَ وحقِّك عينُ الحِمار[1]

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن العلوي في أبيات، وكان قد عاد إلى داره لشغل، ووعد أن يعود إليه فلم يعد:

لِمْ مِلْتَ في العوْدِ إلى التقصيرِ كما يقالُ: حَوْصلِي وطيري[2]

الحث على ترك من تباطأ أو تأخر:

ابن المعتز:

إذا ما تأخّرَ مَن قد دَعَوْت فدعْهُ وما اختارَ مِن أمرِهِ
ولا تشربَنّ بتذكارِه ولكنْ تثاءَبْ على ذِكْرِهِ[3]

آخر:

إنَّ الفُتُوَّةَ كلَّها في أَكْلِ ما يَتَلَهْوَجُ
فإذا تَعَجَّل خَمْسةٌ مِن ستَّةٍ قد أزعجوا
فدعِ انتظارَك واحداً لجماعةٍ قَد زوّجوا
إنّ البطيء عن الدعا ء إلى الإجاعَةِ أحوَجُ

المعتذر لتأخره عمن دعاه:

كتب المهلبي إلى صديق دعاه فلم يمكنه الحضور:

لولا شغيلٌ عاقني بالقربِ حاول عن مزارك
لأَتيت نحوك مسرعاً ولصرت من غلمان دارك
فبحقّ طرفِك وافتنا نِك والمهذّبِ من نجارِك
إلاَّ مننْتَ وقلت لي: إني وهبتُك لاعتذارِك

ابن طباطبا:

ابسُطوا العذرَ في التأخرِ عنكم شغل الحلى أهلهُ أن يُعارا

فضل المجيب الدعوة على داعيه:

قال ناصر الدولة وقد دعاه إنسان إلى دعوته:

---

(١) ديوانه ص ١٥٨.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.
(٣) ديوانه ١/ ٧١٧ ـ ٧١٨.

مَــن دَعـــانــا فــأبــيْــنــا ... فــلــهُ الــفــضْــلُ عَــلَــيْــنــا
فـــإذا نـــحـــنُ أجِــبْــنـــا ... رجَــعَ الــفــضــلُ إلــيــنــا

ودعا بعض الناس أديباً فامتنع فقيل له في ذلك فقال: إنه دعاني مرة فأجبته فلم يشكرني عليه.

شاعر:

أتاني رسولُك يَبْغي الحضور ... فخليْتُ من كنتُ في دعوتِه
وجئتُك يا سيدي مسرعاً ... كأني نوالُك في سرعتِه

ابن الحجاج في أبيات له:

جئتُ بلا وعدٍ لأني فتًى ... يُضْجِرُني التسويفُ والوعدُ

معاتبة مَن شرب الدواء فلم يدعه:

أبو القاسم بن أبي سعد الأصبهاني:

أبا فَرَجٍ عِشْ سعيداً لنا ... ودمْتَ وبُلِّغْتَ أقصى المنى
أسأتَ إلينا وأَوْحَشْتَنا ... وكنتَ قديماً فتًى مُحسنا
وللبيتِ مِصْراعُه المستفيض ... ولولاكَ جئتُ به معلنا
فبيِّنْ لنا العذرَ فيما أتيتَ ... وصِلْ جمعَنا واغتنِمْ شكرَنا

الداعي مَن لا يدعوه:

كان بدمشق شاعران يتعاشران، . وأحدهما مُكْثر عن الآخر ولا يدعوه إلى منزله، فكتب إليه:

أبداً تحصُلُ عندي ... ثم لا أحصُلُ عِنْدَك
إنْ تناصفني وإلاَّ ... أُبتَ يا طائي وَحْدَك

ذكر بعض الكتَّاب أنه كان يعاشر سوقياً، فاتفق أن دعاه يوماً قال: فلما تمكنتُ، اشتغل عني صاحب الدعوة، فعثرت برقعة بخطه فيها: فلان دعاني مرتين، ودعوته ثلاث مرات، فعليه دعوة، وقد ذكرنا على هذا أسامي كل مَن يعاشرنا، فلما انتهيت إلى اسمي فرأيته قد حصل له عليّ دعوات فخرجت وقلت: عليَّ أن لا أتناول طعامك حتى أردّ ما عليّ، قال: فقلت في ذلك:

أرى الدَعواتِ قد صارَت فُروضاً ... ودَيْناً في البرية مُسْتَفيضا
فأَكْرَهُ أن أُجيبَ فتًى دعاني ... ولا أدعو فَيَلْقاني بغيضا

آخر:

إذا كنتَ تدعوني لأدعوك مثلهُ ففِعلُك مَنْحولٌ إلى فعلِ تاجرِ

الحث على تجديد الإرسال إلى مَن دعوته والتعريض:

إذا ما كانَ بينَكَ في عَشِيٍّ وبين أخ من الإخْوان وعدُ
فَجَدِّدْ بالغداةِ له رسولاً فإنّ حوادثَ الأيامِ تغدُو

مثله:

إذا صاحبٌ لك واعَدْتهُ ليومِ اجتماعٍ من الجمعه
فقوِّ عزيمتَه في الوفا بتذكرةٍ لكَ في رقعه

واجتمع قوم في دارٍ ليلة، فأرادوا الصبوح، فقال المغني: دعوا صاحب الدار لي، فإني أحمله على أن يحتبسكم، فغنّى:

ومُعْرسٍ طلبَ الصبوحَ وإنني لفتًى يوافقني الصَّباحُ وحسنُه

فقال الرجل لجاريته: القوم أرادوا الاصطباح، فما الحيلة؟ فقالت الجارية: دعهم لي. وأخذت العود وغنت:

ودار ندامى عطَّلوها وأدلجوا بها أثرٌ منهم جديدٌ ودارِسُ

فانصرف القوم.

* * *

ومما جاء في الأجواد بالقرى

قيل لأعرابي: ما القِرى؟ فقال: نار يعلو شرفها، وخيمة يوطأ كنفها. وقال آخر: تلقِّي النزيل بالوجه الجميل. وقيل: بذل القِرى فوق بذل الندى.

الحث على الإضافة:

قال الله تعالى في مدح قوم: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسَان: الآية ٨]. وقال النبي ﷺ: «أطعموا الطعام، وافشوا السلام، وصِلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام». وقال ﷺ: «إذا نزل الضيف بقوم، نزل برزقه، وإذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم». وقال: «أيما مسلم أضاف فأصبح الضيف محروماً، فحق على كل مسلم نصرته حتى يأخذ قرى ليلته من زرعه أو ماله».

أنس بن مالك: كل بيت لا يدخله ضيف سبعة أيام لم تدخله الملائكة. ومر قتيبة بعذرة فقال: إن من يبخل بما يصير حاله إلى هذا لبخيل. وقيل لبعضهم: ما

الكرم؟ فقال: طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول. وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لأَنْ أختبز صاعاً أو صاعين فأدعوا إليه نفراً من إخواني أحبُّ إليّ من أن أعتق رقبة.

حث الشافع المشفوع إليه على الاصطناع:

كلَّم علي بن الحسين رضي الله عنهما عاملاً في رجل فقال: أنا لا أكلمك في ما يوهي دينك ويوقع أمانتك، ولكن الحر القادر إذا أراد أنْ يُحسن أحسن. وقال الواثق يوماً لأحمد بن أبي دؤاد تضجُّراً بكثرة حوائجه: قد اختلت بيوت المال بطلباتك للائذين بك والمتوسِّلين إليك. فقال: يا أمير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك، وذخائر أجرها مكتوب لك، وما لي من ذلك إلاَّ أن أخلد المدح فيك. فقال: أحسنت! وشفعه. وكتب الصاحب في فصل:

والفتى إن أرادَ نفعَ أخيه فهو يَدْري في أمره كيفَ يسعى[١]

* * *

ومما جاء في الجود والأجواد

ما حد به الجود والأجواد:

قيل للأحنف: ما السخاء؟ قال: الاستقصاء على الملهوف. وقيل: السخيّ من كان بماله متبرعاً وعن مال غيره متورِّعاً. وقيل لصوفي: مَن الجواد من الناس؟ فقال: الذي يؤدي ما افترض عليه. وقيل للحسن رضي الله عنه: من السخيّ؟ فقال: الذي لو كانت الدنيا له فأنفقها، لرأى عليه بعد ذلك حقوقاً. وقال بعضهم: الناس أربعة: جواد وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته، وبخيل وهو الذي لا يعطي واحداً منهما، ومُسْرف وهو الذي جعل ماله لدنياه، ومقتصد وهو الذي أعطى كُلًّا بقَدْره.

كون السخاء واقياً من النقم:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: الآية ١١٥]. وقال النبي ﷺ: «أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة». وقال: عليكم باصطناع المعروف، فإنه يقي مصارع السوء». وقال ﷺ: «السخاء شجرة من أشجار الجنة،

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

أغصانها متدلية في الدنيا. فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى الجنة، والبخيل شجرة من أشجار النار، فمن أخذ بغصن من أغصانها أداه إلى النار». وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أمهل فرعون مع ادعائه الربوبية لسهولة إذنه وبذل طعامه». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: صاحب المعروف لا يقع، وإن وقع وجد متكّأً. وقيل لحكيم: ما الذي يشبه من أفعال العباد فعل الله؟ فقال: الإحسان إلى الناس.

كون المحسن محبوباً عند الله ورسوله:

قال النبي ﷺ: «ألا أدلكم على شيء يحبه الله ورسوله؟ قالوا: بلى، قال: التغابن للناس». وقال ﷺ: «تجافوا عن ذنب السخي، فإنَّ الله تعالى آخذ بيده». وقال: «السخي قريب من الله قريب من الناس، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس». وقال ﷺ: «سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء». وقال: الخلق كلهم عيال الله، وأحبُّهم إلى الله أنفعهم لعياله». وقالت عائشة رضي الله عنها: جُبلت القلوب على حبِّ من أحسن إليها وبُغْضِ من أساء إليها. وقيل: من بذل دراهمه أحبه الناس طوعاً أو كرهاً. وقيل: من غَزُرَ عوارفه كَثُرَ معارفه. وقيل لحكيم: هل شيء خير من الدراهم والدنانير؟ قال: مُعطيهما.

ابن علقمة:

ولا تسألِ الأضيافَ: من هم؟ فإنهم ... هُمُ الناسُ مِن معروفِ وَجْه ومنكرِ

مَن لا يتعلل على معتفيه:

معاوية بن جعفر:

بل لا نقولُ إذا تَبَوَّأ منزلاً: ... إنَّ المحلَّةَ شعبُها مكدودُ

إذ بعضُهم يحمي مَراصِدَ بيتِه ... عن جارِه وسبيلُنا مورودُ

آخر:

ضفتُ ولم أفحشْ عليهِ ولم أقلْ ... لأحرمه إنَّ الفناءَ مضيق

مَن لا يغلق بابه على معتفيه:

قيل: أمدح بيت قالته العرب قوله:

يُغشَوْنَ حَتّى ما تَهِرُّ كلابُهم ... لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المُقْبِلِ[1]

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص ١٢٣.

الرستمي:

ولم يغلقوا أبوابَهم دونَ ضيفِهم ولا شتَموا خدَّامهم ساعةَ الأَكلِ

آخر:

إذا تـغـدى رُفِـعَـت سـتـوره

وقال آخر:

وإذا حضرنا البابَ عند غدائِه أذنَ الغداء لنا برغمِ الحاجبِ

ولما عَرَّسَ جعفر بن يحيى بابنة علي بن عيسى بن ماهان، جعل الطعام في الشوارع، فكلٌّ من شاء أكل، وجعلت الغوالي في مراكن من ذهب، فمن شاء تطيب، ومن شاء أخذ وانصرف. وكان عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما يُسَمّى معلم الجود، وهو أول من وضع الموائد على الطريق، وكانت نفقته كل يوم خمسمائة دينار.

النازل الروابي والأطراف:

أبو فراس:

لـنـا بـيـتٌ عـلـى عـنُـقِ الـثـريـا رفيعُ مذاهبِ الأطناب سامي
تُـظـلِّـلـهُ الـفـوارسُ بـالـعـوالـي وتَـفْرُشُه الـولائـدُ بـالـطـعـامِ[1]

ابن هرمة:

أغشى الطَّريقَ بِقُبَّتي وَرِوَاقِها وأحلّ في نشر الرُّبا فَأُقيمُ[2]

قيل للحسن رضي الله عنه: كيف نزلت بالأطراف؟ فقال: هي منازل الأشراف، يتناولون من أرادوا بالقدرة عليه، ويتناولهم من أرادهم بالحاجة إليهم.

المبادر إلى حمل الضيف:

شاعر:

وقـمـتُ إلـيـهِ مُـسْـرِعـاً فـغـنـمـتُـه مـخـافـةَ قـومي أن يفوزوا به قبلُ
فـأوسَـعَـنـي حـمـداً وأَوسَـعْـتُـه قِـرى وأرخِصْ بحَمْدٍ كان كاسبَهُ الأَكلُ

المسرور بمجيء الضيف وشاكره:

دعبل:

الـلَّـه يـعـلـمُ أنّـنـي مـا سَـرَّنـي شيءٌ كطارِقةِ الضُّيوفِ النُّزَّلِ

---

(١) ديوانه ص ٢٨٤.

(٢) ديوانه ص ١٩٤.

ما زلتُ بالترحيبِ حتى خِلْتُني ضيفاً له والضَّيفُ ربّ المنزلِ[(١)]

وله:

نغماتُ الضيفِ أحلى عِندنا من ثُغاءِ الشاءِ أو ذاتُ الرُّغا[(٢)]

آخر:

لم يُطيقوا أن يسمعوا فَسَمَعنا فَصَبَرْنا على رحى الأسنانِ

صوتُ مَضْغِ الضُّيوفِ أَحْسَنُ عندي مِنْ غِناءِ القيانِ بالعيدانِ

الحرمازي:

لضيفي عليَّ الطولُ ما دام نازلاً عليّ وفوقَ الطول ما استوطَنَ الرحلا

أُبادرُه بالشُّكْر قبلَ حلولِه فإنْ حلَّ بي صيّرتُ خدي له نعلا

المحتشد لأضيافه:

بعضهم:

فتى لا تعد الرسل تقضي ذمامه إذا نزلَ الأضيافُ أو تنحَرَ الجزرُ

وقال بعضهم: دعا فأحسن قرانا، وبرَّ حتى لم يبق في داره ما يتفقدنا به مرة أخرى. وقيل لبعض من اتخذ دعوة: أسرفت. فقال: ليس في الشرف سرف. وقال الحسن فيما ظن لرجل أولم: أسرِفْ فليس في الطعام سرف.

كشاجم:

كأنَّ الزائرينَ إذا أَتَوْه مُفاجَأَةً أَتوهُ على تعادِ[(٣)]

الحث على ترك التكلُّف وتعجيل الحاضر:

قال النبي ﷺ: «هلاك بالرجل أن يدخل عليه النفر من أصحابه فيحتقر ما في بيته أن يقدَّم إليهم». وقال: «لا أحب المتكلفين». دُعي أمير المؤمنين إلى دعوة فقال: على أن لا تحتشد ما ليس عندك ولا تحتبس ما عندك. بكر المزني: إذا أتاك ضيف، فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما هو عندك، قدمْ إليه ما حضر. وقيل: الضيف إلى القليل العاجل أحوج منه إلى الكثير الآجل، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]. وقال بعض العلوية:

---

(١) ديوانه ص ٢٦٥.

(٢) ديوانه ص ٩٧. والرُّغاء: صوت الإبل. وفي المطبوع «تلك الوغاء» وهذا تحريف.

(٣) لم أقع عليه في ديوانه.

إذا طُرِقْتَ فما حَضرْ وإذا دَعوْتَ فلا تَذَرْ

عذر من قدم ما حضر:

نزل ضيف بأعرابية، فقدمت له خبزاً يابساً ولبناً حامضاً، فذمها، وقال:

أَلم ترَ أن المرءَ مِن ضيقِ عيشِه يُلام على أخلاقِه وهوَ مُعْذَرُ
وما ذاك مِن لؤمٍ ولا من ضراعةٍ ولكنه إن يطبل الدهر يزمرُ

آخر:

إذا أنتَ لم تشرِكْ رفيقَك في الذي يكونُ قليلاً لم تشاركْه في الفضلِ

آخر:

لَقَلَّ عاراً إذا ضيْفٌ تضيَّفني ما كان عندي إذا أعطيْتُ مجهودي
جهدُ المقلِّ إذا أعطاك نائله ومكثرٌ مِن غنى سيانِ في الجودِ

عذر من لم يقدر:

استضاف قوم ابن هرمة فخرجت بنية له فصرفتهم واعتذرت إليهم، فقالوا لها: أليس أبوك القائل:

لا أمنَع العودَ بالفصالِ ولا أبتاعُ إلاَّ قريبةَ الأجلِ

قالت: هذا الفعل هو الذي ترككم بلا قرى. وقال رجل لمن سأله فلم يعطه فعاتبه: بيتي يبخل لا أنا[1]!.

عتب من لم يرض بما حضر:

قال شقيق: دخلنا على سلمان، فقدَّم لنا شيئاً، وقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن نتكلف للضيف لتكلفت لكم، فجاءنا بخبز وملح، فاقترحنا عليه السعتر فذهب بمطهرته، فلما أكلنا، قال أحدنا: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا. فقال سلمان: لو قنعكم، لم تكن مطهرتي مرهونة. وقيل: ليس بكريم من لم يقنع بما حضر.

مدح من آثر على نفسه أو أهله:

نزل ضيف على أنصاري، وكان عنده شيء طفيف فأحضره، وأطفأ السراج ليأكل الضيف، فلا يشاركه فيه. فلما أصبح قال النبي ﷺ: «عجب ربكم تعالى

---

(١) جمهرة الأمثال ١/ ٢١٥؛ والمستقصى ٢/ ١٦؛ ومجمع الأمثال ١/ ٩٢. والقول فيها منسوب إلى امرأة.

البارحة منكم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحَشر: الآية ٩].

وقال صوفي لآخر: كيف يعمل فقراؤكم؟ قال: إذا وجدوا أكلوا، وإذا عدموا صبروا. فقال: هذا فعل الكلاب، إن الفقير منا إذا عدم صبر، وإذا وجد طعاماً آثر به غيره! وقال مالك بن دينار يوماً: ما أكلت العام رطبة، وكان حوله سبعمائة في تلك السنة لحطمة نالتهم.

شاعر:

وزادٍ رفعتُ الكفَّ عنه تَكَرُّماً   إذا ابتدأ القومُ القليلُ مِن العقلِ

آخر:

كريمُ مكانِ الكفِّ من ذي إنائِه   إذا قلَّ زاد القوم من جانب اليدِ

آخر:

سأقْدَحُ من قِدْري نصيباً لجارتي   وإن كان ما فيها كفافاً على أهلي

المساعد ضيفه في مؤاكلته:

قال النبي ﷺ لبعض نسائه: «آكلي ضيفَكِ، فالضيفُ يستحي أن يأكل وحده». وكان ملوك الهند يؤاكلون أضيافهم، وملوك الفرس يأكلون بعدهم.

بعضهم:

حُسْنُ أكْلِ الفتى يدلُّ على   إيناسِه ضيفَهُ وبَسْطِ أكيلِه
وتراه يفلّ منه ويدعو   ذاك أضيافَه إلى تبخيلِه

آخر:

وزادٍ وَضَعْتُ الكفّ فيه تَأَنُّساً   وما فيَّ لولا أنسةُ الضَّيْفِ من أكلِ

المساعد رفقاءه بذات يده:

بعضهم:

وإني إذا ما ضمَّني السيرُ والسُّرى   جعلتُ مطايا الرحْلِ مِنَّا تعاقبا
فأوسِعُ ركبان الفيافي مزاودي   وما زال مأدومي لصحبي تناهبا
أَأوبُ وقد نَفَضْتُ ما في حقائبي   جميعاً إذا رَدَّ اللِّئامُ الحقائبا

أرطأة بن سهية:

وما دون ضَيْفي من تِلادٍ تحوزُه   لي النفسُ إلاَّ أن تصانَ الحلائلُ

الحث على إكرام الضيف:

قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرمْ ضيفه». وقال ﷺ: «ليس مني من بات شبعان، وضيفه بطنه طاوٍ».

عمرو بن الأهتم:

وجاري لا يهيننه وضيفي إذا أمسى وراء البيتِ كورُ[1]

آخر:

والضيفَ أكرِمْهُ فإنَّ مبيتَه حقٌّ ولا تَكُ لَعْنةً للنزَّلِ

مدح القائم بخدمة الضيف:

قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الذّاريات: الآية ٢٤]؛ قيل: وصفهم بذلك لأنه قام بخدمتهم بنفسه.

المقنع:

وإني لعبدُ الضَّيفِ ما دامَ نازلاً ولا فيَّ إلاَّ تِلكَ مِن شيمةِ العبدِ[2]

قال:

وعبدٌ للصَّحابَةِ غيرُ عبدِ

جحظة البرمكي:

يا أمَّ طارق ليلٍ قد أَلَمّ بنا استَغْنمي أجرَه فالأجر مُغْتَنَمُ

كوني له أمةً فيما يحلُ لهُ ورَفِّهيهِ ففي ترفيههِ كَرَمُ[3]

ونزل ضيف بجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، فتخفَّف هو وغلمانه عند نزوله، وعاونوه في حلوله، فلما أراد الارتحال عنهم، لم يعنه غلام، فشكاهم فقال: إن غلماننا لا يعينون على الارتحال عنا.

الاستقصاء على الأكيل مدحاً وذماً:

قال ابن عون: ما رأيت أسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين. وكان الحسن رضي الله عنه يقول: الطعام أهون من أن يحلف عليه. وكان ابن سيرين يحلف يقول: أقسمت لتأكلن.

دعبل:

---

(١) ديوانه ص ٨٤.

(٢) ليس في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ١٦١.

كيف احتيالي لبسطِ الضَّيفِ من حصر   عندَ الطعام، فقد ضاقَتْ بهِ حيلي[١]؟

وقدم رجل إلى الشعبي طعاماً، فقصر في أكله، فقال: قصرت. فقال: يا هذا، إما أن تحلف علينا أو تدعنا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من داخل إلاَّ وله حيرة فابدأوه بالسلام، وما من مدعو إلى طعام إلاَّ وله حشمة، فابدأوه باليمين.

محادثة الأكيل:

كره قوم الحديث على المائدة، واستحبه قوم، ومن صاحب الدعوة أحسن، ؛ ولذلك قال الشاعر:

صادفَ أُنساً وحديثاً ما اشتهى   إنَّ الحديثَ طرفٌ مِن القرى

وقيل: إن محادثة الإخوان تزيد في لذة الطعام.

أحمد بن أبي طاهر:

وأكثرُ ما ألذُّ به وألهو   محادثةُ الضُّيوفِ على الطَّعامِ

وقيل: مَن أكثر الكلام على طعامه، غشَّ بطنه وثَقُلَ على إخوانه.

مُضاحكة الأضياف:

شاعر:

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحلهِ   ويُخْصبُ عندي والمحلّ جديبُ

وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثرَ القِرى   ولكنما وجْهُ الكَريمِ خصيبُ[٢]

أعرابي:

نقريهمُ الوجْهَ ثم البذل يتبعُه   لا نترك الجهدَ مِنَّا قلّ أو كثرا

آخر:

أبسطُ وجهي للضيوفِ النزّلِ   والوجهُ عنوانُ الكريمِ المفضِلِ

فَضْل الاجتماع على الأكل:

شكا رجل إلى النبي ﷺ قلة البركة في طعامهم، فقال: لعلكم تتفرقون على طعامكم. قال: نعم. قال: اجتمعوا عليه، واذكروا اسم الله لديه. وقال ﷺ: «ألا أخبركم بشراركم؟ من أكل وحده، وضَرَب عبده، ومنع رفده». وكانت العرب تَعُدُّ التفرد بالأكل احتقاب وزر، حتى أنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن

---

(١) ديوانه ص ٣٤٨.

(٢) ديوانه ص ٢١٢.

تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النُور: الآية ٦١]. وقال أبو أمامة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العَاديَات: الآية ٦] إنه الذي يأكل وحده!.

شاعر:

إذا ما صَنَعْتِ الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لستُ آكلهُ وحدي!

وقال عبد الله بن المعتز في اجتماع الأيدي على الطعام:

كأنَّ أَكُفَّ القومِ في جفناتهِ ... قطاً لم يُنَفِّرهُ عن الماءِ صارخُ

من نحر سمان الإبل للضيف:

وصف أعرابي رجلاً، فقال: نحر لنا ذا سديف مسرهد ونيء غير مصرد، فقدمه في جفان كالحوابي وقدور كالجياني.

العجير السلوي:

وإنَّ ابنَ عمي لابنُ زيدٍ وإنه ... لبلَّالُ أيدي حلةِ الشولِ بالدمِ

ابن المعتز:

والسَّيفُ راعي إبلي في المحلِ ... يسلمُها إلى قدورٍ تغلي

يرقلُ فيها بالوقودِ الجزْل ... إرقالها في السيرِ تحتَ الرحْلِ[1]

المتنبي:

تفري صوارمُه الساعاتِ عَبْط دمٍ ... كأنما الساعُ قِفالٌ ونزالُ[2]

من نحرها له لما قلّ لبنها:

لبيد:

إذا ما دَرُّها لم يَقْرِ ضيفاً ... ضَمِنَّ له قِراهُ مِن الشُّحومِ[3]

عوف بن الأحوص:

إذا الشَّوْلُ راحَت ثم لم يَغِدُ حملُها ... بألبانِها ذاقَ السِّنان عَقِيرُها[4]

الخائف إبله النحر:

أبو هرمة:

وكانت تطير الشول عرفان صوتهِ ... ولم تمسِ إلَّا وهي خائِفةُ العقرِ

أبو فراس:

---

(١) ديوانه ١/ ١٦٠.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ١٠٤.

(٤) ديوانه ص ٥٠.

وتُصْبحُ الكومُ أشتاتاً مروعةً ... لا تأمَنِ الدهرَ إلاَّ مِن أعاديها[١]

من لا يبقي إبله لحسنها عن النحر:

بعضهم:

إذا أخذَتْ بزلُ المخاضِ سلاحَها ... تجرَّدَ فيها متلف المالِ كاسبه

البسامي:

ترى إبل البخيلِ لها سِلاحٌ ... تُهابُ، وما لإِبْلي مِن سِلاحِ

تُناوِحُ إن رأت شخصاً غريباً ... يوافي عند هبّاتِ الرِّياحِ

الموقد ناره للأضياف:

قيل لأعرابي: ممن أنت؟ قال: ممن لا يُزْجر وفودهم ولا يُسَرّ وقودهم. وقيل لآخر مثله فقال: ممن يهتدي برأيه الصحب، ويستدل بناره الركب. وقال آخر: لهم نار وارية الزناد قديمة الولاد، تضيء لها البلاد، ويحيى بها العباد.

مضرس بن ربعي:

وإني لأدعو الضيفَ بالضرِّ بعدما ... كسا الأَرضَ نضاحُ الجليدِ وجامدُه[٢]

آخر:

له نارٌ تشبُّ بكُلِّ قاعٍ ... إذا النيرانُ ألبَسَتِ القناعا

ابن مطرود:

أوقدَ النار بالفضا حين لم ير ... ضَ نباح الكلابِ للأضيافِ

كعب الأشعري:

رفعوا الوقودَ على الجبالِ ترفُّعاً ... أن يُستَدلّ عليهمُ بنباحِ

ابن ميادة:

وناراه نارٌ يجذبُ الضيفَ ضوؤُها ... وأخرى يصيبُ المجرمين سعيرُها[٣]

وأما قول الآخر:

متى تأتِنا تلممْ بنا في ديارِنا ... تجد حَطْباً جزلاً وناراً تَأَجَّجا[٤]

فلم يتبجح إلاَّ بوجود الحطب والنار في اللفظ، وقد أحسن القائل:

---

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

(٢) ديوانه ص ٨١.

(٣) ديوانه ص ١٢٩.

(٤) البيت لعبيد الله بن الحرّ في خزانة الأدب ٩/ ٩٠، ٩٩.

متى تأتِه تعشو إلى ضوءِ نارهِ تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ موقِدِ[١]

المتبجح بأن كلابه تُسَرّ بمجيء الضيف:

قال جرير:

حبيبٌ إلى كَلْبِ الكريمِ مناخُه يفيضُ إلى الكَوماءِ والكلبُ أبصرُ[٢]

آخر:

وكَلبُك أبصرُ بالمعتَفين من الأمِّ بابنتِها الزاهِده

عبد الأعلى العبدي:

فللكلبِ لمَّا أن هداه إلى القِرى نَصيبٌ وللنورِ الدليلِ نَصيبُ

ابن هرمة:

ويدلُّ ضيفي في الظّلام على القِرى إشرافُ ناري أو نُباحُ كلابي[٣]

حتى إذا واجهتُهُ وعرفتُه فَدَّيته ببصابصِ الأذنابِ

آخر:

يُبَصْبِصُ كلبُنا إن جاءَ ضيفٌ ويقْتل إن ترمرمَ بالهريرِ

المتبجح بأن كلابه لا تهر على الضيف:

حسان بن ثابت:

يِغشَوْنَ حتى ما تهرّ كلابُهم لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ[٤]

آخر:

وما يك فيّ من عَيْبٍ فإني جَبانُ الكلبِ مهزولُ الفصيلِ

قال الأصمعي لبعض الأعراب: ما تعرفون من مكارم الأخلاق؟ قال: تضيء نارنا للضيف، ولا تنبح كلابنا، ونقريه وجوهنا قبل طعامنا.

الفرزدق:

وإني سفيهُ النارِ للمبْتَغي القِرى وإنِّي حليمُ الكلبِ للضيفِ يطرقُ[٥]

فجمع بين سفه النار وهو فرط التهابها وحِلْم الكلب، وذلك بديع.

---

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٥١.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

(٣) ديوانه ص ٧٠ ـ ٧١.

(٤) ديوانه ص ١٢٣.

(٥) لم أقع عليه في ديوانه.

البارز قدره:

بعض بني غطفان:

قُدوري بِصَحْراءَ منصوبةٌ ولا تمنعُ الضيفَ إسجافيه

حاتم:

لأنْ تستري قدري إذا ما طبختها عليَّ إذاً ما تطبخين حرامُ[١]

الراعي:

إني أُقسِّمُ قِدْرِي وهيَ بارزَةٌ إذ كُلُّ قِدْرٍ عَرُوسٌ ذاتُ جِلْبَابِ[٢]

العظيم قدره:

حسان:

رأيتُ قُدورَ الصادِ حولَ بيوتِنا قنابلَ دهماً في المَباءةِ صيما[٣]

آخر:

نَصَبْنا لهُ جوفاءَ ذاتَ ضبابةٍ من الدهمِ مِبطاناً طويلاً ركودُها

ولما قال مضرس:

وقِدْرٍ كحيزومِ النعامة أحمَشَتْ بأجذال خشيم زالَ عنها هشيمُها

سمع ذلك زياد الأعجم فقال: وما حيزوم النعامة؟ لعن الله هذه من قِدْر! فما أحسبها تشبع آل مضرس، فقيل له: فكيف تقول أنت؟ قال أقول:

وقِدْرٍ كجوفِ الليلِ أَحْمَشْتُ غليَها ترى الفيلَ فيها طافياً لم يَفْصلِ

لو أنَّ بني حواءَ حولَ رمادِها لما كانَ مِنهم واحدٌ غيرُ مصطلي[٤]

غليان القدر:

الفرزدق:

كأنَّ المجالَ الغرّ في حجراتِها عذارى بدَتْ لمَّا أصيبَ حميمُها[٥]

دعبل:

وباتت قِدْرنا طرباً تُغني علانيةً بأعضاءِ الجزورِ[٦]

الكميت:

---

(١) ديوانه ص ١٦٤.

(٢) ديوانه ص ١٢.

(٣) ديوانه ص ١٢٩.

(٤) ملحق ديوانه ص ١١١.

(٥) ديوانه ٢/ ٢٥٤.

(٦) لم أقع عليه في ديوانه.

كأنَّ هرير الغَلْي في جنباتِها تغيظُ غيراً عند بعضِ الضرائرِ[١]

وقال شاعر:

وقُدورٍ على اليَفاع يُنادي الضيفَ منها تغيُّظُ الغليانِ

وقد زاد هذا الشاعر حيث زعم أن غليان قدره يدعو أضيافه، وإن كان فيه غلو معن بن زائدة في وصفه:

إذا اختلفَتْ أوصالُها فكأنما يُزَعْزِعُها مِن شدةِ القلي أفكَلُ

آخر:

كأنَّ صياحَ الغلي في سجراتها بغايا عليهن الحليّ يُقَعْقِعُ

عامر بن الصلتان:

كأن تَتابعَ الغليانِ فيها فوارسُ عامرٍ تبغي قِراعا

العظيم الجفان:

الأعشى:

يروحُ على آلِ المحلّقِ جفنةٌ كجابيةِ الشَّيخِ العراقيّ تفهقُ[٢]

السفاح بن بكيرة:

المالىءُ الشّيزي لأضيافِه كأنها أعضادُ حَوضٍ بقاعِ

أبو خراش:

نُقاتِلُ جوعَهم بمكلَّلاتٍ من الفرني يرعبُها الجميلُ[٣]

المكثر مرقه لما قلّ لحمه:

زيد الفوارس:

وسعْ بمدِّك ماءَ اللحم تقسمُه وأكثرِ الشربَ إنْ لم يكثرِ اللبنُ

وقيل: أكثروا المرق، فإنّه أحد اللحمين.

المرخص لحمه مطبوخاً:

شبيب ابن البرصاء:

وإني لأغلي اللحمَ نيئاً وإنني لممَّنْ يهينُ اللحمَ وهو نضيجُ[٤]

بعض بني ضبة:

---

(١) ديوانه ١/ ١٨٤.

(٢) ديوانه ص ٢٧٥.

(٣) شرح أشعار الهذليين ص ١٢١٤.

(٤) ديوانه ص ٣١٣.

أرى ذاك في عيني قبيحاً وللفتى سوى الجارِ ربحٌ في التجارة واسِعُ

* * *

ومما جاء في البخلاء بالقرى

بخيل بالطعام متجوز:

ابن الحسن العصفوري:

لا تكارمْ تَشبُّهاً بالكرامِ ليس تخفى الوجوهُ عندَ الطعامِ

من لا يحتشد لضيفه إلاّ بعد حضوره:

شاعر:

خافَ الضياعَ على شيء يُعجِّلُه مِنَ المآكلِ إنْ أصحابُهُ ثقلوا

فما يقلُّ على العجلانِ برمته حتى يرى أنهم في الدارِ قد حَصَلوا

وحُكي عن بعض البخلاء أنه رُئي في داره جمل قد نبر وجعل سميطاً، وهو يجول في داره، قال: فسألته عنه، فقال: إنا دعونا قوماً، فخفنا أن يتأخروا، فجعلنا الجمل على هذا الكي إن حضروا سهل إصلاحه، وإن تأخروا لم يلحقنا ضرر بذبحه.

من قلّ في دعوته الطعام:

أكل رجل مع بعض الهاشميين، فكان على مائدته أرغفة متبددة، فلما فرغ من رغيفه، قال: يا غلام فرسي! فقال الهاشمي: وما تصنع به؟ قال: أركبه إلى ذلك الرغيف. وهب بن شاذان:

ماتَ في عِرْسِ سُليما نَ مِن الجوعِ جماعَه

ماتَ أقوامٌ وقومٌ عَلموا فيهِ القَناعه

لم يكنْ ذلكَ عِرْساً إنما كانَ مجاعَه

وقال بعضهم: من ضاف فلاناً، استغنى عن الكنيف، وأمنَ التخمة.

محمد بن يوسف:

أَبني سَعيدٍ إنكم مِنْ مَعْشرٍ لا يعرفونَ كرامةَ الأضيافِ

قرنوا الغداءَ إلى العشاء وقَرَّبوا زاداً لعمر أبيكَ ليس بكافِ

بينا كذلك جاءَهم كُبراؤهُم يلحون في التبذير والإسرافِ

وأضاف رجل أعرابياً، فلم يأته بشيء يأكله حتى غشي عليه من الجوع،

فأخذ يقرأ عليه القرآن، فقال:

لـخـبـز يـا أخـيّ عـلـيـهِ لـحـمٌ ... أحـبُّ إلـيَّ مِـن حُـسْـنِ الـقـرآنِ
تـظـلُّ تُـدَهْـدهُ الـقـرآنَ حـولـي ... كـأنـي مـن عـفـاريـتِ الـزمـانِ

من لا تمس يد ضيفه طعامه:

شاعر:

أمـا الـرغـيـفُ لـدى الـخـوا ... نِ فكـالـحـمـامِ لـدى الـحـرَمْ
مـا إن يـحـسّ ولا يـمـسّ ... ولا يـذاقُ ولا يـشـمّ

المصيصي:

يـضـعُ الـطـعـامَ ولـيـس إلاَّ شـمَّـه ... عـلـقَـتْ روائِـحُـه بـأنـفِ الـزائـرِ
فعلى جليسِك غَسْلُ عينيهِ إذا ... رفعَ الخِوانُ مع الهجاءِ السائرِ!

جحظة:

طوبى لمن يشبعُ مِن خبزِكم ... فـهـو عـلـى مُـهْـجـتِـه آمنُ[1]!

من شبع وضيفه جائع:

فضالة:

وحسبُ الفتى لؤماً إذا باتَ طاعماً ... بـطـيـنـاً وأمـسـى ضيفه غيرَ طاعِمِ

آخر:

[وكُـلُّـهُـمْ قَـدْ نـالَ شَـبْـعـاً لِـبَـطْـنِـهِ] ... وشبعُ الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبُه[2]

قال الأعشى في علقمة:

تبيتون في المشتى مِلاءٌ بطونُكم ... وجاراتُكم غرثى يبتنَ خمائِصا[3]

فقال علقمة: فضحني والله! اللهمَّ أخْزه إن لم يكن صادقاً!.

من يؤذي ولا يقري:

بعضهم:

إن يوقِدوا يوسِعونا من دخانِهمُ ... ولـيـسَ يُـدركـنـا مـا تـنـضـجُ الـنَّـارُ

آخر:

---

(١) ديوانه ص ١٧٢.
(٢) البيت لبشر بن المغيرة في لسان العرب ٨/ ١٧١ (شبع).
(٣) ديوانه ص ١٩٩.

لا يرتجي الجارُ خيراً في بيوتهمُ ولا محالةَ من شَتْمٍ والغابِ

المنفرد عن أصحابه بالأكل:

بعضهم:

يـروغُ ويـأكُـلُ فـي جَـفْـنـةٍ وأكـبـادُ ضـيـفـانِـه جـائِـعَـه

وقيل للجماز: من يحضر مائدة الهبيرا، فقال: أكرم خلق الله، الكِرام الكاتبون. واصطحب رَجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نأكل معاً. فقال: معي خبز ومعك خبز، فلولا أنك تريد الشر، لأكلت وحدك! وقيل لآخر: ألا تأكل معنا؟ فقال: الجماعة مجاعة. قال الشاعر:

الآكِـلـون خـبـيـثَ الـزادِ وحـدَهُـمُ والسائلون بظَهْرِ الغيبِ: ما الخبرُ[1]؟

ومر رجل بآخر يأكل، فسلم عليه، فقال له: هلمّ، فهَمَّ الرجل أن يقعد معه، فقال الآكل: رفقاً! أما عرفت هذا ما هو؟ فقال: ما هو؟ قال: عليّ أن أقول: هلمّ، وعليك أن تقول: هنيئاً، حتى يكون كلاماً بكلام! فقام الرجل فقال: قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد. فقال: قد أعفيت نفسي إذاً من «هلمّ».

شاعر:

وجيرةٍ لا ترى في الناسِ مِثْلهمُ إذا يـكـونُ لـهـم عـيـدٌ وإفـطـارُ
إن يوقدوا يوسعونا مِن دخانِهمُ ولـيس يدركُنا ما تنضجُ النارُ

المستأثر بسني الطعام على الضيف:

قيل: كان مالك بن المنذر يقدّم إليه ثريدة بلقاء ما يليه منها حواري، وما يلي الناس خشكار، فقال شاعر:

أمـيـرٌ يـأكُـلُ الـفـالـوذَ فـرداً ويُطعمُ ضيفَهُ خُبْزَ الشعيرِ

وقال أبو بكر بن أبي سعيد لأبي الفضل بن العميد، وقد استبد بأكل طعام دون ندمائه: أيها الأستاذ، هذا من الصفايا؛ أراد به قول الشاعر:

لـك الـمـربـاعُ مِـنـهـا والـصـفـايـا

وقال وقد قدم طعام، فمد أبو الفضل سبط العميد يده، فتناوله، فقال: أنت كما قال:

أبـوكَ لـنـا غَـيْـثٌ نـعـيشُ بـسَـيْـبِـهِ وأنت جرادٌ لستَ تُبقي ولا تذَرُ!

---

(١) البيت للأخطل في ديوانه ص ٩٠.

من حرد لتناول أكيله ما بين يده:

أكل أعرابي مع سليمان بن عبد الملك، فتناول الأعرابي من بين يديه شيئاً، فأكله، ثم مدَّ يده، فتناول شيئاً آخر، فقال سليمان: كلْ مما يليك. فقال: أَوَههنا حِمى؟ فقال: خذْها، لا هنأ لك المرتع! وأكل صعصعة مع معاوية، فأخذ شيئاً من بين يديه، فقال معاوية: انتجعت. فقال: من أجدب انتجع، ومن لم يعد الجواب انقطع. وأكل آخر مع معاوية، فجعل يمزق جدياً على المائدة ويمعن في أكله، فقال معاوية: إنك تحرد عليه، كأنَّ أمّه نطحتك! فقال الرجل: وإنك لمشفق عليه كأن أمّه أرضعتك!.

ذم من لا يظفر بخبزه:

قيل لرجل: كيف وجدت فلاناً؟ قال: كان بي الجوع، فانتظرت الطعام، فأبطأ حتى درسته بمضغ اللبان مخافة النسيان.

ابن باذان:

قَدْ عَلِمْنا أن في دا ... رِك ما يكفي قبيلَه

ورأينا عَرْضَ بستا ... نِك والفرشَ النبيلَه

غيرَ أنَّ الجنّ لا ... تقدر في خبزِك حيله

شاعر:

لو دَخَلتْ مَنْزِلَهُ ذرّةٌ ... لم تجدِ الذرةُ ما تأكلُ

آخر:

قد فرَّ مِن منزلِهِ فأرُه ... وعاذ بالجيرانِ مُسْتَرزِقا

هو مأخوذ من قول امرأة لزوجها: والله ما تقيم الفأرة في دارك إلاَّ لحب الوطن! وقال أبو نواس:

وما خبزهُ إلاَّ كعنقاءِ مغربٍ ... تُصَوَّرُ في بُسْطِ الملوكِ وفي المثلِ[1]

آخر:

وخبزك غير منقطع الترابِ

وقال بعضهم: خبزه في الهواء لا يوصل إليه إلاَّ بسلم من زبد في يوم صائف.

---

(١) ديوانه ص ٤٠٨.

الصغير الأواني:

ذمَّ رجل آخر، فقال: غضائره مساق وألوانه أواق. وقال آخر: فلان دعواته ولائم، وأقدامه محاجم، وكؤوسه محابر، ونوادره بوادر.

أبو نواس:

رأيتُ قُدورَ الناسِ سُوداً من الصَّلى ... وقِدرُ الرَّقاشيين زهراءُ كالبدرِ
يبينها للمعتفي بفنائِهم ... ثلاثُ كحظ الثاء من نقطة الحبرِ
ولو جئتَها ملأى عَبيطاً مجزِلاً ... لأخرجْتَ ما فيها على طرفِ الظفرِ[1]

معن بن زائدة:

وقِدْرٍ كَكَفِّ القردِ لا مُسْتَعيرُها ... يُعارُ، ولا مَن ذاقَها يتدسَّمُ!

الصغير الرغفان:

الخوارزمي:

كأنَّ رُغفانَهُ إذا وُضِعتْ ... عُشور نقطٍ كُتِبْنَ في وَرَقِ

البسامي:

أتانا بخُبْزٍ له حامِضٍ ... شَبيهِ الدراهم في حِلْيته
يُضرِّسُ آكِلَه طعمُه ... ويَنْشب في الحلق من خشْنته
فلمّا تَنَفَّسْتُ عِند الخوانِ ... تطايرَ في الجوِّ مِنْ خِفَّته!

من يصعب عليه كسر رغفانه:

قال اليزيدي:

سِيّانِ كَسْر رغيفه أو ... كَسْرُ عَظْمٍ مِنْ عِظامه

ونحوه:

كأنما كلُّ لقمةٍ أُكِلَتْ ... منزوعةٌ من يديهِ مختلسَه

جحظة:

ولما كسرتُ له جردقاً ... ومن ذا يطيقُ له كسر جردقْ؟
تغير لي عَنْ جميع الوداد ... فصارَ جريراً وصِرتُ الفرزدقْ[2]

الصائن طعامه الباذل عرضه وأهله:

قال شاعر:

---

(١) ديوانه ص ٤١٧.

(٢) ديوانه ص ١٣١.

وباتَ رَخيصاً عِنْده صَوْنُ عرضِه ورغفانُه في الناسِ جِدّ نوال

وهب:

قد كان يعجبُني لو أن غيرتهُ على جرادقِهِ كانت على حَرَمِهِ

عبدان:

رغيفُك في الأمْنِ يا رُسْتُمي يحلُّ محلَ حمام الحرمْ

فَلِلَّهِ دَرّكَ يا سَيِّدي حرامُ الرغيفِ حلالُ الحرمْ

وقيل لبخيل: إنك تكرم خبزك، وتهين لإكرامه نفسك! فقال: كيف لا أفعل ذلك، والخبز هو الذي أخرج حواء وآدم وإبليس والطاووس من الجنة بسببه؟.

المعير ضيفه بكثرة أكله والمانع:

قال رجل لبعض الكبار: لِمَ لا تدعوني لدعوتك؟ فقال: لأنك جيد المضغ شديد البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى. فقال: أتريدني إذا أكلت لقمة أن أصلي ركعتين بين كل لقمتين؟ وصنع أعرابي طعاماً ودعا إليه صديقاً، فلما أراد أن يمد يده، قال له: مهلاً لا تصفَعها، ولا تشرمها، ولا تقعرها! أي: لا تأكل من أعلاها، ولا تخرقها، ولا تأكل من أسفلها. وقال بعضهم لآخر: لِمَ لا تدعوني؟ فقال: لأنك تعلق وتشدق وتحدق، أي: تحمل واحدة في يدك، وأُخرى في شدقك، وتنظر إلى أُخرى بعينك.

مرق قليل الدسم واللحم:

تغذى الجماز عند هاشمي، فمرَّ الغلام بصحفة، فقطر منها قطرة على ثوب الجماز، فقال الهاشمي: ٱئته بطست يغسلها. فقال الجماز: دَعْه فمرقتكم لا تغير الثياب، أي: لا دسم لها.

جحظة:

قدَّمَ سكْباجةً مُزَوَّرة أحمضَ من وجهِه إذا أُكِلتْ[1]

ابن سكرة:

أكلتُ بالأمسِ جزوريّةً تُخْبزُ عن خسَّةِ أربابِها

للَّحم فيها أثرٌ دارِسٌ كأنما مَرَّ على بابِها

وكان رجل في دعوة، فأخذ عراقاً، فلم يجد عليه لحماً، فوضعه وأخذ

(١) ديوانه ص ٥٢.

آخر، فقال صاحب الدار: أُلعبْ بعسك. ووجد آخر قدراً كثيرة العظام، فقال: أطبخت الشطرنج أو أسنان الزنج؟ وقال آخر: أَقِدْر هذه أم قَبْر؟.

من يصعب عليه أكل طعامه:

عباد:

كـأنـمـا الآكـلُ مِـن خُـبْـزِهِ ... يَقْلعُ منه شحمةَ العيـنِ

آخر:

يـرى أنـه مـن بَـعْـضِ أعـضـائِـه أكْـلـي

أحمد بن أبي طاهر:

لو لم تكُنْ حركاتُ المضغِ تُؤلِمُه ... لـكـانَ أَكـثَـرَ خَـلـق الـلَّـهِ إخـوانـا

وأكل أشعب عند زياد الحارثي مضيرة، فأمعن فيها، فقال: ليس لأهل السجن من يصلي بهم التراويح في رمضان، فليحمل أشعب ليصلي بهم. فقال أشعب: الطلاق لي لازم لا أذوق المضيرة، فاستحيا زياد وتركه.

بعث رجل إلى امرأته بلحم طفيف، فطبخته لوناً، فلما جاء قدمته إليه، فقال: كم طبخت؟ قالت: لوناً واحداً. فقال: أنت طالق! قد كانت لي امرأة قبلك أبعثُ إليها بجرادة، فتطبخ منها سبعة ألوان غير القديد!.

ذم المتأمل أكيله:

أكل أعرابي مع معاوية، فرأى معاوية في لقمته شعراً، فقال: خذ الشعرة من لقمتك. فقال: وإنَّك لتراعيني مراعاة من يبصر معها الشعر، والله لا آكلتك بعدها!

وقال بعضهم: فلان عينه دولاب لقمة أكيله.

حاتم:

ولَـلْـمـوتُ خيـرٌ مِـن زيـارة بـاخـلٍ ... يلاحظُ أطرافَ الأكيلِ على عَمْدٍ[1]

الشاتم غلمانه على الطعام:

أبو نواس:

رأَيـتُـك عـنـد حـضـور الـطَّـعـام ... سـريـعـاً إلـى الـعـبـدِ والـعـبـده

وتـحـتَـدُّ حتـى يـخـافَ الأكـيـلُ ... شَـذاكَ عـلـيـه مِـنَ الـحِـدَّه[2]

(١) ديوانه ص ٢٩٥.

(٢) ديوانه ص ٤٤٠.

جحظة:

إن كـنـتَ تـهـوى أن أزو رَكَ أو حـنـنـتَ إلـى الـزيـارَهْ
فَـدَعِ الـشـتـيـمـة لـلـغـلا مِ إذا دنوتُ مِن الغضارهْ[1]

المغلق بابه عند الأكل:

قال بعض المبخلين لغلامه: هات الطعام، وأغلق الباب. فقال: يا مولاي، هذا خطأ، أغلق الباب أولاً، ثم أقدم الطعام! فقال: اذهبْ، فأنت حر لعلمك بأسباب الحزم.

بعضهم:

قـومٌ إذا أكـلـوا أخـفَـوا كـلامَـهـمُ واستوثَقوا من رتاجِ البابِ والدارِ

جحظه:

القاطعين مخافةَ الإنفاقِ أسـبـابَ الـصـديـقْ[2]

الرقاشي:

تَراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْيافِ خُرْساً يُقِيمُونَ الصَّلاةَ بلا أَذَانِ[3]

المعتذر إلى أضيافه لبخله:

قيل: المَعْذرة طرف من البخل. وقال زيد الأرانب، لمَّا سئل عن خزاعة، قال: جوع وأحاديث.

جرير:

والتَّغْلبيّ إذا تنحْنَحَ للقِرى حكَّ استَه وتمثَّل الأمثالا[4]

وقال: رميت الأخطل ببيت لو نهشته الأفعى في استه ما حكّه.

المانع كلبه والدافن ناره خشية الطراق:

الحطيئة:

دفعت إليهِ وهو يكعمُ كلبَه ألا كُلُّ كَلْبٍ لا أبا لك نابِحُ[5]

زياد الأعجم:

ومـا تـركَ الـكَـلْـبُ الـنـبـاحَ مَـخـافـةً على زادِهِم لكنْ على النفسِ يحذَرُ[6]

---

(١) ديوانه ص ٩١.
(٢) ديوانه ص ١٣٠.
(٣) البيت بلا نسبة في العقد الفريد ٦/ ١٨٨.
(٤) ديوانه ١/ ٥٢.
(٥) لم أقع عليه في ديوانه.
(٦) ديوانه ص ٦٧.

عقبة بن مرداس:

نيرانُهم مَحْجوبةٌ ونساؤهم مَبْذولةٌ وصَحيحُهم مَكْلومُ

آخر:

كَأنَّ كلابهم والليلُ داجٍ كُهولٌ لا يحبُّون السَّفاها

آخر:

قَوْمٌ إذا النيرانُ شبَّتْ للقرى بالت بناتُهم على النِّيرانِ

آخر:

قومٌ إذا استنبَح الأَضيافُ كَلبَهم قالوا لأُمِّهم: بولي على النارِ[1]!

الأكل في وقت يأمن فيه الزوار:

قال رجل: إنَّا لا نأكل إلاَّ نصف الليل. فقيل: لمه؟ قال: يبرد الماء، وينقمع الذباب، ونأمن فجأة الداخل وصرخة السائل.

النظيف المطبخ والطباخ:

شاعر:

مَطْبخُ داودَ من نظافته أشبهُ شَيءٍ بصرحِ بلقيسِ

ثيابُ طبّاخِهِ إذا اتَّسَخَتْ أنقى بياضاً من القراطيسِ

البسامي:

مَطْبخُهُ قفرٌ وطبّاخِ أفرغُ من حجَّام ساباطِ

البخيل بالماء:

أبو الشيص:

شرابُك في السماءِ إذا عطشنا وخبزُكَ عند مُنْقَطع الترابِ

وما روَّحتنا لتذبَّ عنَّا ولكن خفتَ مرزية الذبابِ[2]

آخر:

الماء في مَنْزلهِ طرفةٌ يشربُه الضيفُ بمقدارِ

المقتر على نفسه بخلاً:

قال بعض البخلاء: ترك الغداء للعشاء ربح العشرة عشرة.

---

(١) البيت للأخطل في ديوانه ص ٢٣٤.

(٢) ديوانه ص ١٤٩.

ابن الرومي:

يُقَتِّرُ عيسى على نَفْسهِ ... وليسَ بباقٍ ولا خالدِ
ولو يَسْتَطيعُ لتقتيرهِ ... تنفَّسَ مِن مِنْخَرٍ واحدِ[1]

وقيل: أهل الكوفة إذا عتق عندهم التنور وتكثر، دققوه وجعلوه في الفتيت لما تشرب من الخبز. وقيل: إن بعض البخلاء حقن، فلما حركه الطبع، دعا بطست، فقعد عليه، وقال للغلام: ضفْ هذا الدهن للسراج. وقال رجل لغلامه: اشتر من لحم واطبخه سكباجاً، لأعتقك. ففعل، فأكل المرق، وترك اللحم، فلما كان اليوم الثاني، قال: اطبخه مضيرة. ففعل، فأكل المرق، وترك اللحم، فلما كان اليوم الثالث قال: اطبخه قلية. ففعل فقال له العبد: يا سيدي، اعتق هذا اللحم واتركني رقيقاً، فلقد آذيتني من كثرة ما أعذبه بالنار!.

وكان بعض الكبار توضع على مائدته كل يوم دجاجة، فلا تؤكل بل ترفع، ثم تسخَّن في اليوم الثاني، وتقدم، فتترك بحالها، فقال بعض الحاضرين، دجاجتنا هذه من آل فرعون، تعرض على النار غدوّاً وعشيّاً!.

المتبجح بجفائه للضيف:

شاعر:

وأَجْبَهُ ضيفي حين يحتلُّ ساحتي ... بسَيْفي ولا أرضى بما يفعل الكلبُ

آخر:

وإنّا لنَجْفو الضَّيفَ من غير عسْرةٍ ... مخافة أن يضري بنا فيعودا

آخر:

أَعدَدْتُ للضيفانِ كلباً ضَارياً ... عندي وفَضْلَ هرواةٍ من أرزنِ
ومعاذراً كذْباً ووجهاً باسراً ... وتشكِّياً عضّ الزمانِ الألزنِ!

* * *

(١) ديوانه ٢/ ١٦٠.

الحد الحادي عشر
في الشرب والشراب

فمما جاء في الشرب

سبب تحريم الخمر:

أصل ذلك أن رجلاً من جلة المهاجرين سكر، فصلى بالناس وغلط في القراءة، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّساء: الآية ٤٣]. فشربوها بعد ذلك في غير وقت الصلاة، ثم شرب أنصاريّ فشجّ رأس صاحب له بلحيي جمل، فنزل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المَائدة: الآية ٩١] إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٩١]؟ فقالوا: انتهينا يا ربنا، وتركوا شربها في كل وقت. وقيل: أنما حرمت لأن حمزة رضي الله عنه كان في شرب فسكر، فاجتبَّ سنام شارفين لأمير المؤمنين علي، أناخهما إلى جانب حجرته، فدخل عليه النبي ﷺ فلامه، فقام ثملاً محمرَّ العينين وقال: هل أنتم إلاَّ عبيدنا وأبناء عبيدنا؟ فعرف النبي ﷺ فكر على عقبيه.

ما يدل على تحريم الخمر:

قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩]. وهذا أول ما نزل في تحريم الخمر، ثم قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّساء: الآية ٤٣]. ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المَائدة: الآية ٩٠]. وقال النبي ﷺ: «حرمت الخمرة بعينها والمسكر من كل شراب». وقيل للنبي ﷺ: ألا نبيعها؟ فقال: «ألا إن الله لعن الخمر وغارسها وشاربها وعاصرها ومعتصرها، وساقيها وحاملها وبائعها وآكل ثمنها»! وقد أجمع المسلمون على تحريمها.

تحريم النبيذ:

قال النبي ﷺ: «كلُّ مُسْكر حرام». وقال: «كُلُّ مُسْكر خمر». وقال: «ما أسكَرَ كثيرُه فقليله حرام». وروي أنّ إبليس لما لعن قال: يا ربّ، اجعلْ لي

شراباً. فقال: شرابُكَ كُلُّ مُسْكِر. وروي أنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة: العنب والتمر والبر والشعير والعسل، ونهى عن الفضيخ وقال: ما خمرته فهو خمر.

تحليله:

قال النبي ﷺ: «حرمت الخمرة بعينها والمسْكر من كل شراب». وسمعت بعض العلماء يحتج في ذلك بقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النّحل: الآية ٦٧]. فأخبر على سبيل الامتنان علينا باتخاذ السكر منه وأخبار لا يصح فيها النسخ. ورفع إلى النبي ﷺ رجل شرب مُسْكراً، فأمر به فضُرب، فقال:

أَلا أَبلغْ رَسولَ اللَّه عني بأني ما سرقْتُ ولا زنَيْتُ
شربتُ شريبةً لم تبقِ عرضاً ولا أَنا لذةً منها قَضَيْتُ

فقال ﷺ: «لو علمت ما ضربته». استحضر عيسى بن موسى ابن عياش وابن إدريس، فسألهما عن النبيذ، فقال ابن عياش: حلال، وقال ابن إدريس: حرام. فقال ابن عياش: أدركنا أبناء الصحابة والتابعين بهذه المدة شربونها في الولائم حلالاً كانت أو حراماً، وبكاؤنا على أصل الدين أشد من بكائنا على النبيذ. سئل بعض القدماء عن نبيذ العسل فقال: حرام! فقيل: لم؟ قال: لأنكم لا تؤدون شكرها.

وقال بعضهم: سقاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه نبيذاً شديداً، وقال: إنَّا نأكل لحوم هذه الإبل، فنشرب عليها النبيذ الشديد ليقطعها في بطوننا. وأُتي النبي ﷺ بنبيذ فشمه وقطب وجهه ثم ضربه بالماء، وقال: إن هذا الشراب سيغتلم ويشتد، فما عليكم فافعلوا به هكذا. وقال حفص بن غياث: كنت عند الأعمش وعنده نبيذ، فاستأذن قوم من أصحاب الحديث فسترته بمنديل، فكرهت أن أقول لئلا يراه الداخلون، فقلت: لئلا يقع فيه الذباب، فقال: هيهات، هو أمنع جانباً من ذلك! قال النخعي: كانت الرواية: كلُّ مُسْكر حرام، فزادوا فيه الميم، وليس ما قاله بصحيح.

نوادر في تحليله:

قال ابن أبي ليلى لأبي حنيفة: أيحل النبيذ وبيعه وشراؤه؟ قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك نباذة؟ فقال أبو حنيفة: أيحل الغناء وسماعه؟ قال: نعم. قال: أفيسرك أن أمك مُغَنية؟.

ووضع رجل بالكوفة على باب المسجد نبيذاً بين يديه، وجعل ينادي: من يشتري رطلاً بدرهم بتحليل أبي حنيفة؟ فقال له أبو حنيفة: يا رجل، إنك فعلت قبيحاً! فقال: ألست حللته؟ قال: صدقت ومن الحلال أنك تجامع امرأتك، ولو استحضرتها الجامع وجامعتها، لاستقبح ذلك. ولقي أبو حنيفة سكران فقال له السكران: يا أبا حنيفة، يا ابن الزانية، إني شربت النبيذ! فقال: ما أحسنت حيث أحللت النبيذ حتى شربه مثلك.

شاعر:

رأيُه في السَّماعِ رأيُ حِجازيّ وفي الشُّرْب رأيُ أهلِ العراقِ

وقال بعضهم: أباح أهل الحَرَمين الغناء، وحرموا النبيذ، وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء، فأوجدونا السبيل إلى الرخصة فيهما عند اختلافهما إلى أن يقع الاتفاق.

قال بعضهم:

من ذا يُحَرِّمُ ماءَ المزنِ خالَطَه في جوف باطيةٍ ماءُ العناقيدِ؟

إني لأَبغضُ تحريمَ الرواةِ لها فيها، ويُعْجِبُني قولُ ابنِ مسعودِ

يعني ما رواه من قول النبي ﷺ: «ثمرة طيبة وماء طهور». وقال إبراهيم بن محمد بن إسماعيل: النبيذ من المستضعفين في الأرض، يتركه من يتركه، ويأتي ما هو أعظم منه.

استباحة الخمر:

مرَّ عمرو بن معدي كرب بعيينة بن حصن، فأطعمه تمراً، ثم قال: أسقيك لبناً، أو ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية؟ فقال: أليس قد أمرنا بتحريمها؟ فقال عيينة: كلا إنَّ الله تعالى قال: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المَائدة: الآية ٩١]؟ فقلنا: لا. فسكت وسكتنا. فقال عمرو: هاتها، فأنت أفقه مني! قال بعضهم: الخمر من الجنة لأن الله تعالى يقول في صفة أهل الجنة يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: الآية ٣٤] والخمر تُذهب الحزن.

قيل لإياس بن معاوية: ما تقول في الكرم والتمر والماء، هي حلال أو حرام؟ فقال: حلال. فقيل: لمَ حُرِّمَ الخمر، وإنما يتخذ من ذلك؟ فقال: أرأيت لو صُبَّ عليك ماء وتراب وتبن أكان يوجعك؟ قال: لا. قال: فلو جُمِعَ ذلك كله، وجُعل لبنةً، وضُرب به رأسك، أليس يوجعك؟ وقال ابن الرومي:

أَبـاحَ الـعِـراقـيُّ الـنَّـبـيـذَ وشـربَـهُ وقال: حَرامانِ: المُدامةُ والسُّكْرُ
وقـال الـحِـجـازيُّ الـشّـرابـانِ واحـدٌ فحلَّ لنا من بين قولَيهما الخمرُ
سـآخِـذُ مِـن قـولـيـهـمـا طـرفـيـهـمـا وأشربها، لا فارق الوازرَ الوزرُ[١]!

تعظيم السكر واختلاف الناس فيه:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما ذنب أعظم من السكر! وذلك أن العبد يُذنب فيتصور له ذنبه، ويعلم أن الله ربه، وإذا سكر نسي ذنبه ولم يعرف ربه، وشر الذنوب ما فرق بين العبد وبين معرفة ربه. ورُوي أنَّ إبليس قال: مهما أعجزني ابن آدم، فلن يعجزني إذا سكر أنْ آخذ بزمامه، فأقوده حيث أشاء وأحمله على ما أريد.

شاعر:

وإنَّ امـرأً يـبـتـاعُ سُـكـراً بـصِـحّـةٍ لفي سَكْرةٍ تُغْنيه عن ذلك السُّكْرِ

حدّ السُّكر:

قيل لبعضهم: ما حَدُّ السُّكْر؟ قال: هو أن تعزب عنه الهموم، ويظهر سرّه المكتوم. وقيل: حده أن يحسن عندك ما كان قبيحاً. وأخذ ذلك أبو نواس، فقال:

اسْـقـنـي حـتـى تـرانـي حَـسَـناً عـنـدي الـقـبـيـحُ[٢]

وله:

لا تَلُمْني على التي فَتَنَتْني وأَرَتْني القبيحَ غيرَ القبيحِ[٣]

وصف سكران:

انتهى المأمون إلى يحيى بن أكثم، فرآه ثملاً نائماً في الرياحين، فقال له: قمْ. فقال: رجلي لا تُطاوعني. فقال: خذْ. فقال: كَفّي لا تواتيني. فقال فيه:

وصـاحِـبٍ ونـديـم ذي مُـحـافـظـةٍ سبطِ الـبـنـانِ بـشـربِ الـراحِ مَـفْـتـونِ
نـادَيْـتـه ورواقُ الـلـيـل مُـنْـسَـدِلٌ تـحتَ الـظـلام دفـينٌ في الـريـاحـيـنِ
فقلت: قم، قال: رِجْلي لا تُطاوعني! فقلتُ: خُذْ، قال: كَفّي لا تـواتيني
إنِّي غَـفَـلْـتُ عـن الـسـاقـي فَـصَـيَّـرني كـمـا تـراني سَـليبَ العقـلِ والـديـنِ

---

(١) ديوانه ٣/ ٨٢.
(٢) ديوانه ص ٣٤٨.
(٣) ديوانه ص ٣٥.

ابن المعتز:

مشوا إلى الراحِ مَشْيَ الراحِ وانْصَرفوا والراحُ تمشي بهم مَشْيَ الفرازينِ[١]

أبو الوفاء:

حتى يروح السُّكْرُ فينا وقد قام مقامَ الشكْلِ والعَقْلُ

آخر:

مُزَّةٌ تَتْرُكُ عقلي ذاهباً في التُّرَّهاتِ

ابن طباطبا:

جُعِلتُ أسيراً في يَدِ الراحِ مُوثَقاً فأقْبَلْتُ أمشي مِشْيَةَ المتقاعسِ

تماكِسُ رَحْلي في خُطا أستزيدُها ولم أَكُ في أتراعها بالمماكسِ

وقيل لسكران: نبعث معك من يحفظك؟ فقال: لا أُريد، فما مضى من عقلي في خفارة ما بقي:

لو يرى الناسُ في المدامةِ رأيي لم يبيعوا ببَدْرَةٍ عنقودا

أبو محجن:

إذا مُتُّ فادفني إلى جَنْبِ كَرْمةٍ تُروّي عِظامي بعد موتي عروقُها

ولا تدفِنّني بالفلاةِ فإنني أخافُ إذا ما متُّ أن لا أذوقَها[٢]

وقال عبد العزيز بن مسلم العقيلي: رأيت قبره بأرمينية تحت شجرات كرم، فذكرتُ قوله، فتعجبّتُ من الاتفاق الواقع له.

إسحق الموصلي:

اشرَبْ هُديتَ علانِيَه أمُّ المروءَةِ زانيه

اشربْ فديتُك واسْقني حتى أنامَ مكانِيه

وَدَعِ التَّسَتُّرَ والرِّيا ءَ فما هما مِنْ شانِيَه[٣]

أبو الهندي:

يا خَليليَّ اجعلا لي كفَناً وَرَقَ الكَرْمِ وقَبْري المَعْصرَه

إنني أَرجو غداً من خالقي بعد شُربِ الراحِ حُسنَ المغفِره[٤]

وله:

(١) ديوانه ٣/ ٣٥٩.
(٢) ديوانه ص ٤٨.
(٣) ديوانه ص ٢٠٦.
(٤) ديوانه ص ٣٣ ـ ٣٤.

أنا الشَّيخُ الخليعُ فسيبوني لكمْ إسلامكم وعَلَيَّ كُفْري[١]

مَن شرب مع إقراره بتحريمها:

قيل لبعضهم: لِمَ لا تترك النبيذ؟ قال: لا أدعه حتى يكون أسوأ عملي. قال أبو العيناء: جمعني ورسول ملك الروم مجلس المتوكِّل، وقد أُحضر الشراب، فقال الرسول: ما لكم حُرِّم عليكم الخمر ولحم الخنزير فشربتم الخمر وتركتم لحم الخنزير؟ فقلت: إن لحمَ الخنزير لما حُرِّم وجد خير منه الحملان والجدي، فاستُغني به عنه. والخمر لم يوجد خير منها، فكان يُسْتَغْنَى به عنها.

عبيد الله بن عبد الله بن سلام:

وقد يَشْرَبُ الإنسانُ ما لا يحلُّه وتُحسِنُ أحياناً لهُ الشبُهاتُ

أبو نواس:

فَخُذْها إنْ أرَدْتَ لذيذَ عَيْشٍ ولا تعدِلْ خليلي بالمدام

فإنْ قالوا: حَرامٌ! قُلْ: حرامٌ ولكنَّ اللذاذةَ في الحرامِ[٢]

وله:

لا تَسْقني الدهرَ ما كنتَ لي سكَنا إلاَّ التي نَصَّ بالتحريم جبريلُ

إنْ كانَ حَرَّمها الفُرقانُ بعد فَقَدْ أَحلَّها قَبْلُ توراةٌ وإنجيلُ[٣]

الحثّ على الكناية عن ذكرها:

ابن باذان:

ألا فاسْقني صهباءَ مِنْ حَلب الكرمِ ولا تسقني خمراً بعِلْمِكَ أو علمي

أبو نواس:

اثْنِ على الخمر بآلائها وَسَمِّها أَحْسَنَ أسمائِها[٤]

الاستغناء بها عن مباشرة الأعمال ومصاحبة السلطان:

عبد الصمد:

يبيتُ ونفسهُ مِنْ كلِّ شيء سِوى تدبيرِ لهوٍ مُسْتريحَهْ[٥]

يعقوب بن الربيع:

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) ديوانه ص ٥٦١.
(٣) لم أقع عليهما في ديوانه.
(٤) ديوانه ص ٢٨.
(٥) ديوانه ص ٧٩.

إذا كان عندي قُوت يوم وليلةٍ من الراحِ ينفي الهمَّ عني إذا اتّسعْ
فلَسْتَ تراني سائِلاً عن خليفةٍ ولا عن وزيرٍ للخليفةِ ما صنَعْ

حفظ المدام عن اللِّئام:

قال بعضهم: وددت أنَّ الكاس بألف، والحِرَ في وجه الأسد حتى لا يشرب إلاَّ كريم، ولا ينكح إلاَّ شجاع.

أبو نواس:

أَجُلُّ عن اللِّئامِ الراحَ حتّى كأنَّ الراحَ يُعْصَرُ من عِظامي[(١)]

وله:

ووقِّرِ الكاسَ عن سَفيهٍ فإنَّ حقّاً لهُ الوقارُ[(٢)]

وكان ابن الرومي في مجلس فيه ثقيل بغيض، فعرض الكاس عليه، فامتنع ولام ابن الرومي، فقال له ابن الرومي:

يا لائمي في الراحِ غير مُقْصرٍ لا زالَ رأيُكَ سَيِّئاً في الراحِ
فأقلُّ ما في تركِ مثلِك شربَها توفيرُها وطهارةُ الأقداحِ[(٣)]

ابن باذان:

صَرَفَ الكاسَ عن دُناةٍ لِئامٍ همَّهم للشَّقاء جَمْعُ الكنوزِ

الحث على مسابقة الزمان بتناول المدام وتعاطي اللذات:

العتابي:

بادِرْ إلى اللذاتِ مهما أَمكنَتْ بورودهِن بوادرُ الآفاتِ
كم من مؤخّرِ لذةٍ قد أمكنَتْ لغدٍ وليس غَدٌ له بمواتِ
حتى إذا فاتَتْ وفاتَ طلابُها ذهبَتْ عليها نفسُه حسراتِ
تأتي المكارهُ حينَ تأتي جملةً وترى السرورَ يجيء في الفلتاتِ[(٤)]

وقد أحسن المتنبي في هذا المعنى حيث يقول:

ذرِ النفسَ تأخذ وسعَها قبل بينها فمفترقٌ جارانِ دارُهما عمرُ[(٥)]

آخر:

---

(١) ديوانه ص ٣٠٢.
(٢) ديوانه ص ٧٣.
(٣) ديوانه ٢/ ٦٣.
(٤) ديوانه ص ٦٣.
(٥) ديوانه ٢/ ٢٥٣.

بـادِرْ فـإنَّ الـزَّمـانَ غِـرٌّ ... مـن قبلِ أنْ يفطنَ الزمانُ

آخر:

وبـادِرْ فـإنَّـا لـلـخـطـوبِ فـرائِـسُ

ديك الجن:

خُذْ مِن زمانِك ما صفا ... وَدَعِ الـذي فيـه الـكـدَرْ
فـالـعُـمْـرُ أقـصـرُ مُـدَّةً ... مِنَ أنْ يمحق بالغِيَرْ[1]

أبو الفرج الدمشقي:

تـغْـنـم الـغـفـلاتُ مِـن ... دَهْرٍ يجودُ على الكرامِ

الخبرأرزي:

وذَرِ الـهُـمـومَ نَـسـيـئـةً ... وتَـعَـجَّـلِ الـلـذَّاتِ نـقـدا

وليزيد بن معاوية:

ومَـن عَـرَفَ الأيـامَ مـعـرفـتـي بـهـا ... يُبادِرُ بـاللّذاتِ قبلَ العَوائِقِ[2]

آخر:

وخُـذْ مِـنَ الـدُّنـيـا ولـذاتِـهـا ... فـإنَّـمـا نـحـنُ بـهـا عـارِيَـهْ

قال الصاحب: حضرت الوزير المهلبي يوماً، وقد جاءه خادم عمر المطيع، وفي يده رقعة وفيها غنى لنا بيتان، وهما:

عَـرِّجْ عـلى الـخمـرِ وحـانـاتِـهـا ... وأسـقِـنـا فـي وَسْـط جنَّـاتِـهـا
وعَـلِّـلِ الـنـفـسَ ولـو سـاعـةً ... فـإنَّـمـا الـدنـيـا بـسـاعـاتِـهـا

فاجعلهما أربعة أبيات فقال لي تفضل، فقلت:

والـروحُ فـي الـراحِ إذا اتـبـعـك ... بـهـا كَـهـايـا خِـشْـفُ أوهـاتِـهـا
وقَـيْـنـةٍ تـسـبـي بـأصـواتِـهـا ... نـأخـذُ مـن أطـيـبِ أوقـاتِـهـا

الحث على اعتبار الوقت في المسرات دون ماضيه ومؤتنفه:

أبو العتاهية:

ليسَ فيما مضى ولا في الذي لم ... يـأتِ مـن لـذةٍ لـمـسْـتَـجْـلـبـيـهـا
إنـمـا أنـتَ طول عمرك، ما عمر ... ت، في الساعة التي أنتَ فيها[3]

---

(١) ديوانه ص ٦٦.

(٢) ديوانه ص ٥٣.

(٣) ديوانه ص ٤١٦.

يزيد المهلبي:

أَعْجَزُ النـاسِ مضيع يومه وهو لا يعلمُ ما يأتي غدُه[١]

ابن الحجاج:

خُذِ الوقتَ أخذَ اللِّصِّ واسْرقْه واخْتَلِسْ فوائدَه بالطيبِ أو بالتطايبِ

ولا تَتَعلَّلْ بالأماني فإنَّها مطايا أحاديثِ النُّفوس الكواذبِ

الحث على مبادرة الشيب بتناول المسرات والخمور:

عبد الله بن السمط:

بادِرْ شبابَكَ أن يغتالهُ الزمَنُ واقضِ ما أنت قاضٍ والصَّبا حَسَنُ

ابن الجهم:

فبادِرْ بأيامِ الشَّبابِ فإنّها تفوتُ وتَقْضي والغوايةُ تَنْجلي[٢]

أبو علي:

أعطِ الشبابَ نصيبَه ما دمْتَ تَعذرُ بالشبابِ

المتنبي:

أَنعم ولذَّ فللأمورِ أواخرٌ أبداً إذا كانتْ لهنَّ أوائلُ

ما دمتَ من أربِ الحسانِ فإنما روقُ الشبابِ عليك ظلٌّ زائِلُ

لِلَّهوِ آونةٍ تمرّ كأنها قُبَلٌ يزوّدها حبيبٌ راحِلُ[٣]

ولهذا باب في الشيب والشباب.

مَن شرب على الكِبَر:

كان إسماعيل بن حمدون يصطبح ويغتبق خمسين سنة ثم ترك النبيذ فعمي، فعاود عادته في الشرب، فقيل له، فقال: لا يجتمع عمى وظمأ.

أبو نواس:

قالوا: كبرتَ! فقلتُ: ما قصُرتْ يدي عن أن تحثُّ إلى فمي بالكاسِ[٤]

اليعقوبي:

هل لك في عذل ابنِ ستين درِكْ شيخ إذا ما غمّه العذلُ فتكْ

فهو خليعٌ في الضلال منهمِكْ

(١) ديوانه ص ٢٦٣.
(٢) ديوانه ص ٥٤.
(٣) ديوانه ٣/ ٣٧٠.
(٤) ديوانه ص ٩٨.

استقباح الشرب بالمشايخ:

بعضهم:

أبَعْدَ ستينَ قد ناهزتُها حجَجاً أحكِّم الراحَ في عقلي وجثماني؟
يا قبحَ مُعْتَجرٍ بالشَّيبِ من كِبَرٍ راحَتْ تميلُ بهِ أعطافُ سكرانِ!

آخر:

أَمِنْ بعدِ ستينَ ناهزْتُها أعللُ قلبي بإطرابهِ؟

ترك الشرب قبل الكبر:

بعضهم:

لا أجمعُ الحِلْمَ والصَّهباءَ قد سكنَتْ نفسي إلى الماءِ من ماءِ العناقيدِ
لم تَنْهني كبرةٌ عنها ولا فَنَدٌ لكن صحوتُ وغُصْني غير مخضودِ

مخالفة اللوام في تناول المدام:

أحمد بن أبي طاهر:

اسقِنيها برغمِ مَنْ لامَ فيها مِنْ نصيحٍ وعاذِلٍ وحَسَودِ

ابن المعتز:

خَليليَّ طوفا بالمُدامِ وبادِرا بقيةَ عمري والسلامُ على مِثْلي
ألا إنما جسْمي لروحي مَطيةٌ ولا بدّ يوماً أن تعرّى من الرّحل
أيا عاذلي هَلّا اشتَغَلْتَ بسامِعٍ كما أنا مَشْغولٌ بكاسي عنِ العذلِ[1]؟

البسامي:

خَلِّ عني لَسْتَ من أربي أربي في الكاسِ والطربِ
دونكَ العذبَ الزلالَ ولي سَعةٌ في صَفْوةِ العِنَبِ

آدم بن عبد الله بن مروان:

قلْ لِمن يلحاكَ فيها مِنْ فَقيهٍ أو خليلٍ:
أنتَ دعْها وارجُ أخرى مِنْ شرابٍ سَلْسَبيلِ

الحث على مدافعة الهموم بالشراب والتبجح بذلك:

ابن المعتز:

خلِّ الزمانَ إذا تقاعسَ أو جَمَحْ واشكُ الهمومَ إلى المدامةِ والقدَحْ

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٠٢.

ودعِ الزمانَ فكم لبيبٍ حاذِقٍ قد رامَ إصلاحَ الزمان فما صَلُحْ[(١)]

ابن الرومي:

سأعْرِضُ عمّا أعرض الدهرُ دونه وأشْربُها صِرفاً وإن لامَ لائِمُ[(٢)]

نوادر السكارى:

سقط سكران، فجاء كلب يلحس فاه، فجعل يقول:

أخوكم ومولاكم وصاحبُ سِرِّكم ومَنْ قد نشا فيكم وعاشرَكم دَهْرا

وسقط آخر في مستراح مملوء، فجعل يقول:

[دَعْ عَنْكَ لومي فإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ] وداوِني بالتي كانَتْ هي الداءُ[(٣)]

وذلك من قول الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذّةٍ وأُخرى تَداويتُ مِنها بها[(٤)]

ومات الأعشى في بيت خمارة فارسية، فقيل لها: ما كان سبب موته؟ فقالت: منها بها يكشتش. أي: قتله قوله في هذا البيت. وكان المتنبي ينادم أبا الفوارس بن فهد، فانصرف من عنده ليلة وقد أثخن سكراً، فلما أصبح، أتاه الرسول يدعوه، فقال:

وقد مُتُّ أمسِ بها موتةً ولا يشتهي الموتُ مَن ذاقَهُ[(٥)]

آخر:

كَصَريعِ الخمرِ داوى ما بِهِ مِن خُمارٍ بعقارٍ فانتشى

من ذمها بأنها تُزيل العقل:

حضر نُصيب عند عبد الملك بن مروان، فدعاه إلى الشراب، فقال: إني لم أصل إليك بنفسي ولا بحسن صورتي، وإنما قربت منك بعقلي، فإنْ رأى الأمير أن لا يحول بيني وبينه فعل. وقيل لأعرابي: لم لا تشرب؟ فقال: لا أشرب من يشرب عقلي. ورُوي أن ابن أبي شيبة مَرَّ بغلام يلعب بالتراب، فقال: لا تفعل يا أحمق! فقال الغلام: الأحمق من يشتري الحمق بماله، فيدخله رأسه، ويقيء في جيبه، ويسلح في ذيله، ويصبح محمرّاً، ويمسي مصفرّاً!.

---

(١) ديوانه ٢/ ٧١.

(٢) ديوانه ٥/ ٢٧٩. وفي المطبوع: «وإنْ لامَ لائمُ»، وهذا تحريف.

(٣) ديوانه ص ٢٢. (٤) ديوانه ص ٢٢٣.

(٥) ديوانه ٣/ ٩٠.

وقيل للعباس بن مرداس: لو شربت النبيذ، لازددت جرأة؟ فقال: ما كنت لأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم، وأدخل جوفي ما يحول بيني وبين عقلي.

وقيل لأعرابي: لم لا تشرب؟ فقال: لأنه يفني مالي ويغيِّر عقلي. وعلى هذا الحديث وإن لم يكن من صريح المعنى، قال بشر المريسي: دخلت على بعض أصدقائي، فقلت: مُرْ جاريتك تسقيني نبيذاً. فقال: أخاف أن تأتمر. ثم قال: اسقيه. فلما شربت قال: تفكرت في أمرك، فرأيت النبيذ يزيل العقل، ولم أجد لك عقلاً أخاف أن يزيله!.

شاعر:

سأَلةٌ للفتى ما ليسَ في يَدِهِ   ذَهَّابةٌ بعُقولِ القومِ والمالِ

وقال المحكم بن هشام لابنه وكان مولعاً بالشراب: يا بني دع الشراب، فإنما هو قيء في شدقك، وسلح على عقبك، أو حدٌّ في ظهرك.

من تركها تفادياً من ذم الناس:

قال بعضهم: تركت كثيره لله تعالى إجلالاً، وقليله للناس جَمالاً. وعوتب بعضهم على تركه فقال: لو علمت أن الماء ينقص من مروءتي ما ذقته. قال الوليد للحجاج: هل لك في الشراب؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، وليس بحرام ما أحللته، ولكني أمنع أهل عملي منه، وأخاف أن أخالف قول العبد الصالح: وما أُريد أن أُخالفكم إلى ما أنهاكم عنه؛ فأعفاه. وسأل المنصور أبا بكر الهذلي عن النبيذ، فقال: تمادت فيه السفهاء حتى كرهته العلماء.

ذمّها بأنها تدعو إلى الفسق:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: الآية ٩١]. مرت أعرابية بقوم يشربون نبيذاً فسقوها، فلما شربت أقداحاً اعترتها أريحية، فقالت: أيشرب هذا نساؤكم؟ قالوا: نعم. قالت: إذاً زنين وربِّ الكعبة، فما يدري أحدكم مَن أبوه!.

جحظة:

لم يَبْلُغ الشيخُ إبليسَ إرادته   حتى تكاثَفَ في عنقودهِ العِنَبُ[1]

---

(١) ديوانه ص ٤٠.

سئل عبد الله بن إدريس عن الشرب، فقال: اشربْ ما لا يشربك.

قدر الشرب وزمنه:

قال المأمون: اشرب النبيذ ما استبشعته، فإذا استطيبته فدعه. سئل أبو محمد بن عبد الله عن شرب الربيع، فقال: ربيع أهل المروآت وميدان اللّذات، وفي إدمانه ذهاب الفِطنة، وفي تركه فقد السرور. قيل: فما تقول في محادثة الرجال؟ قال: روضة لا يجف نورها، وغدير لا ينضب ماؤه، وجوهر لا يصلح إلاَّ للملوك.

شاعر:

شُرْبُ النبيذ على الطعام ثلاثة   فيها الشِّفاءُ وصحَّةُ الأبدانِ

وقيل: القدح الأول يكسر العطش، والثاني يمرىء الطعام، والثالث يفرح النفس، وما زاد على ذلك فضل. وقال قتيبة لقاضي مَرْوٍ: بلغني أنك تشرب. قال: أجل. قال: فكم تشرب؟ قال: ما بلّ الثفل وطيَّب النفس، وأغنى عن الماء. قال: فما أبقيت منه؟ قال: أكثره وأخبثه التُّكّأة على الشمال ومنادمة الرجال، والاختلاف إلى المبال. وقال بعض الظرفاء: للنبيذ حدان، حدّ لا هم فيه، وحد لا عقل فيه، فعليك بالأول، واتَّقِ الثاني.

ابن المقفع:

سأشْرَبُ ما شربتُ على طعامي   ثلاثاً ثم أتْركُهُ صحيحا

فَلَسْتُ بقارفٍ منه آثاماً   ولستُ براكِبٍ منه قبيحا

ذمّ إدمانها:

قال بعض الظرفاء: أربعة أشياء إنْ أفرطَ فيها الرجل، أهلكته واستهوته: إدمان الخمر، وحُبّ النساء، وشهوة الصيد، والمماراة. وفي الخبر: لا يدخل الجنة مُدْمِن خمر.

الحث على استيفاء شربها أو تركها:

قال ابن شبرمة لكاتبه: أتشرب النبيذ؟ قال: القدحين والثلاثة. فقال: والله ما شربته شرب من يلتذ به ولا تركته ترك من يتحرج منه. وقيل في جواب هذا المثل: اشرب شرب فتوة أو اترك ترك مروءة. وقيل لبعضهم: كم تشرب؟ قال: مقدار ما أفسد به ديني! وقيل ذلك لآخر فقال: مقدار ما أقوى به على ترك الصلاة.

مَن أظهر رغبته فيها وقلّة صبره عنها:

روي أن الحسن بن زيد رضي الله عنه لما ولي المدينة قال لابن هرمة: لست كمن باع دينه رجاء مدحك، أو خوف ذمك، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ الممادح، وجنبني المقابح، وإن من حقه عليّ أن لا أغضي على تقصير في حق ربه، وأنا أقسم، لئن أتيت بك سكران لأضربنك حداً للخمرة وحَدّاً للسكر، ولأزيدنّ لموضع حرمتك بي، فليكن تركك ذلك لله تَعَنَّ عليها، ولا تدعها للناس فتوكل إليهم. فقال ابن هرمة:

نهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ ... وأدَّبني بآدابِ الكِرامِ
وقال لي: اصطبر عنها ودعها ... لخوفِ اللَّهِ لا خوفِ الأنامِ
وكيف تصبّري عنها وحُبّي ... لها حبٌّ تمكَّن في عظامي
أرى طيبَ الحَلالِ عليّ خُبْثاً ... وطيبُ النفس في خبثِ الحرامِ(1)

كان أبو الهندي مولعاً بالخمر، فقال له أبوه: إنها تورث السقم، وتقلّ الطعم، وتُنحف الجسم. فقال: كَلّا، إنها جوهرة قد امتزج فيها عرضان حمرة البهرمان وصفرة العقيان، قد وصفها الله تعالى باللّذة لشاربيها في القرآن فرسخ بذلك محبتها في الأبدان، تجمع ما شت من شمل الإخوان. وكان حارثة بن بدر مشتهراً بالشراب، وكان غلب على زياد، فقيل لزياد: إنَّكَ تتهم لمصاحبته. فقال: كيف لي باطراح من يسايرني مذ دخلت العراق، يصطك ركابه في ركابي، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عني، فلويت عنقي له، ولا أخذ الشمس عليّ في الشتاء ولا الظلّ في الصيف، ولا سألته عن عِلْم إلاَّ ظننت أنه لا يحسن غيره؟ فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله، فقال له: أيها الأمير، ما هذا الجفاء، وقد عرفت مكاني من أبي المغيرة؟ فقال: إنَّ أبا المغيرة لم يكن ليلحقه عيب وأنا حدث، ولا آمن أن تشم منك رائحة الخمرة إن جالستني فأُتّهم، فاتركها وكنْ أوَّلَ داخل وآخر خارج. فقال: أنا لا أتركها لمن يملك ضَرّي ونفعي، أفأتركها لك؟ قال: فاخترْ إذاً ما شئت من عملي، فاختار رامهرمز وقال: إنّ شرابها موصوف. فلما توجه إليها استقبله جماعة فيهم إياس بن إياس فأنشده:

أحار بن بدر قد وليت ولاية

(الأبيات) وتقدَّمت.

---

(1) ديوانه ص ٢٠٦.

مَن رغب فيها غير مفكِّر في دين ولا مروءة:

قيل للفرزدق: أيُّ الأشربة أحبُّ إليك؟ قال: أقربها من الثمانين! يعني الخمر. وقال عبيد الله بن زياد للأحنف: أيُّ الأشربة أطيب؟ فقال: الخمر. قال: وما يدريك ولست من أصحابها؟ قال: رأيت من أحلت له لا يتعداها، ومن حرمت عليه يتناولها، فلذلك عرفت طيبها. دخل أبو العيناء على المتوكل، فقال: هل لك في الشراب؟ فقال: ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلاَّ من سَفَّه نفسه؟ وكان أبو نواس يقول: خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة، والله قد وصفها بأنها لذّة للشاربين. فقيل: كيف هي أجود؟ قال: لأن الله تعالى جعلها نموذجاً والنموذج أبداً أجود. وقيل له: أتشرب الخمر؟ قال: نعم، إذا اشتري بثمن خنزير قد سرق حتى يحرم ثلاث مرات.

قيل لثمامة: لا تشرب الخمر، فإنه يزيل العقل. فقال: إنه إن زال اليوم لا يزول غداً. باع بعض الأشراف ضيعة، فقيل له: أحضر العشية للأشهاد، فقال: لو كنت ممن يصان بالعشيات، لما بعت الضيعة. وقال رجل لآخر: وجهت إليك رسولاً عشية أمس، فلم يجدك. فقال: هذا وقت لا أكاد أجد فيه نفسي! سئل بعضهم عن استطابة الشراب، فقال: وددتُ أني كنت بعوضة، فأموت تحت قربة نبيذ حتى يكون موتي في خِلال نعيم.

شاعر:

ورَفْضُ امرىءٍ لهواً يُواتيه طائِعاً ... لآخر إنْ عاصاه رأي موهمُ
ومَنْ صارمَ اللّذاتِ أو خانَ بعضَها ... ليرغم دهراً ساءَه فهو أرغمُ

وقد وصف ذلك في وصف المدام بإزالته الغموم.

الشارب بعد توبته والممتنع من التوبة عنه:

كتب بعضهم إلى صديق قد تاب من شرب النبيذ:

إن كنت تبتَ مِن الصهباءِ تتركها ... نُسْكاً فما تبتَ مِن برٍّ وإحسانِ
تُبْ راشِداً واسقنا منها وإن عذلوا ... فيما فعلت فقل: ما تاب إخواني!

كشاجم:

يقولون: تُبْ والكاس في كَفِّ أَغيْد ... وصوت المثاني والمثالث عالي
فقلت لهم: لو كنت أَضمرت توبة ... وعاينت هذا في المنام بدا لي[1]

---

(١) ديوانه ص ٢٥٠.

وحكى بعضهم قال: كان لنا صديق يكثر التوبة من الشرب والعود إليه، ففارقنا يوماً على أنه قد تاب، فجاءنا صبيحة غداة وقد انمحت من أحد عارضيه لحيته فقال: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه، فأتى بي إليه بعض أعوانه وقال: قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب ثم يرجع، حلفوه على أن لا يتوب فحلفت ثم قال: الحسوا لحيته من جانب يكون ذلك تذكرة معه، فأصبحت على تلك الحالة.

الشراب سرّاً:

مر الفرزدق على الحكم بن المنذر بن الجارود، فاستسقى لبناً فأمر غلامه أن يجعل في العقب خمراً ويحلب عليها لبناً ويسقيه، فلما كرع فيه جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب فقال له: بأبي أنت ممن يخفي الصدقات. ودخل الغضبان الأسدي على قوم يشربون فاحتشموه ورفعوا نبيذهم، فجعلوه تحت السرير، ورمقت السنور فأرة فطفرت فكسرت الآنية وفاح ريح الشراب فقال الغضبان: إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون. فقالوا له: تاللَّهِ، إنَّكَ لفي ضلالك القديم! ثم أخرجوا النبيذ فساعدهم عليه.

الشرب جهراً:

لما وقع الخلاف بين الأمين والمأمون، كان المأمون يخطب بخراسان بمساوىء الأمين ويقول في جملة مساويه: وما ظنكم بخليفة يقتني شاعراً ينشد بحضرته جهاراً نهاراً في مجلسه هذا القول:

ألا فاسقِني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تَسْقني سرّاً إذا أمكَنَ الجهرُ
فما الغبنُ إلاَّ أن تراني صاحياً وما الغنمُ إلاَّ أن يُتَعْتِعني السُّكْرُ[(١)]

وقال المكتفي للصولي: أتعرف أهتك بيت قالته العرب؟ قال: قول أبي نواس:

ألا فاسْقني خمراً وقل لي: هي الخَمْرُ [ولا تسقني سرّاً إذا أمكن الجهرُ]

فقال: بل قول الحسين بن الضحاك:

أَتبَعْتُ سُكراً بسُكرٍ فابتَعْتُ خَمْراً بعُمْرِ[(٢)]

الضعيف الشرب:

قيل لبعضهم: كيف شربك؟ قال: لو وطئت زبيباً، لسكرتُ شهراً.

---

(١) البيتان لأبي نواس في ديوانه ص ٣٧. (٢) ديوانه ص ٦٢.

الخبزأرزي:

اصرفْ سفاتجَ هذا الشربِ عَنْ رَجلٍ ... لـه بـضـيعـتـه فـي الـشـربِ مـزجـاةُ

آخر:

ولو عَلِمَ الأكارمُ ضُعفَ شربي ... لأعفوني عن النُّجُبِ العظامِ

خالد الكاتب:

لا أسقينْ ما ليس لي طاقةٌ ... به فإنِّي ضَيِّقُ الحوصَلَه

الخباز البلدي يعاتب من كثر سقيه:

يُسارقني في كل دورين حبةً ... ألا إنَّ قيراطَ النبيذِ كثيرُ

من ترك الشرب بخلاً ورياء:

شاعر:

مـا حَـرَّمَ الـخـمـرَ ولـكـنـهُ ... يـتـركُـهـا بـقـيـا عـلـى حـالـهِ

يَشْـربـهـا فـي بـيـتِ إخـوانـه ... ويُـظـهـرُ الـتـوبـة مِـن مـالـهِ

آخر:

وما إن حَرَّموا المطبوخَ نُسْكاً ... ولكن دقَّقوا فيهِ المعيشه

وفاحت رائحة الشراب عند والٍ، فأمسك قوم بأنوفهم، فقال الوالي: ما أطيب ريحها، وإني لأشتهيها لولا تحريمها! فنظر فإذا الذي أمسك على أنفه كلٌّ متهم. وحدثني أبو بكر الكرجي قال: كان بالكرج قاض ظريف، فدخل عليه نصراني يوماً يعبق منه طيب ورائحة خمر، وكان عنده جماعة من العدول، فضم أحدهم على أنفه، وكان متهماً بالشراب، فلما خرج النصراني، قال: أخزى الله هذا الخبيث، دخل وكأنه جيفه! فقال القاضي: ردوه فردوه، فقال لعدلين عنده: تشمَّما هل تجدان رائحة كريهة؟ فقالا: لا، إنَّا لنجد منه رائحة كرائحة الجنة طيباً. فقال: اشهدا أني قد خرجت هذا البارد، فما يعدو حاله كذباً أو حمقاً وجهلاً، وكلتا الحالتين تنافيان العدالة. وما أصدق القائل:

قد يَشْتمُ الخمرَ قومٌ يكلفون بها ... وقد يسُبّ بَنيهِ الوالدُ الحدْبُ

بعضهم:

تركوا النبيذَ وشمَّروا أثوابَهم ... ومَشوا رويداً لاختلاسِ الدرهمِ

من ترك الشرب خوفاً من السلطان:

قال أبو نواس لما نهاه الأمين عن الشرب:

أعاذلُ بعثُ الجهلَ حيثُ يباعُ | وأبرزتُ رأساً ما عليهِ قِناعُ
نهاني أمير المؤمنين عن الصِّبا | وأمرُ أميرِ المؤمنينَ مُطاعُ
ولهوٍ لتأنيبِ الأمينِ تركْتُه | وفيه لِلاهٍ مَنْظَرٌ وسَمَاعُ[1]

من حُدَّ في شربها:

سمع أبو حزابة رجلاً يقول وهو مجلود: من رآني فلا يشرب النبيذ. فقال: في استك واست من حملك على هذه المشورة واست من قبلها منك! ثم قال:

سَتُعْصى وتقصى ثم تمنى بشربها | وإدمانِها إن كنت حرّاً مهذَبا

ومرّ النخاسي بأبي السماك في شهر رمضان، فقال: هل لك في رؤوس وشراب كالورس يطيب النفس، ويهضم الطعام، ويسهل للفدم الكلام؟ فنزل وتغدَّيا. فأخبر أمير المؤمنين بذلك، فأفلت أبو السماك، وأخذ النخاسي فأُتي به، فضربه ثمانين، وزاده عشرين. فقال: يا أمير المؤمنين، وما هذه العلاوة؟ فقال: لجراءتك على ربك في شهر رمضان!.

من تخلص من الحد في شرب الخمر:

دخل عمر رضي الله عنه على قوم يشربون، فقال: ألم أنهكم عن الشرب فشربتم؟ فقال أحدهم: ألم ينهك الله عن التجسُّس. فقال: صَدَقت! فتجافى عنهم. وقال العبدلي للواثق: ما قمرتني إلاّ لكوني سكران. فقال: قد وجب عليك الحد، لأنك أقررت. فقال: هذا افتخار لا إقرار اعتراف.

التعريض بمن تفرس فيه بأنه شارب:

دخل أمية بن عبد الله على عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: قمت في بعض الليل، فأصابني الحائط؛ فتمثَّل عبد الملك بقول الشاعر:

رأتني صَريعَ الخمرِ يوماً فرعتُها | وللشارِبيها المُدْمنيها مَصارعُ

فقال أمية: لا آخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك، ولا يؤاخذك بسوء مصرعك. وكان البراء بن قبيصة صاحب شراب، فدخل على الوليد بن عبد الملك وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: ركبت فرساً أشقر، فكبا بي. فقال: لو ركبت الأشهب، لم يعثر بك. فَعَرّض بأنه شرب الخمر، ولو شرب اللبن لما سقط.

وأنشد ابن الرقاع عبد الملك قصيدة وذكر فيها الخمر، فأجاد وصفها، فقال

(١) ديوانه ص ٢٧.

عبد الملك: لقد ارتبتُ بك في إجادة وصفك الشراب. فقال: وأنا ارتبت بك يا أمير المؤمنين لمعرفتك بجودته.

وصف خصائص جميع الأشربة:

قيل لبعض الحكماء: صفْ لنا خصائص الأشربة، فقال: أما الماء، فيعظم خطره عند الحاجة إليه بحسب تعذُّره عند العدم، وأما اللبن فشبع الغرثان، وريّ الظمآن، وزاد العجلان، وأما الماذي فكالمروزي في الدثار، والنرسي في الشعار، وأما الزبيبيّ فنبيل المنظر سخيف المخبر، وأما الخمر فمزاج الروح وصفية النفس.

وقيل لآخر: ما تقول في الماء؟ فقال: هو الحياة ويُشركني فيه الحمار. فقيل: فاللبن؟ قال: ما رأيته إلاَّ ذكرت أمي واستحييت. قيل: فالخمر؟ قال: تلك السارة البارة شراب أهل الجنة. ودعا الوليد بن يزيد شراعة من الكوفة وهو من فتيانها، فلما قدم عليه قال: إني والله لم أدعك لأسألك عن قرآن ولا أستفتيك في سنة. فقال: لو سألتني عنهما لأصبتني فيهما ثوراً، فلِمَ دعوتني؟ قال: لأسألك عن الفتوة. فقال: أنا دهقانها الخبير، وعالمها الطبيب، فسَلْ. فقال: ما تقول في نبيذ التمر؟ قال: اشربه حتى تحر. قال: فنبيذ الدنّ؟ قال: اشربه حتى تجن. قال: فالدادي؟ قال: أحلى من الماذي. قال: فنبيذ الذبيب؟ فستر وجهه، وقال: العظمة لله. قال: فالخمر؟ قال: لا أرى شربها. قال: ولم؟ قال: لأني أؤدي شكرها. قال أبو العيناء: النبيذ المكسود الخمر.

أبو نواس:

ولا تأخذْ عنِ الإخوانِ لهواً ... ولا عيشاً، فعيشهمُ جديبُ
دع الألبانَ يشربها رجالٌ ... رقيقُ العيشِ بينهمُ غريبُ
بأرضٍ نبتها عشبٌ وطلحٌ ... وأكثر صيدِها ضبعٌ وذيبُ
إذا راب الحليبُ فبلْ عليهِ ... ولا تحرجْ فما في ذاك حوبُ
فأطيبُ منه صافية شمولٌ ... يطوفُ بكأسها ساق أديبُ
يمدُّ لكَ القنان إذا حَساها ... ويَفْسَخُ عقدَ تكّته الدبيبُ
فذاك العيشُ لا خيمُ البوادي ... وذاك العيشُ لا اللبنُ الحليبُ[1]

---

(١) ديوانه ص ٢٦ ـ ٢٧.

آخر:

الأشربات سوى ما كانَ مِنْ عِنَبٍ   داءٌ وأيُّ لبيبٍ يشربُ الداءَ؟

وصف الشراب بإزالة الغم:

قيل لأعرابي: أتحبُّ الخمر! فقال: أي والله، فإنها تسرح في بدني بنورها، وفي قلبي بسرورها. وقيل: لذة الدنيا في الغناء والطلاء والنساء والبناء، وجماع ذلك العافية والشباب والبقاء. ونحوه لأبي نواس:

إنّما العيشُ سَماعٌ   ومُدامٌ وغُلامْ

فإذا فاتك هذا   فعلى العيشِ السلامْ[(١)]

سأل معاوية الأحنف عن أطيب الأشربة، فقال: الخمر. قال: وما يدريك ولستَ من أصحابها؟ قال: رأيت من أحلت له لا يبتغي غيرها، ومن حِرِّمت عليه يتناولها، فعرفت طيبها وفضيلتها. وقيل: النبيذ صابون الغم. وقيل لبعضهم: فلان ترك النبيذ. فقال: طَلَّق الدنيا. وقيل لدهقان: ما أصباك بالخمر؟ فقال: لأني رأيت لها أفعالاً لم أرها لغيرها، إذا رأيت الهم تمكّن في قلبي فقرب الكأس من الباب خرج الهم. وأخذ ذلك أبو نواس فقال:

إذا ما أَتَتْ دونَ اللَّهاة مِن الفتى   دعا هَمَّه من صَدْرِه برَحيلِ[(٢)]

وقيل لشيخ: لم تشرب النبيذ؟ فقال: لأنَّ فيه شيئاً يحمده أهل الجنة. قيل: وما هو؟ قال: ما تقول أهل الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والنبيذ هو ذاهب بالحزن. وقال أبو نواس: فيها الراح صديقة الروم، قيد اللذات ومفتاح المسرات. وقال:

وما استقرَّتْ في فؤادِ فتى   فدرى ما لوعةُ الحزنِ[(٣)]

وله:

كأسٌ إذا ما الشيخُ والى بها   خمساً تردّى برداءِ الغلامْ[(٤)]

وذم بعضهم الخمر، فقال: أولها دوار وآخرها خمار، فرد عليه آخر فقال:

إن يكنْ أولُ المُدام دُواراً   أو يكنْ آخرُ المُدام صُداعا

فلها بينَ ذا وذاكَ هَناتٌ   وصفُها بالسرورِ لن يُستَطاعا

---

(١) لم أقع عليهما في ديوانه.

(٢) ديوانه ص ٣٠.

(٣) ديوانه ص ٣٣٣.

(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

ابن المعتز:

[ولا تَزالُ وكأسُ الشَّرْبِ دائرةٌ] يَبولُ همّاً وَيَحسو اللهوَ والطَّرَبا[١]

وله في وصفه:

وأصلحْ بيني وبينَ الزمانِ وأبدلني بالهموم الطرَبْ[٢]

وصفها بأنها تدرع الكبر وتورث اليسر:

لقيط بن زرارة:

شَربتُ الخمرَ حتى خِلْتُ أني أبو قابوسَ أو عبدُ المدانِ

أمشي في بني عَدَسِ بن زيدٍ رَخيّ البالِ مُنْطلِقَ اللِّسانِ

المنخَّل:

وإذا سَكِرْتُ فإنني ربّ الخَوَرْنَقِ والسّديرِ

وإذا صَحَوتُ فإنني رَبُّ الشُّوَيْهَةِ والبَعيرِ[٣]

وصفها بالصفاء والرقة:

قال الحسين بن الضحاك: كنت مع أبي نواس بمكة فسمع صبياً يقرأ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٠]. فقال: هذا يجب أن يكون صفة الخمر، ثم أنشدني:

وسَيّارة ضلَّت عن القَصْد بعدما بدا دونهم أُفْقٌ من الليلِ مُظْلمُ

فلاحَتْ لهم مِنّا على النارِ قَهْوَةٌ كأنَّ سناها ضَوءُ نارٍ تَضَرَّمُ

إذا ما حَسَوْناها أقاموا مكانهم وإن أظهرتْ حثوا الركابَ ويمَّموا[٤]

قال ابن الأعرابي: جميع ما قاله أبو نواس حسن، وأحسنه قوله:

لا يَسْكُنُ الليلُ حيثُ حَلّتْ فليلُ شُرّابها نَهارُ[٥]

آخر:

واهتدى ساري الظلامِ كاهْتِداءِ السَّفرِ بالعلَمْ

قيل: رقّ وصفا حتى كاد يخفى. وقيل: أصْفى من الشَّراب، وأَخْفى من السَّراب[٦]:

---

(١) ديوانه ٢/ ٢٤.
(٢) ديوانه ١/ ٤٤٥.
(٣) ديوانه ص ٦٩٤.
(٤) ديوانه ص ٥٠.
(٥) ديوانه ص ٧٣.
(٦) لم أقع عليه في كتب الأمثال.

كـمـعـنـى دقَّ فـي لَـفْـظٍ بـديـع

ابن المعتز:

كـأنَّ بـكـاسِـهـا نـاراً تـلـظَّـى فلولا الماءُ كان لها حريقُ(١)

وصف رقة الإناء والخمر معاً:

البحتري:

يُخفي الزجاجةَ لونُها فكَأنها في الكَفِّ قائمةٌ بغيرِ إناءِ(٢)

الصاحب، وقيل هما لأبي نواس:

رَقَّ الـزجاجُ وراقتِ الـخمرُ وتـقـاربـا فَـتَـشـابَـه الأَمْـرُ

فَـكَـأَنَّـمـا خَـمْـرٌ ولا قَـدَحٌ وكـأَنَّـمـا قَـدَحٌ ولا خَـمْـرُ(٣)

وصفها بأنها تخضب الكف:

شاعر:

تَحْسَبُ الظبيَ إذا طافَ بها قَبْلَ أن يسقيكَها مُخْتَضِبا

الخباز البلدي:

وهـي تَـكْـسـو كـفَّ شـارِبـهـا دسـتـبـانـاتٍ مِـنَ الـذَّهَـبِ

ابن المعتز:

كـأنـهـمُ أَلـهـبـوا بَـيْـنَـهـم حريقاً وأيديهمُ تَسْتَعِرْ(٤)

وصف حمرتها:

أبو نواس:

أقول لَمّا تَحاكيا شَبَهاً: أَيُّـهـمـا لـلـتَّـشـابُـهِ الـذَّهَـبُ

هـمـا سَـواءٌ وفَـرّقَ بـيـنـهـمـا أنـهـمـا جـامِـدٌ ومُـنْـسَـكِـبُ(٥)

أخذه ابن المعتز فقال:

وخَمارةٍ من بَناتِ المجوس ترى الزقَّ في بيتها شائِلا

وَزَنّـا لـهـا ذَهَـبـاً جـامـداً فـكـالَـتْ لـنـا ذَهَـبـاً سـائِـلا(٦)

---

(١) ديوانه ٢/ ١٧٥.

(٢) ديوانه ص ٧.

(٣) ديوان الصاحب بن عباد، ص ١٧٦.

(٤) ديوانه ٢/ ١٢٧.

(٥) ديوانه ص ٢٢.

(٦) ديوانه ٢/ ١٨٩.

وصف الخمر وشاربها:

قال الحسين بن الضحاك: أنشدت أبا نواس:

كأنما نَصَّبَ كاسَهُ قَمَرٌ ... يكرعُ في بعض أنجمِ الفَلَكِ[(١)]

فأنشدني:

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه ... يُقبِّلُ في داجٍ مِنَ اللَّيلِ كَوكبا[(٢)]

فقلت: يا أبا علي، هذه مثل ما أنشدتكه. فقال: أتظنّ أن يروى لك بيت حسن؟ وقد أحسن القائل:

وكأنَّه والكأسُ في يَدِه ... قمرٌ يُقَبِّلُ عارِضَ الشَّمْسِ

وصفها بالصلابة:

أبو تمام:

إذا اليدُ نالتْها بوترٍ توَقَّرتْ ... على ضِغْنِها ثم استقادَتْ من الرجلِ[(٣)]

أخذه من عطاء:

أسروها وجهَ النهار من ... الدّنِّ فأمْسوا وهم لها أُسراءُ

ونحوه لديك الجن:

فَظلْنا بأيدينا نُتَعْتِعُ روحَها ... وتأخذُ من أقدامِنا الراحُ ثارها[(٤)]

آخر:

قَهْوةٌ تتركُ الحليمَ سَفيها

أحمد بن طاهر:

ما تمَّ منها ثلاثاً قطُّ شاربُها ... إلاَّ رأى عقلَهُ منه على سَفَرِ

وصف لذاذاتها:

وصف الله تعالى خمر الجنة فقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾ [الواقِعَة: الآية ١٩]. فنفى عنها جميع عيوبها بالكلمتين كما وصف فاكهتها، فقال: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٣].

ابن أبي فنن:

أطيبُ في الكأسِ إذا ... جاءَتك من ريحِ الوَلَدْ[(٥)]

---

(١) ديوانه ص ٨٨.
(٢) ديوانه ص ٣٤.
(٣) ديوانه ٢/٤٢١.
(٤) ديوانه ص ٦٧.
(٥) ديوانه ص ١٥١.

وله:

أطيبُ مِن قُبلةِ الحبيبِ وقد جادَ بها مُسْرِعاً على حَذَرِ[١]

وقال أبو نواس: كنت يوماً في الحمام، فقلت قصيدة وفيها:

فَتَمَشَّتْ في مفاصلهم كتَمَشِّي النارِ في الفَحْمِ[٢]

ولم يك معي أحد، فتراءى لي شيخ، فقال: قَطَع الله لسانك، فإنك لا تفلح! أتقول مثل ما يقول العوام، ألا قلتَ:

فَتَمَشَّت في مفاصِلهم كتمشي البرءِ في السَّقمِ

فقلت: هكذا قلت. فقال: أتكابر إبليس؟

ألذُّ مِن غَفْلة الرقيبِ شكْوى مُحِبٍّ إلى حَبيبِ

الحسين بن السري:

وإذا احتساها شارِبٌ فكَأنما ماءُ المنى في فِيهِ يُحْلَبُ قاطره

ابن الرومي:

واللَّهِ ما أدري بأيةِ عِلَّةٍ يدعونها في الراحِ باسمِ الراحِ؟

ألرِيحها ولروحها تَحْتَ الحشا أم لارتياحِ نديمها المرتاحِ؟

إن حرمت فبحقِّها من حرةٍ ما كان مثل حريمِها بمباحِ

أو حللتْ فبحَقِّها من نَشْوةٍ تنفي سقامَ قلوبنا بصحاحِ[٣]

وصفها بالعتق:

قال أبو نواس:

اسقنيها سُلافةً سبقَتْ خلقَ آدما[٤]

آخر:

عاصرها آدمُ أبو البشر

شاعر:

عتقتْ حتى لو اتصلَتْ بلِسانٍ ناطِقٍ وفَمِ

لاحتبَتْ في البيتِ ماثِلةً ثم قصَّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ

آخر:

---

(١) ديوانه ص ١٥٩.

(٢) ليس في ديوانه.

(٣) ديوانه ٢/ ٨٢.

(٤) ديوانه ص ٧٨.

قــهــوةٌ تَــذْكُــرُ نــوحــاً حــيــن شــادَ الــفــلــكَ نــوحُ

آخر:

قَــهْــوَة أبــرزَتْ بــخــاتــم كــســرى

ابن حجاج:

قـومـا اسقِـيـانـي قَـهْـوَةً رومـيـةً مِنْ عَهْدِ كِسرى دنُّها لم يَمْسَسِ

وصفها بأنها تورث السخاء والشجاعة:

أبو نواس:

وخُذْها مِنْ مُشَعْشَعةٍ كميتٍ تَنَزّلُ درةَ الرجلِ الشَّحيحِ[1]

أخذه من عمرو بن كلثوم:

ترى اللَّخنَ الشَّحيحَ إذا أمرّت عـلـيـهِ لـمـالِـه فـيـهـا مُـهـيـنـا[2]

آخر:

إذا سُقي الفتى منها ثلاثاً تـسَرْبَلَ ثوبَ مَكْرُمةٍ وجودِ

آخر:

ونَـشْـرَبُـهـا فَـتَـتْـركـنـا مـلـوكـاً أُسـوداً مـا يُـنَـهْـنِـهـنـا الـلِّـقـاءُ

وصف النيء والمطبوخ:

سئل أبو نواس عن نبيذ طبخ، فقال:

ومـا طـبـخـوهـا غـيـرَ أنَّ غـلامَـهـم سعى في نواحي كَرمِها بشهابِ[3]

فقال بعضهم: أُحرقوه، فأحرقهم الله.

الأقيشر:

صـفـراءُ صـافـيـةُ الأقـذاءِ حَـلّـلَـهـا طبخُ السراجِ ولم يُجْمَع لها حطبُ[4]

أبو نواس:

طـبـخَـتْـهُ الـشَّـمْـسُ لـمَّـا بـخِـلَ الـعـلـجُ بـنـارِه[5]

قال المطوق: قال لنا جحظة يوماً: قد عملت بيتاً زدت فيه على أبي نواس في وصفه، وأنشد:

---

(١) ديوانه ص ٧١.
(٢) ديوانه ص ٦٥.
(٣) ديوانه ص ٨٨.
(٤) ليس في ديوانه.
(٥) ديوانه ص ٨٩.

فَظَلَّ يسقينا جنانيَّةً ضنَّت بها الشَّمْسُ عن النارِ[١]

وقد أحسن، فإن الخمر التي في الجنة لم تطبخ بنار، ثم قوله: ضنت بها الشمس عن النار، مع صحة معناه، ظريف اللفظ. عمرو بن الأهتم:

مِنْ كُمَيْتٍ أجادَها طابخاها لم تمتْ كُلَّ موتِها في القُدورِ[٢]

وصفها بأنها تحمر الوجنة:

الأعشى:

وسَبِيَّةٍ مما تعتقُ بابلٌ كدمِ الذبيحِ سَلَبْتُها جريالَها[٣]

يروى أنَّ الأعشى سئل عن معناه، فقال: شربتها حمراء وبلتها بيضاء. روي أنَّ أبا نواس قال: إنَّما عنى به ما قلت:

كأسٌ إذا انحدرتْ عن حلقِ شاربها رأيتَ حُمْرَتَها في العينِ والخدِّ[٤]

الناجم:

تُنازِعُنا الخدّ جَريالَها وتُهديه للعينِ يومَ الخُمارِ

الناشي:

نفضَتْ على الأجسامِ ناصعَ لونِها وسرَتْ بلذّتِها إلى الأرواحِ[٥]

وصفها عند المزاج:

أبو نواس:

مِنْ قَهْوةٍ جاءتك قبلَ مزاجِها عُطلاً فألْبَسَها المزاجُ وِشاحا[٦]

الزاهي:

كأنَّما الماءُ حينَ خالطَها أهدى إليها غلائلَ الشَّفَقِ

أبو نواس:

كأن صُغْرى وكُبرى مِنْ فواقِعها حَصْباء دُرٍّ على أرضٍ مِنَ الذَّهَبِ[٧]

ابن المعتز:

راحٌ كَأنَّ حبابَها درٌّ يَجولُ مُجَوَّفا[٨]

آخر:

---

(١) ديوانه ص ٩٩.
(٢) ديوانه ص ٨٩.
(٣) ديوانه ص ٧٧.
(٤) ديوانه ص ٣٧.
(٥) ديوانه ص ٥١.
(٦) ديوانه ص ١٩.
(٧) ديوانه ص ٧٢.
(٨) ديوانه ٢/ ٣٣١.

تنزو إذا مَسَّها قرعُ المزاجِ كما   تَنْزو الجنادبُ أوقاتَ الظهيراتِ

ابن طباطبا:

إذا ما الماءُ مازجها تراءَتْ   كما زُوِّجَتْ بالتِّبْرِ اللُّجينا

هما ذوبانِ لو جُمدا جميعاً   إذا صارا معاً ورقاً وعينا

الصنوبري:

ناهيكَ مِنْ فِضَّةٍ تجري على ذَهَبٍ   ماءٌ من النورِ في ماءٍ من اللّهبِ(١)

طيب رائحتها:

الأخطل:

وإذا تعاورَتِ الأَكُفُّ زِجاجَها   نَفحَتْ ونالَ رياحَها المَزْكومُ(٢)

الرفاء:

فَضَّ النديمُ ختامَها فكأنما   فَضَّ الختامَ عَنِ العبيرِ ففاحا(٣)

نبيذ رديء أو أسود:

قال الصوفي وفي يده قدح روشاب: هذا الليل إذا عَسْعَسَ، وأوأما إلى قدح صاف، وقال: وذاك الصبح إذا تَنَفَّس.

أبو تمام:

وكأنَّ الأناملَ اعتصرَتْها   بعد كدٍّ من ماءِ وَجْهِ البخيلِ(٤)

البحتري:

فجاءَ نَبيذٌ لهُ حامِضٌ   يشقُّ على الكَبدِ المقفِرهْ

إذا صَبَّ مسودّه في الزجا   جِ كأن النديمَ به محبرَه(٥)

ابن المعتز:

كأن بأيدي شاربيها إذا اتكَوا   محابرَ وراقينَ قد مُلئَتْ حِبرا(٦)

ودفع إلى رجل شراب غليظ، وقيل له: كيف تراه؟ فأنشد:

هو في الجوعِ طعامٌ   وهو في الظّمْءِ شَرابْ

سقى بعضهم ضيفاً له نبيذاً رديئاً وقال: هذا نبيذ من عانة. فقال الضيف: بل

---

(١) تتمة ديوانه ص ٣٣.
(٢) ديوانه ص ٤٣١.
(٣) ديوانه ص ٧٢.
(٤) ديوانه ٢/ ٤٠١.
(٥) ديوانه ص ٨٩٩.
(٦) ديوانه ٢/ ١٢٨.

من العانة على أربع أصابع.

استيهاب الشراب للأضياف:

كتب أبو تمام إلى صديق له يستوهب منه مشروباً لصديق يزعم أنه نزل به:

جُعِلتُ فِداكَ عبد الله عندي ... بعقب الصدِّ مِنْه والبعادِ
فأحسن يومنا إن لم تجدنا ... مصادف دعوة منا جمادِ
فكم نوء مِن الصهباءِ سارٍ ... وآخر مِنك بالمعروفِ غادِ
فهذا يستهلُّ على غليلي ... وهذا يستهلُّ على تِلادي[1]

وكتب ابن الحجاج إلى صديق له:

يا سيدي قد جاء زُوّاري ... فظَلْتُ في نارٍ وفي عارِ
فامنُنْ بخمرٍ أو فَوَجِّه بمن ... يخرجُهم بالصَّفْعِ من داري

السري الرفاء مستدعياً شراباً:

الراحُ قد أعوزَتْنا في صبيحتِنا ... بيعاً ولو وزنُ دينارٍ بدينارِ
فامننْ بما شِئْتَ مِن راح يكون لنا ... ناراً، فإنَّا بلا راحٍ ولا نارِ[2]

من استوهبه ورام إكبار الظرف، أو ترك المزاج:

الرفاء:

عنْدي ضيفٌ لم يزلْ مضيفا ... [مقدماً في مجده شريفا]
[حتى توارت شمسها كسوفا] ... فأهدِ لي خلوقَك المدوفا
تحوي له الشكرَ له صُنوفا ... وكبّر الظرفَ تكنْ ظريفا[3]

آخر:

واعلمْ بأنَّ ظروفَ الراحِ إن كبرتْ ... عند الهديةِ أبدَتْ ظرفَ مُهديها

جحظة:

ومُرِ الغلامَ بتركهِ مِنْ مَزْجه ... إنَّ النوالَ يطيبُ غيرَ مُكَدَّرِ[4]

الزاهي:

أرى المشروبَ عِزٌّ وذاك شيءٌ ... إذا حَصَّلتهُ حَصَّلْتُ حمدي
فمرهُم يَبْعثوه بغير مزجٍ ... فإنَّ الماءَ ليسَ يضيقُ عِندي

---

(١) ديوانه ١/ ٢٨١ ـ ٢٨٧٢.
(٢) البيت الأول في ديوانه ص ١٣٦.
(٣) ديوانه ص ١٧١.
(٤) ديوانه ص ١٠٤.

معاتبة من بخل بالنبيذ:

كتب الكتنجي إلى بعض إخوانه يستهديه نبيذاً، فتباطأ عليه، ثم عاد الرسول، فقال: هو يستدعي ظرفاً يجعله فيه، فكتب إليه:

مَطلتَنا بالنبيذِ دهراً ... ما بينَ مَطْلٍ وبين خُلْفِ

وبعد دهرٍ طلبتَ ظرفاً ... كأن قارورة بألفِ

فمن يُرَجِّيك بعد هذا ... ولَسْتُ ممن يفي بظرفِ؟

فدعا الرجل سقاءين، فملأ قربتيهما وبعثهما إليه.

* * *

ومما جاء في الندام والندماء والسقاة

وجوب حق المنادمة وذِكر من عظم نديمه:

روي أن النبي ﷺ لم ير مادّاً رجليه بين يدي جليس له قط، ولا أخذ بيد أحد فانتزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي عليَّ ثلاث: أرميه بنظري إذا أقبل، وأوسُع له إذا جلس، وأصغي إليه إذا حدَّث.

شاعر:

أرى للكاسِ حَقّاً لا أراه ... لغيرِ الكاسِ إلاَّ للنديمِ

قال الجاحظ: رويت هذا البيت دهراً لا أعرف له ثانياً، فسمعت يوماً حمامياً يوقد أتونه وينشد معه:

هوَ القطبُ الذي دارَتْ عليهِ ... رحى اللذّاتِ في الزَّمَنِ القديمِ

سعيد بن حميد:

الكاسُ حرمتُها أدلى من النَّسَبِ

حصابة الجرجراي:

إنَّ المنادمَةَ الرضاعُ الثاني

وكان القعقاع إذا جالسه جليس فعرفه بالقصد إليه، جعل له نصيباً من ماله، وأعانه على عدوه، وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً له؛ وفيه يقول:

وكنتُ جليسَ قَعْقاعِ بن شورٍ ... ولا يشقى بقَعْقاعٍ جَليسُ

قال يحيى بن أكثم: ما رأيت أكرم من المأمون، بتُّ عنده ليلة فعطش، فكره أن يصيح بالغلمان، وكنت منتبهاً، فرأيته قد قام، فمشى قليلاً إلى البرادة حتى شرب ورجع. ورأيته ليلة وأنا عنده وحدي، وقد أخذه سُعال، يسد فاه بكُمِّه كيلا أنتبه.

الانخراط في سلك الشرب والصحب:

جلس المتوكِّل مع جماعة، وفيهم يحيى بن أكثم، فلما شرب الناس ثلاثة أرطال، أمر يحيى بالانصراف، فقال له: ولِمَ يا أمير المؤمنين؟ فقال: لأنَّا قد خلطنا. فقال: أحوج ما يكون إلى قاض إذا خلطتم. فاستظرفه المتوكل، وأمر أن تغلف لحيته بالغالية ففعل، فقال: ضاعت الغالية، وكان هذا يكفيني دهراً فأمر بزورق من الغالية، ودرج بخور، فجعلا في كمه.

طيب المدام بطيب الندام:

قيل لأعرابي: كم تشرب من النبيذ؟ فقال: مقدار النديم.

أبو نواس:

الراحُ طيبةٌ وليسَ تمامُها ... إلاَّ بطيبِ خلائقِ الجلَّاسِ[1]

آخر:

إنَّما تُسْتَعْذَب الرا ... حُ بأخْلاقِ النَّديمِ

العطوي:

تَصْفو الزجاجةُ بالنَّديمِ إذا صفا ... ويُكَدِّرُ النَّدْمانُ صَفْوَ الراحِ

آخر:

يقولون: قَبْلَ الدارِ جارٌ موافقٌ ... وقَبْلَ الطريقِ النهج أنسُ رفيقِ

فَقُلْت: وندمانُ الفتى قبلَ كاسهِ ... وما حَثّ كاسَ اللَّهوِ مثلُ صديقِ

آخر في صديق استطاب مجالسته:

يا ليلةً لَسْتُ أنسى طيبَها أبداً ... كأَنَّ كلَّ سرور حاضرٌ فيها

باتَتْ وبتُّ وبات الزقُّ ثالثَنا ... حتى الصَّباحِ تسقيني وأسقيها

كأنَّ سودَ عناقيدٍ بلمتها ... أهدتْ سُلافَتها صِرفاً إلى فيها

---

(١) ديوانه ص ٩٨.

اختيار عدد الندمان:

منصور الفقيه:

فـليـدعُ مـنـهـا خـمـسـةً مُـتـخـيـريـنَ ولا يـزِدْ
فـدُوَيـنَ هـذا وحـشـةٌ وفـويـقَـه سـوقُ الأَحـدْ

آخر في المعنى:

إذا ما جاوزَ النّدمانُ خمساً بربِّ البيتِ والساقي اللبيبِ
فأيرٌ في حِرِ أمٍّ فتًى دعانا وأيرٌ في حِرِ أمٍّ فَتًى مجيبِ

طرح الحشمة في المنادمة ومراعاتها:

جاء محمد بن حماد إلى ابن الجنيد، فقال: يقول لك أمير المؤمنين المعتصم تهيَّأْ لمزاملتي. قال: كيف أتهيأ؟ قال: إذا زاملته، فإيّاك أن تبزق أو تتثاءَب، أو تسعل، أو تعطس! فقال ابن الجنيد: ارجعْ إليه، وقلْ له: في حِرِ أم من يزاملك على هذا الشرط! فلما رجع إليه، ضحك واستدعاه، فقال: آمرك بمزاملتي فتراسلني بذلك؟ فقال: إن هذا الأحمق شَرَطَ عليّ شروطاً يهرب منها الشيطان، فإن رضيت أن تفسو عليّ وأفسو عليك، وإلاَّ فلست بصاحبك!.

وقيل لبعضهم: ما العيش؟ فقال: طَرْح الحشمة وتَرْك الطب. قال إسحاق الموصلي: كانت الخلفاء من بني أمية لا يظهرون للندماء والمغنين، وكان بينهم وبين ندمائهم سِتارة، وكان بنو العباس يظهرون ثم احتجبوا عنهم، ولم يُرَ أبو جعفر قط يَشْرب إلاَّ الماء، وكان المهدي في أول أمره يحتجب متشبهاً بمن قبله، ثم ظهر لهم، وقال: اللذة في مُشاهدة السرور والدُّنُوّ من الأحباب.

الوصية بطي حديث الشرب:

قال المأمون رحمه الله: أطووا خبر أمس مع ذهاب أمس، فهو أَدْوَم للسرور وأسلم للصدور. وقال: النبيذ بساط إذا رفع لم ينشر.

علي بن صالح:

حُكْم العقارِ إذا قَصَدْتَ لشربِها فـي لـذةٍ مِـن مَـسْـمَـع وقِـيـانِ
أن لا تعودَ لذكرِ ما أبصَرْتَ من أحـدوثـةٍ مـن شـارِبٍ سَـكـرانِ

آخر:

إذا ذُكِرَ النَّبيذُ فليس حقّاً إعادةُ ما يكونُ مع النبيذِ
إعادةُ ما يكونُ مِن السَّكارى يُكَدِّرُ صفوةَ العيشِ اللذيذِ

الممدوح بترك إعادة الحديث ومعاتبة النديم:

شاعر:

ولستُ بلاحٍ لي نديماً بزلَّةٍ ... ولا هَفْوةٍ كانَتْ ونحْنُ على خَمْرِ
عركْتُ بجنبي قولَ خِدني وصاحبي ... ونحنُ على صَهْباءَ طيبةِ النَّشْر
وأيقَنْتُ أَنَّ السُّكْرَ طارَ بلبِّهِ ... وأعرقَ في شَتْمي وقال وما يدري

ابن الجهم:

تنازعوا لذةَ الصَّهباءِ بَيْنهمُ ... وأوجبوا لرضيع الكاسِ ما يجِبُ
لا يحفظون على السكرانِ زلتَهُ ... ولا يريبُك مِن أخلاقهم رِيَبُ[1]

استقالة من بدر منه في السكر بادرة:

شاعر:

إذا حكمت كؤوسك في الندامى ... فحقُّهمُ الإقالةُ للعِثارِ

آخر:

ما على مثْقلٍ من النومِ ... والسَّكران فيما أتى مِن الآثامِ

آخر:

ومَن يقرعِ الكاسَ للئيمةَ سنُّه ... فلا بدّ يوماً أن يُسيءَ ويَجْهلا

الممدوح بمسامحة رفيقه في الشرب:

بعضهم:

هلمَّ اسْقني كاساً ودَعْ عنكَ مَن أبى ... وَرَوِّ عِظاماً قَصْرهنّ إلى بِلا
فإنَّ نديمي غير شكٍّ مُكَرَّمٌ ... لدي وعندي من هواه الذي ارتضى
ولست له في فضلةِ الكاسِ قائلاً ... لأصرعَهُ سكراً تحسّ وقد أبى
ولكن أفديهِ وأكرمُ وجهَهُ ... وأشربُ ما يسقي وأسقيه ما اشتهى

أبو نواس:

ولَسْتُ بقائلٍ لِنَديم صدقٍ ... وقد أخذ الشرابُ بوجنتيهِ
تناولها وإلاَّ لم أذُقها ... فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني أُداري الشرْبَ عنه ... وأصرفُها بغمزةِ حاجبيهِ
فإنْ مَدَّ الوسادَ لنومِ سُكر ... دفعتُ وسادتي أيضاً إليه[2]

---

(١) تكملة ديوانه ص ١٠٦.
(٢) ديوانه ص ١٠٩.

من لا يعتد بمجالسته ومن يعرض بمذهبه:

بعض المحدثين:

خرجنا جميعاً إلى نُزهةٍ ... وفينا زيادُ أبو صَعْصَعَه
فسِتَّةُ رَهْطٍ بهِ خمسةٌ ... وخمسةُ رَهْطٍ به أربعَه

آخر:

عِنْدي جُعِلْتُ لَكَ الفدا ... سهلٌ وسهلٌ ليس يجدي
إن لم تكنْ لي ثانيا ... فكأنَّني في البيتِ وحدي

وأصله لأبي حية النميري:

أَصمُّ إذا ناديتُ جَهْراً، وإن تشر ... فأعمى، وإن تفعل جميلاً فجاحدُ
وأقسمُ برّاً أن لولا خيالُه ... لما كنتُ إلاَّ مثلَ مَن هو واحِدُ[1]

وقال صاحب وفي يده كاس:

تطيبُ كؤوسنا لولا قذاها ... ويحتمل الجليسُ على أذاها

فقال النابغة:

قذاها أن صاحبَها لئيمٌ ... يحاسبُ نفسَه بكم اشتراها[2]؟

طيب مجالسة الإخوان ومحادثتهم:

قال شبيب بن شبة: لم يبق من لذات الدنيا إلاَّ أربعة: مُجالسة الإخوان، ومُناسمة الولدان، وملامسة النسوان، ومداولة الكاس مع الندمان. قيل لبعضهم: ما بقي من لذتك؟ فقال: محادثة الإخوان في الليالي القمر، على الكثبان العفر. وقيل لبعضهم: تمنَّ. فقال: وَجْه حبيب، ومُغَن مصيب، وساق أريب، ونديم لبيب. وقيل لآخر: ما العيش؟ فقال: لون مشبع، ومغن ممتع، وكاس مترع، ونديم مقنع. وقيل: مجالسة أهل الفضل ذكاء العقل.

إيثار محادثة الإخوان على غناء القيان:

علي بن الجهم:

شَهدتُها وفتية أخيار ... لهوهم الأَسمارُ والأَشعارُ
وملح تقدحُ منها النارُ ... بمثلهم يعاقَرُ العقارُ[3]

---

(١) ديوانه ص ١٣٢.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.
(٣) ليسا في ديوانه.

ابن المعتز في مدح ذلك:

بينَ أقداحِهم كَلامٌ قصيرٌ   هو سِحْرٌ وما سواهُ كَلامُ[١]

إيثار التفرد بالشراب وذمه:

أبو نواس في ذلك:

خلوتُ بالراحِ أناجيها   آخذُ منها وأعاطِيها

شربتُها صرفاً على وجهِها   وكنتُ حاسيها وساقيها[٢]

العطوي:

أُخطبْ لكاسك ندماناً تُسرُّ به   أو لا فنادمْ عليهِ حكمةَ العنبِ

آخر:

يَئِسْتُ من الألى أقبلتُ أسعى   إليهم إنَّني رَجُلٌ يَؤوسُ

التناهد:

شاعر:

ما العَيْشُ إلاَّ للمناهدينا   مؤونة قضت على عشرينا

ولو تَفَرَّدنا بها خرينا

وقال بعضهم في متناهدين:

وقال حَفْصٌ لزيدٍ حين ناهده: منكَ النبيذُ ومني الدَّنُّ والكوزُ

واللحمُ مِنْكَ ومني النارُ أنضجه   والماء منّي، ومنكَ الخبزُ مخبوزُ

وتناهد قوم وفيهم مفلس، فقال أحدهم: عليّ كذا. وقال الآخر: وأنا عليّ كذا، إلى أن قالوا للمفلس: وأنت ما عليك؟ فقال: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قال الحسن بن سهل في جماعة من القوّاد يتناهدون:

كُنّا نذُمُّ إلى التناهدِ بيننا   حتى رأيتُ تناهدَ القوّادِ

لا خيرَ في القوّادِ إلاَّ هكذا   يتناهدونَ تناهدَ الأوغادِ

ترضى لنفسِك أن تصاحبَ مَعْشراً   يتناهدون على خَسيسِ الزادِ

التعفُّف عن التعرُّض لأخدان الندماء:

كان بعض الفضلاء ينادم صديقاً له، فعشقته امرأته، فتعرضت له، فامتنع عليها، وقال:

---

(١) ديوانه ٢/٢١٨.

(٢) ديوانه ص ١٠٥.

رُبَّ حسناءَ كالمهاةِ تهادى قد دعتني لوَصْلِها فأبيتُ
لم يكنْ بي تَحَرُّجٌ غيرَ أني كنت ندمانَ زوجِها فاستَحَيْتُ

آخر:

إنِّي على ما فيّ مِن عَهدِ الشَّبيبة والغضارَه
لأغضُّ مِن طرَفي فيأ منني النديمُ على الستارَه

وكفى بعيب ذلك ما حكى الله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يُوسُف: الآية ٢٥].

المعيب بتعرضه لحرم نديمه:

قال بعضهم لنديم رآه يرمق بعض حرمه:

كُلْ هَنيئاً وما شربتَ مريئاً ثمَّ قُمْ صاغراً وغيرَ كريمِ
لا أُحِبُّ النديمَ يرمقُ بالعينِ إذا ما انتشى لعِرْسِ النديمِ

المتبجح بالتعرض للندماء:

قال المهدي لعمارة بن حمزة: من أرقُّ الناس شعراً؟ قال: والبة بن الحباب. قال: صدقت. قال عمارة: وما يمنع أمير المؤمنين من منادمته، وهو شاعر ظريف؟ قال: يمنعني منه قوله:

قلتُ لساقينا على خلوةٍ: ادنُ كذا راسَكَ من راسي
وادْنُ وضع صدرَكَ لي ساعةً إنّي امرؤٌ أنْكَحُ جلاسي

أفتريد أن تكون جليسه؟ ولبعض الخاسرين:

لا أبغضنَّ منادمي إنْ نكتُه إني لنيكِ منادمي مُعْتادُ
وكذاك لَسْتُ ألومُه إن ناكني فلقد علمْتُ كما أكيدُ أُكادُ

العربدة:

قال الأصمعي: العربدة حية تنفخ ولا تؤذي. ومنه قيل لمعربد بوجهه خُموش: ما هذه الكُلوم؟ قال: آثار الكلام. وكان رجل مُعربد له يسار، وكان إذا عربد على واحد أعطاه خمسمائة درهم، فقال لإنسان: هل لك أن تنادمني؟ قال: على أن تعربد عليّ عربدة نحو مائتين، فإني لا أقوى على عربدة خمسمائة.

وقال الحسين بن خليع: نادمت يوماً إبراهيم بن المهدي فسكر، وعربد عليّ، فدعا بالنطع والسيف، فتكلم في أصحابه، فتجافى عني، ثم تأخرت عنه فدعاني، فكتبت إليه:

أمـيـرٌ غـيـرُ مَـنْـسـوبِ إلـى شَـيْءٍ مـن الـحـيـفِ
سـقـانـي مـثـلَ مـا يـشـ ـربُ فـعـلَ الـحـرّ بـالـضَّـيـفِ
فـلـمـا دارتِ الـكـأسُ دعـا بـالـنـطـعِ والـسَّـيْـفِ
كـذا مَـنْ يَـشْـرَب الـراحَ مَعَ التنينِ في الصَّيفِ[1]

فدعاني وأرضاني. ثم كان المأمون يضاحك إبراهيم بهذه الأبيات، ويولع بها. وسئل عبيد الله بن محمد عن طنبوري له، فقال: هو بليد حديد عربيد، إن حثَّ عثر، وإنْ أمسك قصر، وإن ابتدأ غلط، وإن اقترح عليه سخط، وإن دعي مطلَ، وإن ترك تطفَّل. وقيل: صاحب السكر يصير إمّا إلى قردية، وهو الذي يضحك ويرقص ويحاكي، أو إلى كلبية، وهو الذي يهارش، أو إلى خنزيرية، وهو الذي يتقيأ ويخرأ ويتلوث فيه، أو إلى إنسانية وهو الذي يحسن خلقه. ولبعضهم يصف مُعَرْبداً:

إذا انتشى خاصمَ في الدّين وإنْ صـادفَ إنـسـانـاً يُـمـاريـه
ويَـدَّعـي الـشـربَ ويـهـذي بـه والـقـدحُ الـواحـدُ يـكـفـيـه
يـحبسُ كـاسَ الـقـومِ في كفِّه حـتـى إذا قـالـوا لـه: ايـه!
أَفْضَلَ ثلثَ الكاسِ في قعرها ومـج ثـلـثَ الـكـاسِ مِـن فـيـه

أبو نواس:

ومُـعَـرْبِـدٍ أَبـرزتُـه لـلـريـح إذ سَـبَّ الـنَّـدامـى
أَغـلـقـتُ بـابـي دونـه وتَـرَكْـتُـه يـرعـى الـخـزامـى[2]

ويضاد ذلك ما حكي أنه أتي العريان بشارب، فقال: من أنت؟ قال: أنا القائل:

إذا صَدَمَتْني الكاسُ أبدت محاسني ولم يخش ندماني على صدمِها جهلي

فقال العريان: أنعم الله بك عيناً. وقال لصاحبه: احمله على دابتك، وبلِّغه منزله.

مدح الصفع واحتجاج الصفعان لذلك:

الصفع غلة، ولكنه مذلة، ويذهب بالعلة الغليظة من العينين. إذا أردت أن يكثر نفع دارك، فاصبر على الصفع المتدارك. الصفع في هذا الزمان خير من غلة

(١) ديوانه ص ٨١.
(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

بستان. الصفع على الريق أنفع من شرب السويق. وقيل لصفعان: ما المعنى في الصفع؟ قال: هو أول منزلة من التواضع، وهو يحسن الخلق، ويذهب بالصغار، ويخفف من الخمار، ويؤمن البدن من الاقشعرار، ومن فضائله أنه يؤنس المستوحش ويبسط المنقبض، ويضحك الحزين، وينشط الكسلان، ويزيل النعاس، ويقوي الراس. صفع رجل آخر فغضب المصفوع، فطأطأ رأسه، وقال له: حقك في يدك، خذه ولا تغضبْ.

معارضة صفعان لمن صفعه:

كان صفعان من قوم، فصفعه بعض مَن لم يكن يؤبه به من بينهم، فقال الصفعان: يا كشحان، هذا يفعله من كان له قصر وفي داره طاووس، وعلى بابه نعامة لا من في داره ديك وعلى بابه كلب، وحجرته بالكراء. وصفَعَ رجل آخر، فالتفتَ إليه وقال: صَفْع بصَفْع أو صَفْع بنَفْع.

المهجو بأنه صفعان:

شاعر:

قَفاه على أَكُفّ الشُّربِ وَقْفٌ ... وجلدةُ وَجْهِهِ مَيدانُ ريقِ

وصفع أحمد بن إسماعيل الكاتب صاحباً له، فقال:

سائِلٌ طلولَ القفا ومصْفَعها ... كيف ترى راحتي وموقِعَها؟

كم صائنٍ هامَةً مُمَنَّعَةً ... ذلَّلها صافعٌ وطَبَّعَها

ولابن حجاج في المتنبي:

يا ديمةَ الصَّفا هُبّي ... على قفا المتنبِّيْ

وأنتَ يا ريحُ بَطني ... على عذاريه هبّي

ويا قَفاه تداني ... واقعدْ قريباً بجنبي

وإنْ صَفَعْتُك ألفاً ... فلا تقولَنَّ: حَسْبي

وله في بعض الكتاب:

رأيتُ شَيْخاً رقيعاً ... للصفْعِ فيه بقيَّه

مُسْتَعْرباً نبطيّاً ... ويشتهي العجميَّه

فقلتُ: ذقنُك في اسْتي ... هذا من العربيَّه

وريشُك بباب كوني ... هذا من العَجميَّه

أو لافد عنج بوطئي ... هذا من النَّبطيَّه

هــذي لــغــاتٌ ثــلاثٌ صَـحـيـحـةٌ مُـسْـتـويـه

وقال ابن الرومي:

وصَـفْـعـانٍ يـجـودُ بـأخْـدَعـيـهِ ويَصْفَعُ نفسَه في الصافعينا

كـهدمِ المشركينَ بيوتَ سوءٍ بأيديهم وأيدي المؤمنينا[1]

ومما يدخل في باب الصفع: خاطر رجل على أن يصفع المطلب الهاشمي بباب الطاق، فيشكره المطلب على ذلك، فوقف يوماً على طريقه وصفعه من خلفه في النقرة وقال: العقرب العقرب، وكان منه عقرب منزوع الحمة، فلما رأى المطلب العقرب، شكره وقال: جزيت خيراً فلولا أنت لدَغَتْني!.

وصف ثقيل:

ما الحمام على الإصرار، وحلول الدين مع الإقتار، وشدة السقم على الأسفار بأثقل من لقاء فلان. وقال رجل لأبيه: يا أبتِ، حدّثني مستملي أبي حنيفة إن أبا حنيفة قال: إني ثقيل؟ فقال: يا بني، أنتَ ثقيل بالإسناد! ووصف آخر ثقيلاً، فقال: هو ثقيل جاهل بثقله، والثقيل إذا علم أنه ثقيل، فليس بثقيل.

شاعر:

أثـقـلُ مـن طـلـعـةِ يـومِ سـبْـتٍ عـلـى ابـنِ كـتَّـاب بـلـيـد هـبـتِ

وفسر سعيد بن المسيب قول الله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [القَلَم: الآية ١٣] أنه ثقيل لغير رشده. وقال إنسان لأحمد بن أبي خالد: لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ. فقال له: لئن لم تخرج من ذلك لأقتلنك. فقال: إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩]. وأنت فظّ وما يبرحون حولك، فضحك منه.

رؤيـتُـه أثـقـلُ مِـن رَضْـوى أثقلُ من واشٍ على عاشقِ

قال أبو العتاهية لابنه: أنت ثقيلُ الظلم، مظلم الهواء، جامد النسيم.

وقال شاعر:

كمِثْلِ غَريمٍ مُقْتضٍ أو كأنه طلوعُ رقيبٍ أو نُهوضُ حبيبِ

أبو نواس:

لـطـلـعـتِـه وخـزةٌ فـي الـحـشـا كوَخْزِ المشارط في المحتجَمْ[2]

---

(١) ديوانه ٦/٢٠٨.

(٢) لم أقع عليه في ديوانه.

أحمد بن حمدون:

صَلَفٌ مائقٌ ضعيفٌ مَقيتٌ أحمقٌ ساذجٌ ضعيفُ الكتابَه

آخر:

وبَغيضٍ لو أنه كان صوتاً كان إيقاعُه ثقيلَ الثقيلِ

للصاحب:

ثقيلٌ قد تربَّع في الطنافس يُنافسُ في لجاجتِه الخنافِس[١]

الحث على مصابرة الثقيل:

سأل رجل صديقاً له أن يمشي معه إلى إنسان في حاجة فقال: أحب أن تعفيني، فإنه ثقيل بغيض غثّ. فقال صاحبه: يا سيدي، أحسبه الكنيف الذي تأتيه كل يوم مرتين.

صعوبة ملاقاة الثقلاء:

قال الأعمش: ما نظرت إلى ثقيل إلاَّ اشتكت عيني. وقال: ربما سألني ثقيل عن مسألة، فأنساها في الوقت لما ينالني منه. وقال ابن عمر رضي الله عنه: اتقوا من تبغضه قلوبكم. وقال مالك لطبيبه: انظر مجسّي، فجسَّه؛ وقال: مزاجك معتدل إلاَّ أن فيه كدراً، فهل وصل إليك اليوم بغيض؟ قال: نعم. قال: فهذا من ذاك. وقيل: مجالسة الثقيل حمى الروح؛ ومنه أخذ أبو هفان:

أَورثتَني بجلوسٍ إليكَ حمًى مليله

وقيل لأنوشروان: ما بال الرجل يحمل الحمل الثقيل، فلا يعييه، ولا يحمل مجالسة الثقيل؟ فقال: لأن الحمل تشترك فيه الأعضاء، والثقيل تنفرد به الروح.

الأحوال المفضية للثقل:

قال ابن سيرين: مكتوب في كتاب سوء الأدب: إذا أتيت منزل قوم، فلم ترض بما يأكلون، وسألتهم ما لا يجدون، وكلفتهم ما لا يطيقون، وأسمعتهم ما يكرهون، فإن لم يخرجوك، فهم لذلك مستأهلون. وقيل: من مقتضيات الثقل أن يكون الإنسان يتتايس وهو يقدر أن يتكايس. ودخل ثقيل على ابن أبي البغل فأطال الجلوس، فلما خرج الناس، قال: هل من حاجة؟ قال: لا، فأنظره ساعة ثم قال: ما اسمك؟ قال: أبو عبد الله محمد بن عبد الله. فقال لحاجبه: خذْ بيد أبي

(١) لم أقع عليه في ديوانه.

عبد الله محمد بن عبد الله، واطردْه إلى لعنة الله!.

التعريض بثقيل:

ابن عائشة: ذكر الله تعالى الثقلاء فقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٣]. وشرب بغيض عند رجل فلما أمسى لم يأته بسراج، فقال: أين السراج؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠]. قال ثعلب لرجل استثقله: خاتم طاوس. فلم يعلم الرجل ما عناه، فقال له ثعلب: إن طاوساً نقش على خاتمه: أبرمت فقم، فإذا استثقل رجلاً دفعه إليه، وقال: اقرأه. وعاد الشعبيَّ ثقيلٌ، فأطال الجلوس ثم قال: ما أشد ما مر عليك في مرضك؟ قال: قعودك عندي! ودخل ثقيل إلى الصاحب فأطال الجلوس وتبرم به، فكتب رقعة ودفعها إليه فيها:

إنْ كنتَ تزعمُ أن الدارَ تملكُها ... حتى نقومَ فنبغي غيرها دارا
أو كنتَ تعلم أن الدارَ أملكُها ... فقم لكي تُذهبَ الأحزانَ والعارا[1]

ودخل على ابن مكرم أخوان من أولاد ينار، فاستثقل أحدهما واستطاب الآخر، فانزعج الثقيل، وبقي الآخر، فقال له: ما مثلك ومثل أخيك إلاَّ ما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرّعد: الآية ١٧].

اغتياب الثقلاء والوقيعة فيهم:

قال معمر: لا غيبة للثقلاء، والوقيعة فيهم من اللذات، وفي مجالسات أبي بكر بن دريد لم يبق من لذة الدنيا إلاَّ أكل القديد وحك الجرب، والوقيعة في الثقلاء. وفي وصف بارد: هو جبل همدان وماء سيدان.

يوسف بن المغيرة:

ومَن يَقْتُلِ الأَبطالَ بأساً ونَجْدةً ... فإنّ أبا يعقوبَ يقتلهمْ بَرْدا

آخر:

إنما ظرفُ أبي العيناء في المجلس لحظه ... فإذا طاولتَه استبردْتَ معناهُ ولفظَه

وصف ساق يشغف الشرب بحسنه ويلهيهم بغنجه:

لأبي فراس، وقد حضر مجلساً فثمل، فقل له: سكرت! فأنشأ يقول:

(١) لم أقع عليهما في ديوانه.

سكِرْتُ من لحظِه لا مِن مُدامتِه ... ومالَ بالنومِ عَنْ عيني تمايلُه
وما السَّلافُ دهتني بل سوالفُه ... وما الشُّمولَ دهتْني بل شمائلُه
لوى بعَقْليَ أصداغٌ لوينَ له ... وغالَ صبري ما تحوي غلائلُه[1]

آخر:

ساعٍ على صَحْبي بصَهْباء ... كالغُصْنِ المغتَصِّ بالماء
أغارُ من وقفِته كلما ... قال لحاسي الكاسِ: مولائي
حتى لقد صارُوا وَهُمْ إخوتي ... من شدةِ الغيرةِ أعدائي

وصف ساق تشبه وجنته خمرة:

فقام بخمرٍ يخضبُ الكفَّ كاسُها ... وتَحْسَبُه من وجْنَتيهِ استعارَها[2]

أخذه ابن المعتز وزاد عليه، فقال:

تدورُ علينا الراحُ من كَفِّ شادنٍ ... له لحظُ عينٍ يَشْتكي السقمَ مدنفُ
كأنَّ سلافَ الخمرِ من ماءِ خدِّه ... وعنقودها من شَعْرِهِ الجعدِ يُقطفُ[3]

جحظة:

وخمارةٍ مِن بناتِ القُسوس ... تبيعُ المدامةَ في دارِها
وجاءَت تهادَى كَقَدِّ القضيبِ ... سقتْه الغوادي بأمطارِها
وفي كفِّها قَهوةٌ في الإناءِ ... وكالنارِ لم تغل في نارِها
كوَجْنةِ مَن هي في كفِّها ... ونكهتِها وقت أسحارِها
فمِنْ قارصٍ وردتي خَدِّها ... ومن جاذِبٍ فضلَ زُنارِها[4]

الفرح الصالحي:

ثَمِلٌ مِن خمرِ ريقتِه ... عَطِرٌ مِن وردِ وجنتِه
قامَ والأردافُ تُقْعِدهُ ... والدُّجا من لونِ طرتِه
فسقاني الخمرَ من يدِه ... وحَلَلْنا عقدَ تِكَّتِه

ساق يطيب من يده المدام:

قال شاعر:

ولم يكُنِ الشرابُ كذا لذيذاً ... ولكنْ طابَ حاملُه فطابا

---

(١) لم أقع عليها في ديوانه.
(٢) ديوانه ص ٦٧.
(٣) ديوانه ٢/ ١٦٣.
(٤) ديوانه ص ١١١.

ابن المعتز:

اشْربْ عُقاراً كأنها قَبَسٌ ... قد سَبَكَ الدَّهْرُ تبرَها فَصَفا
يَبدي لِثامَ الإبريقِ من دَمِها ... كأنه راعِفٌ وما رَعَفا
بكفِّ ساقٍ حلوٍ شمائِله ... مكرّ لحظ عينه صَلفا[١]

وصف الشراب والساقي:

السري الرفاء وقد أحسن في وصف الساقي:

وكأنما أبدى لنا بمُدامِه ... وجمالِه صاح العزيز ويوسفا

أبو نضلة:

قامَ الغلامُ يديرها في كاسِه ... فكأنَّ بدرَ التمِّ يحملُ كَوْكبا[٢]

الخوارزمي:

يدورُ بها ظبيٌ تدورُ عيونُنا ... على عينِه من شرطِ يحيى بن أكثمِ
يُنَزِّهنا مِنْ ثَغْرِهِ ومُدامِه ... وخَدَّيه في شَمْسٍ وبَدْرٍ وأنجمِ

حثّ الساقي على السقي:

شاعر:

أيها الساقي أجدْ حَثّ القَدَح ... واسْقني ويحَكَ مِفتاحَ الفرَحْ

أبو نواس:

أيها الساقي علاما ... تحبسُ الكاسَ علاما؟
بعدَ ما لذتْ وطابت ... ونفت عنَّا اهتماما
سُمّي الخمر مُداماً ... فأدِمْ هذا المُداما
وصِلِ الكاسَ بكاسٍ ... تَدَعِ الشيخَ غُلاما[٣]

حثّ القوم على الشرب:

كان رجل يشرب مع قوم، فإذا أخذ القدح أطال إمساكه، فقال ساقيهم: اشربْ وهبْه في كفك من يوم مولدك. وقال آخر لمن يحبس الكاس: أليس لو بقي في كفك أياماً وقد مزجته كان يتغير؟ قال: نعم. قال: فلا أرى ساعة تمضي إلاَّ ولها قسط من التغير فاشربه. وكتب بعضهم على كاس:

---

(١) ديوانه ٢/ ١٦٥.
(٢) ديوانه ص ١٧٣.
(٣) لم أقع عليها في ديوانه.

قالتِ الكاسُ لساقيها إلى كم تَحْبسوني؟
إنَّ جِسْمي من زُجاجٍ فاحذروا لا تكسروني
واجعلوا الساقي خشفاً ومع الخشف ذروني
وإذا أنتُمْ ثقلتم فخذوني في سكوني

الحث على المزج والمنع منه:

أبو نواس:

فقوما فامزجا خمراً بماءٍ فإنّ نتاجَ بينهما السُّرورُ[١]

وكان رجل يسقي آخر صِرْفاً، ويغني له:

يديرونني عن سالمٍ وأديرُهم وجلدَةُ بين العينِ والأنفِ سالِمُ

فكان ينشد: «وجلدة ما بين العين والأنف سالم»، فيكسر البيت، ويزيد فيه لفظة «ما»، فقال صاحبه: الأَوْلَى أن تجعل «ما» التي في بيتك في قدحك. وقال حسّان في المنع من المزج:

إنَّ التي ناولَتْني فرَدَدْتها قُتِلَتْ قُتِلْتَ فهاتِها لم تُقْتَلِ
كِلْتاهما حَلْبُ العصيرِ فعاطني بزُجاجةٍ أرخاهما للمفْصل[٢]

أبو نواس:

اثنِ على الخمرِ بآلائِها وسَمِّها أحسنَ أسمائِها
لا تجعلِ الماءَ لها قاهِراً ولا تُسَلِّطْها على مائِها[٣]

وأنكر بعض الشرب على الساقي كثرة المزج، فقال: تريدون في مائكم نبيذاً.

حث الساقي على العدل بين القوم:

قال علي بن داود في كتاب الزهرة: ليتحرَّ الساقي العدل، فإنه والي العقول، وإلاَّ ناله من خجلة الاستعفاء ما ينال الوالي من خجلة العزل.

* * *

(١) ديوانه ص ٣٦٤.
(٢) ديوانه ص ١٢٤.
(٣) ديوانه ص ٢٨.

ومما جاء في وصف المجالس وأمكنة الشرب

اختيار المجلس الفسيح:

قيل للأحنف: أي المجالس أحبُّ إليك؟ قال: ما سافر فيه البصر واتدع فيه البدن. وقيل: المنازل الضيقة العمى الأصغر. وسئل بعضهم عن الغنى فقال: سعة البيوت ودوام القوت. وقيل لبعضهم: ما السرور؟ فقال: دار قوراء، وامرأة حسناء، وفرس مربوطة بالفناء. وقيل لبعضهم: أي المجالس أطيب؟ فقال: لولا أن الشمس تحرق والمطر يغرق، لما كان في الدنيا أحسن من شرب في الفضاء على وجه السماء. وحدثني أبو سعيد بن مرداس أنه قعد مع جماعة فيهم ابن بابك تحت عريش كرم يشربون، فأصابهم مطر، فقال ابن بابك:

وشى بريّا إليَّ ... طَيْفٌ أَلَمَّ فحيَّا
ونَبَّهتْني شَمولٌ ... تموت فيَّ وأحيا
يا صَخْرةَ الرَّعْد رُشِّي ... دمْعَ الغمام عليَّا
فَحَبَّذا الروحُ ورداً ... ومنحني النورُ فيا!
هذي سماءُ مُدام ... لم تمشِ فيها الحُميَّا
فكلُّ كَرْمٍ سماءٌ ... وكلُّ نجمٍ ثُريّا

حديث كل مجلس:

قال أرسطاطاليس للإسكندر: احفظْ ما أقول لك، إذا كنت في مجلس الشرب، فليكن مذاكرتك الغزل، فإنهم يأنسون إلى ذلك، وإذا جلست إلى خاصتك، فاذكر الحكمة، فإنهم لها أفهم، وإذا خلوت للنوم، فاذكر العفة، فإنها تمنعك أن تضع النطفة في ما لا معنى له.

مدح القعود في طرف المجلس والاعتذار لذلك:

دخل بعض الصوفية على الجنيد، وقعد في طرف المجلس، وقال: حَسْبي يا سيدي من مجلسك مكاني من قلبك. وقيل: الأطراف مجالس الأشراف. ودخل رجل على بعض الكبار، فصدّره، ثم دخل آخر فقال له: تنحَّ قليلاً، فرفعه إلى جنبه، ثم دخل آخر، فقال له مثل قوله، فلم يزل الداخل الأول يتنحى حتى صار في طرف البساط، فقال لصاحب المنزل: قد تفرزَنْتُ، أقوم فأرجع إلى موضعي! فضحك منه، ورفعه إلى موضعه الأول.

الجلوس على الطُرُق وفي المساجد:

مَرَّ رسول الله ﷺ على رهط فيهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال: إياكم والجلوس بهذه، فإنها سبيل من سبل النار، أو قال: من سُبُل الشيطان، ثم التفت فقال: فإنْ أبيتم، فأدُّوا حقّ الطريق. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: ردّ السلام، وغضّ البصر، وكفّ الأذى، وهداية الضال، وإغاثة الملهوف. وقال الشعبي: من أراد أن يكثر علمه، فليجتنب مجالس قومه. وقيل: المساجد مجالس الكِرام.

ذم الجلوس في الشمس وحمده:

رُوي عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً جالساً في الشمس، فقال: قمْ عنها، فإنها مَبْخرة مَجْفرة، تنغل الريح، وتظهر الداء الدفين، وتُذهب شهوة الشتاء.

أبو تمام:

وإنَّ صريحَ الحزمِ والرأي لامرؤٍ ... إذا أدركتْه الشمسُ أن يَتَحَوَّلا[١]

ضيق المجلس:

ما ضاق مجلس على محبين ولا اتسع لمتباغضين. وقال الصاحب في معناه، وقد نقله من أبيات خراسانية:

كُنّا وأسبابُ الهوى متَّفقه ... نَغْدو من الوردِ معاً في ورَقه

واليومَ إذ أسبابُه مُفْترقَه ... قد صارتِ الدنيا علينا غلقَه[٢]

وكثر تمثُّل الناس بقول الشاعر:

لعَمْرك ما ضاقت بلادٌ بأهلِها ... ولكن أخلاقَ الرجالِ تضيقُ[٣]

وقال ابن المعتز وقد حضر قوماً ضاق بهم المجلس:

لا تحسبنّ الدهرَ يجمعُ حبه ... في قِشْره إلاَّ كما نحنُ هنا[٤]

وقال آخر يعتذر من ضيق داره وقلّة زاده:

إنْ يضقْ منزلي فإني كريمٌ ... واسعُ الخلق واسعُ الآدابِ

لَسْتُ آسى على الكثيرِ من الزا ... دِ إذا كان فيه قوتُ صحابي

(١) لم أقع عليه في ديوانه.
(٢) تكملة ديوانه ص ٢٥٦.
(٣) البيت لبشار بن برد في ديوانه ص ١٦٥.
(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

الحث على التوسع لمن حضر المجلس:

قال النبي ﷺ: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تَفَسَّحوا وتَوَسَّعوا». وقال الله تعالى: ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: الآية ١١]الآية. حضر بعض الناس مجلس الحسن بن سهل، وكان المجلس ضيقاً، فقال: تَحَفَّزوا، فإنَّ في التحفُّز تَوْسعة الجالس المستوفز. قيل: اثنان ظالمان: رجل وُسِّع له في مكان ضيق فقعد فيه متربعاً منتفخاً، وآخر أهديتْ له نصيحة فاتخذها ذَنْباً.

تفقُّد الجلسة:

قال عبد الملك: إني لأعرف عِزَّة الرجل في جلسته. وقيل: اختلاف صُوَر جلوس الناس على اختلاف أحوالهم. وقيل: للملوك جلسة، وللراغب جلسة، وللندام جلسة، وللملاعب جلسة، وللمطرب جلسة، وللضيف جلسة.

الانتقال من مجلس إلى مجلس:

قال الصولي: شرب عندي ابن أبي فنن يوماً، فقلت له: قمْ بنا ننتقل إلى مجلس آخر. فقال: النقلة من الإسلام كُفْر، ومن النسب لؤم، ومن المجلس سخف. وقيل لبعضهم: انتقلْ. فقال: النقلة مُثْلة. وكان المأمون كثير التنقل في مجالسه، ويتمثل بقول أبي العتاهية:

لا بدَّ للنفْس إنْ كانتْ مُدْبرةً ... من التنَقُّلِ من حالٍ إلى حالِ[1]

حمد الراضي بالقعود دون ما يستحق:

قال الأحنف، رحمه الله: ما جلست مجلساً خفت أن أُقام منه لغيري. وقال الشعبي: لأَن أُدعى من بعيد أَحَبُّ إليَّ مِن أن أدْفَعَ من قريب.

مجلس أو وقت مستطاب:

ابن أبي البغل:

جَلَسْنا مَجْلِساً حَسَناً نظيفاً ... خَلا مِن كل ذي صَلَفٍ وبُغْضِ

آخر:

ومجلسٍ غابَ عنه عاذلُه ... تُبَدَّلُ فيه الهمومُ بالطَّرَبِ

ابن المعتز:

كأنَّا من بشاشتنا ظللنا ... بيومٍ ليس مِن هذا الزمانِ[2]

---

(١) ديوانه ص ٣٢١.

(٢) ديوانه ٣/ ٣٥٨.

إيثار الشرب واللهو بالليل:

كان ابن المعتز لا يشرب إلاَّ ليلاً، ويقول: الليلُ أمتع لا يطرقك فيه خبر فاظع، ولا سبب مانع، والنهار أبرص لا يتم فيه سرور؛ أخذ ذلك كشاجم فقال:

اتخذِ الليلَ جَمَلْ ... ما حمل الليلَ حَمَلْ
آمنُ فيه زائراً ... يُشْغِلني عن الشغُلْ[١]

آخر:

ولم أر مِثلَ الليلِ جنة فاتكٍ ... إذا هم أمضى أو غنيمة ناسِكِ

بشار:

قد نامَ واشٍ وغابَ ذو حَسَدٍ ... فاشربْ هنيئاً خلا لكَ الجوُّ[٢]

يروى لمحمد بن بشير ويقال: كتب معاوية إلى ابنه يزيد بهذه الأبيات:

شَمِّرْ نهاراً في طِلابِ العُلا ... واصبرْ على هَجْرِ الحبيبِ القريبِ
حتى إذا الليلُ أتى مُقْبِلاً ... واكْتَحَلَتْ بالغَمْضِ عَينُ الرقيبِ
فقابلِ الليلَ بما تشتهي ... فإنَّما الليلُ نهارُ الأريبِ
كَمْ فاسِقٍ تَحْسَبُه ناسِكاً ... يَسْتَقْبِلُ الليلَ بأمْرٍ عَجيبِ[٣]

ويروى أن يحيى بن خالد كتب إلى الفضل ابنه وهو بخراسان، وقد بلغه اشتغاله باللهو: أما بعد، فقد بلغني عنك ما كنت جديراً بغيره، وقد يهفو الحكيم، ويزل الحليم، ثم يرجع إلى ما هو به أولى، حتى كأن أهل دهره لم يعرفوه إلاَّ به، وقد كتبتُ إليك بأبيات إن أنت خالفتها هجرتك وعزلتك، وكتب إليه بالأبيات المتقدمة، فلما قرأها آلى على نفسه أن لا يشرب النبيذ بخراسان.

الحثّ على مبادرة الصباح في تناول الراح:

جحظة:

قد بدا لي الصبحُ يا مو ... لايَ يحدو بالظلامْ
فانتبه نقض لبانا ... تِ اعتناقٍ والتزامْ
قبل أن تفضحنا عو ... رةُ أنفاسِ النِّيامْ[٤]

أبو نواس:

---

(١) ديوانه ص ٢٥٠.
(٢) ديوانه ٤/ ٢٢٤.
(٣) ديوان محمد بن بشير ص ٣٤.
(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

بادِرْ صباحَك بالصَّبوحِ ولا تكنْ كمسوّفين غدوا عليك شِحاحا
وخدينِ لذاتٍ معللٍ صاحبٍ يَقْتاتُ منه فكاهةً ومزاحا
نَبَّهْتُه والليلُ مُلْتبِسٌ بهِ وأَزَحْتُ منه نعاسَه فانزاحا
قال: ابغني المِصْباح، قلتُ له: اتَّئِدْ حَسْبي وحسبُك ضَوْؤُها مِصْباحا[(١)]

إيثار الشرب بالنهار والصبوح:

العطوي:

إنَّ شربَ النبيذِ سيرٌ إلى اللهوِ وخيرُ المسيرِ صدرُ النهارِ

آخر:

ومِن العجائبِ أن يكونَ نبيذهُ كَدَمِ الذبيحِ وأمرهُ مُتَظاهرُ
فتراهُ يَنْتَظِر العَشِيّ بشربه واليوم مُنْهَمِل السَّحائِب ماطرُ

كشاجم:

وأَحَبُّ أوقاتِ النَّعيمِ إليّ في وقْتِ السَّحَرْ[(٢)]

أوقات الشرب في الأسبوع:

كان الوليد يشرب يوماً ويدع يوماً، وسليمان يشرب في كل ليلة، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد يدمن الشرب، فكان دهره بين سكر وخمار. وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات، وكان المأمون يشرب الثلاثاء، والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة.

قصد الحانات:

من عادتهم التبجُّح بقصد الحانات وابتياع الخمر؛ ولذلك قال طرفة:

متى تَبْغِني في حلقةِ القومِ تَلْقَني وإنْ تَلْتَمِسْني في الحوانيتِ تَصْطَدِ[(٣)]

وبكر أبو الهندي على خمار، فاصطَبَحَ وسَكِرَ ونام، ودخل على الخمار فتيان، فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه، فقالوا: ألحقنا به، فسقاهم حتى ناموا، فلما استيقظ أبو الهندي، رآهم فسأله عنهم فأخبره بهم، فقال: ألحقني بهم، فأقاموا على ذلك عشرة أيام، فقال أبو الهندي يصف ذلك:

نُدامى بَعْد عاشرةٍ تلاقَوا تضمُّهم بكوذبان راحُ

---

(١) ديوانه ص ١٩.
(٢) ديوانه ص ١٣٣.
(٣) ديوانه ص ٣٠.

رأوني في الشُّروقِ على وسادٍ　　يفيضُ بمُهْجَتي وردٌ وراحُ
فقالوا: أيها الخمار من ذا؟　　فقال: أخ تخوَّنه صلاحُ!
فقالوا: قُمْ فألحقنا وعجل　　به، إنَّا لمصرعِه نراحُ
وحانَ تنبهي فسألتُ عنهم　　فقال: أتاحهم قدر متاحُ
فقلت له: فسرحني إليهم　　حثيثاً والسراحُ هو النجاحُ
فما إنْ زال ذاك الدأبُ مِنا　　إلى عَشْر نفيقُ ونُسْتَباحُ[1]

وله:

وصاحِبِ حانوتٍ عشوتُ لناره　　وقد مالتِ الجوزاءُ نحو المغاربِ
فقال: ألا عجِّلْ لنا النقْدَ إننا　　أناسٌ أخذنا بالكَرا والضَّرائِبِ
نَثَرْتُ له عشرينَ بيضاً كأنها　　على كفةِ الميزانِ زهرُ الكواكبِ
فَصَبَّ لنا حمراءَ ينزو حَبابُها　　إذا شعشعَتْ بالدَّنِّ نَزْوَ الجَنادِبِ[2]

وقال ابن المعتز، وهي أبيات مستحسنة، ولذلك ذكرت جملتها:

وفِتْيانِ صِدْقٍ قد بَعَثْتُ بسَحْرَةٍ　　إلى بيتِ خَمّارٍ فحطُّوا به رَحْلا
وقامَ إلى مخزونةٍ بابليةٍ　　كَسَتْ دنَّها أيدي عناكِبها غَزْلا
مُسَنَّدة قامت ثلاثين حجةً　　كواضِعةٍ رجلاً وقد رَفَعَتْ رِجلا
وأخرجَ بالميزانِ منها سبيكةً　　كما فتل الصواغُ خلخالَهُ فَتْلا
إذا قرعت بالماء خلت بكأسِها　　مدب دبّاً تعلو أكارعه رَمْلا
فلما رأوها في الزجاجةِ سبَّحوا　　وكبَّر إجلالاً لها العلجُ أو صلَّى
وظلَّ يُناجي شحّ نفسٍ وجودها　　فطوراً بها صَعْباً وطوراً بها سهلا
فما زالَ حتّى زالَ بالمالِ حكمُه　　ولم ندخرْ عنها السماحةَ والبَذْلا
وجاؤوا بها كالشَّمْسِ يأكلُ نُورها　　زجاجتَها في كَفِّ شارِبها أكلا
عَروسٌ جَعَلْنا مهرَها بعضَ ديننا　　فما رضيَتْ حتى وهبْنا لها الكُلَّا[3]

وله:

لا علم لي أين يثوي الخضر من بلد　　لكنّ إبليسَ في قُطْرُبُلٍ ثاوي
بحيث لا لوم في سكرٍ ولا طربٍ　　ولا يقصِّرُ في أفعاله غاوي[4]

***

(١) ديوانه ص ٢٠ ـ ٢١.
(٢) ديوانه ص ١٦.
(٣) ديوانه ٢/ ١٩٢ ـ ١٩٣.
(٤) ديوانه ٣/ ٣٧٦.

ومما جاء في وصف آلات الشرب والمجالس

الأباريق المقدمة والطوال الأعناق:

أبو الهندي:

مـقـدمـة قـزا كـأن رِقـابـهـا رقاب بناتِ الماءِ أفزَعها الرعدُ[1]

وقد زاد هذا على قول علقمة:

كأنّ إبريقَهم ظبيٌ على شرفٍ مُفدَّمٌ بسّبا الكتان مَلْثومُ[2]

آخر:

كـأن أبـاريـقَ الـشَّـمـولِ عَـشِـيَّـة إوزٌّ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجرِ

ابن المعتز في إبريق في فمه قطرة:

كأنَّ إبريقَنا والراحُ في فمهِ طيرٌ تَناول ياقوتاً بمنقارِ[3]

قرقرة الإبريق:

ابن المعتز:

وكـأنَّ إبـريـقَ الـمـدامـةِ بـيـنـنـا ظَبْيٌ على شَرَفٍ أنافَ مدلُّها[4]

لـمـا استَحَثَّتها السُّقاةُ حنا لها فبكى على قَدَحِ النديمِ وَقَهْقَها

الزاهي:

كـأنَّ إبـريـقَـهـا فـيـنـا مُـطَـوَّقـةٌ مدّتْ جناحاً وقد غَنَّت بتَغْرِيدِ

أبو نواس:

كأنَّ قَهْقَهةَ الإبريق إذ سكبَت رَجْعُ المزاميرِ أو تغريدُ فأُفاءِ[5]

آخر:

والكونُ يَضْحَك كالغزالِ مُسَبِّحاً عـنـدَ الـرُّكـوعِ بـلـفـظـةِ الـفَـأُفـاءِ

ابن أبي البغل:

نـادمـتُ إبـريـقَـهـا فـتَـمْـتَـمَ لـي فـي لـيـلـةٍ طـرمـسـاء ظَـلـمـاء

حتـى إذا عـادَ فـي فـصـاحـتِـه صـارَ لـسـانـي لـسـانَ فَـأُفـاءِ

---

(١) ديوانه ص ٣١.

(٢) ديوانه ص ٧٠.

(٣) ديوانه ٣/ ٢٦٨.

(٤) لم أقع عليه في ديوانه.

(٥) ديوانه ص ٥٦٧.

علي بن عاصم الأصفهاني:

متى بكى الإبريقُ في كفِّه أَغْرَبَتِ الأرطالُ في الضَّحِكِ

إبريق مبذول العروة:

البسامي في وصفه:

إبريقُ صُفْرٍ كأنه قَبَسٌ يُشْبهُ لوني بفَرْطِ صُفْرتِه

يُمناه مَمْدودةٌ لمسألةٍ منه، ويُسْراهُ فوقَ هامتِه

ولبعض المحدثين، ويعرف بالمخزومي البصري، في صفة إبريق فضّة، وقد استطرد إليه من مدح:

لَقَدْ ظلَمَ الفضة المقتناة يَدُلُّكَ فيها سَريعٌ حثيثُ

فأَقْبَلَ إبريقُها يَشْتكيه مُسْتَعْدِيّاً لك فيما تعيثُ

فإحدى يديهِ على رأسِه وأخرى مُمَدَّدةٌ تَسْتَغيثُ

آخر:

كأَنَّهُ مُسْتَرْفِدٌ مَدَّ يداً وأَلصقَ الأخرى بأعلى رأسِه

كؤوس مصوّرة:

أبو نواس:

تُدارُ علينا الراحُ في عَسْجَديةٍ حبَتْها بأنواعِ التَّصَاويرِ فارسُ

قرارتُها كِسرى وفي جنباتِها مَهاً تَدَّريها بالقِسِيِّ الفوارسُ

فلِلْخَمْرِ ما زرَّتْ عليهِ جيوبُها وللماءِ ما حازَتْ عليه القلانِسُ[(١)]

السري الرفاء:

ومَوْسومةٍ كاساتُها بفَوارِس من الفُرْس تطفو في المُدام وتَغْرقُ

أُقَبِّلُ منه كلَّ شاكٍ سلاحَه وفي يدهِ سَهْمٌ إليّ مُفَوَّقُ[(٢)]

كأس وخمر:

أبو تمام:

[وكَأَنَّ بَهْجَتَها وبَهْجَةَ كَأْسِهَا] نَارٌ ونُورٌ قُيِّدا بِوِعَاءِ[(٣)]

ابن أسباط:

---

(١) ديوانه ص ٤٤.

(٢) ديوانه ص ١٩٦.

(٣) ديوانه ١/ ٢٨.

وكأسٍ من الشَّمْسِ مخلوقةٍ   بدَتْ لكَ في قَدَحٍ من نهارِ
هـواءٌ ولـكـنَّـهُ جـامِـدٌ   ومـاءٌ ولـكِـنَّـه غـيـرُ جـارِ

ابن المعتز:

كأن الكاسَ في يَدهِ عروسٌ   لها من لؤلؤ رَطْبٍ وِشاحُ(١)

الصنوبري:

عِـقـارٌ إذا رديـت بـالـزجـاج   تـردّى الـزجـاجُ رداءَ الـبـهـاءِ
فـيـأتـي الـوعـاءُ لـهـا حـامِـلاً   وتـحـسـبُ حـامـلة لـلـوِعـاءِ(٢)

ونحوهما قول الصاحب:

رَقَّ الزُّجاجُ وراقَتِ الـخـمـرُ   [وتـقـاربـا فـتـشـابَهَ الأمْرُ](٣)

البيتين وقد تقدما.

الأخطل:

أنـاخـوا فَـجَرُّوا شـاصـيـاتٍ كـأنـهـا   رِجالٌ مِن السودانِ لم يَتَسَرْبلوا(٤)

بشار:

وكـــأنَّ الـــزِّقَّ زَنْـــجِـــيٌّ سَـــرَق(٥)

أبو الهندي يصفه:

[وإذا صبَّت لشِرْب خلتها]   حبشيّ قطعتْ منه الرُّكَبْ(٦)

الأعشى:

[تَحْسِبُ الزِّقَّ لَدَيْهَا مُسَنَداً]   حَبَشِيّاً كَبَّ عَمْداً فَانْبَطَحْ(٧)

والأول أحسن.

معصرة:

ومُـعْـصِـرةٍ أنـخـت بـهـا   وقَـرْنُ الـشَّـمْـسِ لـم يَـغِـبِ
فَـخِـلْـتُ قَـرارَهـا بـالـرا   حِ بَـعْـضَ مـعـادنِ الـذَّهَـبِ
وقـد ذَرَّفَـتْ لِـفَـقْـدِ الـكَـرْ   مِ فـيـهـا أعـيـنُ الـعِـنَـبِ

(١) ديوانه ٢/ ٧٤.
(٢) تكملة ديوانه ص ٤٤٩.
(٣) ديوانه ص ١٧٦.
(٤) ديوانه ص ١٥٣.
(٥) ملحق ديوانه ٤/ ١١٦.
(٦) ديوانه ص ١٨.
(٧) ديوانه ص ٢٩٣.

الراووق:

كشاجم:

كـأنَّـمـا الـراووقُ وانْـتِـصـابُـه   خرطومُ فيلٍ قُلِعَتْ أنيابُه[١]

الدن:

ابن المعتز:

ودِنـانٍ كـمِثْل صَفِّ الرِّجالِ   قد أُقيموا ليرقصوا دسْتَبَنْدا[٢]

آخر:

قـهـوة بـنْـتُ دِنـانٍ   عُتِّقَتْ خمسينَ عـامـا

خِلْـتـهـا فـي الـبـيـتِ جُـنـداً   صـفَّـفـوا حـولـي قـيـامـا

السري في دِنان خاليات:

وشُعْثِ دنـانٍ خـالـيـات كـأنـهـا   صُدورُ رِجالٍ فارقتها قلوبُها[٣]

كيزان الفقاع:

الخوارزمي:

وضَـيِّـقَـةِ الـفـمِ دَحْـداحـةٍ   عليها قَميصُ نَدًى أخضرُ

أبو طالب المأموني:

تـثـور إذا كَـشَـفـوا رأسَـهـا   وإنْ قـبَّـلـوا فـمـهـا تَـهْـدِرُ

آخر:

وَرُبَّ فـقَّـاعـةٍ رأيـتُ بـهـا   ثَدْيَ كِعَابٍ مسوّد الحلمَه

حـلـلـتُ زنـارَهـا فـأظْـهَـرَ لـي   شـهـبَ بزاةٍ تطير من أَكَمَه

* * *

ومما جاء في الغناء والمغنين والملاهي وآلاتها

الرخصة في الغناء:

قيل لأبي حنيفة وسفيان رحمهما الله: ما تقولان في الغناء؟ فقالا: ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر. وقيل للعتابي فقال: حلال من الفائق حرام من غير الحاذق. وسئل بعضهم فقال: هو من ارتياح الكرم وامتياح النعم، من قال هو

(١) ديوانه ص ٣٥.

(٢) ديوانه ٢/٨٨.

(٣) ديوانه ص ٦٠.

مباح وإلاَّ قال ليس فيه جُناح، قد يعفو الله عما فوقه ويأخذ بما دونه. وقال ابن الراوندي: اختلفوا في جواز الغناء وأنا أخالف الفريقين، فأقول: هو واجب.

مر عمر، رضي الله عنه، بدار قوم فسمع ضجة، فقال: ما هو؟ فقيل: عرس. فقال: وما يمنعهم أن يُخرجوا غرابيلهم، فإنها من أمارة العرس؟ وحضر الشعبي وليمة فقال: كأنكم في نائحة، أين الدفّ؟ وقال عبد الملك لعبد الله بن جعفر: من أين استجزتم معشر أهل المدينة الغناء الذي استقبحناه؟ فقال له ابن جعفر: أنت تأتي ما هو أقبح من هذا، وأنت في غفلة عنه، يأتيك أعرابي جلف مهلب العجان مُنْتن الإبطين، فيقذف عندك المحصنات، ويشبِّب بربات الحجال، ويقول فيهن الزور، ثم يشبهك مَرَّة بحجَر ومرة بشَجَر، ومرة بالأسد والسيل والبحر، فتصغي إليه وتخلع عليه. قال بعض الفقهاء بحضرة الرشيد لابن جامع: الغناء يفطر الصائم، فقال: ما تقول في بيت عمر بن أبي ربيعة إذْ أنشد:

أمِنْ آل نعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ [غَداةَ غَدٍ أم رائحٌ فَمُهَجَّرُ][1]

أيفطر الصائمَ؟ قال: لا. قال: إنما هو أن أمدّ به صوتي، وأحرِّك به رأسي.

فضل الغناء:

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: مدار الدنيا على أربع: البناء، والنساء، والطلاء، والغناء. وقيل: اللذات أربع: أكْل، وشُرْب، وسِماع، ونِكاح، وكلٌّ يوصل إليه بتعب إلاَّ الغناء. لا يكره الغناء إلاَّ من عرضت له آفة في حاسته، كما لا يكره الطيب إلاَّ من في شمِّه آفة. وحكى أهل الهند أن الزندبيل إذا أُخذ امتنع من العلف، فيغنى له بالألحان الشجية حتى تطيب نفسه. من سمع الغناء فلم يرتح له، كان عديم الحس أو سقيم النفس. وكان حكماء الهند يسمعون المريض الغناء، ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوي الطبيعة. وبالأصوات الطيبة ينوم الطفل، وتُحدى الإبل، وتجمع السمك في حظائرها، وتصطاد الظباء والأسود من مرابضها. وقيل: الغناء غِذاء الأرواح كما أن الطعام غذاء الأشباح. وهو يصفّي الفهم، ويرقق الذهن، ويلين العريكة، ويثني الأعطاف، ويشجع الجبان، ويسخي البخيل.

ذم الغناء:

قال يزيد بن الوليد لأهله: إياكم والغناء، فإنه يسقط المروءة، وينقص

---

(١) ديوانه ص ٩٢.

الحياء، ويبدي العورة، ويزيد في الشهوة، وأنه لينوب عن الخمر، ويصنع بالعقل ما يصنعه السكر، فإنْ كان ولا بدّ، فجَنّبوه النساء، فإنه داع إلى الزنا. سئل صالح ابن عبد الجليل عن السماع، فقال: ما وجدت قلبك يصلح له فافعله. مَرّ مسلمة ابن عبد الملك يوماً بقصر أخيه سليمان، فسمع صوت مُغنٍّ، فغدا إلى سليمان، وقال: يا أمير المؤمنين، مررت أمس بالقصر الذي فيه حرمك، فسمعت فيه غناء، أما علمت أن الفَرَس يصهل فتشال الحجر، والحمار ينهق فتستودق له الأتان، والثور يخور فتستخرم له البقر، والتيس ينب فيثغو له المعز، والكلب يعوي فتصرف له الكلبة، والمغني يغني فترتاح له النساء؟ فقال سليمان: قد وعظت وأحسنت، والله عليّ راع وكفيل، لا يدخل داري مُغَنٍّ ذَكَر ولا أنثى! ونزل قوم بالكميت، فأضافهم فتغنى رجل منهم وكان حسن الصوت، فقال: حق على الرجل أن يُحَصِّن سَمْع امرأته كما يُحَصِّن فرجها.

كيفيَّة جودة الغناء:

قيل لبعضهم: ما أجود الغناء؟ فقال: ما أطربك وألهاك أو أحزنك وأشجاك. وقال إسحق: قال لي المأمون ليلاً: ما ألذ الغناء عندك؟ فقلت: ما وافق شهوة النفس. فقال: زدْ فيه: وطربَ له السامع خطأً كان أو صواباً.

مشاهير المغنين وواضعي الغناء:

ابن شريح، ومعبد، وإسحق. وقيل: كل ما صنعه إسحق من الغناء سبعة وثمانون صوتاً. ومخارق، وعلوية، وزلزل، وابن بانة، وإبراهيم بن المهدي كان من حذّاق المغنين، ولذلك قال فيه دعبل لما ولي الخلافة:

إنْ كان إبراهيمُ مضطلعاً لها فَلْتَصْلَحنّ مِنْ بعدِه لمخارقِ
ولتصلحَن من بَعْدِ ذاك لزلزلٍ ولْتَصْلَحنَّ مِن بعدهِ للمارقِ[1]

منهم ابن محرز والغريض ومالك بن أبي السمح.

كراهية غناء بلا شرب وشرب بلا غناء:

قيل: غناء بلا شراب كنحلة بلا عطية، وهدية بلا نية، ورعد بلا مطر، وشجر بلا ثمر، وحداء بلا بعير، وروضة بلا غدير. قال الرشيد: النكس الذي يشرب على غير سماع.

---

(١) ديوانه ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

أبو نواس:

وليسَ الشّربُ إلاَّ بالملاهي   وبالحركات من بَمٍّ وزيرِ[١]

قال صاحب الموسيقا: السماع كالروح والخمر كالجسد، فباجتماعهما يتولد السرور. وقيل لأبي العطوف: هل ترى في الغناء؟ فقال: أما قبل الأكل ومع غير الشراب فلا.

الاقتراح على المغني:

قيل لمغنٍّ: غنّ لنا كذا، ثم بعده كذا. فقال: يا ابن الفاعلة، لا تقترح صوتاً إلاَّ بولي عهد. قال الحسن بن علي العلوي: قلت لمغنٍّ غنني. قال: هذا أمر. قلت: أسألك. قال: هذا حاجة. قلت: إن رأيت. قال: هذا إبرام. فقلت: فلا تغن. قال: هذا عربدة. كان هرمس إذا قعد للشرب، يقول للموسيقي: أطلق النفس من رباطها، من هنا أخذ كشاجم قوله:

أَطلِقْ عِقالَ الروح بالراحِ   إني إليها جدَّ مرتاح

قد كَدَّتِ الحكمةُ روحي   فَرَوِّحها بأوتار وأقداحِ[٢]

وكان مروان يقول: أطعمتنا طيباً، فأطعمْ أرواحنا حسناً. قال أبو العتاهية لمغن: صُبَّ في هذه الآذان ما تطعم به القلوب في الأبدان، فلو كان الكلام طعاماً كان كلامك إذا ما قال رجل لمغنية: غنيني. قالت: ليس معي عود. قال: فاضربي على حِرِك! قالت: قطعتُ أوتاره بالمخيط، وحياتك. وقيل لآخر: غنّ بغير عود. فقال: أنا فارس لا أقاتل راجلاً. وقال آخر لمغنّ في دعوته: أنعم علينا بما لا يتعب ضرساً، ولا يسقم نفساً.

استعادة الغناء:

حق الصوت الحسن أن يعاد أربع مرات: الأول بديهة، والثاني تفهم، والثالث للشرب، والرابع للشبع.

التزهزه للمغني:

قيل: أول صلة المغني أن يقال له: أحسنت. وحضر جحظة مجلس بعض الكبار مراراً، وكان إذا تغنى يقول له: أحسنت. ولم يكن يخوله شيئاً، فقال فيه:

---

(١) ديوانه ص ٥٤٧.

(٢) ديوانه ص ٧٣.

إنْ تَغَنَّيتُ قالَ أَحسنْتَ زِدني　　　وبأَحْسَنْتَ لا يُباعُ الدقيقُ[١]!

استطابة الغناء والمغنى:

سمع رجل غناء طيباً، فقيل له: كيف تسمعه؟ فقال: وددت أنَّ جميع أعضائي مسامع أسمعه بها؛ فأخذ ذلك الشاعر فقال:

غنَّتْ فلم تَبقَ فيَّ جارحةٌ　　　إلاَّ تمنَّتْ بأنَّها أُذنُ

عبد الرحمٰن المعروف بقس:

كأنَّ حماماً راغبيّاً مؤدباً　　　إذا نَطَقَتْ في صوتها يَتَغَشْمَرُ

آخر:

إذا هي غنَّتْ أبهتَ الناسَ حُسْنَها　　　وأَطرقَ إجلالاً لها كلُّ حاذقِ

وصف ابن شريح مغنياً فقال: كأنما خلق من كل قلب فيغني لكل ما أحب. وقيل لابن جامع: إنك حسن الإيقاع! فقال: برئت من الإسلام، إن كنت ضرطت منذ ثلاثين سنة إلاَّ بالإيقاع، فكيف أخرج منه في الغناء؟.

وقال الواثق: غناء علوية مثل نقر الطست، يبقى في السمع بعد سكوته. قال إبراهيم الموصلي: عشقتُ جارية، فهجرت اللذات من أجلها، فبينا أنا جالس إذا استؤذن علي لشيخ معه جارية، فأذنت له، فدخل فإذا هي صاحبتي، فجلس الشيخ، وقال: أشرب. فدعوت بالنبيذ، فشرب ثلاثة أقداح، وقال لي: غنِّ يا أبا إسحق فتعجب من جرأته عليّ، وذلك أن الخليفة كان ينزهني عن ذلك، ثم غنيت فأخذ العود، واندفع يغني:

سَرى يخبِط الظلماءَ والليلُ عاكفٌ　　　غَزالٌ بأوقاتِ الزيارةِ عارفُ

فما راعني إلاَّ سَلامٌ عليكُمُ　　　أَأَدْخُل؟ قلت: ادخلُ لما أنت واقِفُ؟

فتزعزت الحيطان، وأغمي عليّ وعلى الحاضرين من الغلمان، فلما أفقت، إذا بجارية جالسة والشيخ لم أره، فسألت البواب فقال: لم أره. وسألت الجارية، فقالت: لا أدري، إلاَّ أنه جاءني على لسانك فلم أجسر على مخالفته، فعلمت أنه أبو مرة.

وسمع إبراهيم الموصلي غناء مخارق وعلوية فقال: نعم، الفسيلتان أنتما لإبليس في الأرض. وقيل: لم يكن في الإسلام أحسن صوتاً من مخارق، غنى

(١) ديوانه ص ١٣٢.

يوماً في منتزه وقد سنحت ظباء، فجاءت إعجاباً بغنائه. وتوسط دجلة يوماً وغنى، فلم يبق أحد إلاَّ بكى، وكان أبوه جزاراً، فكان ينادي على اللحم في صغره فيفتن الناس بحسن صوته، وكان إذا تنفس يطرب من سمع تنفسه.

من يستطاب سماع الغناء منه:

سئل حكيم عن فرق ما بين غناء النساء والرجال، فقال: ما خُلقت الأغاني إلاَّ للغواني. وقيل: نعيم الدنيا أن تسمع الغناء من فم تشتهي تقبيله. قال الجاحظ: كم بين أن تسمع الغناء من فم تشتهي أن تقبله وبين أن تسمعه من فمٍ تشتهي أن تصرف بصرك عنه، وأيهما أملح أن يغنيك فحل ملتف اللحية وشيخ منخلع الأسنان متغضِّن الوجه، أو تغنيك جارية كطاقة نرجس أو آس؟ وأنشد:

مِنْ كَفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها ... مِنْ فِضَّةٍ قد طرفَتْ عنَّابا

وقيل: أطيب الغناء ما أشجاك وأبكاك وأطربك وألهاك. قال يحيى بن خالد لابن جامع: مَنْ أحسنُ الناس غناءً؟ فقال: من أطرب الخاشع، وأفهم السامع. قال الموصلي: إذا تغنيت بالمديح فَفَخِّمْ، أو بالنسيب فأخضع، أو بالمراثي فأحزِنْ، أو بالهجاء فشدِّدْ.

غناء يستطاب له الشراب:

سمع رجل غناء حسناً، فقال: السكر على هذا شهادة:

كشاجم:

فلسْتُ آبى وإن سقوني ... على أغانيه نيلَ مِصر(١)

الخبزأرزي:

ولو أن البُحورَ خَمْرٌ لدينا ... وتغَنَّيْتُ لارتَشَفْتُ البحورا

غناء غير مفهوم المعنى:

أبو تمام في وصف جارية:

ومُسْمِعَةٍ يحارُ السَّمْعُ فيها ... طربتُ لحسنِها بصدى غناها

ولم أفهم معانيها ولكنْ ... وَرَتْ كبدي ولم أجْهَلُ شجاها

فكنتُ كأنني أعمى معنًى ... بحبِّ الغانيات وما رآها(٢)

---

(١) ديوانه ص ١٦٠.

(٢) لم أقع على هذه الأبيات في ديوانه.

اقتراح الفارسي:

بعض الأصفهانيين:

غَنِّنا يا غلامَنا وأَمهنا ... وتَنَكَّبْ غناءَك العربيَّا
إنَّنا مَعْشَرٌ مِن العربِ الغرّ كِرامٌ فغنِّنا الفارسيا
واسْقِناها مُدامةً نازعتها ... وبس دامين بكرةً وعشيّا

مغن قبيح الغناء:

قال بعضهم: كأنه مكوك يتدحرج على درجة. وغنَّى مغنٍّ فقيل لبعض الندماء: كيف ترى؟ فقال:

ويُحسِّن الندمان في خلقه ... دجاجَةً يخنقُها ثعلبُ

واقترح على مغنٍ فامتنع، فقال بعض الحاضرين: غن لهم صوتاً، فإنهم يقترحون عليك حينئذ بالسكوت! قال:

كُلَّمَا قلتُ: اقترح قا ... ل: اقتراحي أن تَكفا

وقيل لهارون: فلان إذا غنى غمض عينيه، فقال: أظنّه يفعل ذلك استحياءً لقبح غنائه. وقيل لآخر فقال: نائحة تندب في مأتم! وقيل لآخر فقال:

نَحْمَدُ اللَّهَ فإنّا ... قد سَمِعنا ما كرهْنا

وقيل لآخر فقال:

فأَحْسِنْ بحالِك إنْ لو خرسْتَ ... وأَحْسِنْ بنا لو رزقنا الصمَمْ

ابن الرومي:

وكأنَّ جرذانَ المحلةِ كُلّها ... في حَلْقِه يقرضْنَ خبزاً يابسا[1]

وله:

وإنَّ سكوتَها عندي لبُشرى ... وإنَّ غِناءَها عندي لمقعى
فَقَرّطْها بعَقْربِ شهر زور ... إذا غنَّت، وطوّقْها بأفعى[2]

جحظة:

وانصَرَفنا لمَّا تغنَّتْ عطاشا ... والقناني كما دخلنا مِلاءُ[3]

قيل: غناني فلان فعناني. ابن الحجاج:

---

(١) ديوانه ٣/ ٣٢٧.
(٢) ديوانه ٤/ ١٢٠.
(٣) ديوانه ص ٢٩.

وعوّادةٍ من جواري القِيان سرار البُطونِ عليها نَحْلُ
إذا ما تغنَّت بثاني الثقيل طرْحنا عليها خَفيفَ الرَملِ

وقال جحظة وقد دعاه صديق له كان يعده بجارية حاذقة فائقة، فلما حضره، أخرج جارية قبيحة، فقال:

قَدْ دعانا فأرانا خُنْفُساةً خلفَ عودِ
وتغنَّتْ مِنْ قِيامِ كالمغني من قُعودِ[1]

وقال الجماز لأبي العيناء: كيف ترى غنائي؟ فقال: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: الآية ١٩]!.

مغنٍّ موصوف بالشؤم والقبح:

كشاجم:

ومغنٍّ بارد النغمةِ مختلٌ اليدينْ
ما رآع أَحَدٌ في دارِ قومٍ مرتينْ[2]

آخر:

إنَّ سَمعي في نعيمٍ وعُيوني في جَحيم

أبو الفضل بن العميد:

إذا غَنّى لنا أمما حَشَوْتُ مسامعي صَمَما
وإنْ أَبصرتُ طلعتَه كَحَلْتُ نواظري بعمى

تأثير الغناء والصوت وإن لم يفهم:

قال إسحق الموصلي: أمْر الصوت عجيب، منه ما يسرّ سروراً يرقص، ومنه ما يُبكي، ومنه ما يكمد، ومنه ما يزيل العقل حتى يغشى على صاحبه، وليس يعتري ذلك من قبل المعاني لأنهم في كثير من الأحوال لا يفهمون. وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي رضي الله عنه فقيل له: كيف تبكي لكتاب لا تصدق به؟ فقال: أبكاني الشجا، وقد تسكن النفوس إليه، وذلك موجود في أكثر البهائم، والدواب إذا غنى المكاري صرت آذانها.

اختلاف الأصوات:

قال الموصلي: سألني المعتصم عن معرفة النغم، فقال بيِّنْها لي، فقلت: إنَّ

---

(١) ديوانه ص ٨٢.
(٢) ديوانه ص ٣٠٢.

من الأشياء ما تحيط به المعرفة، ولا تؤديه الصفة. وسألني عن شعرين متقاربين، ففضَّلْت أحدهما على الآخر، فقال: من أين؟ فقلت: لو تفاوتا لأمكنني التبيين، ولكن تقاربا ففضل أحدهما على الآخر مما يشهد به الطبع، ولا يعبر عنه اللسان.

* * *

ومما جاء في آلات الملاهي

العود:

أتي عبد الملك بعود، فقال للوليد بن مسعدة: ما هذا؟ فقال: خشبة تشقَّق، ثم ترقق، ثم يعلق عليها أوتار، ثم تنطق فتضرب الكرام رؤوسها بالحيطان سروراً به، وامرأته طالق إن كان في المجلس أحد إلاَّ وهو يعلم ما أعلمه، وأنت أولهم يا أمير المؤمنين! فضحك. وقالت الفرس: نغمات العود من صرير باب الجنة، ولهذا سموه بربط معناه باب النجاة.

كشاجم في أبيات له:

خُلْخالُه في نَحْرِه ولسانُه ... في أذنِه وجَبينُه من أسفلِ
مَزْح يكفّ على الأكفّ ولفظُه ... يعلوه بتأليفِ الثقيلِ الأولِ
فكأنَّما شَخْصُ القريض ممثلٌ ... في العودِ أو سكنَتْه روحُ الموصلي[1]

رأى أعرابي عوداً، فلما عاد إلى البادية نَعَتَه لأصحابه، فقال: رأيت شيئاً محدودب الظهر، أرسخ البطن، أكلف الجلد، أجوف أسقف أحنف، جبينه في استه، وعيناه في صدره، وأمعاؤه من خارج بطنه، بها يتكلم ومنها يترجم، معروك الآذان ممشوق المعلق. كان أبو محصن الأعرابي عند أبي إسحق، وعنده من يضرب بالعود والطنبور، فقال: أيهما أحبّ إليك؟ قال: أبعدهما صوتاً، وأكثرهما جلبة، وأحسنهما حلية، وأشار إلى الطنبور بأن صوته كطنين ذباب بروضة.

الزامر:

قال إسحق: الزمْر رَفْو الغناء. وقيل: الزمر يستر من حسن الغناء كما يستر من قبحه. قال المتوكل لزنام الزامر: تأهبْ للخروج معي. فقال: الناي في كمي، والريح في فمي، فاعزم إذا شئت.

ابن المعتز يصف زامرة:

---

(١) ديوانه ص ٢٦٧.

كـأنـمـا تَـلْـثـمُ طـفـلاً لـهـا أَتـتْ بـهِ مـن ولـدِ الـزنْـجِ[(١)]

الناجم يذم زامرة:

نـــاي قـــتـــولٌ قـــاتـــلُ بـالـنـتْـنِ مـنـه الـرهـجِ
يـشـبـه عـنـدي مـخـرجـاً مـركـبـاً فـي الـمـخـرجِ

وقال الصنوبري:

وكـأنـمـا الـمـزمـار فـي أشـداقِـهـا غـرمـولُ عـيـرٍ فـي حَـيـاءِ أتـانِ!
وتـرى أنـامِـلَـهـا عـلـى مزمـارِهـا كَـخـنـافـسٍ دبّـتْ عـلـى ثـعـبـانِ[(٢)]

تخاصم رجلان عند ابن المدبر، وحلف أحدهما بالطلاق أن صاحبه أحمق، ولا يبرح حتى يشهد القاضي بذلك، فذكر أن عنده زامرتين بلا مغنية، فقال القاضي: أشهد أنه أحمق!

الرقاص:

المصعب الهندي:

عـجِبْتُ مِن رجلين يتبعانه يـعـلـوهـمـا طـوراً وتـعـلـوانِـه
كـأنَّ أَفْـعـيـيـن يَـلْـسَـعـانـه

وقيل لجارية رقاصة: أفي يدك عمل؟ قالت: لا إنما هو في رجلي!.

وجوب الاستماع:

بعضهم:

إذا حضر الغِناءُ فليس إلاَّ سُكوتٌ واستماعٌ للمغني

أحمد بن علوية:

حُكْمُ الغناءِ تَسَمُّعٌ ونِدامُ ما للحديثِ مَعَ الغناءِ نظامُ
لو كانَ لي أَمرٌ قضيتُ قَضيةً إنَّ الحديثَ مَعَ الغناءِ حرامُ

غناء يمزق له الثوب:

سئل إبراهيم الصوفي المارستاني عن تمزيق الثوب في السماع، فقال: إن موسى عليه السلام قرأ على بني إسرائيل، فمزق واحد منهم قميصه، فقال الله تعالى لموسى: «قل له مزق قلبك لا ثوبك». كان لبعض الظرفاء مغنيتان: محسنة إذا غنت خرق قميصه، ومسيئة إذا غنت قعد يخيطه. طرب بعض الكبار على غناء

---

(١) ديوانه ٢/ ٤٨١.

(٢) ديوانه ص ٥٠٣.

فشقَّ قميصه وقال لنديمه: بحياتي شقّ قميصك. فقال: إذاً أبقى عرياناً! فقال: أنا أخلفه غداً. قال: فأشقه غداً. قال أبو مالك الأعرج:

إذا غنَّت قديماً أو حديثاً ... فما للمجيبِ مِنْ كفَّيكَ واقي

أنواع مختلفة من الغناء:

اجتمع على شراب في بعض الحانات أعمى ومفلوج وأقطع، فقيل للأعمى: غَنِّ، فغنى:

إنِّي رأيتُ عشِيَّةَ النفرِ ... حوراً نفينَ عزيمةَ الصبرِ

فقيل: ويلَكَ، كيف رأيت وأنت أعمى؟ وقيل للمفلوج: غَنِّ. فقال:

إذا اشْتَدَّ شوقي وهاجَ الألَمْ ... عدوتُ على بابِكم في الظُّلمْ

فقيل: مفلوج يعدو! لا تكذبْ. وقيل للأقطع: هاتِ غَنِّ. فقال:

شَبَكْتُ كَفِّي على رأسي وقلتُ له: ... يا راهبَ الدير، هل مرَّتْ بكَ الإبلُ؟

فقالوا: أنت أكذبنا، وأجودنا غناء. غَنّى مغنٍّ صوتاً، فقال له بعض الحاضرين: أين الصيحة؟ فقال: أخذتها لثالثك. كان أبو العينين يعشق جارية يقال لها مكنونة، فغنى صوتاً فقالت له: ألقه عليّ. قال: بما اشتريته. قالت: بكم؟ قال: برأس مالي، ناكني فلان وعلمنيه. فقالت: اجعل الصرف على الاست صوتاً آخر؟ وتقدم.

ولام رجل آخر في مغنية، فقال: والله لو غنتك، لما أدركنا ذكاتك. وقال المأمون: الطبل لهو غليظ. وهذا على ما قال علوية القمي لابنه المخنث: قد تأذيت بصوت طبلك يا ابن الفاعلة! فقال: إن كنت تريد أن لا يكون لصناعتي صوت، فسلِّمْني لمن يرفو الثوب، فالغناء لا يكون بلا صوت!.

* * *

ومما جاء في آلات القمر

أسماء القداح:

تسمى القداح الأزلام والأقلام، وهي عشرة، سبعة منها ذات خطوط قد نظم أساميها الصاحب في قوله:

إنَّ القداحَ أمرُها عجيبُ: ... الفَذُّ والتَّوْأَمُ والرقيبُ

والحلسُ ثم النافسُ المصيبُ ... والمصفحُ المشهرُ العجيبُ

ثم المعلى خطَّها الرغيبُ هاك فقد جادَ بها الترتيبُ[1]

والمصفح يسمى المسبل، والرقيب يقال له الضريب، والأغفال التي لا خطوط لها: المنيح والفسيح والوغد. قال ابن قتيبة: والمنيح له موضعان أحدهما لا خط له، والثاني له خط. قال: وعلى ذلك قول عمرو بن قميئة:

بأيديهمُ مَقْرونةٌ ومغالقٌ يعودُ بأرزاقِ العِيالِ مَنيحُها[2]

وقال عروة بن الورد في أسمائها:

أَتتْ بالمعلّى عند أولِ سورةٍ وبالمسبل الثاني وبالحلسِ والتوَمْ
وجاءت بفذٍ والضريب يليهما وبالنافِس المغلوبِ في الرأس والقدمْ
فراحَ بها غنم وتغرم ما جنت وقد يغرَمُ المرء الكريم إذا اجترَمْ
وأَنت منيحٌ بالدينِ متى تعدْ تعدْ صاغر الآمال نالَ ولا عَزَمْ[3]

وقال تميم بن مقبل في صفة القدح:

خَرُوجٌ من الغمَّى إذَا صُكَّ صَكَّةً بَدَا والعُيُونُ المُسْتَكِفَّةُ تَلْمَحُ
مُفَدًّى مُؤَدًى بِاليَدَيْنِ مُلَعَّنُ خَلِيعُ لِحَامٍ فَائِزٌ مُتَمَنَّحُ[4]

طفيل:

وأَصْفَرَ مَشْهُومِ الفُؤَادِ كَأَنَّهُ غَدَاةَ النَّدَى بالزَّعفرانِ مُطَيَّبُ[5]

والياسر الصائب بها، والبرم الذي لا يدخل معهم، وفي صفته:

بـه عَلَمان مِنْ عقبٍ وضِرْسِ

ويسمى ذلك مقرونة؛ وأما مثنى الأيادي قيل هو ما تفضل عنه. وقيل: هو أن تعود بعد خروج الفوز على الخط الأول، والربابة ما يجمع فيه القداح، وأفاض بالقداح ضرب بها، والرقيب من يحفظهم.

الممدوح بضرب القداح:

عنترة:

رَبِذٍ يَداهُ بالقِداحِ إذا شتا هَتَّاك غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ[6]

---

(١) ديوانه ص ١٩٤.
(٢) ديوانه ص ٣٠.
(٣) لم أقع على هذه الأبيات في ديوانه.
(٤) ديوانه ص ٢٩ ـ ٣٠.
(٥) ديوانه ص ٥٠.
(٦) ديوانه ص ٢١١.

آخر:

هَيِّنونَ لَيِّنونَ أيسارٌ ذوو يسرٍ   سوّاسُ مَكْرمةٍ أبناءَ أنباءِ

وقال متمم بن نويرة في مرثية أخيه:

ولا برماً تهدى النِّساء لعِرسهِ   إذا القشع من حُسْن النساءِ تَقَعْقَعا[(١)]

يقال: فلان برم قرون إذا لم يدخل في الميسر، ثم يأكل تمرتين تمرتين.

المرقش الأكبر:

إذا أيسَرُوا لم يُورِثِ اليَسْرُ بَيْنَهُمْ   فوَاحِشَ يُبقى ذِكرُها بالمصائفِ[(٢)]

تحريم ضرب القداح:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المَائدة: الآية ٩٠] الآية. وقال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٩]. وقد أبيح القرعة، وهي من جنس ذلك. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٤]. وكذلك يونس عليه السلام حين جنحت بهم السفينة وبمن معهم ساهم القوم أيهم يلقى في البحر ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾ [الصَّافات: الآية ١٤١] أي من المقمورين.

وضع الشطرنج:

قيل: وضعها فيلسوف لملك رام أن يرى الحرب وتدبيرها في خفض ودعة، فلما وضعه له، أعجب الملك به، فقال له: اقترح ما شئت، وسلْ كلما تمنيت. فقال: أولني لأوّل بيت من بيوته درهماً، ثم اضعف في الثاني فالثالث، إلى أن تنتهي إلى آخر البيوت. فاستقلَّ الملك ذلك، وقال: رأيتك حكيماً في وضعك ذلك، واستحقرتك في مقترحك! فقال: إني يقنعني ما سألت إن وفيت لي. فقام رأس وزرائه وقال: أيها الملك، إنه لا يفي ملكك ولا مالك بما سأل. فقال: كيف؟ فعملوا به حسباناً، فإذا هو عشرة آلاف ألف ألف ألف ألف ألف، وأربعمائة ألف وستة وأربعون ألف ألف ألف ألف، وسبعمائة ألف ألف ألف وستة آلاف ألف، وخمسمائة ألف وخمسون ألفاً وستمائة وستة عشر ألفاً. فقال

---

(١) ديوانه ص ١٠٧.

(٢) ديوان المرقش الأكبر ص ٥٨١.

الملك: لا أدري أيما أعجب: ألشطرنج أم الأمنية!.

الرخصة في الشطرنج:

مر أمير المؤمنين، رضي الله عنه، بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ ولم يأمرهم أن يرفضوه. قيل: إنما قال لهم ذلك؛ لأنها كانت على صورة الأفراس والفيلة. وسأل الرشيد معن بن عيسى عنه فقال: ما فقدناه من مجالس قريش التي كنا نهاب أن نمر بها. وكان الشعبي يلعب مستدير الحذقة. وسئل عنه الحسن، رضي الله عنه، فقال: لا بأس به ما لم يكن قماراً، فإنه احتيال. وسئل أبو العباس بن شريح عنه فقال: إذا سلمت أيديهما من الطغيان ولسانهما من العدوان وصلواتهما من النسيان، فهو مباح بين الإخوان غير محرَّم على الخِلان.

كراهية الشطرنج وذمّه:

قال أمير المؤمنين، رضي الله عنه، فيه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ فسمَّاها تماثيل. ومر عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه بقوم يلعبون فقال: قد وضعت الحرب أوزارها ثم خلطه. وروي عن محمد ابن الحنفية، رضي الله عنه، أنه كره اللعب. وكان المأمون يستهزىء بالشطرنج مع جودة لعبه به، ويقول: لا يفوق المرء فيه إلاَّ باستفراغ الذهن كله له، ولا يبلغ قدر ذلك. وكان الفضل بن يحيى يجيد اللعب به، وكان يذمه ويقول: لا يقمر اللاعب به إلاَّ بكد الجوارح، ولا يبلغ قدره ذلك.

المتنبي:

وغيرُ فؤادي للغواني رَميةٌ ... وغيرُ بناني للرخاخِ رِكابُ[1]

شاعر:

لَهِبُ الشطرنجِ شؤمٌ ... فاجتَنِبْها يا مشومُ

إنَّما عدت لقومٍ ... شأنهم شأنٌ عظيمُ

ملكٌ يجبى إليه ... أو وزيرٌ أو نديمُ

هَبْكَ فيها ألعب النا ... سِ فماذا يا حكيمُ؟

وكان أهل المدينة، إذا خطب إليهم من يلعب الشطرنج، لم يُزَوِّجوه،

---

(١) ديوانه ١/٣١٨.

ويزعمون أنه إحدى الضرتين. وقيل: إنما وضع للعجم الذين لا علم لهم، فإذا اجتمعوا تلاحظوا تلاحظ البقر فجعلوا لعبهم به مشغلة.

وصف الشطرنج:

شاعر:

أَرضٌ مُـرَبَّـعَـةٌ حـمـراءُ مـن أدم   ما بين خلَّينِ مَوْصوفينِ بالكرمِ
تذكرا الحربَ فاختار لها شبهاً   من غير أن عفيا فيها بسفك دمِ
انظر إلى فطنٍ جاشت بكرِّهما   في عَسْكرين بلا طَبْلٍ ولا عَلَمِ
هذا يغيرُ على هذا فَيَغْلبُه   وذا يغيرُ وعين الحزمِ لم تَنَمِ

السري الرفاء:

وكَتيبتا زنجٍ وروم أذْكَيا   حرباً يظلّ بها الذكاءُ مناصِلا
في معرك قسم الزمانُ بقاعه   بين الكماة المعلمين منازلا
لم يَسْفَحا فيه دماً وكأنما   رَشّحُ الدماء أعالياً وأسافلا
وكأنَّ ذا صاحٍ يسير مقوماً   وكأنَّ ذا نَشْوان يخطر مائِلا
أعجبْ بها حرباً تثيرُ إذا التظت   فضل الرجالِ ولا تثير قساطِلا[1]

الماهر بالشطرنج والرديء اللعب:

ليس لإجادة اللعب بالشطرنج نهاية ولا غاية، ومن معجزاته أنه لا يكاد يتفق فيه دستان، ومن مجيديهم الصولي.

ولبعضهم:

ولربَّما مهر السخيفُ بها   وتراهُ يمضَغُ لفظَه حُمقا

مر بعضهم بقوم يلعبون بالشطرنج، وكان وسخاً، فقال: ما أوسخ شطرنجهم! فقال بعضهم: اللعب أوسخ.

النوادر في الشطرنج:

قيل:

نَوادرُ الشطرنجِ في وقتها   أحرّ مِنْ ملتهبِ الجمرِ
كمْ من ضعيفِ اللعبِ كانت له   عوناً على مُسْتَحْسَنِ القَمَرِ

وروي أن أبا مسلم كان يلعب بالشطرنج، فوقع له شاه مات، فتمثل بقول

---

(١) ديوانه ص ٢١٤.

الشاعر:

ذَروني ذَروني ما كَفَفْتُ فإنني إذا ما تهيجوني تميدُ بكم أرضي
وأَنْهَضُ في رَدِّ الحديثِ إليكمُ كتائب سوداً طالما انتظرتْ نهضي

كان المأمون عند قدومه من خراسان اشتهى الشطرنج، فاستحضر كبار أهله زيرب وجابر الكوفي وعبد القادر الأنصاري، وكانوا يتوقرون بين يديه، فقال: إن الشطرنج لا يطيب مع الهيبة، قولوا ما تقولون إذا خلوتم.

النرد:

قال بعض الحكماء: شبهت رقعة النرد بالأرض الممهدة لساكنها، ومنازل الرقعة، وهي أربعة وعشرون بساعات النهار والليل، وبيادقها وهي ثلاثون بعدد أيام الشهر، واختلاف ألوانها باختلاف بياض النهار وسواد الليل، ثم أُقيمت المنازل على أربع مراتب كعدد الطبائع الأربع: الأرض، والماء، والهواء، والنار، والفصول الأربعة: الشتاء، والصيف، والربيع، والخريف، وجوانب الفَصّ وهي ستة بالجهات الست: فوق، وأسفل، ويمين، ويسار، وأمام، وخلف، والفصان المحيطان بالجوانب الاثني عشر كشهور السنة، والشهور محيطة بالأيام إحاطة ما يخرج بالفصين، وبالبيادق الثلاثين أو الأيام محيطة بالساعات إحاطة البيادق بالمنازل الأربعة وعشرين، ثم جعل نكت الفصين كلها اثنين وأربعين، ولست تجد شيئاً من عدد جوانب الفص إلاَّ إذا ضممت إليه عدد مقابله وجدته سبعة، وهو عدد الأيام السبعة، وشبه النكت السبعة التي يكون بعضها فوق الأرض وبعضها تحتها في كل حال وتقلبها بأفعال العباد، وما يخرج بالقضاء الجاري عليهم، وشبه فعل اللاعب في اتباعه لما يخرج بفعل العباد في اتباع القضاء، وشبه إخراج اللاعبين بالمعاد، وفلج المقامر بما حصل للمجتهد من الثواب، وكذا ما يلحق المقصر بتقصيره من الحسرة. وكان رؤية في قوم يلعبون بالنرد، فأتي بالخوان، فقال:

يا إخوتي جاء الخوانُ فارفعوا حتانة كعابها تقعقَعُ
لم أردِ ما ثلاثها وأربَعُ[1]

سأل الزبيري أبا بكر بن فريعة في مجلس المهلبي عن النرد، فقال: ما أدري

(١) لم أقع على هذه الأبيات في ديوانه.

غير أني أرى لبداً مخططاً وخشباً مخرطاً، وعظماً منقطاً، وأيدياً تضرب ميطاً، وكل يطلب بصاحبه شططا.

فضل الشطرنج على النرد:

قال بعض المتكلمين: الشطرنج معتزلي والنرد مجبر. وذلك أنَّ اللاعب بالشطرنج موكول إلى اختياره، ومتروك مع إيثاره، واللاعب بالنرد مجبر على ما يخرج به الفصان. وقيل لرجل: كيف معرفة فلان بالشطرنج؟ فقال: ما أحسن ما يلعب. قيل: فكيف يلعب بالنرد؟ فقال: ما أحسن ما يخرج له الفصان. فلم ينسب الفعل في النرد إليه كما نسبه إليه في الشطرنج.

الملاعبة بهما على القمر:

قال يزيد بن أبي خالد: دخلت على ابن أبي أوفى، وهو يلاعب امرأته بالفصين. وقال إسحق: قال لي محمد الأمين: كيف لعبك بالشطرنج؟ فقلت: فوق المنصفين ودون البالغين، ليس من اللعاب أحد يلقي لي فرزاناً لا أنتصف منه. فقال: لاعبني. فلاعبته بخلعة، فقمرني، فقمت أخلع ثوبي، فقال: ما تصنع؟ فقلت: أنزعه لتلبس. فقال: ألبس خلعة مملوءة قملاً؛ فقلت: دعني من ذا، تلبس أو تفادي؟ فقال: بماذا؟ قلت: بثيابك. فقال: ما رأيت قامراً مقموراً، فنزع ثوبه وأولانيه، وكان أبو أيوب يلاعب مدنياً بالشطرنج، فتأخر عنه المدني يوماً، فاستدعاه، فكتب إليه المدني:

لا تدعوني لشَطْرنج فيشغلَني   دَعْني فإني عن الشطرنج مَشْغولُ
أنتَ امرؤٌ تدمِنُ الشطرنجَ مِن سمَنٍ   وإنّني يا أبا أيوبَ مهزولُ

فبعث إليه بعشرة آلاف درهم.

تمَّ الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

فهرس المحتويات

الحد السابع
في الهمم والجد والآمال

الحد الثامن
في الصناعات والمكاسب والتقلُّب والغنى والفقر

الحد التاسع
في الاستعطاء والعطاء

الحد العاشر

في الأَطعمة

الحد الحادي عشر

في الشرب والشراب